



ولاء كمال

أيام يموج كairoki

وحكاية جيل أراد أن يغير العالم

الدار المصرية اللبنانية

أيامي مع كايروكبي

وحكاية جيل أراد أن يغير العالم





لتحویلک إلى الجروب أضغط هنا



لتحویلک إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

أيامي مع كايروكي

وحكاية جيل أراد أن يغير العالم

كمال، ولاء.

أيامي مع كايروكي: وحكاية جيل أراد أن يغير العالم/
ولاء كمال

- ط2.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2019.

568 ص؛ 21 سم.

تدمك: 3 - 216 - 795 - 977 - 978

1- كمال، ولاء - مذكرات.

أ - العنوان 920

رقم الإيداع: 2355 /2019

أيامي مع كايروكي - أيامي مع كايروكي وحكاية جيل أراد أن يغير العالم

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تلفون: + 202 23910250

فاكس: 202 23909618 + - ص. ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

[www. almasriah.com](http://www.almasriah.com)

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: 2019م

الطبعة الثانية: 2019م

الدار المصرية اللبنانية

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا

المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

أيامي مع كايروكي - أيامي مع كايروكي وحكاية جيل أراد أن يغير العالم

أيامي مع كايروكي

وحكاية جيل أراد أن يغير العالم

ولاء كمال

الدار المصرية اللبنانية





أيامي مع كايروكي - كل فضاء تطوف به الموسيقى ، لا يعرف الحزن إليه طريقه

كل فضاء تطوف به الموسيقى ،

لا يعرف الحزن إليه طريقة

مدخل

الواحدة والنصف صباحاً.

الثالث من مايو 2017.

نجلس أنا وأمير وشريف في غرفة أمير، الذي يجلس على الكرسي المقابل لي وقد أمسك بالعود بين يديه، بينما شريف على البيانو الأسود الكبير في آخر الغرفة. يجرب أمير عزف (لسه فيها كتير)، أول أغنية قام بتلحينها بالكامل على العود.

يسأل شريف عن رأيه، فيقترح عليه أن يعزف من سلم آخر (Major). يغني أمير مرة أخرى مطلع الأغنية، ثم فجأة يضع العود جانباً ويمسك هاتفه محمول في شرود، يتبع آخر ردود الأفعال على Status مشاغبة جديدة كتبها بإحدى حساباته على موقع التواصل الاجتماعي.

يبدأ شريف في عزف مقطوعة لم أسمعها من قبل على البيانو، قد تكون من تأليفه، ارتجالاً، أو لحنًا يعرفه، أو واحداً من عشرات الألحان التي يحفظها عن ظهر



قلب.. يقوم من على البيانو ويمسك بالعود ويبدأ في عزف لحن الأغنية ذاتها في شرود، وفي كل مرة يلعب تنويعات مختلفة من اللحن نفسه، وأمير يدندن معه بالكلمات.

يترك شريف الغرفة بشكل مفاجئ ليتوجه إلى غرفته، استوديو التسجيل والميكساج، وبعد لحظات تستمع لموسيقي الأغنية آتية من هناك.. الدندنة التي لعبها على العود منذ لحظات أنته ببعض الأفكار فقام مسرعاً ليسجلها على الكمبيوتر مستخدماً إحدى برامجه المعدة للتأليف والتسجيل.

سوف تستغرق رحلة العمل على هذه الأغنية ثلاثة أشهر من العمل اليومي بين أمير وشريف حتى تخرج بشكلها النهائي الذي سيسمعه الجمهور.

قبل دخولهما الغرفة بلحظات كنت أتمشي وأستنشق الهواء في ضاحية دجلة الهدئة في ذلك الوقت من اليوم. دائمًا ما أحرص على التمشية حول المكتب



حين أكتشف أنني قد قضيت أكثر من 10 ساعات داخل جدرانه دون أن أخرج. أسيء مفكراً في الكتاب الذي أكتبه: ترى كم من الوقت يمر قبل أن أنهي منه؟ مضى على وجودي هنا حوالي شهر ولا تزال الرحلة في بدايتها. أحياناً، يكون الإيقاع هنا أسرع من الطبيعي. خمسة أشخاص يعملون بنشاط غريب تقريباً على مدار الساعة. الأحق كلاً منهم محاولاً التوأجد في كل الأماكن طوال الوقت؛ لمتابعة ما يحدث وتسجيل ملاحظاتي حول ما أراه قدر الإمكان.

العمل على الألبوم الجديد في أوج مراحله؛ إذ لم يتبق سوى أسبوعين قليلة على إطلاقه وسط ظروف ليست بالسهلة.

كنا منذ ساعات قليلة في افتتاح معرض للمصور الإنجليزي ستيف دابل، والمقام بجاليري Arcade الذي تمتلكه ليلى زوجة أمير، وهو امتداد لمكان الفنون الذي أسسه ليلى قبل بضع سنوات. ستيف

دابل من أشهر مصوري الفنانين في العالم، ويعيش بالقاهرة منذ عشر سنوات. كان ستيف قد قام بتصوير الفرقة منذ عامين، وهو ما أخبرني أمير بأنه يعد فخرًا كبيرًا له ولبقية أعضاء الفرقة: «فقد قام بتصوير أكبر المUSICIANS بالنسبة لجيلا: ميتاليكا، بينك فلويـد، كولدبلاي، مايكل جاكـسون، كيرـت كوبـين، وغيرـهم الكثـير».

قبل ذهابـنا للمعرض في الثـامنة، حضرـت اجتمـاعـاً بين أـعـضاـء الفـرقـة وـثـلـاثـة من العـاـمـلـيـن معـهـم استـمـرـ خـمـسـ سـاعـاتـ، وـقـبـلـها قـضـيـنا الـلـيـلـة السـابـقـة في المـكـتب دون أن يـذـهـب أيـّ مـنـا إـلـى مـنـزـلـهـ. كـنـا نـتـبـادـل أـطـرافـ الـحـدـيـثـ أنا وـشـرـيفـ وـهـو يـعـملـ - حتـى السـادـسـة صـبـاحـاـ - عـلـى ضـبـط درـجـة وجـودـة الصـوت لـتـسـجـيلـاتـ سـيـتمـ تـشـغـيلـهاـ بالـمـعـرـضـ، خـدـمة طـلـبـتهاـ مـنـهـ ليـلـىـ؛ ظـنـاـ مـنـهـاـ أـنـ الـأـمـرـ لـنـ يـسـتـغـرقـ سـاعـتينـ عـلـىـ الـأـكـثـرـ، وـلـكـنـ شـرـيفـ لـاـ يـأـخـذـ أيـ شيءـ بـيـساطـةـ.. ظـلـلتـ أـرـاقـبـهـ وـهـو يـعـملـ، موـاصـلـاـ الـحـدـيـثـ مـعـهـ عـلـىـ سـبـيلـ تـسـلـيـتـهـ فـيـ سـاعـاتـهـ الطـوـيـلةـ الـوحـيدـةـ أـمـامـ الـكـمـبـيـوـتـرـ، إـلـىـ أـنـ غـلـبـنـيـ النـومـ



واستيقظت فجأة وهو يضع غطاءً علىَّ وأنا نائم على الكرسي الهزاز خلفه. هذه إحدى المرات القليلة التي يُظهر فيها شريف مشاعره الحانية واهتمامه برعايته الآخرين.

المزحة الأكثر شهرة التي أطلقتها ويواافقني عليها آدم بقوة هي أن شريف في الأصل إنسان آلي ولكنه متخفٍ، تماماً كشخصية هاريسون فورد في الفيلم الشهير *Blade Runner*.

الآن صارت الساعة الثانية صباحاً، 36 ساعة كاملة قضيتها حتى الآن متواجداً في المكتب أو حوله، ولا يزال الجميع يعمل. يسألني أمير إن كنت أريد أن نجلس ونستكمل حوارنا الذي بدأناه في صباح اليوم السابق، واحد من مئات الحوارات التي أجريتها مع أعضاء الفرقة وكل من حولهم خلال العام الذي عشته معهم.

نهي حوارنا على صوت أم كلثوم، ثم نخرج بعدها للتمشية إلى كشك ميدان فيكتوريا لاستنشاق الهواء



وشراء السجائر وبعض المشروبات. نتحدث ثلاثة في مواضيع شتى تخص الألبوم الجديد، وتوترات ما قبل الإصدار التي تنتاب أعضاء الفرقة. مر شهران على عدم إجازة بعض أغاني «نقطة بيضا» بسبب اعتراض الرقابة على كلماتها التي وجدوا بشكل ما أنها غير لائقة، وحدثت عشرات الاجتماعات لمعرفة كيفية تفادي هذا الأمر. كذلك تمت مناقشة عديد من النقاط الخاصة بموعد وطريقة إصدار الألبوم، وكانت النتيجة هي إرهاق وتوتر بين جميع أعضاء الفرقة، وصل إلى حد تبادلهم الاتهامات فيما بينهم عن أسباب تأخر الألبوم، وطرح تساؤلات حول مدى اجتهاد كل عضو مقارنةً بالآخر، وتجدد الخلافات حول الإدارة الفنية للفرقة ككل. وهي مشكلات ليست وليدة اللحظة، ولكنها تراكمات عاملين كاملين من العمل على ألبومهم الخامس.

كل شيء على المحك، إما أن يصبح نقلة فنية تزيد من تقدير جمهورهم الحالي لهم وعلامة في رحلة تطورهم الموسيقي والفنى، إلى جانب إكسابهم قاعدة



جماهيرية جديدة عبر الأغانى ذات الطابع الشعبي، أو يتحولوا إلى ديناصورات عفا عليها الزمن.

ولم يكن منع أغانيهم من النزول بشكل طبيعى يساعد على طمأنة الشباب الخمسة، الذين مروا بعاملين هما الأصعب منذ أن بدأ أصدقاء الطفولة في لعب الموسيقى معاً.

وقفنا ندخن ونتحدث ثم تمشينا قليلاً حتى منزل أمير.. جلسنا في غرفة المعيشة بعد معركة صعبة لفرض السيطرة على كلبة ليلى، واستمرت جلستنا حتى السادسة والنصف صباحاً.

طوال تلك الساعات الأربع لم نكن نتحدث عن شيء سوى الخوف من المجهول.

نظرت في ساعتي وأنا أغادر مع شروق شمس صباح اليوم الثالث.

48 ساعة كاملة مرت على مغادرتي لمنزلي، ولا تزال الأحداث تتواتى.



أيامي مع كايروكي - الواحدة والنصف صباحاً.

وهذا يوم عادي للغاية في حياة كايروكي.



مقدمة

لماذا هذا الكتاب؟

في يناير من عام 2017 تقابلت أنا وخمسة من أصدقائي على القهوة. كان يوماً عادياً من أيام الإجازة التي نلتقي فيها، ولكن ما يميزه أنه الذكرى السادسة لثورة الخامس والعشرين من يناير.

متذرين في ثيابنا الصوفية، جلسنا نتحدث ونتناقش حول الحياة اليومية والعادات التي نخوضها من أجل لقمة العيش والتثبت بطبقتنا الاجتماعية وتحقيق طموحنا وسط ظروف طاحنة. دار الحديث عن الكرة، والسينما، وكثير من الأسئلة عن روایتي الأولى التي ستصدر بعد يومين تزامناً مع معرض القاهرة الدولي للكتاب.

انتهت الجلسة وغادر كل منا إلى منزله. وأنا أقود سيارتي في برد الفجر القارس، أتاني خاطر: إننا جميعاً جلسنا وتحدثنـا لساعات، ولكنـا لم نذكر الثورة التي



نحتفل بذكرها اليوم مرة واحدة. وفجأة انتابتني حالة من الغضب والحزن معاً: كيف لهذا الحدث الذي صنعناه بأنفسنا منذ ست سنوات فقط أن ينمحى من ذاكرتنا هكذا؟ كيف تقابلنا وجلسنا وكأن اليوم ذكرى ثورة يوليو أو عيد تحرير سيناء، ذكرى بعيدة لا تحمل بداخلنا أي دلالة كوننا لم نشارك بها، مجرد يوم عطلة؟

كنا وقت الثورة وفي كل ذكرى لها نجلس لساعات نتحدث ونحتجد على بعضنا البعض ونتناقش حول مستقبل مصر بكل شغف.. نسترجع ذكريات الـ 18 يوماً بكثير من المشاعر المتضاربة، كان بداخلنا إيمان شديد بأن ما هو آت أفضل.

ولكن اليوم... لا شيء. مجرد ذكرى.. بعيدة.. شاحبة.

ولكن 25 يناير 2011 ليست مجرد عطلة رسمية، ولا يجب أن تكون.

قادني ذلك إلى فكرة ظلت تلح عليّ لأيام بعدها دون أن تفارق ذهني أبداً: من هو جيلنا؟ ذلك الجيل الذي صنع الثورة. ما ملامحه؟ إحباطاته؟ شخصيته؟ ما الشخصية المصرية الحالية، تلك التي تصل إلى مشارف النضج في أوائل القرن الجديد؟ ولماذا انمحطت من ذاكرتها كل الدلالات المشاعر القوية التي صاحبت هذا الحدث العظيم الذي صنعناه بأنفسنا؟

من نحن؟

مع مطلع كل قرن، يشغل الباحثون والمؤرخون بالتاريخ للقرن الذي سبقه، وعادةً ما تلقى هذه المهمة على عاتق الجيل الذي عاصر نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الجديد (وهو ما يفسر حمى النostalgia «الحنين للماضي» التي اجتاحتنا مؤخراً) في محاولةٍ للتشبث بذكرى أنماط حياة قد مضت وولت. فمن ولد عام 80 مثلاً، فإنه بحلول عام 2020 يكون قد عاش نصف حياته في قرن والنصف الثاني في قرن آخر، فما بالك بأن تكون قد عشت بين الفيتين كاملتين، لا بين قرنين من الزمان فقط؟

والاهم: هل من التاريخ الإنساني كله بمثل التطور الذي مررنا به في العشرين عاماً الأخيرة (1997-2017)؟ هذا الانفجار التكنولوجي الذي نقلنا من زمن دون إنترنت، أو هواتف محمولة، أو وسائل تواصل اجتماعي (المفاهيم الثلاثة التي تشكل نمط حياتنا ونمونا الفكري والوجداني اليوم) إلى وجود هذه العناصر بشكل أساسي في حياتنا بعد أقل من 10 سنوات على بداية ظهورها.

أضف إلى ذلك الدلالة التاريخية لهذا التطور، فقد احتضن هذا الجيل التكنولوجيا بسرعة ومهارة وتمكن من خلالها أن يطلق الشارة الأولى لواحد من أهم الأحداث التي شهدتها البلاد في تاريخها الحديث.

صاحب هاتين الثورتين (التكنولوجية والشعبية) خلال الفترة بينهما تغير هائل في كل شيء. تحولات كاملة في كل عنصر من عناصر حياتنا: القيم الأخلاقية، فهمنا ونظرتنا للدين، العمل، الصراع الطبقي، الحراك الاجتماعي والزحف العمراني نحو المدن الجديدة، تطور الريف والصعيد، تقلبات سياسية، أنماط



استهلاكية وطموحات مادية، تأرجح وتغير كبير في الأذواق الفنية، والأهم من كل هذا، النتيجة التي لخصت كل هذه التغييرات: فقدان الهوية.

وهو السؤال الأهم الذي يشغلني حالياً.

من نحن؟ السؤال الذي أصبحنا لا نملك إجابة عنه. من كنا؟ وماذا أصبحنا؟ وماذا سيكون عليه الجيل الآتي بعدها؟ هل سيعرفون ما قمنا به؛ من أجل إيماننا بهذا الوطن وأملاً في مستقبل أفضل؟ ما أبرز ملامح الشخصية المصرية في القرن الواحد والعشرين، والتي تغيرت كثيراً عما كانت عليه منذ زمن الأجيال التي سبقتنا؟ ما موقعنا التاريخي وسط أجيال عاصرت حربين عالميتين، وثورة على الاستعمار في بدايات القرن، ثم ثورة أخرى في منتصفه؟

ما الظروف التي أدت بنا إلى لحظة الانفجار الكبرى عشية انتهاء العقد الأول من القرن الجديد؟ وحين تولى هذا الجيل قيادة هذا الحراك خلال تلك الفترة، كيف كانت النتيجة؟ وحين سحب منه دوره الطليعي



في نهاية المطاف، كان هو صانع الحدث ومن يعاني توابعه.

واللهم: بعد مائة عام من اليوم، حين يوارينا التراب ويطويانا النسيان كأفراد، كيف سيتذكرنا التاريخ كجيل؟ ما البصمة التي سنتركها؟ وما الكلمة التي سنقولها؟

وهنا أردت أن أكتب كتاباً يناقش كل هذا.

لماذا كتاب؟ لأن التاريخ في رأيي بمفهومه الأوسع والأشمل لا يعترف بوسيط أهم من الكتاب للتوثيق. لقد اختار جيلنا أن يوثق لنفسه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بكل ما تسجله من جدال واختلاف الآراء وتوثيق الأحداث. ولكنك إن حاولت العودة لما كتبته منذ بضعة أشهر فلن تجده.

ولا أحد يعلم إن كانت هذه الوسائل ستظل موجودة بعد قرن أو أكثر من الزمان، أم لا.



وسط ثقافة الاختزال التي نعيشها الان، ثقافة ال Status وال Tweet والهاشتاج، من الغريب أن يصدر كتاب بهذا الحجم، ولكن هذه هي بالضبط فكرتي: أن جيلنا اختار أن يختزل كل شيء في كلمة أو اثنتين، كل إحساس، كل فكرة، كل حدث وكل موقف، ولكن إلى أي مدى يمكن أن تصمد هذه الكلمات؟ وإلى أي مدى أضرت بنا ثقافة الاختزال تلك، وصارت انعكاساً للتسطيح وأخذ الأمور بالظاهر وافتقاد التعمق الحقيقي لفهم الأمور؟

هل تتذكر ال Trending هاشتاج الشهر الماضي؟ الأسبوع الماضي؟ الأمس؟ كل لحظة يأتي حدث ليزيح ما قبله، وأصبحنا نعيش في «عصر اللحظة واللقطة» التي سرعان ما تنتهي ليأتي غيرها.. تغير مستمر دون ثابت حقيقي وراسخ.

ولكن كيف أكتب هذا الكتاب؟ عن من وماذا أحكي؟ ظل السؤال عالقاً في ذهني لمدة، وانشغلت بعدها بمتابعة صدور رواياتي وما تبعه من تغيير في حياتي، وظننت أنى قد نسيت الأمر برمته.

حتى كان اليوم الذي أصطحبتني فيه صديقة لي إلى حفل لـ«كايروكى».

* * *

حفل الساقية 20 فبراير 2017

الكاتب والفرقة والجيل الذي أراد أن يغير العالم
يلتقون

اصطحبتني نهلة لحضور حفل لأصدقاءها أعضاء الفرقة. بالطبع كنت قد سمعت بـ«كايروكى»، وأعرف أغنية وحيدة لهم أستمع إليها باستمرار اسمها (أثبت مكانك). كانت تجسد لي كثيراً من الآمال والطموحات التي مر بها جيلي في فترة من الفترات. ومع ذلك لم أكن متھمساً للذهاب لأنني لست من هواة سماع الأغاني بقدر ما أنا مھووس بسماع الموسيقى فقط.

المهم أني ذهبت.. وكانت البداية بالزحام الشديد حول ساقية الصاوي؛ الأمر الذي جعل ركن السيارة أمراً شبه مستحيل. حين سرت باتجاه البوابة، فوجئت بأن كل من حولي صغار في السن.. أنا في الثانية والثلاثين، وفجأة شعرت أني رجل عجوز! وتعجبت من هذا الزخم من الشباب أبناء الرابعة عشرة والسابعة عشرة. من هؤلاء؟ ولم جاءوا بهذه الكثرة؟ كثيرون ممن هم حولي الآن كانوا أطفالاً في التاسعة أو الحادية عشرة حين قامت الثورة وغنت كايروكي «صوت الحرية» وسطع نجمها لأول مرة.

دخلنا الحفل بصعوبة من الباب الخلفي للمسرح.. أجلسستني صديقتي في صف متقدم وورائي حاجز يقف خلفه مئات المئات من الشباب. جلت بناظري فيهم فوجدتهم على اختلاف وتنوع كبير.. بدأت بعض الأعمار الأكبر سنًا تظهر.. الفتیان بمختلف أطيافهم وفئاتهم. والفتیات من كل شكل ولون ورداء.

كل هذا كان إلى حد ما طبيعياً، ولكن ما حدد حين خرجت الفرقة إلى المسرح كان أمراً آخر. فوجئت بأنه



قد اجتاحتني كم مهول من الطاقة.. نعم، هذه هي الكلمة الوحيدة المناسبة: الطاقة.. لم يحدث لي في حياتي، وقد حضرت كثيراً من الحفلات من قبل، أن شعرت بهذا الكم من الطاقة حولي. هذا الجمهور أكبر من مجرد مستمعي موسيقى صغار، إنهم مهووسون.

إنهم يحبون هذه الفرقة بجنون.. هناك تماس وتوحد كامل بينهم وبين هؤلاء الشباب الخمسة الذين صعدوا لتوهم على خشبة مسرح الساقية الصغير، وكأنهم لا يرون في أعضاء الفرقة الواقفين أمامهم مجرد موسيقيين، بل يرونهم أبطالاً... أبطالهم.

ومع مرور الوقت، واستماعي لكلمات مزيد من الأغاني التي أسمعها لأول مرة، بدأت أفهم الأمر شيئاً فشيئاً.. إن الأمر يتخطى مجرد أغاني وتواصل مع جيل.. إن هؤلاء الشباب الخمسة الواقفين على المسرح يعبرون عما بداخل كل واحد من هؤلاء الشباب، إنهم صوت المعركة المستمرة ما بين السلطة الأبوية للأجيال السابقة والشباب الصغار الذين يحلمون بحرি�تهم في البحث عن ذواتهم دون قيود أو تحكم.

تجسد أغاني الفرقة بوضوح و مباشرة شديدة كل ما يحلم به أي شاب؛ بغض النظر عن الجيل الذي ينتمي إليه، و تعبر عن كل ما يحاربه ويصارع من أجله بشكل يومي. هؤلاء الشباب الصغار الذين يقضون حياتهم يذاكرون، يتذاركون مع ذويهم في محاولات يائسة للتخلص من سلطتهم و تحكماتهم، يعيشون قصص الحب، بعضها ينجح وبعضها يفشل، وبعضها يتم إتركأسئلة ويعمق جروحًا بلا إجابة، أو محاولات يائسة للفهم.. هؤلاء الذين يبحثون عن الحرية، يحلمون بالتغيير، يمررون بلحظات يأس وإحباط، يحملون ألف سؤال بداخلهم، يحلمون بالكمال والمثالية، والعثور على صوتهم المتفرد.. إنهم يبحثون عن وجودهم و هويتهم.

كل هذا يرونـه منعكـساً على مرآة أغاني كايروكي وموسيقـاها.

للحـظـة أـتـانـي خـاطـر غـرـيب وـأـنـا أـدقـقـ منـدـهـشـاـ في الـوـجـوهـ وـالـأـجـسـادـ التـيـ تـنـقاـفـزـ خـلـفـيـ بـالـتـصـوـيرـ الـبـطـيـعـ مـحاـوـلاـ أـلـاـ أـنـجـرـفـ نـحـوـ هـذـاـ الجـنـونـ..ـ هـؤـلـاءـ عـلـىـ

استعداد فعلي وحقيقي لأي تضحية كي يدافعوا عن فرقتهم. أو هكذا بدا لي. لم أكن أدرك بعد خصوصية العلاقة بين كايروكي وجمهورها، ولكنه إحساس وصلني دون تفسير نتيجة كم الطاقة الهائل والمتدفق من حولي.

في النصف الثاني بعد الحفل، وحين اشتعل المسرح بدقائق أغنية «اثبت مكانك» ودببة أقدام الجمهور، جاءتني الفكرة بأكثر ما يمكن أن تأتي به فكرة من تلقائية: ما يقولونه ليس بعيداً عما كنت أفكر في سرده في كتاب. موضوعات أغانيهم نفسها، والتي تناقض مختلف الآمال والإحباطات، والصراعات اليومية سواء السياسية والاجتماعية، وتلك الأغاني التي توثق لمرحلة مهمة، وتتواصل بشكل ما مع جيلنا والجيل الذي يليه.. كلها أفكار مطابقة تماماً لفكري، وبالتالي، لماذا لا أوثق التجربة الفنية والاجتماعية لـ«كايروكي» في كتاب؟

كايروكي هي جمهورها، وهو نفس الجمهور الذي أريد مخاطبته في كتابي. ورويداً رويداً بدا لي التطابق



واضحاً. وبنهاية الحفل تأكد بداخلي الإحساس بأننا نتفق في الرؤية، وأنني إن ضممتهم في كتابي، وقمت بسرد رحلتهم باعتبارهم شباباً/نماذج من جيلي، إلى جانب قيامي بتحليل موضوعات أغانيهم التي تتفق مع ما أريد الحديث عنه، فإني بذلك قد وجدت الوسيلة المناسبة تماماً لإيصال ما أريد قوله.

هذا الكتاب ليس كتاباً عن الثورة؛ فتأريخ الثمانية عشر يوماً وما تلاها أكبر من أن يضمّه كتاب يناقش موضوعات أخرى. كما أنه ليس كتاباً لجمهور كايروكي فقط، وهو أيضاً ليس دراسة اجتماعية وتاريخية أكاديمية، فأنا لست بمؤرخ ولا باحث في علم الاجتماع.. ربما يكون فيه شيء من كل ذلك. والأهم أنه التقاء بين اثنين من الفنانين: أنا ككاتب وهم كموسيقيين. وأمتع مراحل هذا الكتاب بالنسبة لي كانت مئات الحوارات التي خضناها معاً حول الفن والإبداع.. لقد كانت هذه بالنسبة لي إحدى مفاجآت هذه الرحلة.

إنه كتاب يوثق - أيضاً - رحلة خمسة من الشباب المصري الذي يصارع كي يجد صوته وسط الزحام، معبراً في الطريق عن الملايين مثله. إن استعراض نشأتهم وحياتهم لا يهدف إلى توثيقها فحسب، وإنما يهدف كذلك إلى توثيق طفولتهم وشبابهم و اختياراتهم في الحياة والتحديات التي واجهوها والظروف التي عاشوها، والتي لا تختلف كثيراً عما عاشه أي شاب ينتمي إلى جيل مفجوري الثورة.

هذا الكتاب يهدف - أيضاً - إلى نقل تجربة كاملة عن فرقة اختارت، أو اختارها القدر وألاف من معجبين كانوا رغمًا عنهم أو بإرادتهم، صوت ثورتنا. ولكن هل كايروكي هي فترة الثورة فقط؟ وماذا عما قبلها، في سنوات التكوين والبحث عن صوت؟ وماذا عما بعدها، بكل ما مرت به مصر من جنون مطلق وفوضى عارمة وتخبط مخيف؟ كيف كانت كايروكي - في كل أغنية وكلمة ولحن وأداء - تعكس ذلك وتسير معه جنباً إلى جنب؟

هذا الكتاب، بكل ما يحتويه، محاولة مني لتوثيق مرحلة تاريخية، حياة جيل، حياة كل منا، فرداً وجماعة، وتوثيق تجربة لفرقة موسيقية أستتها مجموعة شباب لم يكن لديهم ما يخسرونها. كل هذا وضعته ومعه بضعة من روحي ونفسي بين يديك، لعلك أنت، أو ابنك أو حفيدك فيما بعد، يأتي ليقرأه فيدرك من هم أجداده.. من كانوا وكم حاولوا أن يغيروا، وبم ضحوا؛ كي يحيا تلك الحياة التي أتمنى - كما تتنمي أنت - أن تكون أفضل من تلك التي نحياتها الآن.

أرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، وأن تستمتع بهذه الرحلة تماماً كما استمتعت بها واستفدت منها طوال عامين قضيتهما مع كايروكي.

القسم الأول

مغامرة الكاتب والفرقة تبدأ

ورحلة «نقطة بيضا» تستعد للانطلاق

أنا في السادسة.

ألعب في غرفتي بألعابي البسيطة.. يلفت نظري صندوق صغير به عدة أدراج. فأفتحها لأجد في كل درج منها صُفًّا من الشرائط.. معظمها فارغة من تلك التي يتم التسجيل عليها. شريط واحد فقط هو الذي كان عليه غلاف ساحر.. صورة مقرية لعنق كمان آية في الجمال، تتعكس على خشبته البني بقعة من الضوء. وبجانبه ترقد وردة، وفي الأعلى مكتوب بحروف إنجليزية وخط متصل ساحر: فيفالدي - كونشرتو الفصول الأربع، وباخ-كونشرتو لآلتي كمان.

أخرج الشريط الأبيض وأقلبه بين يدي.



أتوجه للـ**كا**سيت الصغير.. أضعه وأضغط زر Play الذي يصدر صوت تكة مميزة.. لا أعرف كيف تمكنت من القيام بكل هذا بهذه المرة الأولى، ولكنني لابد وأنني قد رأيت أحد والديّ يفعل ذلك.

يصدر صوت الفراغ من السماعات، وفجأة تنطلق عشرات الآلات بموسيقى متدايققة في نشاط بديع.. أشعر في تلك اللحظة بأن الغرفة التي تغمرها الشمس قد زادت ضوءاً. أدور برأسِي في الغرفة وأنا متسرم في مكاني أستمع بكل حواسِي إلى هذا الشيء الغريب والذي يملأ أركان المكان. شيء ما يتحول. ويتبدل ويتغير.. أشعر وكأن هناك بعدها جديداً لكل ما يحيط بي.. حتى لعبي أنظر إليها الآن وأكاد أقسم أنها تتحرك راقصة على أنغام الكمان والآلات التي تصاحبه.

أنتظر أن يغنى أحد كما أشاهد في التلفاز ولكن هذا لا يحدث.

تبدل مشاعري الصغيرة ومزاجي الطفولي كلما تغير إيقاع وإحساس الموسيقى، من البطء إلى السرعة، من



الشجن إلى الفرحة، ومن الهدوء إلى الصخب.. أشعر بأشياء لم أشعر بها من قبل.. أرى زهوراً تنموا وفرحة ما تغمرني لا أستطيع تفسيرها.

أجفل عند انتهاء الشريط بعد نصف ساعة، فأقلبه على الوجه الآخر وأستمع إلى حوار آلتي الكمان الذي كتبه باخ.

أجفل مرة أخرى حينما ينتهي الوجه الثاني. وأقلب الشريط وأستمع له منذ البداية.

ومنذ ذلك اليوم لم أتوقف عن الاستماع إلى الموسيقى.



الفصل الأول

محاولات اللقاء الأول

19 مارس 2017

السيدة الخجولة تتحدث

في نوفمبر 1967، بعد هزيمة يونيو بأشهر قليلة، سافرت أم كلثوم إلى باريس لتحيي حفلاً ضخماً على مسرح الأوليمبيا الشهير، أحد أكبر وأعرق مسارح أوروبا. وبعد الحفل استضافتها المذيعة الراحلة سلوى حجازي في أول حوار تليفزيوني لكوكب الشرق. أجبت فيه أم كلثوم بإجابات تلغرافية قصيرة كعادتها، وكان يبدو عليها التماسك رغم ارتباكها وارتباك المذيعة الواضح من كاميرا التليفزيون.

في معرض حوارها مع أم كلثوم تقول المذيعة الرقيقة: «علمنا أن أجرك عن هذا الحفل قد تجاوز الأربعين ألف جنيه إسترليني». تهز أم كلثوم رأسها



قليلًا وهي تبتسم لنفسها من خلف نظارتها ذات العدسات الداكنة؛ و تستطرد المذيعة: «كما علمنا أن هذا الأجر قد ذهب بالكامل إلى المجهود الحربي».

تسكت السيدة العظيمة لبرهة متصرفة وكأنها لا تعرف بم تجيب، ثم يأيمان عميق وإحساس أسطوري لن يتكرر مرة أخرى على مر الزمن، تغمغم بصوت خفيض وابتسمة خجولة: «مش كتير».

اندفعت الدموع إلى مقلتي في تلك اللحظة، وشعرت بجسدي كله يتملكه الخدر وبقلبي يكاد يتوقف. لم أستطع متابعة الحوار وقمت إلى الشرفة أقاوم رغبة رهيبة اجتاحتني في البكاء.

بعد قليل جلست أفكر في السبب الذي جعلني أهتز كثيراً لهذا الرد القصير الذي ردت به سيدة مرتبكة لا تحسن الكلام وتختبئ خلف نظارتها السوداء المميزة.

ادركت بعد برهة أن السبب يكمن في هذه الوطنية الجارفة التي حملتها هذه السيدة بداخلها، ودفعتها لأن



تسافر، وقد تخطت التاسعة والستين؛ لتجوب العالم مقدمة حفلات لآلاف المستمعين كي تجمع أكبر قدر ممكن من الأموال، تخصصها بالكامل لمساعدة مصر في حربها لاستعادة كرامتها المهددة مرة أخرى.

أعتقد أن ردة فعلني أيضًا كانت انعكاساً لإحساس دفين بالحزن أن مثل هذا الشعور لا تتردد أصداوه بين كثير من فناني جيلنا؛ إذ إن النسمة الغضب والإحباط هم أغلب ما يسيطر عليهم من مشاعر، كما تسيطر علينا نحن أبناء هذا الجيل.. غضب يحمل كثيراً من الحب والشغف لمصر، ولكن لا أحد لديه من الطاقة ولا المقدرة، ولا الرؤية، ما يترجم هذا الغضب إلى فعل حقيقي.. مقاومة حقيقة.. مقاومة في الفن والإبداع والبناء وليس فقط الانتقاد وبث السلبية على صفحات السوشيوال ميديا.

ستمر أيام طويلة حتى أدرك أن أعضاء كايروكي يقتسمون معي ومع أم كلثوم كثيراً جدًا من هذا الشغف، وهذه المحبة، وتلك الروح التي لا تبغي سوى بناء الوطن لا هدمه.. وطن كريم حلمنا به جمیعاً، نحن



أبناء هذا الجيل، حين خرجنا إلى الشوارع لنبحث فيها عن الحرية التي كانت قد سلبت منا منذ أمد بعيد. وحين خرجنا، نسير في الطرقات نبحث ونبحث، كان ثمة صوت يغنى وراءنا في الخلفية، صوت يردد صدي هتافاتنا.

وكان هذا الصوت صوت كايروكي.

بعد الحفل أخبرت نهلة، وهي صديقة قديمة لأعضاء الفرقة، عن فكري.. مرت أيام وأنا ألح عليها بكل طريقة ممكنة كي تخبر أيّاً منهم. وحين فعلت، أبدى أمير استغرابه: «لماذا يريد أي شخص أن يكتب كتاباً عن كايروكي؟» كان من الواضح أنها لم تشرح له بوضوح. جلست في شرفة منزلي، وكتبت فكرة الكتاب في مقال من 6 صفحات، وأرسلته لها بالبريد الإلكتروني. وبعد يومين أخبرتني أن أمير يريد مقابلتي، وأننا سنذهب لمكتبهم بدجلة المعادي نهاراً لمقابلته. ذهبنا، ولم يكن موجوداً، وهناك اتصلت به



لتجده لا يزال نائماً بعد، ومن الواضح أنه قد حدث سوء تفاهم لأنها لم تؤكِّد الموعد. طلبت من المتواجددين بالمكتب حين ذاك طابعة ليزر، وقمت بطباعة المقالة وأرفقتها بروايتها، كتبت عليها إهداءً لأمير، ورحلت.

في اليوم التالي اتصل بي، واعتذر عن سوء التفاهم. وأخبرني أنه قرأ ملخص الفكرة وشارك فيه مع بقية الفرقة، وتحمسوا للموضوع من حيث المبدأ. ولم يتبق سوى أن نتقابل أنا وهو و«ندردش» معاً.

لم أدرك ساعتها أن هذا كان بمثابة مقابلة شخصية سيري فيها أمير مدى ارتياحه نفسياً أم لا.

روح باجانيني تحوم حولنا ظهر يوم 19 مارس 2017

في أوائل القرن التاسع عشر، ظهر عازف كمان ومُؤلف موسيقي عبقرى اسمه نيقولا باجانيني. كان باجانيني شديد الطول والنحافة، واستطاع أن يقلب كيان الجماهير في أوروبا؛ فقد كان عازفاً ومُؤلفاً موسيقياً



عمرقياً لالة الكمان لم تشهد مثله البشرية من وقتها حتى اليوم. اجتاحت أوروبا أساطير حول عبقريته، وقيل إن هناك قوى خفية تساعده، وقيل إنه قد عقد صفقة مع الشيطان كصفقة فاوست (الرجل الذي باع روحه للشيطان مقابل المجد الدنيوي في الأساطير الألمانية).. كان بaganini حين يعزف تنقطع الأوتار فلا يتوقف، ويتشعث شعره وتحمر عيناه ويبدو وكأنه في عالم آخر.

كان بaganini من الذكاء أن ترك هذه الشائعات دون نفيها أو تأكيدها؛ لتوالى الأسطورة تطورها بشكل مخيف. وكي يزيد من الإيهام، كان يأتي إلى الحفلات مرتدياً ثياباً سوداء بالكامل، ويترك شعره ينساب حتى ظهره، ممتطياً عربة تجرها أربعة جياد سوداء، ويتدلّى على صدره صليب ضخم، وكان نادراً ما يكشف عن وجهه الطويل.. لا ينظر لأحد ولا يسمح لأحد بالتحدث معه قبل أو بعد الحفل.

سيصبح بaganini بعد وفاته بأكثر من مائة عام رمزاً لغموض نجوم الروك والميتال وسحرهم والأساطير



التي تحاك حولهم.

كان يوماً مشمساً للغاية وهادئاً في المعادي والشوارع المحيطة بها. وأول ما أثار انتباхи لدى دخولي البناء التي يحتل استوديو كايروكي الدور الأرضي بها هو الهدوء الشامل الذي يغلفها.. حالة من السكون تحيطها زقزقة العصافير وخفيف الأشجار. وما أن تعبر بوابة العمارة محدودة الأدوار حتى تشعر بأنك في عالم مختلف.. انتظرت بعد وصولي حتى خرج لمقابلتي.

سلم علىّ بحزم وسألني إن كنت أفضل الجلوس في مكتبه أم في الحديقة. ففضلت الجلوس في الحديقة ووافقني قائلًا بأن الجو قد تحسناليومين الأخيرين. خرجنا إلى الشمس وجلسنا على المقعدتين الخشبيتين المقابلين لبعضهما البعض.

حين قابلت أمير لأول مرة وجدته على مثل هيئة باجانيي المتخييلة: نحافته مخيفة (66 كجم)، مقارنةً بطوله البالغ (192 سم). يرتدي ثياباً سوداء بالكامل



تزيد من بياض وجهه، تبرز عظام جسده من تحت ملابسه، وعظام وجهه الطويل تبرز كلها، بوجنتين تحنيان إلى الداخل، وعروق نافرة على جانبي رأسه.. كان كل جزء منه يبدو دون نقطة شحم واحدة، المثال الحي لمقولة «جلد على عظم»، وكأنه على وشك السقوط ميتاً في أي لحظة.

تفاجأت للغاية من مظهره، رغم أنني شاهدته على المسرح منذ أقل من شهر، ولكن تحت إضاءة المسرح ووسط الجمهور فإن الأمر يختلف تماماً عن قرب.

جلسنا لنتحدث لبعض الوقت، ربما ساعة.. كان شديد اللطف والتهذيب. ورغم ابتسامته الواسعة إلا أنه كان على قدر كبير من الغموض. وكنت أنظر في عينيه وأنا أتحدث فأجد فيما ذكاءً وقلقاً في الوقت ذاته، كل حين وأخر يقطب جبينه ويضيق بين عينيه وهو ينظر نحو يتركيز شديد ويبدو أنه يفكر في عدة أشياء في اللحظة ذاتها.. يذكرني بممثل أفلام الغرب الأمريكية كلينت إيستوود بنظراته الخالية من التعبير وصوته الخفيض ذي البحة المميزة.

شرحـت له فكرتي بشكل أكثر تفصيلاً، وأخبرـني وهو يـشعل سيـجـارـته الرـفـيـعـة أنـ كـونـ هـذـاـ الكـتاـبـ لاـ يـنـصـبـ فقطـ عـلـىـ كـايـرـوكـيـ هوـ ماـ شـجـعـهـمـ عـلـىـ قـبـولـ خـوـضـ التجـربـةـ مـعـيـ، وـأـنـهـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـعـالـمـ كـلـهـ بـشـكـلـ عـامـ ومـصـرـ بـشـكـلـ خـاصـ يـمـرـ بـمـرـحـلـةـ تـحـولـ الـيـوـمـ سـوـاءـ فيـ مـجـالـ الـموـسـيـقـىـ أوـ عـلـىـ عـدـةـ أـصـدـعـةـ أـخـرىـ. وـبـالـتـالـيـ فإنـ تـوـثـيقـ هـذـهـ المـرـحـلـةـ الـآنـ يـأـتـيـ فـيـ وـقـتـهـ الصـحـيـحـ. كـنـتـ أـتـكـلـمـ بـحـمـاسـ وـدـوـنـ تـرـتـيـبـ، وـلـكـنـ كـانـ وـاـضـحـاـ أـنـ الـفـكـرـةـ قـدـ اـخـتـمـرـتـ فـيـ ذـهـنـيـ، وـأـنـيـ أـعـرـفـ بـالـضـبـطـ ماـذـاـ أـرـيدـ.

أـخـبـرـنـيـ أـيـضاـ أـنـ توـقـيتـ بـدـئـيـ لـهـذـاـ المـشـرـوـعـ مـعـ كـايـرـوكـيـ مـمـتـازـ. فـهـمـ الـآنـ يـضـعـونـ الـلـمـسـاتـ الـأـخـيـرـةـ عـلـىـ أـلـبـومـهـمـ الـجـدـيدـ وـالـذـيـ اـسـتـقـرـواـ عـلـىـ اـسـمـهـ: («ـنـقـطةـ بـيـضاـ»ـ). فـالـعـلـمـ مـسـتـمـرـ عـلـىـ الـأـلـبـومـ عـلـىـ مـدارـ السـاعـةـ، حـيـثـ الـمـفـتـرـضـ أـنـ يـنـزـلـ الـأـسـوـاقـ فـيـ الـأـوـلـ منـ مـاـيـوـ، إـلاـ أـنـهـمـ أـيـضاـ يـعـانـونـ الـآنـ مـنـ صـدـمـةـ لـأـنـ الرـقـابـةـ لـمـ تـمـنـحـ الإـجـازـةـ لـعـدـةـ أـغـانـىـ مـنـ الـأـلـبـومـ الـجـدـيدـ مـنـذـ أـقـلـ مـنـ أـسـبـوعـيـنـ، وـهـوـ مـاـ أـرـبـكـ حـسـابـاتـهـمـ جـمـيـعـاـ



لأنهم يشعرون بالتهديد لمجهودهم الذي استمر لعامين كاملين.

أدون كل ما ي قوله في دفتر ملاحظاتي.

انطلق الحديث بعدها في أمور شتى لها علاقة بالوضع الحالي وكيف أن كايروكي تحارب بكل قوتها؛ لتظل الصوت الذي يعبر عن جموع الشباب المصري وأحلامهم وطموحاتهم.

في ختام جلستنا أعدت عليه شروطي الأساسية التي لن أتنازل عنها كي أتمم هذا المشروع.. أن تصبح حياتهم وقلوبهم مفتوحة لي دون رقيب، وألا يتم إخفاء أي شيء عنني مهما يكن بسيطاً أو مخجلاً: مشكلاتهم، سهراتهم، خناقاتهم، تاريخهم، عاداتهم اليومية، أسرهم وبيوتهم، أمورهم المالية، والأهم آراؤهم جميعاً في أي شيء أود أن أناقشه معهم.

وكان شرطي الأخير أن أكتب الكتاب كما أريد، وأنني حين أنتهي منه سوف نتحدث بعدها ونناقش في أي



شيء قد يرون أنه يحتاج تعديلاً أو حذفاً أو إضافة، ولكن أنا وحدي من له الكلمة النهائية بالموافقة أم لا.

عاد أمير يهز رأسه وهو يؤكد: «إنه كتابك، ولك مطلق الحرية».

مددت يدي مصافحاً له، ووعدته أن أبذل قصارى جهدي حتى لا أعيق أي عملية إبداعية أو أي عمل يدور داخل الاستوديو.. سأكون مراقباً ومتفرجاً في أغلب الأحيان، ولن أتدخل أو أتحدث إلا إذا شعرت أن الوقت مناسب لذلك، وهذا بالطبع إلى جانب المقابلات الطويلة التي سأجريها مع كل منهم، وكل من يعمل معهم، أصدقائهم، أفراد عائلاتهم، وغيرهم.

وغادرت على وعد منه بأن يعود للفرقة ويتحدث معهم، بمعنى آخر - لم يقله - أن يطمئنهم ويعطيهم انطباعه عني كي يأخذ منهم الموافقة النهائية لنبدأ.

بالنسبة لي، ورغم أن أمير لم يعطني أي انطباع، وهي عادته التي ساكتشفها فيما بعد، كان من الواضح أنني



قد اجتازت ال Interview . وجاء تأكيده لي في الحادية عشرة والنصف من مساء اليوم نفسه بأنهم في انتظاري ليؤكد ظني .

لتبدأ الرحلة ...



الفصل الثاني

الرحلة تبدأ

27 مارس 2017

يقع استوديو كايروكي الحالي بمنطقة دجلة بالمعادي، وهو الاستوديو الثاني لهم في مسيرتهم الفنية؛ إذ انتقلوا إليه منذ يناير 2017 تاركين الاستوديو السابق الذي خرج منه ألبوم «ناس وناس».

وقد تم إنتاج معظم ألبومات كايروكي إما في شقة والدي أمير بميدان الاتحاد «وأنا مع نفسي قاعد» و«مطلوب زعيم»، أو في شقته التي انتقل إليها عند زواجه من ليلى بشارع 9 «السكة شمال»، ففي كل مكان يسكنه أمير تكون هناك غرفة يستولي عليها ويحولها إلى أستوديو.

يقع المكتب في شارع جانبي هادئ كمعظم شوارع هذه المنطقة.. في أوله مبني مكون من أربعة أدوار،



يحتل المكتب الدور الأرضي بالكامل. للمكتب مدخل خاص، يمكن أن تركن به سيارتين، ويفضي إلى حديقة المبنى. على جانبي المدخل يقع موتوسি�كل شريف الهاولي، وموتوسি�كل تامر الياماها. ولم أر المدخل خالياً من سيارة جلال سوى مرات قليلة طوال مدة بقائي هنا. ما أن ينتهي الممر حتى تجد أمامك حديقة صغيرة بها أريكتان خشبيتان تتوسطهما طاولة كبيرة. ستصبح هذه منطقة جلوسي المفضلة، بالطبع كانت كذلك حتى أتى فصل الصيف فباتت مستحيلة. تتم أغلب اجتماعات الفرقة التي تجري صباحاً في هذه المنطقة الخارجية طوال فصلي الربيع والخريف. وعلى الجانبين هناك أحواض زرع يسقيها (عم عبده) و(عماد) سعاة المكتب، وأحياناً آدم حين يكون متواجاً.

داخل المكتب تقابلك صالة كبيرة، يتوسطها عمودان، بينهما بيانو قديم يبدو متهاكاً بعض الشيء، ولكنه بحالة جيدة، وإلى جواره يوجد تشيللو جميل على حامل خاص به.



وحكى لي شريف بعد ذلك قصة هذا البيانو: « كنت أحلم بأن أشتري بيانو طوال حياتي، وتعرفت إلى جامع آلات موسيقية، كان قد قام بجمع مجموعة نادرة من الآلات مملوكة لموسيقيين روسيين، كانوا يدرسون في الكونسرفتوار بعد ثورة 52، وبعد أن بدأ ترحيلهم من مصر في السبعينيات، قاموا ببيعها. كان أمامي بيانو من ماركة هو فمان العريقة يزيد عمره عن مائة عام، ولكن أوتاره لم تكن مضبوطة، وكان يحتاج إلى كثير من الصيانة والرعاية، أما هذا البيانو، فإنه سويدي الصنع عمره 50 عاماً فقط، وصوته اليوم كما كان منذ يوم صنعه تماماً.. اشتريته بـ 15 ألف جنيه عام 2011. ورغم أننا لم نكن نجني الكثير من المال وقتها، إلا أنه حالما استطعت توفير المبلغ قمت بشرائه على الفور».

وهذه عادة شريف التي ساكتشفها بعد ذلك. وهي حبه لاقتناء كل ما هو حديث أو غريب من البرامج والمعدات الموسيقية الإلكترونية، ويسقه في ذلك



حبه للآلات الموسيقية القديمة، أو أي شيء قديم عموماً، فيما يطلق عليه اصطلاحاً *Vintage*.

بعض الجمل الموسيقية الشهيرة التي تظهر في أغاني كايروكي أو الأغاني التي قام شريف بتلحينها لزاب ثروت تم تأليفها على هذا البيانو. في أحد الأيام الشتوية حينما عاد شريف من زيارة لوالده بالمستشفى؛ حيث كان ينتظر إجراء جراحة زراعة الكبد الخطيرة، جلس إلى البيانو. «كنت أشعر باليأس ولا أعرف ماذا أفعل، وظلت جملة موسيقية حزينة تدور في رأسي، فجلست على البيانو أعزفها مرات ومرات، ثم قمت بتسجيلها في الحال».

هذه الجملة تسمعها في بداية أغنية «هدنة» وتتكرر طوال الأغنية.

على اليسار توجد طاولتان مرتفعتان تتناثر عليهما عدة أدوات موسيقية: جرامافون قديم، سماعات أذن حديثة، قوس الكمان، وراديو قديم للغاية من الخشب، وقد حكى لي شريف بعد ذلك عدة مرات كيف أنه قام



بإعادة هيكلته من الداخل ليعمل من جديد، ليس فقط كراديو ولكن كسماعة تعمل بنظام البلوتوث! سأله من أين كان له العلم بمثل هذه الأشياء؛ خاصةً أنه لم يدرس الهندسة أو الإلكترونيات، فأجابني ببساطة «ذاكرت».

بعد شهور سيصلاحه شريف مرة أخرى وسأظلأشغل الموسيقى الكلاسيكية من هاتفي على هذا الراديو؛ حتى يجن جنونهم جميعاً من الحان بيتهوفن وموزارت المزعجة (بالنسبة لهم بالطبع!).

أما الجزء الأيمن من الصالة فإنه يحتوي على طقم استقبال بأريكة وثيرة على شكل حرف L، وطاولة منخفضة في المنتصف. وإذا اتجهت لليمين ستجد طرقة بها ثلات غرف: على يمينك غرفة جلال، وعلى يسارك غرفة هواري، وفي المقابل غرفة أمير.

أما إذا اتجهت يساراً بعد دخولك من الباب فستسير في ممر؛ لتجد على يسارك غرفة شريف، وهو استوديو تسجيل ومassage، وبالتالي فهي غرفة معزولة تماماً،



تلتها غرفة آدم على الناحية نفسها، وعلى يمينك ستجد غرفة تامر يتوسطها الدراماز الكهربائية الخاصة به، وهي الغرفة التي يستخدمها الفريق للتدريب وإجراء البروفات.

وكل الغرف تجمع في الأساس ما بين الآثار المرير البسيط، والأدوات الموسيقية المتناثرة هنا وهناك، والكثير جدًا من الأسلامك.

هذا الاستوديو، والذي دائمًا ما أطلق عليه لفظ «المكتب» لما أشهده فيه من عمل منتظم كأعمال الشركات الجادة، سيكون المسرح الذي سيشهد ما يقرب من 90% من الأحداث التي سأعيشها مع كايروكي.

انتهيت من بعض الأعمال وفرغت نفسي تماماً لبدء الرحلة. وفي صباح يوم الاثنين 27 مارس استقبلني أمير مرة أخرى بالترحاب نفسه الذي استقبلني به في يومي الأول مع الفرقة.

المكان كخلية نحل، مزدحماً للغاية ويمتلئ فضاؤه بالحان تخرج من كل مكان.

أخذني أمير من يدي إلى غرفة جلال، وووجده شاباً صغيراً بذقن صفراء وعيون ملونة يجلس أمام الكمبيوتر، وبجانبه يقف هواري حاملاً جيتاره (شريف الهواري وشريف مصطفى يحملان الاسم الأول نفسه، ومنعاً للارتباك يستخدم الجميع اسم هواري مع عازف الجيتار الشهير، بينما ينادون شريف باسمه، وهو ما سأتبعه في هذا الكتاب).

سلم علىّ هواري، وأخبرني أنه متخصص للغاية للكتاب. وكان واضحاً أنه يبذل جهداً لتكوين الجمل، وكانت هذه بالنسبة لي إشارة قوية إلى خجله الشديد، وصراعه المستمر مع أفكاره.

حين تلتقي هواري تتأكد أنك أمام شخص غريب الأطوار، أو على الأقل كان هذا انطباعي.. كان يرتدي تي شيرت رمادية برزت من تحتها عظام كتفه الناتئة.



وهو لا ينظر نحوك أبداً. وإنما ينظر دائمًا لأسفل تماماً كما تراه على المسرح.. ينظر نحو شيء لا يراه إلا هو، وكأنه يبحث عن الكلمات المتساقطة من رأسه على الأرض، بدا لي كأنه يحوط طفلاً صغيراً يدور في شقاوة بين قدميه.. يفرد ذراعيه بين حين وآخر وهو يتحدث وكأنه يخاف عليه من الأذى. يتكلم إلى الداخل بصوته الخافت العميق للغاية، وهو صوت يبدو للمنصت أنه يحمل حزناً أو صراغاً مستمراً في أعماقه، وفي بعض الأحيان قد يكون صعباً أن تميز ما يقول. في الحقيقة فإن هواري لا يتحدث إليك، ولكنه يكلم نفسه في الأساس؛ فهو في نظرته الساهمة إلى الأرض طوال الوقت يخبرك دون أن يشعر أنه يعيش داخل رأسه هو... داخل عالمه.

إن نموذج الفنان الذي لا يجيد صياغة أفكاره ومشاعره بالكلام، يُخرج ما بداخله باستخدام فنه / آلته وعوضاً عن ذلك هو نموذج معروف ومتكرر بين الفنانين، وأعتقد أن هواري ليس استثناءً لتلك القاعدة.



لم ألتفت كثيراً إلى نحافته المفرطة، (وزنه 70 كيلو وطوله 189 سم تقريباً). وأعزى عدم ملاحظتي لذلك إلى جلوسي فترة قبلها مع أمير.. الحقيقة أن كل أفراد الفرقة يتمتعون بالطول والنحافة الشديدة، باستثناء تامر مفتول العضلات وأدم الأقصر قليلاً.

وجلال (جاليليو كما ينادونه في كثير من الأحيان) شاب موهوب في التأليف والتوزيع الموسيقي، تبنته كايروكي منذ عام 2014، وأعطته الفرصة ليظل مرافقاً للفرقة وي العمل داخل المكتب وقتما يحب، كما يراقبهم طوال الوقت ويتعلم منهم. ورويداً رويداً بدأت قدراته تتطور حتى أصبح يشارك كمنتج موسيقي مساعد في الألبوم الجديد. جلال واحد من عدة مواهب حرصت كايروكي على تبنيها ومنحها الفرصة بدءاً من زاب ثروت ووصولاً إلى عبد الرحمن رشدي، الذي استمع له هواري في إحدى الأيام أمام كشك ميدان فيكتوريا فطلب منه أن يأتي إلى الاستوديو. وفي غضون شهور قليلة كان عبد الرحمن يقف معهم على المسرح يغني في واحدة من أكبر



الحفلات التي أحبتها الفرقة، لتصبح شهادة ميلاد للشاب الصغير الذي لم يكن قد تخطى الثانية والعشرين وقتها.

بعدها انتقلنا إلى غرفة شريف مصطفى، والذي كان يجلس وسط جهاز الكمبيوتر محاطاً من اليمين واليسار بمعدات موسيقية إلكترونية مثل السماعات الضخمة وكونسول الميكسر الشهير. وأول ما لفت انتباхи عند دخولي الغرفة هي الألواح العازلة للصوت التي تبطن حوائط الغرفة، وهي ألواح تشبه الصناديق ذات إطار خشبي ومغلفة بمادة مخملية اسمها الصوف الصخري، ومتراصة بجانب بعضها البعض بلونيها الأسود والرمادي، وتختلف ارتفاعاتها حسب موقعها في الغرفة، وكذلك السقف مبطن بالألواح نفسها، هناك حوالي

30 لوحاً تغطي الغرفة بأكملها. في الجهة المقابلة للباب تجد أمامك الحائط الأكبر بالغرفة، والذي كان أغلبه من الزجاج المطل على الحديقة قبل أن يغطيه



شريف بألواح العزل هو الآخر. والأرض من خشب الباركيه الطبيعي.

قام شريف وسلم عليّ بحماس، وأول ما لفت نظري إليه هو صوته العميق بشكل مبالغ فيه، وأضحكني حين قال إنه أعجب كثيراً بالمقالة التي أرسلتها لهم رغم أنه ليس «قريء» جيداً.

في الطريق تعرفت إلى رامي، وهو مساعد أمير، والذي كان أول من فتح لي الباب ورأيته من المكتب حينما زرته لأول مرة مع نهلة. يتميز رامي بكثير من الإخلاص والوفاء تجاه الفرقة كما سيظهر لي بعد ذلك، وهي صفة يشتراك فيها جميع العاملين في المكتب.

أخبرني أمير أنه سيعترضني الآن لأنه يعمل على أغنية جديدة في غرفته كما أخبرني بأن لي حرية التصرف في التحرك كما أريد.

أخذت هاتفي محمول وعدت مرة أخرى إلى غرفة جلال، فقد بدا لي أن هناك أمراً مثيراً للاهتمام



سيحدث هناك.

استأذنت في الدخول والجلوس على الكتبة خلفه كي أراقب ما يفعله هو وهواري.

«**كنت فاكر**»

يدخل هواري إلى الغرفة ويمسك بجيتاره الجيسون.. يجلس إلى كرسي منخفض ويوصله بالبيدالز (البدالات) المتعددة التي تغطي ركناً من الغرفة. يوصل جلال الميكروفون بالكمبيوتر. وأثناء إعداده لهذه المعدات يحكى لي عما يحاول القيام به.

منذ عام أو أكثر قام هواري بتسجيل صولو الجيتار لاغنية «**كنت فاكر**»، وهي الأغنية التي وضع لحنها الأساسي قبل أن يكتب أمير كلمات الأغنية عليها. وحين عزف هذا الصولو شعر أن هذا من أفضل ما قام بتأليفه في حياته، وأنه استطاع أن يقبض على الروح الحقيقية لمعاناة أمير مع مرض والدته.

كانت المشكلة في أن هذا الصولو تم تسجيله وقتها ولكن بشكل مؤقت (ديمو) باستخدام ميكروفونات وأدوات تسجيل رقمية بسيطة كي يستخدمه شريف في التوزيع. وبعدها حين حان وقت التسجيل الفعلي الذي سيظهر في الأغنية النهائية، حاول هواري طوال عام كامل أن يخرجه مرة أخرى بالروح والعاطفة نفسها، ولكنه فشل في ذلك حتى الآن.

لا يزال هواري يحاول أن يمسك بقبضته تلك اللحظة السحرية التي أصابته حين عزفه لأول مرة.

«المشكلة أني أريد أن أعبر بهذا الصولو عن علاقتنا جمِيعًا التي تمتد منذ الطفولة بـ«طنط» ابتسام، وبمعاناة أمير مع مرضها، وتأثير ذلك علينا جمِيعًا، لكن هناك شيئاً ما منذ ذلك اليوم لا يعود». وتظل ذكري كمال اللحن في المرة الأولى تلاحقه وتُورقه؛ فيشعر بالإحباط والغضب المكتوم، ويقرر المحاولة مرة أخرى.

والآن إحدى هذه المحاولات.



يجلس هواري ويضع السماعات على أذنيه، حيث سيسمع الأغنية ويصاحبها بالعزف. أما نحن فنسمعها على الـ Amplifier الأسود الضخم الذي يتوسط الغرفة، يطلق عليه الموسيقيون اختصاراً مصطلاح «الـ Amp»، ويتم توصيل الآلة الموسيقية بها.

يبدأ بالعزف، وأشعر بقدر كبير من العاطفة يتتدفق من جيتاره.. أسرح مع ما يعزفه وأنا أدير رأسي في الغرفة: دخان السجائر يملؤها، هناك رائحة مكتومة غالباً من كثرة التبغ الذي تم حرقه هنا وأمسكت رائحته بمفروشات الغرفة. يجلس جلال أمام الـ Mac، أمامه كيبورد (بيانو كهربائي) كبير، وعلى جانبيه سماعتان، كيبورد آخر على حامل معدني، آلة طابعة، تمثال ترااثي إفريقي، نموذج لشك تليفونات إنجليزي أحمر، وأريكة زرقاء اللون عليها جيتاران: أحدهما باللونين الأسود والأبيض والآخربني.

على المكتب أمام جلال تناولت علب السجائر والمشروبات الغازية.. يشرب كل من جلال وهواري الدرجة الأكثر خفة من السجائر، بينما يدخن الجميع



الباب في الشتاء، في ركن من الغرفة يوجد كومودينو عليه ترامبيت نحاسي، هو الترامبيت الذي سجل به هواري أول جملة موسيقية بنيت عليها الأغنية كلها.

رغم العشوائية إلا أن المكان نظيف، وبه ذلك القدر من الفوضى المحببة التي تشعرك أن شيئاً ما ذا أهمية يحدث هنا.

يلعب هواري الصولو مرة بعد مرة، وأشعر بقلبي يذوب...

هناك قدر كبير من الشغف في هذه الموسيقى. ورغم أن الأجواء المحيطة بنا لا توحّي بأي شاعرية أو سمو يوازي ذلك الذي أسمعه، إلا أن ذلك يزيد من سيراليّة اللحظة. يعزف هواري بمعصمه الذي يحمل الكثير من الأساور المطاطية على الجيتار بينما يضغط بقدمه على البدالات من ماركة RIOT و Triple Wreck.

يسأل بعد أن ينهي العزف: «ما رأيك؟».



- «حلوة». يجب جلال.

- مكتتش حاسه بصراحة، كنت حاسس ال SPL (نوع بيدالز آخر) أكتر؛ لأن ال SPL بيخترق الميكس بقوه، ومسموع جداً، وال Headroom بتاعه قوي.

أدُون في مفكرتي: (ما معنى هذا الكلام غير المفهوم؟).

وكما سيسرحان لي بعد ذلك، فإن الفكرة هي أنهما يجربان تنويعات مختلفة، تحديداً 4 تنويعات، بين الجيتار الجيبسون وتركيبات من أنواع مختلفة من البيدالز (هذه التركيبة من عدة بيدالات تسمى Drive).. في البداية ظلا يجربان عدة Drives ومع جيتارات مختلفة حتى يصل هواري إلى الإحساس الذي يريد، وقد استقر هواري - بعد فترة - على الجيتار الجيبسون كأفضل اختيار يسعى إليه، وبقي عليه أن يجد ال Drive المناسب.



المسألة مسألة تباديل وتوافق، تماماً كما ترمي الزهر في لعبة وفي كل مرة يظهر لك رقم مختلف.

وهواري كما يخبرني جلال شديد الصبر في إخراج اللحن الذي يسمعه في رأسه، وبدرجة الحساسية التي يبحث عنها؛ فهو «يركض وراء الصوت الذي يسمعه في رأسه ويشعر به في قلبه، ولا يدخل في ذلك جهداً». كما يقول جلال. «درجة الإحساس عنده عالية جداً، فهو يعطي كل نوطة حقها، ويفكر في كل نغمة على حدة، يبني الإحساس نوطة وراء الأخرى حتى يكتمل. الأمر لا يتوقف فقط عند تأثرك كمؤلف وعازف بما تعزفه، ولكن أن تتمكن من توصيل هذه العاطفة للمستمع أثناء التسجيل».

يقوم جلال بوضع التراك الذي لعبه هواري للتو على الأغنية، لتتضاعف الشحنة العاطفية الآن، بمحاجبة درامز تامر ووتريات شريف، بينما يقف بجانبه هواري يستمع بتركيز، لا يظهر على وجهه أي تعبير وهو ينظر



لأسفل، وبعد لحظات يعبر عن استيائه؛ لأنه لم يكن يسمع نفسه جيداً.

يحركني الصولو كثيراً وأظنه رائعًا.. طبعًا أحاول بكل جهدي أن أعرف الفرق بين الأربعة تسجيلات وبعضاً منها البعض.

ينظر إلى هواري: «لقد سجلت هذا الصولو في مائة مكان حتى الآن، طوال عام وأنا أسجله في عدة استوديوهات مع عدة مهندسي صوت، ولا يزال يأبى أن يعود لي كما كان».

بالطبع هذه الحالة من الإلهام اللحظي الذي لا يتكرر تصيب كل فنان. وببحث كثيراً لأحاول أن أفهم كنه هذه المعضلة، خاصةً مع العازفين؛ فأنت تخرج باللحن وتعزفه بإلهام معين مرة، فلماذا لا يمكنك تكرار ذلك؟ وهل هذا له علاقة بالمقدرة الموسيقية والموهبة؟ هل هذه مشكلة الموسيقي الذي لا يدون اللحن تدويناً موسيقياً فيهرب منه؟



جلال يؤكد لي أن الأمر لا علاقة له بالتعلم والقدرة على التدوين. «حتى لو كان اللحن مكتوباً، فأنت يمكنك أن تعطيه لعدة عازفين وسيعزفه كل منهم بطريقته وإحساسه». أما لماذا قد لا يستطيع عازف متدرس مثل هواري أن يعيّد إحساس اللحظة مرة أخرى، فيرى جلال أن «اللحظة في حد ذاتها تختلف.. المشاعر تختلف..». الأمر ليس في النotas، ولكنها مشاعر العازف في اللحظة التي يعزف فيها؛ خاصةً بالنسبة لموسيقي مثل هواري. فعندما عزف اللحن غالباً كان خبر إصابة والدة أمير بمرض الزهايمير حديثاً، وبالتالي كان رد فعله لحظياً، وكان ذلك التدفق من المشاعر لا يزال طازجاً، ولكن مع الوقت بدأ في تقبل الأمر والتعايش معه، وبالتالي هربت اللحظة بكل قوتها. فائدة اللحظة كانت في أنها ساعدته على أن يؤلف اللحن، أما عزفه بدرجة إحساس معينة، فهي مسألة وقت، حالة ذهنية وعاطفية، وطاقة لا يدرك سرّها أحد».



وسيتضح لي صدق ما يقوله جلال حينما أحضر مزيداً من الحفلات مع الفرقة، وأراقب تغير عزف هواري للصolloهات المميزة باختلاف ظروف وأجواء كل حفلة عن الأخرى.

بعد شهور سيرحكي لي هواري ما حدث في ذلك اليوم الذي خرج فيه الصollo: «في بعض الأحيان تحدث معضلة، وهي الاختلاف بين منظورك أنت للحقيقة والحقيقة نفسها. في بعض الأحيان تكون قد تعلقت بجيitar أو درايف معين؛ لأنك تعرفه جيداً، وتظل تفكر باللحاج في أن هذه هي التركيبة المناسبة للحن الذي تعزفه، ولكن هذا ليس حقيقياً. كان الحل كي أكتشف ذلك أن جربت أمراً لم أجربه من قبل أبداً، وهو أنني قمت بتسجيل الصollo باستخدام 4 درايفات مختلفة، وطلبت من جلال أن يرقمها ويرسلها لي دون أن يخبرني بأسمائها، واستمعت إليها على مدار يوم كامل، ثم اخترت الصollo رقم 2. وكانت المفاجأة أنه كان باستخدام الـ Triple Wreck، وهو ما لم أكن أتوقعه بالمرة».

جاءت اللحظة السحرية التي تمكّن فيها هواري من تسجيل الصولو كما يريد في اليوم التالي لمجيئي، وهو ما اعتبرته فألاً حسناً للغاية.

بعد ساعة دخل تامر المكتب فجأة.. سلم على بعصبية وتفحص شديدين. لفت نظري جسده الرياضي، وصوته العالي، وأسلوبه الهجومي الـ *Aggressive*، هاتان الصفتان اللتان لن تتغيرا حتى بعد معرفتي له عن قرب. توتر عصام ورامي من دخوله، وسجلت في ذهني ملاحظة أن هذا الشخص لن يكون سهلا في التعامل.

أخذ تامر يدور في المكتب بسرعة ونشاط مفرط.. تحدث مع أمير في بعض النقاط التي لم أفهمها، وبدأ أنه يتحث الكل على العمل بحمية شديدة ومندفعة، وأخذ يكرر كلمة «إحنا متاخرين.. إحنا متاخرين، حاجات كتير مخلصتش». ثم غادر فجأة كما دخل. إن هذه الحمية والاندفاعية ستكون لها فوائد كثيرة



لـ«كايروكي» على المدى البعيد، مهما سببت من إزعاج لمن حوله، كما أنها كانت - وستظل - تسبب لتامر الكثير من المتاعب في حياته الشخصية.

دعاني أمير إلى غرفته.. دخلتها لأول مرة دون إدراك أن أغلب المدة التي سأقضيها مع كايروكي ستكون داخلها؛ فهي التي تحتضن التلفاز الذي يشاهدون عليه مباريات كرة القدم (الهوس الأكبر بعد الموسيقى عند أمير وهواري)، ويلعبون عليه البلاي ستيشن، ويستقبل فيها أمير أصدقاء الطفولة الذين يمرون على المكتب بشكل شبه يوميّ.

في طريقنا للغرفة أسأله عن آدم، فقد قابلت حتى الآن أربعة أعضاء من الفرقة.. أما هو فليس موجوداً. يضحك: «غالباً ستنهي كتابة هذا الكتاب دون أن تقابله.. الحل الوحيد هو أن تختطف قطّاً من الشارع وتتصل به لتخبره أنه يموت.. ساعتها سيسألوك بكل حفاوة».



لا أفهم المغزى بالضبط. من الواضح أن آدم محب للحيوانات، ولكن هل لذلك علاقة بعدم ظهوره في المكتب؟ ألا يعمل مثلهم على الألبوم الجديد؟.

تتمتع الغرفة بدفع غير عادي، وهي غرفة كبيرة واسعة تنقسم إلى قسمين: قسم المعيشة، وفيه «كتبة» هي – بالضبط – نسخة من كتبة منزلي ولكن بلون أزرق سماوي، وأمامها طاولة مستطيلة تتراص عليها وعلى الرف السفلي لها أوراق، أسطوانات مدمجة، كتب، طفافية السجائر، مفاتيح وشرائط أدوية، ريموت التليفزيون والتكييف، وغيرها. تلي الطاولة مكتبة بيضاء حديثة مفرغة من الاتجاهين، بها عدة كتب إنجليزية وعربية، أبرزها سيرة حياة السير أليكس فيرجسون، مبادئ الفلسفة، روايات بوليسية، وكتاب عن تاريخ نادي برشلونة.

يتوسط المكتبة تليفزيون مسطح كبير، وخلفها يبدأ الجزء الثاني من الغرفة الذي يحوي بيانو كلاسيكيّاً كبيراً، أو كنت أظنه كذلك، حتى عرفت أن بداخله كيبورد ياماها، وأن أمير طلب من النجار الذي يقوم



بأعمال النجارة للفرقة أن يقوم بتصميم وبناء هيكل خشبي مطابق للبيانو الكلاسيكي الشهير، وأن يوضع الكيبورد بداخله.

على الحائط المقابل مكتب عليه كمبيوتر iMac ومختلف إكسسواراته من سماعات ضخمة وكيبورد وماوس، وفي ظهر المكتبة بالضبط توجد كتبة أخرى تتحول إلى سرير، وهي الكتبة التي سأنام عليها معظم أيام مبيتي في المكتب. فوق الكتبة توجد خمسة جيتارات معلقة وعود. تنتشر الآلات الوتيرية المعلقة عموماً في المكتب والطرقات كأنها معروضة في متحف.

ما أن ندخل، حتى يسألني أمير: هل استمعت للألبوم؟ وقبل أن أجibه كنت أجلس أمام الكمبيوتر الموصّل بسماعات ضخمة أستمع للألبوم «نقطة بيضا». كانت لحظة تاريخية بالنسبة لي. ليس فقط لأنني ضمن أول من استمعوا إليه في هذا العالم - وقبل خمسة شهور كاملة من صدوره - ولكن لأنني أدركت فور انتهاء الأغنية الأولى أن هذا أفضل ألبوم قامت كايروكي



بتقديمه. قبل مجئي استعددت باستماعي لكل ألبوماتهم، لا أزال أتعرف إلى أغانيهم وأحاول تمييزها عن بعضها البعض، وأدرك أن هناك أغنيات تعجبني وأخرى لا أظنهما جيدة، ولكن هذا الذي أستمع إليه الآن شيء آخر تماماً.

تغمرني أغنية «نقطة بيضا» – دون غيرها – بحالة من الفيضان لم أستطيع تفسيرها.. تصاعدتها الموسيقية وقوه كلماتها تسير في تدفق غريب. هناك كثير من الألم في هذه الأغنية، وكثير من الجمال أيضاً. تتابعت الأغنيات الواحدة تلو الأخرى في صورتها الأولية (ماعدا «ديناصور»، «الكيف»، و«عم غريب»؛ Demo فشريف لم ينته من العمل عليهم بعد)، ووجدتني في حالة تعجب كبيرة بعد انتهاء الألبوم.

كان الوقت لا يزال مبكراً لأحكم عليه، ولكن حبي كان واضحاً لاغاني: «نقطة بيضا»، «هدنة»، «كنت فاكر»، مستني جميعها بشكل جارف. أما فكرة الأغاني الشعبية فكانت عجيبة بالنسبة لي، وإن لاحظت مبكراً



أن هناك بعدها كلاسيكيًا أو غريبيًا بها يجعلها مميزة للغاية. (سأعرف بعد ذلك أن هذه لمسات شريف).

بعدها ظل أمير في غرفته يسجل مقاطع أغنية (ولسه فيها كتير).. ظل يكرر مقطعاً واحداً لمدة نصف ساعة متواصلة، معيدياً إيه خمسين مرة على الأقل، وجرياً عدة طرق للغناء.

بعد ساعة أجلس في الصالة لأتركه يواصل عمله.. هواري قد غادر وشريف في غرفته يعمل على أغنية «الكيف»، والتي كان المطرب الشعبي طارق الشيخ قد أتى إلى الاستوديو وسجل مقاطعه بها بالأمس.

تدخل إلى المكتب سيدة يبدو أنها حامل تسلم على الموجودين وتترك شيئاً في إحدى الغرف. أعرف بعد ذلك أنها سارة زوجة هواري وأنها في شهرها السادس من الحمل.

أحاول أن أتخيل هواري أباً فأبتسם بيني وبين نفسي.



بعد قليل تدخل سيدة متأنقة تسأل عن شريف.. يأتي لها عم عبده بنسكافيه ويخرج شريف لاستقبالها.. تخبره أن البنات في الطريق، وبعد قليل تصل ثلاث شابات ويدخلن إلى الاستوديو. أستمع لأصواتهن تأتي من بعيد يغنين كوبليه عدة مرات.. هؤلاء هن الفتيات اللاتي تسمعهن يرددن وراء أمير كوبليه: «الواطي بقى عالي والرخيص بقى غالى وإحنا كدا بالتالي مالناش مكان» من أغنية «السكة شمال في شمال».

المكتب كله كخلية نحل، كل ساعة يحدث شيء جديد.

عن الإلهام والعملية الإبداعية

في حوار تليفزيوني له قال المؤلف الموسيقي جابريل ياريد، وهو مؤلف موسيقي فرنسي من أصول لبنانية حاصل على جائزة الأوسكار عن موسيقى فيلم «المريض الإنجليزي»: «إن الفنان ما هو إلا أداة.. قناة يمر من خلالها ما يريد الله أن ي قوله للبشر؛ لذا فليس على الفنان سوى أن يكون مستعداً ومستسلماً تماماً

لتلك اللحظة التي يقرر الله فيها أن يرسل شيئاً للإنسانية، فيملي على الفنان هذه الألحان أو الكلمات، ليقوم بتدوينها ونقلها للناس، هذا فقط كل ما يمكن للفنان أن يقوم به.. الموسيقى لا تنبع من داخلك، ولكنها تملئ عليك».

إن هذه المقوله تعني لي الكثير، ولم أنسها منذ أن سمعتها؛ فهناك فن صناعة الإنسان، نتاج لمجهوده وإصراره وعمله وموهبته، التي هي في أساسها من الله أيضاً، وهناك فن يأتي في لحظة ولا يكون للفنان فيه دور أو فضل، هو فقط قناة، توصل شيئاً ملهمـا من مكان إلى آخر.

في إحدى حواراتي مع أمير تطرقنا إلى هذه الفكرة.. كان قد أثار انتباхи تكراره لجملة كلما تحدثنا عن أغنية «اثبت مكانك»، كان يقول: «لن أكتب أغنية أخرى كتلك ما حبيت». وإن كانت الجملة يبدو فيها قدر من المبالغة، وهذا أمر سأتعوده من أمير فيما بعد، إلا أنها كانت تحمل شيئاً من الصحة. كان يحكـي لي لحظة كتابتها بعد أن عاد من ميدان التحرير، وكيف



أنه أمسك بالجيتار وظل يردد الكلمة «أثبتت» التي سمعها للتو في شارع محمد محمود، كان يصرخ بها أحدهم ليحث المتظاهرين على عدم ترك أماكنهم إثر هجوم قنابل الغاز من أفراد الشرطة أمام وزارة الداخلية في الموقعة الشهيرة.. ظل يردد الكلمة ثم انسابت بعدها الكلمات - واللحن- بسهولة.

أخبرته عن شعور مشابه: «في أحيان كثيرة يرسل لي أحد القراء مقطعاً من روایتي، ويسألني عن كيفية كتابتي له أو فيم كنت أفكر لحظتها، فأجد أنني لا أذكر متى كتبتها وكيف... وكأنها كانت تملئ عليّ».

«بالضبط» ينتبه أمير حينما أقول ذلك: «هذا بالضبط ما حدث لي، كانت أغنية كتبتها في عشر دقائق، كان كائناً ما كان يلقنني إياها. هناك أغان مثل «نقطة بيضا» استغرقت عامين حتى أستطيع إخراجها بالشكل الذي أرضي عنه، أما «أثبت مكانك» و«صوت الحرية» فكانتا حالتين لن تنكررا».

هذا هو الإلهام.



هناك أمر آخر غريب له علاقة بمسألة الإلهام تلك؛ كثيراً جدّاً ما تأتيني جملة، وفي بعض الأحيان فقرة أو فكرة، بالغة الكمال والجمال في ذهني. ولكن حين أضعها على الورق أجدها ليست بالبهاء ذاته.. ساعتها ينتابني الذعر بأن قدرتي على الكتابة ليست على مستوى أفكاري وطموحاتي، وأبدأ بالشك في نفسي. ولكن ما طمأنني قليلاً هو أنني اكتشفت حين قابلت الفرقة أن هذا عَرَض يشعر به كثير من الفنانين على اختلاف فنونهم، والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو أنهم فنانون حقيقيون، يمضون حياتهم في مطاردة مضنية لهذا الشيء الذي لا يستطيعون الإمساك به.

وهذه الفكرة تتعلق لدى بفكرة أخرى هي الفرق بين العقل الوعي واللاوعي في الإبداع. حين بدأت رحلتي محاولاً استكشاف كيف يعمل عقل المبدع بشكل عام، كانت لدي مشكلة واضحة أعاني منها: أنني أحاول دائماً اختراق عقلي اللاوعي، وعدم تركه ليتحكم في مجريات إبداعي.. أحاول دائماً أن أفهم



وأفكر وأحلل كل الكلمة أكتبها، وكل قصة أخلقها، وكل شخصية أكونها.. ويعود ذلك إلى منهجي الخاص جداً في العمل: التحضير والبحث المستفيض، الإلمام الكامل بالموضوع، إعادة تفاصيله في رأسي مئات إن لم يكن آلاف المرات، وترتيبه وإعادة ترتيبه المرة تلو الأخرى، ولمدد قد تصل إلى سنوات، ثم الجلوس في النهاية لكتابته..

ساعتها أشعر أنني قد دربت عقلي الباطن، ووضعت فيه كل ما أريد من أفكار وأحداث وترتيب، وأدرجت بداخله العناصر التي أريدها أن تكون موجودة في النص الذي أكتبه، ومن هنا فإن ما سيخرج سواء بشكل مباشر أو غير مباشر سيأتي من منطقة كنت قد أعددتها جيداً، وبالتالي يحمل النص عناصر اكتماله بداخله، تماماً كما حملها عقلي الباطن الذي أفرز هذه الأفكار. ومهما بدا من تشطّ في الشكل الخارجي، فإن الأمر بالغ التماسك، والأفكار وإن لم تكن واضحة للوهلة الأولى فإنها تتسلب إلى العقل الباطن للمتلقي، فتستقر في وجده، تحرك شعوره، وتحثه على



التفكير والتساؤل، وربما - إن كنت ممحظوظاً - على الاندهاش؛ لأحقق بذلك هدفي الذي أنشده وأنام بعده راضياً عما أجزت... أن أغير القارئ للأبد ولو بقدر ضئيل للغاية.

يعلق أمير على هذه النقطة: «المشكلة لدى الكثير من الفنانين أنهم يريدون السيطرة على إبداعهم.. يحاولون بكل جهدهم أن يحولوا ما يأتি�هم إلى بناء أو ترتيب معين وفقاً لأهوائهم. وهذه الرغبة في السيطرة على الإبداع هي ما يفسد العمل الفني، وما يفسد فطرته وأصالتها. يجب أن تترك السيطرة للفكرة والإبداع، وأن تستسلم لهما، لا تحاول أن تقودهما أو تلوي ذراعهما كي يوافقاً رغباتك؛ لأن هذا يعني أنك تفقدهما الروح».

ولكني أختلف معه بشدة، فقد أجبته بأن الترتيب والتخطيط مهم جدًا؛ لأن الأمر ليس بالبساطة التي يتخيّلها البعض. ففي كتاب أو فيلم طويل مثلاً، هناك عشرات الأمور التي يجب أن تراعيها، مثل: الإيقاع والتتابع وتماسك الفكرة وعمق الشخصيات وترابط



الأحداث وتصاعدتها وغيرها؛ فإذا ما تركت الأمر يخرج دون تفكير، بكل جيشان اللحظة الأولى، يظل غير مكتمل، وغير ناضج.. يظل ناقصاً وسيشعر المتلقي بهذا. ألا تسمع كثيراً من يقول لك: هذا الكتاب ممل، هذا الفيلم نهايته غير مقنعة، إيقاعه بطئ، هذه أغنية فارغة لا تترك أثراً، إلخ؟ البناء الهندسي بالنسبة لي هو لب الموضوع: ما ترتيب الفصول/الأحداث، ما التسلسل الزمني، كيف سألعب به و«الخطبه» وأحافظ في الوقت نفسه على الشحنة العاطفية وتأثير كل حدث على ما يسبقه أو يليه.. كيف سأحافظ على الإيقاع لكسر الملل؟ وغيرها من عشرات الأسئلة.

ورغم ما ي قوله، إلا أن أمير على دراية كاملة بأصول كتابة الأغنية، كما أنه يفكر كثيراً جدًا في بناء الأغنية من حيث المعاني التي تقولها الكلمات والعواطف التي تثيرها بداخل المستمع، هل ستكون الأغنية معبرة عن حالة، إحساس، فكرة، أم قصة درامية ذات بناء واضح ببداية ووسط ونهاية؟ هناك أغانٍ تعبر عن أفكار، مثل «نقطة بيضا» و«آخر أغنية» مثلاً، وهناك أغانٍ عبارة



عن قصص تقوم على تسلسل الأحداث ورسم الصورة في ذهن المتلقي مثل «مربوط بأستك» أو «نعني الشارع سوا». كل نوع له قواعده وترتيبه وحرفته المختلفة، وبالتالي، فإن ترجمة هذا إلى موسيقى أيضاً فن مختلف.

إلى جانب أمير، فإني سألاحظ بعد ذلك هواري وشريف أيضاً يمضيان أغلب وقت العمل على أغنية جديدة التفكير والتخيل ووضع سيناريوهات وتصورات مختلفة لها، فهما يفكران في كيف تبرز الموسيقى المعنى والعاطفة الكامنة وراء الكلمات؟ هذا ما أسميه التعبير الموسيقي، وهو من أكثر الجوانب متعة وإثارة في فن الأغنية الذي يجمع بين الموسيقى والكلمة المكتوبة.

الخلاصة. إن التفكير المتعلم جزء لا يتجزأ من العملية الإبداعية ولا يقل أهميةً عن الإحساس والعاطفة.

ويتفق أمير جزئياً مع رأيي، «يجب أن تقوم بكل هذا التفكير والهيكلة؛ حتى يخرج العمل متكملاً، لا



أعترض.. ولكن بعد أن تنتهي العملية الإبداعية بالكامل. أخرج ما بداخلك دون رقيب، وبعد أن تنتهي منه قم بعملية الإحلال والتغيير والترتيب وكل ما تريده.. كل هذا يأتي بعد أن تترك الحالة الشعورية بداخلك تخرج بالكامل، ثم تعود لتقرأ ما كتبته، وتبدأ في التعديل، دائمًا ما أغير كلمات الأغاني وأنا أعمل، وقد أغيرها مائة مرة، ولكنني لا أظل أفكر في كل كلمة قبل أن أكتب. لأن ذلك يوقف التدفق».

بمجرد أن تحدث حالة التدفق هذه تبدأ المعجزة.. هذه هي اللحظة التي كنت تحلم بها طوال حياتك. والتدفق هو أجمل وأروع لحظات العملية الإبداعية. وحين تأتيك الكلمات والألحان والصور كالنهر المتدفق الذي

لا يمكنك أن تقف أمامه، فإن كل ما يمكنك فعله هو أن تتركه يجتاحك.. يجتاح كيانك بأكمله، وليس عليك إلا أن تترك نفسك له. تستقبل، وتسجل فقط.. ثم تعود فترتب وتنطق الأمور كما يحلو لك.. اتركه يتحكم بك. استمتع فقط. ثم فكر فيما بعد.



ومن أكبر التحديات التي تواجهه الأعمال التي تأخذ وقتاً هي فكرة النفس الطويل. ودائماً ما أقول لطلابي الذين أدرس لهم فنون الكتابة: إن خلق عمل فني هو ماراثون طويل وليس سباق عدو مائة متر.

الأمر ليس في السرعة، ولا الانطلاقية التي تأتيك فجأة وتجري وراءها، بل الأهم هو النفس الطويل؛ أن تدرك تماماً الإدراك أنك ستقضى عاماً أو اثنين أو خمسة مع هذا العمل: تبدعه، تغيره، تفكّر فيه، في شخصياته، كلماته، ألحانه، صوته، أفكاره، أفكارك أنت.. مشاعرك وأوجاعك.. كل ما يمر به المتلقي الذي سيتلقى عملك بعد أن تنتهي أنت منه، يجب أن تمر به أنت، حتى تخلق شيئاً أصيلاً، حقيقياً، وملهماً.

ومن المستحيل أن تقوم بكل هذا لو لم تكن مستعداً للعدو آلاف الأمتار. وفي هذه الحالة ليس لديك حل سوى التسلح بأمرتين مهمتين: أولاً العلم، أي أن تكون عالماً بأدواتك ومتمكاناً منها؛ كي تكون مستعداً وجاهزاً حين تأتي اللحظة المناسبة، لحظة الإلهام، لتنقض عليها وتعمل دون هوادة.

والأمر الثاني هو الصبر.. الصبر.. ثم مزيد من الصبر..

ويتعامل أمير مع فكرة الماراثون بالفعل على أكثر من أغنية في وقت واحد، فيظل وبالتالي في حالة إبداعية مشحونة طوال الوقت؛ لأنه يغير من مزاجه وفقاً للأغنية التي يعمل عليها، ويكون - كذلك - في حالة تحفز أو نشاط متجدد أيضاً، فلا يمل، ولا يتعب.

«إن الأفكار التي تحتاج وقتاً لتطور ليست مجرد إلهام وفن، بل هي اجتهاد. أرى نفسي كعامل (استخدم أمير الكلمة إنجليزية وهي Labourer، وتطلق على الذين يقومون بأعمال جسدية وليس ذهنية، كعمال المصانع والمناجم والبناء، على عكس الكلمة Worker، والتي تطلق على كل من يعمل أيّاً كانت وظيفته) يجب أن تلتزم بالعمل ساعات معينة في اليوم، ولا أيام طويلة. «كأنّي شيئاً، أفضل أشيء لحد ما أجيّب آخرى، في ناس معندهاش طولة البال، تنخ بسرعة، أنا مش موهوب أوى، بس بشتغل كتير، وده اللي كتير بيقولوه على كايروكي، مش أكثر ناس موهوبة، بس أكثر ناس بتشتغل».

- «مفيش حاجة اسمها أغنية وحشة.. الموضوع في ايدي. لو هي مش فظيعة، أفضل وراها لحد ما تبقى كويسة ومرضية، بتشتغل عليها، زي اللي مش مبسوط في الجواز، في واحد يفضل ورا الموضوع يجيب آخره قبل ما يطلق، وفي واحد بيطلق علطول، أنا بحب أجيب آخرى، طالما الرغبة والشغف إنك تكمل موجودة خلاص.. هات آخرك، لو الرغبة خلصت والانجذاب بينك وبين العمل مش موجود، سيب الموضوع».

جلسة تصوير

في المساء يدعوني أمير لأتوجه معه إلى زيارة جاليري بالمعادي؛ إذ كانت لديه جلسة تصوير مع مصور مصرى يعيش بمقاطعة ويلز ببريطانيا، وهو في زيارة لمصر بمناسبة إقامة معرض لصوره.. تركتها وتجولت بين الصور القليلة المعلقة على الجدران، وكانت كلها بورتريهات لأشخاص غاية في الحزن. كانت الصور جمالياً رائعة، وتحمل قدراً من الدرامية

وتبعث شعوراً بالوحدة والغموض، يسيطر عليها الظل واللون الأسود أكثر من أي شيء آخر.

سألته إن كان يفعل ذلك باعتباره نجماً ويحتاج إلى مخزون كبير من الصور؛ كي يستخدمها باستمرار في وسائل التواصل الاجتماعي، وربما لتعزز غروره الفني؛ فكل فنان يجلس أمام عدسة الكاميرا أو تحت بقعة الضوء في عمله يدمن هذا الأمر بعد فترة. أصر أن الأمر لا يتخطى مجرد كونه يريد أن يسجل هذه المرحلة من حياته، كما سجل كل المراحل الماضية؛ كي يجد شيئاً ينظر له ويراجعه حين يكبر في السن؛ خاصةً مع تغير شكله الكبير بعد فقدانه لوزنه، وهو السر الذي ستمضي شهور حتى يكشفه لي.

- «إصابة أمي بالزهايمر عززت هذا الأمر بداخلي، فربما أصابني هذا المرض يوماً ما، ونسى كل ما أعيشه الآن، ونسى من حولي وكيف كنت أبدو.. ساعتها سأعود لهذه الصور في محاولة مني للتذكرة».لاحظ مراة في صوته حينما يذكر أمه، أفكر في سؤاله عن



تفاصيل أكثر في هذا الأمر، ولكنني توقفت عن ذلك وأثرت أن يأتي الأمر بشكل تلقائيٌّ.

بدأت جلسة التصوير في غرفة ضيقة ومظلمة تماماً.. يجلس أمير على كرسيٍّ عالٍ وأمامه مصباح شديد الضخامة. في ركن من الغرفة قسم لتغيير الملابس. أنزوي بداخله حتى لا يراني أمير أو المصور وأسبب لهما إزعاجاً، أضع هاتفي على وضعية الصمت وأتبس تمامًا حتى لا يشعرا بوجودي.. بجانبي حقيقة سفر صغيرة أتي بها أمير معه، فيها بعض التي شيرتات وقميص ليغير بينها أثناء التصوير.. الهدوء يخيم على المكان، والكلام بينهما يدور بصوت خافت جدًا.

من الواضح أن أجواء الغرفة المظلمة والإضاءة الدرامية الخافتة قد وضعتنا في Mood غريب بسرعة، وهو مقصود بالطبع من المصور الماهر.. يتحدث مع أمير قليلاً ليزيل أي توتر، وفي هذه الأثناء يبدأ في أخذ صور كثيرة، ويطلب منه أن يغير من وضعية جلوسه كل فترة.



يسأله عن سر حبه للون الأسود. فيجيبه أنه قرر منذ صغره أن يرتدي اللون الأسود؛ لأنه أكثر لون يرتاح في ارتدائه، وأنه حين اشتهر لم يشعر أنه يريد أن يغير هذه العادة. «الفنان ليس مختلفاً عن بقية البشر، وكلما كان يرتدي كما يرتدون في الشارع يصبح أقرب لهم ويشبههم، وأنا كذلك أرتاح أكثر حين أكون على طبيعتي، كما أني حينما أشاهد نفسي في الصور بعد سنوات لنأشعر أني قد تقدمت كثيراً في العمر».. يضحك.

بعد شهور طويلة سأعرف أن هذا ليس السبب الحقيقي وراء ارتداء أمير للون الأسود.

حين يقترب أمير ليفتح الحقيقة ويبحث عن فرشاة بداخلها أحاول مساعدته، فيأتي بشدة ويظل يشكري.. أتسائل إن كان يبالغ في تهذيبه لأنه يعلم أنني أراقبه؟ هل وجودي معهم طوال الوقت سيجعلهم في حالة وعي دائم بتصرفاتهم أم أن هذا سيتغير مع الوقت؟ أكتب في مذكرتي: هذا شخص شديد الذكاء، وخطر.

بعد مرور بعض الوقت نأخذ استراحة.. نخرج أنا وهو إلى الحديقة الخلفية لندخن.. نتحدث قليلاً عن التصوير. ويحدثني عن ستيف دوبل وفخره بأنه قام بتصويرهم، كما يخبرني أن معرضًا لصوره سيقام قريباً وعلىّ أن أحضره.. بعدها نتكلم عن موسيقى الجاز وأخبره أنّي أحب Diana Reeves وDianne Krall.. يفتح مفكري ويكتب بها اسم مغنية فرنسية هي مطربة الجاز المفضلة له: Madeleine Peyroux، ثم يسألني بعض الأسئلة عن عملي، وأفاجأ أنه مثلي قد عمل بينك لفترة.. يسألني مرة أخرى عن رأيي في الألبوم الجديد، ويخبرني أن طارق الشيخ أتى بالأمس وسجل معه أغنية «الكيف»، وأخبره أن هذه الأغنية «هتكسر الدنيا».

نعود للداخل مرة أخرى، وهناك نجد أن المصور قد قام بتشغيل بعض الموسيقى الحزينة على هاتفه المحمول. «أريد أن أضفي Mood معيناً على المكان». الموسيقى لهاوز زيم، فيقول أمير إنه يحبه كثيراً خاصةً في موسيقاه لفيلم Jaws. أصحح له أنها



لچون ويليامز. فيخبرني: «آه، چون ويليامز عبقرى في شيندلرز ليست، وجاد فاذر» ، بيبي وبين نفسي أريد أن أصحح له أن الأب الروحي من تأليف موسيقى إيطالي اسمه نينو روتا، ولكنني أصمت حتى لا أتحول إلى طفل مزعج يتباھى بمعلوماته، وواضح أن الأسماء تختلط على أمير كثيراً (سأظل لمدة بعد ذلك أقنعه أن الأب الروحي لم يكتبها إنيو موريكوني ولكنه يظل ينسى).. نستمع إلى مقطوعة شديدة الحزن، ويبدو تأثيرها فعلاً على أمير، الذي يستغله المصور فيلتقط له عديداً من الصور.. أكتب اسم المقطوعة بعد أن أسترق النظر للهاتف: Lévon Minassian & Armand Amar - Amen Hayr Sourp.

يطلب المصور من أمير أن يغير التي شيرت ويرتدى قميصاً.. حين يخلع أمير التي شيرت أصاب بالذهول من ضلوعه البارزة وعظام قفصه الصدرى التي تكاد تخرج من الجلد، وانحناء بطنه إلى الداخل بشكل غريب كأطفال المجاعة. بالكاد أستطيع النظر ناحيته. علام يعيش هذا الشخص؟ على الهواء؟



الإجابة التي سأعرفها فيما بعد أنها مشروبات الطاقة والسجائر.

العودة للمكتب

نعود للمكتب.. أنظر في ساعتي، إنها الثانية بعد منتصف الليل.. أظن أن اليوم انتهى، ولكن ليس بعد.

تامر هناك، يدور في أرجاء المكان بنشاط كامل، يتكلم بحدة يقابلها كثير من الهدوء من أمير.

يشكو تامر من حدوث تباطؤ رهيب في سير الاستعدادات للألبوم الجديد، قائلاً: «لا أريد أن نكرر مأساة كل ألبوم، نضيع كم المجهود الضخم الذي وضعناه في الأغاني بعدم الاستعداد لإطلاقها جيداً».

يرد أمير: إن كل الخطوات محسوبة بالورقة والقلم. والفيديوهات التي سيتم تصويرها سوف تحقق الكثير من هذه الأهداف. يقاطعه تامر وهو يخطب على الطاولة بعنف: «هذه الفيديوهات ألا تحتاج إلى مخرج؟ واجتماعات؟ وشرح للفكرة؟ وريفنس؟



واختيار موقع التصوير؟ وتحديد الميزانية؟ وماذا لو كانت الميزانية التي يضعها المخرج مكلفة، ما البديل؟ وكيف سنأتي بتمويل هذه الميزانية؟ من هم الرعاة الذين يمكن أن نكلمهم؟ يجب أن أعرف حتى أبدأ في التواصل معهم وعرض الفكرة، هذه الأمور تأخذ وقتاً، وكل هذا في بند واحد وهو تصوير الألبوم، فما بالك بقيمة البنود. أمامنا شهر واحد ولكن الشخص المسؤول عن هذا الأمر مسافر لحضور مهرجان خارج مصر. أين تحمل المسئولية؟»

يحاول أمير طمانته مرة أخرى: «لن ننام حتى صدور هذا الألبوم. شريف يبذل قصارى جهده للانتهاء من الـMixing والـMastering، وبقية الخطوات أيضاً نتحرك فيها، توقف عن القلق».

يواصل تامر تعداد العناصر المعلقة: السوشيال ميديا، ماذا سنفعل بها؟ لدى اجتماع غداً مع شركة يمكن أن تديرها لنا، لأن تولي أمير إدارة السوشيال ميديا لم يعد كافياً الآن. والموقع الإلكتروني، هل تم تحديده؟ ما الصور الجديدة التي سنتصورها؟ من سيصوّرنا؟



تطبيق كايروكي للهواتف المحمولة مهملاً لا أحد يهتم به.. أكاد أجن.» كما حدث في الصباح، تامر يوتني. «هل سرت على الدائري؟ هل رأيت بيلبورد إحدى الفنانات الخاصة بألبومها الجديد؟ يجب أن يقوموا بعمل واحد مثله لنا. لدى اجتماع مع شركة الاتصالات غداً لمناقشة اتفاقية شراء الألبوم وقيمة العقد السنوي والإعلانات، وكذلك هناك محطة إذاعية تريد الحصول على حق إذاعة الألبوم حصرياً مقابل مبلغ جيد، ولكن شريف لم ينته بعد من الأغاني أصلاً، فكيف يمكنني أن أمنحهم موعداً واضحاً لإطلاق الألبوم كي أتمم الـDeal؟».

يصمت قليلاً، ثم يستطرد كأنه تذكر شيئاً: «الأسبوع الماضي حينما كنت في شركة الاتصالات مع باسل وهادي وأسمعتهم الـDemos كانوا يصفقون من الفرحة، الكل يخبرني أن هذا الألبوم سيكون Hit كبيرة».

هل عندما يواصل فنان الاجتهاد ويركز أدائه في عمل يحقق نجاحاً، هل يكون متاكداً من ذلك قبل صدوره؟



تختلف المسألة من تجربة إلى تجربة، ولكن في أغلب الأحيان يوجد يقين بداخل الشخص الذي اجتهد بأن عمله سينجح لدرجة ما، إلى أي مدى سيحدث هذا النجاح.. لا أحد يعلم، كثيرون اجتهدوا ولكن تكهناتهم بقيمة عملهم وكيفية تلقي الجمهور له أثبتت فشلها، وهناك من انتهت مشروعاتهم بسهولة وسرعة غريبة، ثم أصابت العالم كله بلوثة لم يكن يتخيّلها المبدع. ما المعيار؟

يجلس شريف وجلال يحاولان التدخل.. تامر لا يهدأ. يواصل بعصبية شديدة: «كيف يتغاضى شخص من راتبًا كي يقوم بتنظيم إصدار الألبوم ولا يقوم بواجباته؟ يجب ألا ينام أو يأكل أو يسافر حتى ننتهي. كيف تسكتون على ذلك؟».

يستدير لي تامر وكأنه يدرك وجودي لأول مرة: «هل ترى ما نحن فيه؟ الكل يظن أننا نكسب أموالاً طائلة ونحن نائمون في بيوتنا. هل ستخبرهم بما يحدث؟ كل هذه المصاريف وكل هذا القلق. وماذا سنكسب في النهاية؟ لا يوجد مكسب سوى الجمهور. ولكن ماذا



سيفعل لنا الجمهور إذا واجهنا مشكلة حقيقة؟ فيرد أمير: «**هي عملونا هاشتاج!**» يضحك الجميع بصوت عالٍ للغاية.

يمسك أمير بنوتة وقلم ويبدأ في كتابة العناصر التي يتكلم فيها تامر، محاولاً الرد على كل نقطة.

ينظر تامر نحوه ويلقي مزيداً من الأسئلة التي يريد عنها إجابة: «من هو الصوت الشعبي الذي سيغنى «عم غريب» معك؟ يجب أن نتواصل مع متعهدي الفنانين الشعبيين لنعرف من منهم سيكون جاهزاً للتسجيل كي نختار من بينهم، ولكن كيف تتفق على الصوت المناسب إذا لم يكن شريف قد انتهى من التوزيع المبدئي؟».

يصمت تامر مرة أخرى وينظر في الفراغ، ثم يتكلم وكأنه يرد على سؤال لم يسأله أحد: «أريد أن ننزل بعد رمضان».

يرد أمير: «لا، لازم قبل رمضان».



- «ولكن الأغاني الشعبية ستحقق نجاحاً ساحقاً في العيد».

- «لقد تحدثنا في هذا الأمر من قبل. الأغاني الأخرى ليست مناسبة لموسم الصيف، لا أريد أن نظل نتناقش في هذا الأمر مراراً وتكراراً».

يقررون طلب أكل من أحد مطاعم الوجبات السريعة..
أنظر في الساعة، فأجدتها الثالثة صباحاً!

يعود تامر للحديث عن اتفاقاته مع Brand الملابس الذي سيقوم بتصميم وتنفيذ خط ملابس كايروكي، وأنه اقترح عليهم عمل منتجات جديدة للمجموعة الشتوية، إلى جانب ألعاب تسلية كالمونوبلي والكتشينة والشطرنج، ينظر إلى ويحدثني بفخر عن رقعة شطرنج قامت إحدى المعجبات بعملها自己 بلوجو كايروكي.

يعودون للحديث عن قضية تبدو حساسة: «كيف ستصدر الألبوم؟ ليس مسماً وحشاً لنا الآن تنزيل الأغاني



التي لم تُجز رقابياً في CD، والرعاة لن يرحبوا بهذا الأمر، ستهدد كل الاتفاقيات».

كما سأفهم فيما بعد، هناك محاولة ثانية مع الرقابة، كي تفهم الفرقة سبب رفض الإجازة، وترى إن كان يمكن أن تتوصل إلى تسوية معينة كما هو معتاد في هذه الظروف.

كنوع من التشتيت لأنفسهم بعيداً عن هذه الكميه المهولة من التفاصيل المزعجة والمعلقة، يتحدثون معي عن روایتي الأولى.. لا يصدقون أنني حصلت في روایتي الأولى على 7٪ من ثمن كل نسخة تباع، أي حوالي 4,5 جنيهًا مصرىًّا فقط. وظل تامر يطلب مني أن أقسم أن هذا الكلام حقيقي. وأقسمت له أن هذا حقيقي.

قارنت لهم بين نجاح روایة في مصر تبيع عشرين ألف نسخة في عشرة أيام، بينما في الأسبوع نفسه باعت روایة يابانية مليون نسخة رغم أن عدد السكان تقريباً واحد، وهذا هو فرق ثقافة القراءة هنا وهناك.



ووافقني أمير في كلامي: «في الخارج يدفعون أموالاً طائلة للكاتب، وقد يكسب الكاتب الناجح أكثر مما تكسب فرقة روك، أما هنا فالكتابة «متأكلش عيش».».

وهو محق في ذلك.

وأضافت: «بالطبع أنت تخرج المكاسب المالية من حساباتك. لا أحد يكتب ليكسب المال. حتى لو نجح.. لابد من مصدر آخر للرزق. لذلك أشعر وكأنني موظف يعمل في وظيفتين: الصباح يذهب إلى وظيفته الحكومية ذات الراتب القليل، ومساءً سائق تاكسي».

ينتقل تامر فجأة للحديث في أمور شخصية بأريحية تامة وكأنه غير موجود.. نتكلم بصرامة عن مشكلاتنا الزوجية. ينتابهم الفضول لمعرفة المزيد من التفاصيل عن طلاقه، ويعود الضحك ويذوب التوتر.

هذا هو أول حوار حميمي لي مع كايروكي.. بعد أقل من 12 ساعة كان الجليد بيننا قد ذاب بتلقائية



شديدة. هم أبسط كثيراً من أن تكون لديهم حسابات معقدة أو يشغلون بالهم بالظهور بغير ما هم عليه.

حين غالبني النوم فجأة قررت المغادرة، وقبل أن أغادر سلّم أمير عليّ بحماس، كان الإرهاق بادياً على وجهه، وسألني إن كنت قد استمتعت باليوم، وأنني لابد أستغرب نمط حياتهم السريع والمزدحم.

أغادر المكتب في الثالثة والنصف صباحاً.. أكثر من 15 ساعة مرت في يومي الأول مع كايروكي، وأتساءل بينما أقود سيارتي نحو المنزل وأنا بالكاد أستطيع فتح عيني إن كانت حياتي ستسير من الآن فصاعداً على هذا المنوال المجنون، والمعاكس تماماً لطبيعة حياتي العملية المنظمة.

أتذكر آخر ما قاله لي أمير قبل أن أغادر: «على فكرة، دا كدا يوم عادي جدًا في كايروكي... Welcome to the jungle».



الفصل الثالث

نقطة بيضا وسط سواد

الдинاميكيات المعقدة لعمل فرقة موسيقية

بدأت كايروكي عام 2003 حين كانوا لا يزالون يدرسون في الجامعة.. مرت عليهم سبع سنوات كاملة من العمل المستمر ومصارعة المجهول. كانوا يلعبون أغانيهم في كل مكان يفتح لهم أبوابه: كافيها، نوادي ليلية ورياضية، قرى سياحية، وحفلات صغيرة في الساقية يحضرها الأصدقاء وقليل جدًا من الجمهور لا يتخطى في كثير من الأحيان الـ 30 شخصاً.

بحلول عامي 2009 و2010 كان الكل قد أصابهم الإحباط، ولم يعد مهمًا لهم أن يلعبوا موسيقى؛ لأنهم فقدوا كل أمل في الوصول وتحقيق شيء ما، تماماً كما كان اليأس قد تمكن من كل الشباب المصري في ذلك الوقت من تحقيق شيء في حياتهم ذي قيمة.



في أواخر عام 2010 كان أمير لا يزال يعاند ويؤمن بأن الأغاني لا يجب أن تتوقف.. كان يصاحبه في تلك الرؤية شريف، وقديماً أغنية «ساكتين» في ديسمبر، وبعدها بأسابيع قامت ثورة يناير، وأثناء الـ 18 يوماً، كتب أمير أغنية اسمها «صوت الحرية».

انطلقت الفرقة بعدها لآفاق لم يكن يتخيلاها أيّ منهم، وبسرعة عادت الفرقة ليلتئم شملها مرةً أخرى من جديد، وواصلوا جميعاً تقديم الأغانيات والإعلانات والحفلات، وأصبحوا بشكل أو باخر مدوّنين في دفتر أحوال جيل الثورة، وكانت كل أغنية - تقريباً من أغنياتهم - تعبر عن المرحلة السياسية والتاريخية التي تمر بها مصر.

وتالت ألبوماتهم الواحد تلو الآخر.. كل ألبوم به عدة أغاني تعكس الوضع الحالي، وألامه وإحباطاته، وكذلك آمال وأحلام الشباب الذي صنع الثورة، وبشكل غير مفهوم بالنسبة لي حتى الآن، ومع مرور السنوات، نشأ الجيل الصغير جدًا من الأطفال / البالغين / الشباب، الذي واصل الاستماع للفرقة والتأثير بهم رغم أنهم لم



يحضروا الثورة إلا وهم أطفال، وهو ما يؤكد رأي الفرقة الذي يؤكدون عليه: «أغانينا لكل المشاعر الإنسانية الصادقة وليس تأريخاً لأحداث مؤقتة فقط. وحين بدأنا حتى اليوم، لم يكن لنا سوى هدف واحد فقط لم يتغير على مر السنوات: أن نغير شكل الموسيقى في مصر».

جاء نجاح أبومهم الرابع «ناس وناس» ليؤكد سمعة الفرقة بأنها ليست مجرد ظاهرة أو فقاعة كما تنبأ البعض وكما حاول الجيل السابق الحانق على الثورة أن يصورهم. وكانت المسئولية تتعاظم على كتف الفرقة. وبطبيعتهم الجادة، وتفكيرهم الاستراتيجي، وطموحهم الذي لا ينتهي، كان لابد أن يأتي أبومهم الخامس نقلة مختلفة عن كل ما سبقه.

قبل موعد لقائنا الأول بعامين كاملين، بدأت كايروكي في العمل على أبومهم الخامس، «نقطة بيضا».

كان هذا الألبوم هو الأصعب في تاريخ الفرقة؛ فقد كان المفترض كما حدث في الألبومات السابقة أن يقوم أمير بكتابة الأغاني وتلحينها على الجيتار كما هي عادته قبل أن تبدأ بقية الفرقة في العمل عليها. وعادةً ما يستغرق أمير شهرين أو ثلاثة حتى تبدأ معالم بضعة أغاني، أربعة أو خمسة في الظهور، ثم تتوالى الأخرى تباعًا.

ولكن الأمر هذه المرة كان مختلفاً.

لقد كان أمير يعاني من أزمة كبيرة في الكتابة؛ نظراً لإصابة والدته بمرض الزهايمر، والتي بدأت أعراضه تظهر عليها من أواخر عام 2012 قبيل زواجه بليلي، والتي أخبرتني أنها قد لاحظت تغير والدته منذ حفل الزفاف.

ولم تكن أزمة مرض السيدة ابتسام مؤلمة له فقط، ولكن لبقيمة أعضاء الفرقة جميعهم، إذ كانت تحتل مكانة مميزة وشديدة الأهمية لديهم.



لم تكن حياة السيدة ابتسام سهلة بالمرة.. كانت طوال السنوات الثلاثين التي مضت قد مرت بتجربة زواج صعبة من والد أمير، ثم انفصال مريض، وبعدها تحملت مسئولية طفلين صغيرين، كان أحدهما، أمير، متعباً للغاية، ثم عادت الأمور تتحسن بعض الوقت، ولكن أعتقد أنها كانت مريضة بأصعب مرض يستحيل مداواته: الحب.. استنفذ حبها لولديها وزوجها كل طاقتها، وحين حان الوقت كي تخرج إلى المعاش، وجدت نفسها دون نشاط يومي يستنفد طاقتها ويبعدها عن أي شعور بالألم؛ فقد تزوج ولداتها، ولم يعد هناك ما يشغلها، وحتى عندما عاد التواصل بينها وبين والد أمير بعد سنوات طويلة من القطيعة، كان الأمر يبدو غريباً ومجهداً لها، ولسبب ما لا أحد يعلمه، قررت الذاكرة والإدراك أن يغادرها إلى غير رجعة.

كانت تنسى كثيراً، وتتكلم قليلاً.. حين يزورها آدم تسأله خمس مرات في ساعة واحدة: أعملك أكل؟ أو تطلب منه أن يفتح لها التلفاز لتشاهد المسلسل، وحين تنتهي منه، تعيد عليه الطلب نفسه مرة أخرى. ذهب



بها أمير وأخوه ومعهما آدم إلى كثير من الأطباء، راضين الاعتراف بأنها مصابة بمرض النسيان، آملين أن يكون مجرد اكتئاب عابر.

يحكي لي أمير أنه في أحد الأيام كان يجلس في غرفته يحاول كتابة أغنية عن أمه، وكأنما يريد - بسرعة - التثبت بما بقي منها حين بدأ يوقن أن الأمر يتخطى الاكتئاب، وأنها فعلاً بدأت في السقوط في بئر لا قرار له من النسيان.

ظلت تفتح عليه باب الغرفة المرة تلو الأخرى وتسأله إن كان يريد شيئاً.. يخبرها أنه بخير ولا يحتاج لشيء.. تغيب لدقائق ثم تعود فتفتح الباب مرةً أخرى، وتسأله السؤال نفسه.. وهكذا طوال ساعة أو أكثر دون أن تعي للحظة أنها تكرر ذلك التصرف بشكل خارج عن المنطق.

ظل أمير في كل مرة يرد عليها وكأنها المرة الأولى، لا يريد أن يشعرها أنها تقوم بفعل أقرب للجنون، وحين نظر إلى عينيها الخاويتين وهو يغالب دموعه، تأكد



أنها ذهبت إلى غير رجعة.. لحظتها كتب بعض كلمات في دفتره:

«شاييفك أダメي وما بینا فاصل»

وليس هناك أقسى من أن ينظر شخص في عين أمه فلا تعرفه.

شعر الموسيقي الشاب أن شيئاً ما خطأ يحدث؛ فليس مفهوماً ولا منطقياً أن يحدث له كل هذا في الفترة نفسها. الآن وقد بدأ يصيب قدرًا من النجاح بعد سنوات طويلة من المعاناة التي خاضتها كايروكي حتى يسمعهم الناس، تنهار حياته هكذا فجأة.

دخل أمير في نفق مظلم من القلق وتدمير الذات.. كان يحاول الهروب بكل قوته من مواجهة نفسه. وهي مواجهة ضرورية لابد وأن يخوضها أي مبدع؛ خاصةً في فن الكلمة، وليس هناك ما هو أقسى من أن تواجه صفحة بيضاء.

وتأخرت الكتابة.. كان «منهًّا إبداعيًّا بعد أربعة أيامات خرجت تباعًا في عامين دون راحة» كما أخبرني شريف.

واصل أمير حربه مع نفسه، وزادت حدة تقلباته المزاجية، وصار يتعارك مع كل من حوله، وعبر عن شعوره بالألم تجاه مرض والدته وصعوبة علاقته مع أبيه وبحثه الدائم عن الخروج بأفضل مما قدم من قبل بكرابهية شديدة لنفسه.. بادرته الشكوك حول مصادقيته، وموهبته، وشعر بأنه قد تكلم عما أراد أن يتحدث عنه، ولم يعد لديه ما يقدمه. كانت مصر أيضًا تمر بفترة عصيبة ولم يكن سهلاً على أي شخص أن يبدع في ذلك الوقت المتخبط.. أيضًا كان البحث عن موضوعات مختلفة للأغاني، ومحاولة الوصول إلى (ثيمة) تجمعها بعضها البعض مسألة غاية في الصعوبة.

كعادته قام أمير بإعادة تقسيم الشقة وتغيير أماكن الأثاث، وتنقل ما بين شقته وشقة والدته، ثم قام بتأجير شقة أخرى أكبر وانتقل إليها مصطحبًا والدته



وممرضتها معه هو وليلي، ورغم ذلك لم يستطع أن يعيد تشكيل العالم من حوله؛ كي يستطيع الاستقرار وكتابة الكلمات التي تنتظرها بقية أعضاء الفرقة.. ظل يشكو من أي شيء حوله؛ إذ كان الظلام بداخله يأكله أكثر فأكثر.

ورويًداً رويداً، وببطء شديد، بدأ صراعه الداخلي العنيف يخرج إلى السطح في كلمات قليلة.. كانت هي البذرة الأولى لاغنية «نقطة بيضا». كان يريد أن يعكس كل ما بداخله في أغنية واحدة يقول فيها كل شيء؛ عله يتظاهر ويصبح كائناً أكثر خفة وسلاماً.

طوال ذلك الوقت كان الباقيون ينتظرون، وأثناء انتظارهم كانوا يخرجون الحاناً مع أنفسهم، يجربون كتابة الكلمات، وحتى عمل أغاني. بات واضحًا أن أمير لن يخرج بشيء في القريب. في هذه الفترة كتب شريف لحناً على البيانو، بينما كان هواري الذي قد تعلم العزف على الترامبيت حديثًا قد خرج بجملة لحنية جميلة، وتوصل آدم في أثناء لعبه بالبيز إلى



وظلت الأسابيع والشهور تمر.

حتى وصل غليان الرغبة في الهروب إلى ذروته عندما قرر أمير أن يجري جراحة ثانية في معدته بعد فشل الأولى. في أقل من يومين كان في غرفة العمليات وخضع لعملية دموية رغم اعتراض كل من حوله. وحين خرج منها داهمته متاعب كادت تهدد حياته. ولكنه كان قد هدأ قليلاً. ربما كان ذلك بسبب تحفيز الألم له، وربما يكون استنفاده لكل وسائل الهروب، أو شعوره بالرضا عن فقدانه وزنه الزائد أخيراً، أيّاً كان السبب، فقد عاد أمير للعمل مرةً أخرى.

بدأ بتلحين أغنية «اضحك» التي كان قدقرأ كلماتها من قبل وأعجبته، وبعد قليل بدأ بكتابة «هدنة» على لحن بيانو شريف، ثم «كنت فاكر» على جملة ترامبيت هواري، و«ليلي» المستوحاة من Groove آدم على البيز.

أخيراً أصبح يوجد الـ«عضم» الأساسي لعدة أغاني، وحان الوقت للعمل على توزيعها.



وهذه قصة أخرى.

يوجد عديد من الطرق التي يمكن أن تعمل بها فرقة موسيقية.

هناك فرق يكون لها قائد وتسمى الفرقة باسمه، ويلعب فيها كل الأدوار: مؤلف الكلمات، والألحان، والموزع، مثل بونجوفي أو داميان رايس مثلاً. وهناك نموذج آخر يكون فيه كل أعضاء الفرقة بالدرجة نفسها من المشاركة والإسهام الفني، مثل دريم ثياتر وغيرها.

وهناك فرق أخرى يتولى الرؤية الفنية فيها وصناعة الأغنية بشكل أساسى فرد أو اثنان، ويكون لهما التحكم الرئيسي في كل إنتاج الفرقة، ويتضاءل معهما دور الآخرين، ومن أشهرها بينك فلويد وميتاليكا وبيتلز.

إن ذلك لا يعني طبعاً أن بقية الأعضاء ليس لهم دور، ولكن الفكرة أن هيكل أي أغنية، وهو اللحن الأساسي



والكلمات والرؤية الفنية العامة لإحساس Mood الأغنية أو الألبوم يقوم بوضعه شخص أو اثنان، بينما يكمل الباقيون تطويرها وتلوينها كل في آلته؛ حتى تخرج بالشكل الذي يسمعه الجمهور.

في كل النماذج التي ذكرتها قبلًا فإن هناك عضواً زائداً في كل فرقة يعد هو العضو المجهول بها، وهو مدير الفرقة Band Manager، والذي يدير الفنانين، الذين هم بحكم ميولهم الفنية فاشلون في إدارة أنفسهم وشؤونهم الحياتية والمالية بجدارة، ومن ثم يتولى إدارة كل شؤون الفرقة الحياتية والعملية، بدءاً من التعاقدات، وتنظيم الحفلات، والتعامل مع الرعاة أو شركات الإنتاج. وفي بعض الأحيان قد يساعدهم على إدارة شؤونهم الشخصية، فيتولى مساندة أحد الأعضاء في مشكلاته الصحية أو النفسية، وينظم علاقته بالآخرين، وحتى مواعيد النوم والاستيقاظ. إنه يهتم بكل شيء يمكن أن يكون له تأثير على الفنان؛ كي يتفرغ تماماً للإبداع دون أن يشغل نفسه بالأمور الحياتية المرهقة.

في بعض الأحيان، يمكن أن يكون مدير الفرقة أيضًا هو المنتج الفني لها، ويسمى بالإنجليزية Music Producer.

وسوف نشرح دور المنتج الموسيقي بالتفصيل في الفصول المخصصة لذلك.. ولكن الآن حاول أن تركز معي؛ لأن ما سنقوله في هذا الفصل له بالغ الأثر في فهم كثير من الأمور التي سترد في هذا الكتاب.

بالطبع يتخيّل الجمهور صورة مثالية لعمل الفرق الموسيقية، وأن الأمور تسير بسلامة وهدوء واستمتاع، ولكن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك؛ فليس من السهل أبداً أن تضع خمسة أفراد في غرفة لمدة خمسة عشر عاماً وتطلب منهم أن يبدعوا دون أن تحدث بينهم صراعات: غيره فنية، أهواء ومصالح شخصية، معارك مادية في بعض الأحيان، وحتى صراعات على القيادة.

وإذا كانت أكبر الفرق العالمية قد عانت من هذه المشكلات فما بالك بفرقة مصرية تطبق نموذجاً لم يكن موجوداً من قبل؟ والمفارقة أن الفرقة الأكثر دفاعاً عن الحرية والديمقراطية في أغانيها تعاني من الاحتياج الدائم إلى وجود شخص له الكلمة الأخيرة في كثير من الأحيان، ربما حتى يمكن أن نسميها الاحتياج للديكتاتورية؛ حتى لا تظل الأمور دائمة في حالة تداول مستمر دون رأي قاطع.

وكان الحل - طبعاً - كي ينجح النموذج الديمقراطي في اتباع مبدأ التصويت، ولكن طالما لم يحدث إجماع على شيء ما، يظل الأمر خاضعاً للتداول والنقاش مهما أخذ من وقت ومجهد، وهو الرعب متجلساً بكل معنى الكلمة.

بحكم أن أمير هو الذي يكتب كلمات الأغاني، تكون البداية غالباً من عنده.

أما من الناحية الموسيقية، فقد كان جميع أعضاء الفرقة في الألبومات الأربع الأولى يساهمون بشكل أساسي في تشكيل رؤية وإحساس كل أغنية عبر لعبهم ومناقشاتهم المستمرة مع بعضهم البعض.

أدى ذلك إلى ظهور مشكلات عديدة في الأغاني.. ربما كانت من النوع الذي لا يشعر به المستمع ولكن فرقة شديدة الحرص على جودة عملها وتطوير نفسها كـ«كايروكي» لم تكن لتغض الطرف عن هذه المشكلات.

كانت الفرقة قد عانت تخبطاً كبيراً في إدارة نفسها بحلول ألبوم «السكة شمال»؛ حيث كان الكل يسهم بنفسه ويوضع رؤيته في كل أغنية، ويتم تغيير الدفة في كل أغنية عدة مرات، وتفاقمت الأزمة مع ألبوم «ناس وناس»، وبات واضحًا لدى الجميع احتياج الفرقة لمنتج موسيقي يتولى معالجة مشكلات في الأغاني، ويتخذ القرارات فيما يخص رؤية كل أغنية.

ومع بدء العمل على «نقطة بيضا»، ومع الضغط الذي كانت تمثله صراعات أمير، كان من الواضح أن طريقة العمل المعتادة باتت مستحيلة.

حينما بدأ العمل على «اضحك» مثلاً، دخلوا جمِيعاً إلى الاستوديو وبدعوا في لعبها، وكلما استمعوا لها لم يعجبهم ما يسمعونه.. فيحاولون مرة أخرى، ولكن دائماً هناك من لا يعجبه شيء ما.. هناك أغاني كانت لها أكثر من 10 توزيعات مختلفة، وهناك أفراد ينهون ما يريدونه في الأغنية ولكنهم يضطرون إلى اللعب عشرات وعشراً الساعات مع الآخرين حتى يصلوا إلى ما يريدونه.

في هذه الفترة أراد أمير أن يضم أغاني شعبية للألبوم؛ لتصبح مغامرة جديدة تستكشفها الفرقة. رفض معظمهم الفكرة تخوفاً منها، وشعر أنه لا يستطيع أن ينفذ رؤيته.. أصابه اليأس من حالة التخبط تلك وقرر أن يقوم بعمل ألبوم شعبي وحده، وطلب من شريف أن يقوم بمساعدته في إنتاجه. عملاً على أغاني: «عم غريب»، «الكيف»، «والسكة شمال في شمال». وبعد



محادثات كثيرة اتفق الجميع أنهم يحبون هذه الأغاني، وأنها يمكن أن تكون جزءاً من ألبوم لكاIROKOI ولكن مع تغيير في الكلمات، كما رأى شريف أنها إذا حملت بصمة كايروكي الموسيقية ستكون للفرقة إضافة جديدة في هذا المجال وليس أغاني شعبية تقليدية.

كانت هناك معاناة من تدخل الكل في تخصصات بعضهم البعض، وأنه إذا كان أميراً مسؤولاً عن الرؤية الفنية للألبوم بحكم أنه يكتب الأغاني ويلحنها بشكل أولي، فإنه كان يعاني من شعوره بأنه لا يستطيع أن يحقق هذه الرؤية بسبب تدخلات الآخرين.

هل ستكون الأغنية الفلانية هادئة أم صاخبة؟ هل ستعتمد على الألحان أم الحركة؟ هل نلعبها بسرعة بطيئة أم سريعة؟ ما شخصية المغني هنا؟ من يخاطب؟ هل تخاطب الفكر أم الوجدان؟ ما نقاط قوتها؟ ما الآلة التي ستكون بارزة؟ كل الآلات؟ وماذا لو سبب ذلك ازدحاماً وضجيجاً؟ ماذا لو أراد أحدهم أن يلعب لحنًا معيناً ولكنه لا يتواافق مع روح الأغنية؟



ما النوع الموسيقي الذي ستنتمي إليه هذه الأغنية أو تلك؟ هل يمكن أن نجرب اتجاهًا مختلفًا عن المعتاد هذه المرة: أغنية تكون مثلاً أو أغنية شعبية؟

تخيل هذا الكم الهائل من القرارات حين يتخذه خمسة أفراد.

فقط تخيل النتيجة.

على مدار الصفحات التالية، ستطل علينا «نقطة بيضا» كنموذج يوضح لنا مدى صعوبة وضخامة العملية الإبداعية الطويلة والمرهقة التي يتطلبها إخراج ألبوم موسيقي من خمسة أفراد.

بعد ازدياد مرارة التجربة على مدار العام الأول من العمل على «نقطة بيضا»، حدث اجتماع مهم طلب فيه أمير بعضاً من الحرية في تحديد الرؤية الفنية للألبوم، كما اقترح أن يقوم شريف بتولي مسؤولية الإنتاج الموسيقي، وكان أمير وشريف يقومان بكل الدورين



من قبل ولكن من الناحية التنفيذية والعملية فقط دون حرية كاملة.. هذه المرة يطالب أمير بمزيد من الـControl؛ حتى تنتهي حالة التخبط تلك. لم تعد الطريقة القديمة التي تعتمد على إسهام الجميع مجدية؛ فمع تطور صوت الفرقة وزيادة نجاحها، وتعاظم الضغوط وتعقد موسيقاها، بدأ يحدث نوع من التخبط فيما بينهم في هذه الجزئية.

ووافقوا على اقتراح أمير.

وببدأ العمل وفقاً للطريقة الجديدة.

وبالطبع كان شريف يستشعر حساسية الأمر بالنسبة للباقيين؛ فهم سيتعاملون لأول مرة مع منتج موسيقي دوره أن يقوم بوضع الرؤية الأساسية لروح وإحساس نوع كل الأغنية مع الكاتب (أمير)، ثم يبدأ بتوجيههم كي يخدم إسهامهم هذه الرؤية. ولذلك حاول في البداية أن يكون تدخله بأقل ما يمكن، وأن يترك لكل واحد منهم حرية التعبير عن نفسه كما يريد.

لم يختلف الأمر كثيراً. ظهرت «نقطة بيضا» العالية، ولم تزل رضا الجميع، وتم توزيعها وإعادة توزيعها عشرات المرات، ومن ضمن هذه التوزيعات الكثيرة جدًا كانت النسخة الهدئة التي أحبها معظمهم. وظل الاختلاف دائراً حول أيهما أفضل.

الكل يريد تجريب أشياء مختلفة، ولم يرد شريف في البداية أن يفرض رأيه بأي شكل، وحاول أن يتبع هو وأمير طريقة الإقناع مع بقية الفرقة: كل أغنية يجب أن تكون لها رؤية وموضع محدد ومتراوط مع بقية الأغاني، ويجب أن يكون هناك مفهوم متكملاً لكل الألبوم. يقول شريف: «كلما حاولت إرضاء كل الأطراف عند تنفيذ توزيعهم للأغاني، كانت الأغاني تفقد ملامحها وشخصيتها. كنا ندور في دوائر مفرغة لا تنتهي».

وبدأت الحدة والتوتر يضربان أعضاء الفريق.. بدأ كل اثنين يتعاركان مع بعضهما البعض. تقريراً كل الأعضاء، بمن فيهم أمير، يتعاركون مع شريف، وأعلن أمير أكثر من مرة أنه لن يعمل معه مرة أخرى، ولكن بعد يومين



يجلسان للعمل مرة أخرى (هذه قصة تتكرر كثيراً)؛ فقد بات تعاونهما لصيقاً. ورغم تاريخهما الممتد في التعاون معًا خاصةً خلال الفترة التي عملا فيها وحدهما على الأغاني قبيل الثورة، إلا أن ذلك التعاون الفني اللصيق جعل الأمور شديدة الصعوبة.

أصبح شريف هو «البطة السوداء» بشكل أو آخر؛ لأن الكل يرى أنه لا يمنح الباقي المساحة الكافية للمشاركة في توزيع الأغنية.

وبات واضحًا أن أكثر المشتكيين من هذا الأمر كان هواري.. كان يقف في منطقة شديدة الحساسية فيما يخص دوره في الفرقة، كما أن الكيماء بينه وبين شريف لم تكن تسير بشكل جيد؛ فإذا كان آدم وتامر قد وجدا لأنفسهما دوراً مهماً في إدارة الشئون العملية للفريق، وأمير وشريف في الناحية الفنية، فهواري كان يقف في المنتصف؛ فهو لا يشارك في النواحي الإدارية لأنها لا تهمه ولا تشغله أو تتناسبه. وعلى الناحية الفنية فإنه يرى أن دوره يتم تحجيمه من قبل أمير وشريف اللذين يضعان أسس الأغاني ثم يطلبان منه المساهمة



في وضع الموسيقى في مرحلة متأخرة، وحين يحاول تأليف أغان من الصفر، أي الكلمات والألحان، لا يتم قبولها؛ باعتبارها لا تتوافق مع الرؤية العامة للألبومات (لهواري تجربة وحيدة قام بتلحينها وغنائها بالكامل وهي «قبل الوصول»).

من ناحية ثانية، دافع أمير وشريف بأن المشكلة أن لهواري يعمل وفقاً لمزاجه الخاص وأهوائه المتقلبة، فيمكن أن يظهر ويجهد لمدة أسبوعين أو حتى شهر، ثم يختفي تماماً، وهو ما لا تحتاجه عملية إنتاج عمل فنيٌّ كبير؛ لأن الاستمرارية قد تكون أهم من المزاج الفنيّ.

ومرت أسابيع وشهور أخرى دونما ظهور بارقة أمل واضحة، وهنا جرى اجتماع آخر وطلبت مزيداً من الحرية لأمير وشريف، كان لابد أن يبدأ أحد ما في أخذ القرارات بجسم؛ حتى تبدأ الأغاني في الظهور.

وأخيراً، وعند مشاهدتي لكايروكى للمرة الأولى على المسرح في فبراير 2017، كان قد مر عامين كاملين



من العمل على ألبوم «نقطة بيضا»، وبدأت الآن تظهر ملامحه، وانتهى العمل على معظم أغانيه، وبات في مرحلة اللمسات الأخيرة والتوزيع النهائي.

ولكن كان الثمن هو حالة من الاحتقان البارد التي بدأت في تلك الفترة، ولم تكن ظاهرة لي في بداية معرفتي بهم، ولكنها رويداً رويداً بدأت تتضح مع مرور الوقت.

بعد كل هذه الصراعات، وصلت الفرقة المنهكة أخيراً للألبوم الذي كانت تحلم به؛ لتجد عائقاً جديداً يخبرها أن كل هذا المجهود قد يذهب هباءً.

حاولت أن أجد تفسيراً لهذا الصراع البارد الدائر بين أعضاء الفرقة.. لماذا

لا يجد بعضهم نفسه بينما يشعر البعض الآخر أنه يعمل دون أن يقدر أحد مجده؟ وفي الوقت نفسه يشعر آخرون أن حقهم مهضوم وحربيتهم مقيدة؟!



وحيث تكلمت معهم كان استنتاجي الأولى هو أن الفرقة تحتاج إلى وجود مدير لها، مدير ومنتج فني خارج الخمسة؛ لأن لا أحد سيقبل أن يملي عليه أحد أعضاء الفرقة ما يفعله، وبالتالي فهم يحتاجون إلى من يدير الفرقة فنياً وعملياً. ولكن من هذه الشخصية الأسطورية التي تمتلك من الموهبة والكفاءة والسلطة ما يجعلها تستطيع قيادة خمسة شباب من أشد الشباب الذين رأيتهم في حياتي عناداً؟ هذه هي المعضلة التي لا يحملون هم أنفسهم لها إجابة.

والأسئلة التي بادرت ذهني في أوائل عملي على الكتاب، وبعد اكتشافي لهذه الحرب الباردة هي: كيف يمكن أن يجتمع هذان الضدان معاً: الدوافع النفسية والرفض لطريقة عمل كل شخص وآخر، وفي الوقت ذاته هذا التالف والحب والود والقرب والتفهم الذي لم أره من قبل في أي مجموعة من الأفراد تعمل معاً؟ هل الصدقة التي بينهم هي التي ترأب الصدع دائمًا؟ أم حلمهم المشترك؟ أم نجاحهم الذي يخافون على ضياعه؟ وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على هذه



العوامل؟ هل يمكن أن يفترق الأصدقاء الخمسة فعلاً في يوم من الأيام بإرادتهم؟ ما الذي يجمعهم ببعضهم البعض؟ وهل هم معاً كرهاً أم طوعاً؟ وكم بقي من الصداقة والمشاعر النبيلة للطفولة في وسط كل هذا الخضم من المشاعر الإنسانية المتضاربة التي تصيب أي إنسان عند تحقيق النجاح والشهرة والمال؟

وكان السؤال الأكثر إلحاحاً بالنسبة لى: هل تزيد الضغوط الخارجية التي يتعرضون لها الآن من المسافات الموجودة بالفعل بينهم، أم أنها تقربهم إلى بعضهم البعض؟

وأعتقد أن رحلة الشهور التالية هي التي ستجيب عن هذه الأسئلة، وغيرها الكثير.



الفصل الرابع

عن النجاح والإحباط

يكره أمير الإعلانات، ويسميهما الجانب المظلم من النجاح. وقد صرح بذلك علّنا أكثر من مرة على الإنترنت.. استغربت كثيراً حين تعرفت على كايروكي وفوجئت بأنهم يقومون بهذه الإعلانات مضطرين.

وتأتي هذه الضريبة بسبب اختيار كايروكي المصيري بـلا يتعاقدوا مع أي شركات إنتاج، وأن تصبح استقلاليتهم هي المبدأ الأول الذي يسعون وراء تحقيقه.. إلى جانب مبادئ أخرى كالنراة والثبات على الموقف وعدم التراجع واحترام جمهورهم. ويظهر ذلك على مستويين: الأول، الاجتهاد المطلق في كل ما يقدمونه وعدم الاستهانة، والثاني أن يكونوا دوماً وأبداً معبرين عن بعض الجمهور في مختلف القضايا والمواقف، وألا يتراجعوا عن ذلك مهما كانت الضغوط.



وكي يستمروا على هذا المنوال صاروا رؤاداً لاتجاه بديل بدأ ظهوره بقوة بعد الثورة، وكانت كايروكي هي من أوائل - إن لم تكن أول - من طبّق هذا الاتجاه، وهو الاعتماد مادياً بقدر كبير على رعاية الشركات .Sponsorships

منذ عدة سنوات كان الفنان، خاصة المطرب، يترك نفسه لشركة إنتاج تحتكره، ويوقع معها عقوداً طويلة الأمد، ولا يتمكن من تغيير أي نسبة من عوائد الألبومات أو الحفلات، ولا يملك الاعتراض على أي توجهات أو إملاءات يمليها عليه المنتج. ويكون أقصى طموح الفنان أن ترضي عنه شركة وتوقيع معه عقداً. وفي المقابل يضمن الفنان بذلك تمويلاً لمشروعه الموسيقي، وتسويقاً جيداً، وعدد حفلات لا بأس به، وبعض الظهور الإعلامي.. كان ذلك عصر المنتجين الكبار محتكري السوق.

وكلنا نذكر - طبعاً - هوجة الشركة التي قررت أن «تشتري» كل مطرب في مصر، وباع أكثرهم نفسه بسهولة شديدة؛ ليدركوا متأخرين أن الاحتكار إنما أضرهم وقلل منهم كثيراً، وهي تجربة أدركتها كايروكي مبكراً جدًا.

كان الفنان في التسعينيات يحلم بالظهور في إعلان لمنتج أو خدمة، وهو ما سيتحقق له عائداً مادياً جيداً إلى جانب جماهيرية أكثر، وكانت الإعلانات هي عنوان نجاح الفنان؛ لأن ذلك يعني أنه صارت له شعبية تؤهله لأن يغري الجمهور بشراء المنتج الذي يتصدر واجهته.

تبعدت اللعبة كثيراً بعد الثورة؛ فقد قررت الشركات التجارية (كشركات الاتصالات والمشروبات الغازية) أن توقع عقود «رعاية» طويلة المدى مع الفرق الموسيقية والمطربين بمبالغ كبيرة، مقابل أن تستفيد الشركة من هؤلاء النجوم لأكثر من مجرد إعلان؛ فيصبح من حقها إقامة حفلات لصالحها، أو وضع علامتها التجارية على ألبوماتها، وفي بعض الأحيان



الملكية المادية -وليست الفكرية - للأغاني؛ حيث يتم استغلالها في فكرة الرنات والCall Tone وغيرها.

وكان فريق كايروكي من أوائل الفنانين الذين واكبوا هذا المفهوم السباق.. ومن الطبيعي أن تكون للعلاقة مع الشركات التجارية مزاياها وعيوبها، ولكن الأهم كان أنها كسرت احتكار المنتجين للفنانين الذي سيطر على السوق طوال عقود.

في النهاية، صار رأس المال التجاري هو المنتج بشكل غير مباشر، ولكنه يقدم هنا ميزة كبيرة؛ حيث إنه لا يتدخل مطلقاً في الناحية الفنية، كما يمنح الفنان مزيداً من الحرية في تنويع مصادر دخله من الحفلات ومبيعات الألبومات التي تصب كدخل مباشر له. باتت المسألة تتم بالعكس: بعد أن ينجح الفنان جماهيرياً يجد من يرعاه استغلالاً لهذا النجاح. والحقيقة أن هذه الشركات - في معظم الأحيان - لا تدرك أن هناك ألبوماً بالأساس، فكل ما يحدث أن الفرقة تنهي العمل في عام أو اثنين، ثم تخبر شركة المشروبات الغازية أو الاتصالات بأنها تمتلك ألبوماً، وعليه تقوم الشركة



بتتوقيع عقد مع الفرقة؛ ليصبح لها حقوق استغلال الألبوم، والفرقة طبعاً، لمدة محددة.

وساهم الانفجار التكنولوجي الكبير في توسيع هذه الدائرة، لتشمل حقوق الاستغلال: العرض على قنوات مثل يوتيوب والبيع على المتاجر الإلكترونية (أي تيونز وأبل ميوزيك وسبوتيفاي وغيرها)، كل هذه الأرباح تذهب للشركة مقابل مبلغ ثابت تدفعه للفرقة أو الفنان (كبار فناني مصر يلجهون لطريقة العمل نفسها بعد أن رأوا نجاحها مع كايروكي وغيرها من الفرق التي ظهرت بعد ذلك). ولكن هل تكفل هذه الطريقة حرية كاملة كما قلت؟

ستعرف أكثر حين نصل إلى تلك النقطة؛ لنرى كيف أن عملاً فنياً صادقاً وجريئاً قد يخلق تعارض مصالح واضحاً مع رأس المال حين يجد أن هذا العمل الفني يصطدم بشكل أو بآخر بمؤسسة ما.

ولا تننس أبداً أن ولاء رأس المال الحقيقي والوحيد هو لنفسه، وأرباحه،



لا أكثر ولا أقل.

وبالتالي، فإن استغلال الفنانين من أجل تحقيق مزيد من الدعاية للشركة هو أمر لا مفر منه. ومهما كانت درجة تقبّل أو رفض الفنان، خاصة الموسيقي، لعمل أغاني للإعلانات، فإنه سيظل يواصل هذا الأمر؛ حتى يضمن استمرارية علاقته مع هذه الشركات، وبالتالي استمرارية قدرته على إنتاج مزيد من الأعمال الفنية؛ فالشهرة والنجاح وحدهما لا يكفيان لضمان هذا الأمر.

بدأت كايروكي بعد انتشارها ونجاحها الكبير تسير بشكل المنظومة أكثر من كونها فرقة غنائية؛ إذ جاء قرارهم المبكر بعدم التوقيع مع أي شركة إنتاج، رغم عشرات العروض التي أتتهم بعد انطلاقه «صوت الحرية». وكان السبب في ذلك هو خوفهم من أن يقوم أي شخص بعمل إملاءات عليهم؛ خاصة وأن تجربتهم اليتيمة قبل الثورة مع منتجي الأغاني كانت كارثية حين ظاهر موزع موسيقي شهير للغاية برغبته

في احتضانهم وتوقيع عقد معهم، وحين بدأت المفاوضات كان أول طلب له أن يقوموا بعمل دويتو مع فنانة لبنانية شهيرة وهبها الله الكثير من الإمكانيات (والهيافة) ولكنه حرمها من موهبة الغناء.

بالطبع.. كان وقع هذا الأمر عليهم كالصاعقة، وصار في حكم المطلق أنهم لن يخضعوا لمثل هذا النوع من الابتذال مرة أخرى.

ومن هنا قرروا توزيع الأدوار الفنية والإدارية بالكامل على بعضهم البعض وخوض مغامرة الإنتاج لأنفسهم مهما كان الثمن دون الاعتماد على أطراف خارجية تؤثر على رؤيتهم، فأسسوا شركة الإنتاج الخاصة بهم، واستطاعت أن تكون كايروكي منظومة من نفسها: أمير وشريف وهواري الجانب الفني، تامر الرعایات والاتفاقات مع الشركاء والجانب العملي ككل، وأدم الإدارة المالية بالكامل.

هذا هو التقسيم العام، أما التقسيم الأكثر تفصيلاً فليس بهذه البساطة؛ إذ تتقاطع هذه الأدوار في بعض



الأحيان، ولذلك فهناك تنسيق دائم بين أعضاء الفرقة في هذه الشئون.. فتامر مثلاً يستغل شخصيته الاجتماعية وشبكة علاقاته المهولة في عقد اجتماعات العمل والشراكات مع شركات الرعاية، وتنظيم الحفلات، وإطلاق الـ Online Store الخاص بالفرقة.. وهكذا. والجانب العملي والتجاري Commercial Business حيث إنه يوفر للفرقة مصدراً جيداً للدخل، إلى جانب تنمية اسمها؛ ليصبح علامة تجارية مستقلة بذاتها كما يأمل هو في يوم من الأيام.

أما آدم فقد استغل ميوله المنظمة وخبرته المهنية في العمل في الشركات في أن يتولى أكثر جانب تحاول الفرقة أن تتهرب من التعامل معه، وهو الجانب المالي؛ فقد قرر آدم أن يتنازل عن جزء كبير في الإنتاج الفني، ويكتفي بكونه لاعب بيز فقط في معظم الأحيان؛ ليركز جهوده كلها في إدارة الفرقة المالية، وهو الجانب الذي لا يفقهه أحد منهم، ولا يهتم بأن يفقهه.



والجانب المالي لدى كايروكي جانب معقد للغاية، فقد كانوا في الماضي يقومون باقتسام العائد بالتساوي فيما بينهم، ثم بدأ العائد يقسم وفقاً لدور كل فرد في الفرقة، وبعدها تم الاتفاق على دفع مرتبات شهرية لهم؛ كي يكون الأمر أكثر تنظيماً. وبالنسبة للعائد فيتم تقسيمه بعد خصم المصروفات. ولا يعلم أحدكم يدخل وكم يخرج، سوى آدم. وهي مسؤولية ترعيه وتجعله شديد الحزم حين يتعامل مع أطراف خارجية كال媦وردين وغيرهم.

ويحكى لي آدم ضاحكاً كيف أنه يقوم كل عام بعمل ميزانية للفرقة، تحوي جميع الواردات والمصروفات، ولا ينظر إليها أحد. ويتولى آدم كمّا كبيراً من الشؤون المالية: مرتبات الموظفين، مرتبات أعضاء الفرقة أنفسهم، مصروفات المكتب من إيجارات ومصروفات إدارية مستمرة، التعاملات المادية في الحفلات وتتكلفتها، وحتى إيجار السيارات التي تقل الفرقة للحفلات في السفر.



ويتعاون الفرقة في عملها بعض الأفراد يقوم كل منهم بلعب دور محدد.. أولهم كان هادي، الذي بدأ معهم منذ عدة أعوام كمدير للفرقة. وكان هادي مسؤولاً بشكل كامل عن حفلات كايروكي والتعامل مع الرعاة، ومع الوقت نما طموحه، وشعر بأنه قد اكتفى من التعامل مع الفرقة قبل أن تصيبه جلطة كما حكى لي، وقرر أن يفتتح شركته الخاصة التي يقوم من خلالها بتنظيم الحفلات لشركات ورعاة وفرق أخرى، وعلى رأسها كايروكي بالطبع.

وهناك باسل وكريم، وهما مسؤولان في الأساس عن عقد الشراكات مع الرعاة.. ومؤخراً انضم للفريق كل من سليم وأمينة (مؤسس شركة «الوكالة»)، ومهمتها معاونة الفريق في صياغة وإبراز رؤيتهم الفنية والقيام بالإخراج الفني لصورة الفرقة ككل، من خلال التركيز على الجانب البصري للفرقة: تصميمات الألبومات، شكل الحفلات، تصميمات السوشيال ميديا، تصوير الكليبات، بالإضافة إلى تنظيم حفلات كايروكي خارج مصر.

وأخيراً هناك أحمد مدحت، والذي صار بحكم الجيرة رفيقي في رحلتي اليومية من وإلى المعادي؛ حيث يقوم أحمد بتنسيق الأعمال اليومية للفريق، ما بين تنسيق الحفلات، المقابلات، المواجهات، مواعيد التدريبات الخاصة بهم، الأمور الإدارية، الرد على الهاتف واستفسارات منظمي الحفلات وفي بعض الأحيان الجمهور، وجمع الفرقة للاجتماع الأسبوعي.

بشكل أو باخر اكتشفت أن هذه منظومة متكاملة، وليس كما كنت أتخيل على الإطلاق.. مجرد شباب يلعبون الموسيقي.. إن كايروكي تماماً كأي شركة تدار، ولكن الفارق أن الشركاء الخمس هم المديرون الخمس في الوقت نفسه، وهو ما يخلق الكثير من الإزعاج.

كانت إحدى النقاط التي أفادتهم هي الاستقرار المالي الذي حققوه بعد عروض الإعلانات التي انهالت عليهم بعد نجاحهم في السنوات التي تلت الثورة، وهو ما طمأنهم إلى أنه يمكنهم الاعتماد على أنفسهم.



إذاً، كيف ينفقون على الألبومات والأغاني؟ كثير منا لا يعلم أن هذه مسائل مكلفة للغاية. فتكاليف الأغنية تبدأ من المعدات الكثيرة جدًا التي يجب شراؤها للتسجيل والتدريب والحفلات. ثم تكلفة شراء الكلمات (وهي حالة تكررت في بعض الأحيان مع كايروكي)، ثم تكلفة التسجيل والميكسينج والماسترينج (مراحل الإنتاج الموسيقي)، ثم تكلفة طباعة وتوزيع الألبوم وتصميمه، وتكاليف المكتب من إيجار وأثاث ومصروفات شهرية، وأجور العاملين مع الفرقة من محاسبين وإداريين ومديرين، معدات الحفلات، معداتهم الموسيقية؛ خاصةً شريف الذي تزيد قيمة معداته عن مئات الآلاف من الجنيهات، وأخيرًا تكلفة تصوير الأغاني والدعاية والإعلان وإدارة السوشIAL ميديا، وذلك بالطبع بخلاف الدخل الذي يجب أن يحصل عليه كل فرد من أفراد الفرقة كي يعيش باعتبارهم متفرغين لهذا العمل.

والذي سردهه للتو هذا قد يدخل في تكلفة تصل إلى بضعة ملايين من الجنيهات سنويًا.



ومن هنا تأتي إجابة أحد الأسئلة المتكررة: لماذا تقوم كايروكي بعمل إعلانات كثيرة؟ لأنهم لا يملكون مصدراً للدخل سوى: مبيعات الألبوم، الحفلات، حقوق البث والرعاية، والحفلات. وكلها لا تكفي لمصروفاتهم الكبيرة، ولذلك تعد الإعلانات حلاً لهذه المعضلة.

إلا أن كثيراً من الانتقاد كان يوجه لـ«كايروكي»؛ لأنها تقوم بعمل الكثير من الإعلانات. وفي فترة معينة من الفترات، قررت الفرقة تقليل هذا الأمر؛ بسبب أنها وجدت ذلك يؤثر على صورتها أمام الجمهور، رغم نجاح بعض هذه الأغاني حتى أنها صارت جزءاً لا يتجزأ من منتجهم الموسيقي وتعزف باستمرار في الحفلات بناءً على طلب الجماهير. كذلك فإن أمير وشريف يصيبهما الإحباط بسبب إحساس الاستغلال الذي يشعرون به حين يضطرون إلى إبداع عمل فني لا يريدونه ولا يحبونه.

وهذه مأساة الفنان في كل عصر.. إذا أردت ألا تتنازل في الفن الذي تقدمه، فيجب أن تبيع موهبتك ولو جزئياً كي تكسب رزقك، فأنا مثلاً لا يمكن أن أعيش



من الكتابة، وبالتالي أمارس الكتابة المحترفة والترجمة للشركات والمؤسسات، فأكتب لهم مواقعهم الإلكترونية وإعلاناتهم المختلفة.. وهكذا، وما أكسبه من عملي أصرف به على نفسي وبالتالي على الوقت المتبقى الذي أجلس فيه لأكتب. هذا بالضبط ما تفعله كايروكي؛ فهي تأخذ أموال كل عقد وتصرف حوالي نصفها على الألبوم القادم، والنصف الثاني يصرف منه على المصاريف الإدارية للشركة، وتوزع الباقي عليهم، وتظل الدائرة تدور بهذا الشكل، وهو ما فاجاني للغاية؛ فقد كنت أعتقد أن الفنان حينما ينجح يصل إلى مرحلة

لا يحتاج فيها إلى أن يقدم موهبته قريباً لرأس المال، ولكن هذه ليست الحقيقة للأسف.

وهنا دعني أطرح سؤالاً اعترضياً: إذا لم يوجد ألبوم، فكيف سيجذب، وكيف ستقام له الحفلات، ومن سيشتري حقوق البث والرعاية له؟ وبالتالي كيف ستظل الفرقة حاضرة في السوق وتزداد شعبيتها

بالشكل الذي يجعل المعلنين يطلبونها؟ كيف ستواصل الفرقة وجودها سواء على المستوى العملي أو الشخصي؟

من هنا تتضح معضلة عدم إجازة عدد من أغاني ألبوم الفرقة الجديد بعد عامين من الجهد المتواصل.. ومن هنا كان رد الفرقة أن ينزل الألبوم بالكامل على الإنترنط، ولذلك كان لابد أن تصاحبه حملة دعائية مختلفة تتناسب اتجاه الفرقة المستقل إنتاجياً، خاصةً مع صدور الألبوم بالمجان، وهو ما يعني أن الفرصة الوحيدة للكسب منه أصبحت على الفضاء الإلكتروني، وهذه معضلة أخرى.

الفصل الخامس

الاجتماع الأول

الصراع المخيف على موعد الصدور

30 مارس 2017

على مدار الأشهر التي قضيتها معهم، كانت الفرقة تقوم بعمل اجتماع أسبوعي مع العاملين معهم؛ بهدف أن يجدوا حلولاً وسيناريوهات ملائمة لإطلاق هذا الألبوم، خاصةً مع التحديات التي تواجهه.

كان الاجتماع الأول الذي حضرته بعد مجئي بثلاثة أيام، بالضبط يوم 30 مارس.. في صبيحة هذا اليوم الريعي المشمس جلس الآتون في الحديقة: أعضاء الفرقة الخامس، أحمد مدحت، باسل، وهادي.

لاحظت أيضاً وجود قط سمين بلوتين الأبيض والأسود يقيم داخل المكتب: فريسكا. وسيثبت بلا جدال أنه أهم أعضاء هذا المكتب، ويجب أن نستأذن



منه قبل أن ندخل أو نجلس في أي مكان حتى لا نقلق راحة سيادته، وهذا بخلاف ثلاثين قطًا من قطط الشارع يروحون ويجيئون ليأكلوا ويشربوا من الطعام الذي يتركه لهم آدم في الحديقة.

يشمل اهتمام آدم كل الكائنات الحية؛ ففي وسط الاجتماع قام وسقى الزرع، ووضع أكلاً لقطط الشارع، كما أعطى عم عبده الإرشادات كي يعالج قطًا مريضاً في منزله.

جلسنا جمِيعاً حول الطاولة في الحديقة، وببدأ باسل الحديث مذكراً إياهم بأخر خطوة كان قد توصل إليها منذ فترة: أنه قد تمكن بالتعاون مع تامر من إتمام عقد جديد لرعاية الفرقة من شركة اتصالات كبرى، إلى جانب عقد اتفاقية بمبلغ ممتاز مع إحدى شركات استغلال الحقوق الرقمية للأغاني على الإنترنت والـ Ringtones (أسأثير إليها بعنوان «شركة الاتصالات» فيما بعد اختصاراً)، كذلك الاتفاق مع محطة الإذاعة الأشهر في مصر على أن تأخذ حقوق إذاعة الأغاني على الراديو، لقاء مبلغ محترم هو الآخر؛



ليصبح كل هذا إنجازاً تاريخياً بالنسبة لهم من حيث الأرقام التي يحصلون عليها بعد إنتاج الألبوم.

إلا أن جرة قلم من موظف غالباً لم يسمع أغاني كايروكي في حياته أطاح بكل هذه الاتفاقيات وعاد بها إلى نقطة الصفر: فلا توجد مؤسسة مالية على استعداد لتبني مشروع يثير القلق واللغط على أي مستوى.

كان قرار الفرقة بعد مداولات كثيرة أن الحل للخروج من أزمة الرقابة هو نشر الألبوم كاملاً مجاناً على الإنترنت.

وأكد باسل أن تنزيل الألبوم مجاناً وعدم وجود CD سيؤثر صراحةً على مختلف مصادر العائد، فقال: «أقترح أن يتم إصدار CD دون الأغاني التي لم تحصل على إجازة، أو تأجيل إصدار الألبوم حتى نقوم بعمل حملة رقمية، نصدر فيها الأغاني غير المجازة فقط على الإنترنت، ونأخذ رأي الناس، ونجعلهم جزءاً



من الموضوع.» ولكن قوبلت الفكرة برفض عنيف من أمير.

لقد كانت فكرة تنزيل الألبوم CD دون هذه الأغاني فكرة مرفوضة تماماً من أعضاء الفرقة؛ لأن ذلك يعني بالنسبة لهم التخلّي عن الفكرة الأساسية التي يمثلونها لملايين الشباب، وهي ثباتهم على موقفهم، وأي تراجع هو تراجع عن مبادئهم التي يحثون جماهيرهم عليها منذ أن بدأت مسيرتهم.

تحدث أمير بهدوئه المعتاد ولكن بإصرار واضح أن هناك رؤية فنية للألبوم، وهي رؤية لا تكتمل إلا باكتمال كل عناصره، وبالتالي فإنه لن ينزل بالأغاني التي تمت الموافقة عليها فقط؛ فالامر ليس مجرد موقف شجاع يخلق بعضًا من النقاش على موقع التواصل الاجتماعي وينتهي عند هذا الحد، ولكنه في الأساس ألبوم موسيقي فني متكمّل، لابد للجمهور أن يسمعه بالترتيب والتنسيق نفسه، الذي قامت الفرقة بوضعه دون تفرقة بين أغانيه.



وأنا جالس من مكانٍ أستطيع مراقبة شخصياتهم الواحد تلو الآخر: أمير عنيد إلى أقصى درجات العناد.. تامر مندفع للغاية، وأدم هو دائمًا صوت العقل، ولكن موقفه الشخصي أيضًا لا يتضح بسهولة. شريف لا يتكلم كثيراً، ولكن حين يفعل يكون بهدف نقض كل ما قيل بصره الشديد وقدرته على الجدال، أما هواري فيبدو عليه الضيق معظم الوقت، ولكنه حين يتكلم فإنه يتمتع بكثير من العمق في تحليله للأمور، وإن كانت آراؤه كلها تتجنب المواجهة وتفضل المowaemات.

تم عمل تصويت حول كيفية نزول الألبوم، وانتهت النتيجة إلى أن الألبوم سينزل بالكامل على الإنترنت ولن يتم تجزئته.. القلق الآن هو إن تخلت عنهم الشركات الراعية فإن عوائده على الإنترنت لن تغطي حتى ربع تكلفته.. وعلى الرغم من رفضهم في أحديتهم معي أن يتم تصنيف كايروكي كفرقة سياسية أو صاحبة أيديولوجية معينة، إلا أنهم في الوقت ذاته يؤكدون أن لديهم رأياً تجاه ما يحدث حولهم، مثلهم مثل كل الشباب دون التفكير في ما إذا



كان هذا سياسياً أو اجتماعياً، وبالتالي، فإن وجود الألبوم لا يعبر عنهم بصدق كان أمراً غير خاضع للنقاش؛ فهذه هي هويتهم ونقطة تميزهم الفنية.

كانت ثمة قضية أخرى تواجه الفرقة في سباقها مع الزمن لصدور الألبوم، وهي مدى ملاءمته للفصل الذي ينزل فيه؛ فالموعد المحدد الآن هو 1 مايو، وأمير يرى أن هذا موعد متأخر لأنه يقترب من الصيف، ولكنه بشكل أو باخر وافق على مضض؛ لأنه ليس هناك اختيار آخر: «بس بشرط منتظرش عن كدا يوم واحد».

كانت هذه قضية يشغل بها أمير أكثر من بقية الفرقة، وهي قناعته التامة أن «نقطة بيضا» ألبوم شتوي وليس صيفياً، وأن تجربة إصداره في الصيف والاستماع إليه في هذه الفترة ستضره كثيراً.. تعجبت حين رأيت هذه النقطة تثار أمامي، فلم أتخيل حين أستمع لألبوم موسيقي أن صناعه يفكرون في حالة



الجو وقت إصدار هذا الألبوم، وأنهم يمضون هذا الكم من التفكير والنقاش والتدبر حول توقيت النزول بهذا الشكل الغريب، فربما يكون هذا الموضوع هو الأكثر نقاشاً في المكتب طوال الأشهر الأربعة التي سبقت نزول الألبوم.

علمت لأول مرة أن لكل تجربة موسيقية موسمًا ملائمة لها، يعلي من تأثيرها أو يقلل منه. وقد أثيرت نقطة مهمة في هذا النقاش، مؤداتها أن الجزء الأول من الألبوم، الأغاني الأربعة الأولى، هي فعلاً الأغاني الأنسب للشتاء، حيث الصراع الداخلي للراوي الذي يعبر عنه بالكلمات متحدثاً عن الوحدة وصراعه مع نفسه والمجتمع من حوله. وهو الجزء الذي يحوي كثيراً من الموسيقى الدرامية والبناء الدرامي والكلاسيكي. أما الجزء الثاني - والذي يتكون أغلبه من أغانٍ شعبية سريعة وخفيفة بعض الشيء - فإنه الأنسب للصيف. ومن هنا كان الجدل حول الفصل الأنسب للألبوم.

المشكلة أن رمضان سيبدأ في السادس والعشرين من الشهر نفسه، أي بعد 25 يوماً من إصدار الألبوم، كما أن الأول من مايو سيتزامن مع موسم الامتحانات، وهي كلها عوامل قد تؤثر في سماع الجمهور للألبوم. وحتى إن استمعوا له فور صدوره، فإنهم حتماً - وفقاً لعادات وتقاليد أغلب المصريين - سيتوقفون عن الاستماع إليه خلال رمضان.. وحاول باسل أن يناقش أمير من هذا المدخل كي يقنعه أن الأول من مايو ليس التوقيت المناسب للصدور.

عاد أمير ليؤكد أن هناك رؤية يجب أن تتبع. وأن الخروج من الأزمة بأقل الخسائر الممكنة هو السبيل الوحيد أمامهم. وطالب الجميع بتوحيد الرؤية: إن نجاح الفرقة هو ما سيأتي بالأموال وليس العكس، وبالتالي فإن الراديو وعقود الرعاية ليست هي السبيل الوحيد للنجاة، وأنهم لن يتنازلوا كي يرضوا أصحاب رؤوس الأموال على حساب القيمة الحقيقية لهم كفرقة.. إن الهدف الرئيسي هو أن يصدر الألبوم وتصل



رؤيته للجمهور, ويجب أن يتم تهيئة كل العناصر لخدمة هذا الهدف وليس العكس.

عاد باسل ليعبر عن مخاوفه وينقل لأمير تخوفه من تفاقم المشكلات بما قد يشكل ضرراً عليهم في المستقبل. ورد آدم أن موقفهم هذا هو جزء من الحمض النووي للفرقة، فهم ليسوا من نجوم التيار السائد الذين ينتقون كلماتهم بعناية كي لا يغضبوا أحداً أو يبحثوا عن الربح المضمون والخضوع لمتطلبات رأس المال، ويفضلون أن يعبروا بحرية عن أنفسهم طالما أنهم لا يؤذون أحداً أو يضمرون أي نية سوء أو يتبعون توجيهات، فقط ضميرهم الفني، ورغبتهم في أن يصبحوا أول من يصدر ألبوماً كاملاً بالمجان وترك علامة جديدة في السوق تغير من قواعد اللعبة كما اعتادوا.

هذه القيم لم أر أياً من الأعضاء الخمس يتنازل عنها أو يعلن استعداده للتنازل عنها حتى بينه وبين نفسه. حتى وإن اختلفت آراؤهم حول تنفيذ هذه الرؤية،



كانت المسألة في النهاية هي بساطة جوهر وجودهم وتميزهم كفنانيين.

كانت لدى تامر مشكلة مع فكرة الاستعجال؛ فكثير من العناصر لم تكتمل بعد ولن تخرج صورة الـband كما يطمحون. وأن صورة الفرقة أمام الجمهوـر، وخروج إنتاجها بمستويات جودة عالمية أمر شديد الأهمية بالنسبة لـتامر.. في الحقيقة هي هوـسه الأـكبر.

لم يحضر سليم هذا الاجتماع. وكان هذا مثار انتقاد من تامر وهوـاري، فـسليم مـسافـر مـعـظم الـوقـت رغم أنه لم يتبق سـوى شـهر وـاحـد عـلـى نـزـول الـأـلـبـوم.. وـانـبرـى آـدـم مـدافـعـاً عـن سـليم، وأـكـد أـنـ الفـكـرة مـن وـراء وـجـودـه هي تـوحـيد الرـؤـية الفـنـية الكـامـلة لـلـفـرـقة: أي إـخـراج الـأـلـبـوم بـأـفـضـل صـورـة مـمـكـنة تـعـبر عـن مـضـمـونـه: مـن تصـمـيمـ، تصـوـيرـ الـقـيـديـوهـاتـ، الصـورـة البـصـرـية لـلـحـفـلـاتـ والـدـعـاـيـة لـلـأـلـبـومـ، وـحـفل إـطـلاقـ الـأـلـبـومـ (كـانـت هـنـاكـ فـكـرة أـنـ يـتم عملـ حـفلـ أـورـكـسـتـرـالـي ضـخمـ يـتمـ منـ خـلالـه إـطـلاقـ الـأـلـبـومـ، وـلـكـنـها أـجـهـضـت بـسـبـب ضـيقـ الـوقـتـ). وـقـالـ آـدـمـ: «ـطـالـما وـثـقـنـا بـه لـلـقـيـامـ بـهـذـا الدـورـ



فيجب أن نعطيه الحرية الكاملة كي يخرج بأفضل ما بداخله. وطالما أنه يقول إنه سيلحق بالموعيد، فإما أن ثق فيه تماماً أو لا، ولكن يجب أن يبذل قصاري جهده، فعدم إجازة بعض أغاني الألبوم قد يعني عدم وجود إعلانات دعائية في الشوارع، أو ظهور في الراديو أو التليفزيون، وهي كلها قوى ضاربة في الدعاية لأي ألبوم.» كان رأي آدم متوازناً بين قلق تامر وهواري تجاه سليم ودفاع أمير وشريف عنه.

عاد أمير ليذكرهم بالأهداف المحددة المطلوب تحقيقها في هذا الألبوم، وهي الأهداف التي كانوا قد اتفقوا عليها في اليوم الأول من العمل على إصداره منذ عامين.. بدأ أمير يقرأ بصوت مرتفع من نوته (لا يحضر اجتماعاً إلا بالنوتة والقلم):

لازم نؤكد أنا فرقة متمسكة من خمسة أفراد «مش المغنى بس».

لازم نؤكد مصادقيتنا و«إننا زي ما إحنا».



لازم نوصل الألبوم وأنه وحدة واحدة «مينفعش تتجزأ».

لازم كل أغنية تأخذ حقها؛ لأن كل أغنية في الألبوم Hit لوحدها.

زيادة القيمة الفنية للفرقة بطرق جديدة وليس بالطريقة التقليدية.

وأكد أمير أن تصوير الـ «11 أغنية» بطريقة «الفيديو سيشنز» هي التي ستحقق هذه الأهداف الخمسة.

وهنا تدخل أحمد مدحت، فشرح أمير للجميع فكرة الـ 11 فيديو الذين سيتم تصويرها جمیعاً في جلسة واحدة، وهي فكرة كان قد توصل أمير وسليم إليها منذ فترة قريبة. الهدف هو أن تصدر الفيديوهات جميعها مرة واحدة، وبالتالي فإن الألبوم سيظهر للناس بشكل غير تقليدي هو الفيديو بدلاً من ملفات صوتية فقط كما كان متوقعاً.. كذلك سيكتب أمير كلمة تقال قبل كل أغنية، ليقوم كل فرد من أفراد الفرقة

بالتحدث عنها قبل أن تبدأ، والهدف من ذلك كما كان يرى أمير هو أن يتم شرح الـ Concept الكامل للألبوم من خلال هذا الـ Script، إلى جانب هدف آخر وهو أن يرى الجمهور بقية أعضاء الفرقة يتكلمون، وبالتالي يصل إليهم مفهوم أن كايروكي فرقة متكاملة لها خمسة أعضاء فاعلون.

دخل تامر وأمير في جدال مثير آخر.. كان أمير يستفز تامر بهدوئه المعتاد. وكان تامر يعود ليتحدث عن حاجسه الأكبر: الألبوم الفيزيائي، ولكن لا أحد يهتم بالأمر مثله.. وكلما شعر تامر أن أحدها يقاطعه أو لا يتركه يقول وجهة نظره للآخر يرفع من صوته ويصرخ، وما أن يصمت الجميع حتى يعود إلى هدوئه مرة أخرى.. أتعجب من هذا الترمومتر غير المستقر.

تامر كما سيحكي لي بعد ذلك مرتبط عاطفياً جدًا بفكرة السي دي، ولا يتخيل أن ألبومًا لـ «كايروكي» لن يكون موجودًا في سيارات الناس وبيوتهم.



- «لتاريخ يا مان! أنا في كل مرة أشعر بالفخر حينما أمسك بين يدي ألبوماً لـ«كايروكي»، ماذا سنفعل بعد عدة سنوات حين تكون لديك المجموعة الكاملة لـ«كايروكي» وليس فيها هذه الأسطوانة.. هناك حلول كثيرة يمكن الوصول إليها، تماماً كحلول نزول الألبوم على النت».

هذا الشغف الذي يحمله تامر للفرقة غريب، ويبدو كقوة جارفة تخيف من حوله أحياناً، ولكن هذا المزيج من الاندفاع، الشغف، الحب الجارف للفرقة، العصبية، الطيبة، والطاقة المفرطة، هو ما يجعل «تامر».. «تامر».

ورغبةً مني في أن أصحبكم معـي في هذه الجلسة الطويلة، سأتركـم معـ هذا الحوار الممتع:

أمير: هل الراديو يذيع حاجتنا أصلًا؟

تامر: آه طبعاً، الناس بتطلبـها وهمـ بيعرضـوها.

آدم: لا.

باسل: هما عايزين يمضوا معاكوا، ويبيذيعوا أغانيكوا، وبالتالي أكيد هيهتموا بإذاعتها.

أمير: لا مش حقيقي.

تامر: أمال هيمضوا معانا ليه؟

أمير: المشكلة مش كدا.. المشكلة إن مفيش Positioning. إحنا بيتقال علينا عيال في الإعلام، بس أي حد تاني Mainstream مهما كان صغير هيبقى نجم.

أمير: هل عندكوا مشكلة مع ال Positioning بتاعنا في الراديو؟

الكل: آه طبعاً.

أمير: إحنا مش لازم نقبل أي حاجة عشان الفلوس.. الأهم هو

ال Positioning، أنا مش هنزل مع حد، سيبك من الراديو دلو قتي.. إحنا أقوى بكثير لما ننزل أغنية قوية



زي «الكيف»، الراديو هو اللي هيشغلها غضين عنه،
ولازم لما يشغلها لأننا كبار، إحنا مش شباب
واعد وغيرنا ميجم ستار، إحنا الميجم ستار.

تامر: الراديو بيجرى ورانا.. أكيد مش شايفنا صغيرين.

آدم: أصلًا الراديو مش حيحترمنا ولا عمره هيدينا
الPosition بتاعنا؛ عشان إحنا مش بنغني هشك
بشك، وفي نفس الوقت هما قلقانيين مننا.

أمير: Daft Punk عمرهم ما هيطلعوا مع چون
ستيوارت، رغم إنهم جامدين (.....)، بس هما ليهم
Identity مختلفة تماماً، حاطين نفسهم في حلة
تانية.

آدم: محطة مستقلة بتعرض شغلنا بحرية دون رقابة:
دا أوافق عليه، إنما مع راديو (...)، دا كلام فاضي.

أمير: الاستنتاج: أي محطة هتاخد الألبوم لازم تقول
قبل كل أغنية «الفرقة الأكثر جماهيرية في الشرق
الأوسط». الذكاء في الPositioning، مش في



هناخد فلوس أد إيه.. إحنا اللوجو بتاعنا السنة الجاية الأسد، عشان إحنا نمرة واحد، ولازم نكون نمرة واحد في أي حنة نطلع فيها، الناس لما بتتكلم بتقول إعلان عادل إمام مش إعلان شركة كذا، هو دا اللي المفروض تكون بندور عليه. زاب عنده Views وFollowers بالهبل، (...) أي حد مشهور، بس لما بيطلع في الإعلام بيقال عليه إيه؟ الشاب الواعد الجميل، أنا الملك في منطقتي: أنا هخلق عالم موازي.. أحط رجل على رجال والناس هتتجي غضب عنهم، إحنا ملوك الحنة اللي هنزل منها، في شركة عملت استطلاعات رأي 3 مرات بنطلع رقم 1.. أنا أعمل حفلة في شارع الترعة مليانية أحسن ما ابقى عملت حفلة في مول ومفيهاش حد.

أمير: التصور بتاعنا مع سليم وأحمد: هتلaci مصر كلها قاعدة بتعمل شير لأغاني كايروكي الجديدة، مش أغنية واحدة.. لازم نتمسك بشخصيتنا بتاعت أول ناس تعمل حاجة. كل واحد هيعمل شير لحاجة غير الثانية.. الناس لازم تقول كايروكي بقالهم سنتين



بيعملوا حاجة بنت (...), ممكن أعمل كل يوم أغنية (سينجل) بس إحنا مش بنعمل كدا.

تامر: أنا عايز أعمل سيديهات، هنعمل سيديهات ونحطها في الحفلات وممكن نوزعها بيلاش، مينفعش ألبوم ينزل ومكونش في سي دي ، عشان تاريخنا.

باسل: نحط السيديهات هدايا مع علب سجاير.

آدم يسب ويلعن..

تامر: فين ال ShowReel بتاع الناس اللي هتشتغل معانا؟

آدم: لو سليم خيّش، هنعمل إيه؟

أمير: ما لو شريف خيّش وملحقش يخلص هنعمل إيه، نفس الحكاية؟

هواري: يا إما نشق فيه يا إما بلاش.

آدم: إحنا كدا حاطين البيض كله في سلة واحدة.



يتكلم الكل في نفس الوقت بعصبية شديدة إلى أن ينتهي الاجتماع فجأة.



الفصل السادس

آدم

في أواخر إبريل 2018 أصبت مصر، والقاهرة بالأخص، بعاصفة ممطرة لم نشهد مثلها من قبل. كنا جالسين في المكتب نستعد لمشاهدة مباراة ليقربيول وروما في تصفيات بطولة الأمم الأوروبية وكلنا حماس لمشاهدة معجزات محمد صلاح المتتالية مثلنا مثل ملايين المصريين والمتابعين حول العالم.

فجأة أمطرت السماء بشكل جنوني، وما أن بدأ صوت الرعد يظهر حتى انتفض آدم من على كرسيه وبدأ يدور في أرجاء المكتب في قلق متوتر. كانت إحدى القطط المجاورة لمنزله قد ولدت ثلث قطط صغارٍ منذ أيام قليلة، وكانت حالتها ميؤوسًا منها لضعفها الشديد وعدم اهتمام أمهم بها، ولكن آدم كان متمسكًا بمحاولة رعايتها؛ أملًا في أن تنجوا جميعًا أو بعضها. مع تقلب الجو المفاجئ انتابه خوف عليها من البرد والمطر.. خرج عدة مرات فوجد أن القيادة بالسكتر



حتى منزله ضرب من الجنون في هذا الجو العاصف.. طلب سيارة وأخبرنا أنه سيحاول العودة قبل المباراة.

حين وصل آدم للمنزل وجد أن القطة قد وضعت ابنتها الأكثر صحة في علبة وحدها وتركت الآثنتين الآخريين وحدهما، وهي عالمة على أنها قد فقدت الأمل في نجاتهما.. وجدهما مستيقظتين ولكن في حالة هزال مخيف.. حاول قياس حرارتهما بالترمومتر ولكن الجهاز لم يستجب لأن حرارتهما قد انخفضت تحت الـ 33 مئوية، وهو ما يعني عملياً أن الحياة قد غادرت جسديهما الصغيرين.

هرع بهما إلى شقته بسرعة، وضعهما على المدفأة وبدأ في تجفيفهما بمجفف الشعر، أعطى كل منهما حقنة كورتيزون وانتظر.. كان يريد أن يطعمهما، ولكنه لا يستطيع إلا بعد أن تعود الحرارة إلى طبيعتها عند الـ 38 درجة.. ظل كل ساعة يقيس الحرارة، وأخيراً، في الرابعة فجرًا، بدأت القطتان الصغيرتان في الاستجابة فأطعمهما ونام مرهقًا.. استيقظ في الصباح ليجدهما



يتحركان بكل خفة في أرجاء المنزل... لقد عادت إليهما الحياة.

وهذا هو آدم.

قابلت آدم أخيراً بعد أكثر من شهر ونصف من بدايتها مع كايروكي.. ومثل هواري، أتى ذلك اللقاء فجأة بعد رسالة أرجووه فيها أن نتقابل. أخبرني في لحظتها أن أقابله في خلال نصف ساعة في إحدى كافيهات شارع 9؛ إذ كان قد ألغى موعدين من قبل في اللحظات الأخيرة.. توجهت على الفور هناك وكلی حماس لأجلس مع العضو الخامس لـ«كايروكي» والذي أستشعر بوضوح عدم حماسه لمقابلتي.

وصل آدم مع زوجته راندا، وهي ابنة خالته.. مصرية ولدت وتربيت في كندا. ولا تتحدث العربية رغم أنها تفهمها جيداً، وهو حريص طوال الوقت أن يحدثها بها ربما ليكسر لديها هذا الحاجز. تحدثت معي عن كونها نباتية لا تأكل اللحم أو تشرب أي شيء من منتجات



الألبان، وهو ما أقنعت به آدم الذي تخلى عن أكل اللحوم منذ أكثر من عام، وصار نباتياً متطرفاً ذا رأي عنيف في هذه المسألة.

في مذكرتي أضفت هذه المعلومة إلى نقاط هوسه الأخرى: حب الحيوانات وكره التدخين.

«الحيوانات هم أصدقائي، وأنا لا آكل أصدقائي».

ولد آدم في السادس عشر من يوليو عام 1985 في أستراليا وعاش بها حتى سن الثامنة ثم عاد إلى مصر، وسكن مع أهله في شارع 5 بالمعادي.. كانت مدرسته على مسافة بضع دقائق سيراً على الأقدام من بيت تامر وأمير.

تعرف آدم إلى بقية الشلة من نادي المعادي، وكان من أكثرهم شقاوة، يملك قلباً شجاعاً جعله يدخل عدة معارك وخلافات، كان لديه الغضب نفسه الذي يتملك صديقه أميراً بعد انفصال والديه وسفر والده للعيش وحده في أستراليا وهجره لأسرته الصغيرة؛ مما جعل



الطفل الصغير يتعارك مع الحياة بعنف رغم أخلاقه الدمثة؛ بسبب حرصه على ألا يوصم بأنه «ابن الناس الكويسين» الذين يسكنون المعادي الجديدة؛ خاصةً أن مدرسته كانت في المنطقة الأكثر خشونة التي يسكنها بعض من أصدقائه.

ويحكي لي أحد أصدقائهم عن إحدى المعارك التي خاضها بصحبة آدم منذ سنوات بعيدة: «كانا يسيران في أحد ميادين المعادي حين عبر بجانبهما شاب أفريقي مفتول العضلات - بدا بحلقة رأسه المميزة ونظارته الشمسية كأحد حراس السفارات - وبصحبته فتاة، ولسبب أو آخر ظنَّ أن آدم قد عاكسها، فتوجه إليهما بالسباب.. عبر آدم الطريق بهدوء ونظر إليه من أسفل إلى أعلى، كان طوله يتخطى طول آدم بكثير.. ولكن آدم عاجله بقبضة في وجهه طرحته أرضاً، ونزل عليه بسيل من اللكمات والركلات. وحين صرخ الشاب الأشقر: «أنا بسبوري أمريكي»، أجا به آدم كأي مصربي أصيل وبلهجة أسترالية سليمة: (...) I don't give a (...).

هذه واحدة من عشرات القصص التي سأسمعها عن عراكات آدم وأمير وتأمر المستمرة.. ولكنني أستغرب كثيراً من أن ذلك الشاب الهدى الذي يعد رمانة ميزان الفرقة يمكن أن يصدر عنه كل هذا.

كان آدم عاشقاً للحوم والسجائر اللذين يتناولهما بشراهة، وتخلى عن كلا الأمرين إلى غير رجعة حوالي عشر سنوات حتى الآن، ولا يزال يذكر إدمانه لهما بكثير من الندم وكأنه يريد أن يمحوه من حياته؛ إذ إنه هو من علم أمير كيف يشرب السجائر في الإعدادية، وكان يستقبل المجموعة في منزله حيث كان يعيش مع جدته معظم الوقت لظروف عمل والدته، ويشتراك مع تامر في قرب كليهما من جدته، وكانت تجيد عمل أصناف عظيمة من الطعام واللحوم لا يزال الجميع يتحاكي عنها حتى اليوم.. تماماً كما يتحاكي آدم عن شخصيتها القوية والعنيفة ولسانها الذي لم يكن يرحم أحداً.

تعرف آدم إلى أمير من النادي. وكانت معرفة سطحية حتى وصلا إلى سن 12 سنة.. تقابلا مرة وكانا



يشعران بالملل، فأخذوا يلعبان الكرة طوال النهار، يضربانها في الحائط وت رد مرة أخرى، وفي آخر اليوم سأل أمير: «سأسافر إلى العجمي مع أمي غداً، هل تحب أن تأتي؟» ووافت والدة آدم على غير العادة فصارا من وقتها صديقين مقربين.

كذلك تعرف آدم إلى هواري من النادي؛ «كنت أستغرب هواري الذي يرتدي سالوبيت جينز وتحتها تي شيرت بيضاء، وكان هادئاً ومهذباً بشكل مبالغ فيه».

وكبرت الشلة حتى أصبحت تضم آدم وهواري وأمير وعمر وعماشة ويوف وهيثم (الذي سيسبق آدم في الفرقة بعد سنوات لاعباً للبيز جيتار)، أما تامر فقد انضم إليهم بعدها ببعض سنوات؛ لأنه كان يذهب ويعود إلى عمان كثيراً، وأقام فترة في مدينة نصر، وكان يستمع للمusic العربية أكثر من الغربية على عكس الباقي، وبالتالي لم تتح الفرصة لأن يصبح قريباً منهم جميعاً، وإن كانت صداقته بأمير قد بدأت منذ سن السادسة تقريباً، ولكن في إحدى حفلات الميتال في «فاميلي لاند» ذهب معهم تامر بالصدفة رغم أنه



لم يكن يعرف شيئاً عن هذا النوع من الموسيقى، ولكنه تفاعل بشدة معها وأصبح قائداً لـ Head-banging بشعره الطويل وقلده الجمهور، ومن يومها لم يفترق الجمع.

«كنا في مجموعنا عشرين صديقاً من مختلف المدارس يجمعنا إما نادي المعادي أو الشارع ووقفات الكشك».

ويحكي لي آدم بكثير من الشغف عن أيام المراهقة التي قضوها في بيت أمير: «كنا مجموعة من الانطوائيين لا نحب الخروج كثيراً، ملتزمون للغاية بالتحرك داخل حدود المعادي ونبعد عن العالم خارجها.. كنا نجلس في بيت أمير نستمع للموسيقى ونتحدث عنها بالساعات. كثيراً ما نلعب فيها على الكمبيوتر ثم البلائيستان، أو بولة استيميشن يوم وقفه العيد يشاركونا فيها كريم أخوه أمير الأكبر. ولكن مهما كان النشاط الذي نقوم به في المنزل فإن الموسيقى موجودة على مدار الساعة لا تتوقف.. نستمع على الكاسيت الهيتاشى لشرائط بينك



فلويد وميتاليكا وإريك كلابتون وبوب مارلي ورولنج ستونز وجانز أند روزين، وكانت كلها غالباً شرائط كريم».

لقد جعل أصدقاء أمير الكثيرون المنزل كخلية نحل، دائمًا لا يقل عدد المتواجدين عن 5 أشخاص وقد يصل إلى 15، كانوا متحررين من فكرة رقابة الأهل هناك.. يضحكون ويتكلمون ويلعبون بصوت عالٍ بحرية شديدة.. فقط السجائر كانوا يدخنونها خلسةً أمام المنزل؛ خوفاً من أم أمير التي لم تكن لتسامح مع هذا الأمر في سنهم الصغيرة تلك.

كانوا يلعبون الكرة كثيراً.. كل خميس وجمعة يلاعبون فرقاً في النادي: «كنا نكسب بالإصرار والعناد وليس بالمهارة.» كانوا يقضون وقتاً أمام كافيه في دجلة اسمه الشادر.. كانوا يجلسون به ثم كبروا قليلاً وصارت معهم سيارات فأصبحوا يجلسون خارجه على سياراتهم كما اقتضت الموضة حينها.. يتحدّثون ويدخنون ويسمعون كثيراً من الموسيقى.



كانت الموسيقى المفضلة لآدم كل الموسيقى الجديدة والمنتشرة وقتها. وحينما قابل أمير.. وجده مجنوناً بميتاليكا، ويعتبر أن أي موسيقى أخرى «أي كلام». وميتاليكا هي من الفرق التي شكلت عند أمير رغبة أن يكون فريقاً موسيقياً - في يوم ما - بسبب انبهاره بهم.. لم تكن لدى آدم فكرة الولاء العنيف لفرقة بعينها.. كان يبحث عن الجديد طوال الوقت. أحب ميتاليكا من أمير، وبدأ يتعرف إلى عالم الروك وانطلق يستكشفه مع نفسه: كورن، System of a Down، نيرvana، Disturbed، كما بدأ يستمع لكولدبلاي مبكراً، وظل أمير يرفضها حتى أغنية The Scientist التي مسته بقوة.

«أما هواري فلم يكن يستمع إلى ما يسمعه من حوله.. كانت اختياراته دائماً غريبة ومختلفة. فأول مرة أعرف فيها Marlyn Manson، System of Down، Linkin Park قبل أن يشتهر أي من هؤلاء كانت من هواري.. كان دائماً سباقاً وغريباً في ذوقه المتنوع».



سرعان ما مرت أيام الطفولة والمراهقة الها媢ة؛ ففي سن الـ 16 سنة عاد آدم إلى أستراليا مرة أخرى؛ كي يدرس الهندسة هناك حيث قضى خمس سنوات وهو يعاني من الوحدة والاكتئاب.. ظن في البداية أنها ستكون فرصة لإعادة بناء علاقته مع أبيه الذي غاب عنه أكثر من عشر سنوات، ولكن هذا لم يحدث.

كان شعور الغربة يقتل آدم.. كان سعيداً بحياته في مصر ولم تشكل له أستراليا التي يحمل جنسيتها أي إغراء كي يشعر بالانتماء إليها. بالطبع كانت جودة الحياة والدراسة تختلف تماماً عن مصر، ولكنه كان في قراره نفسه يفتقد ذلك السلام وخلو البال الذي قضاه في الطفولة: «يوم أن سافرت انهار تامر في البكاء، وظل يردد أنه لن يراني ثانيةً وحاول حتى اللحظات الأخيرة في المطار أن يثنيني عن السفر، من يومها كرهت الوداع في المطارات وأفضل دائمًا أن أتوجه إليه وحدي في تاكسي».

كان آدم يمضي الوقت بالتحدث مع أصدقائه عبر الإنترنـت، وأخبروه أنهم قد قرروا تأسيس فرقـة



موسيقية اسمها (بلاك ستار) مكونة من أمير وهواري و تامر و كريس على الكيبورد وهيتم على البيز جيتار .. كان هواري هو الذي خرج بالاسم (غيروه بعدها ببضعة أشهر للاسم الذي نعرفه حالياً، والذي كان اقتراحًا من هواري أيضًا، ولا يزال الاسم الأول باقيًا بفضل مجموعة من المعجبين المخلصين للفرقة التي اتخذته اسمًا لها).

كان أصدقاؤه يرسلون له أغانيهم الجديدة مثل «غرة» و غيرها .. شعر آدم بالغيرة؛ لأنهم فاجئوه بهذه الخطوة الجريئة والتي لم يكن أحد يتوقعها .. كانوا قد شكلوا الفرقة بعد أن أخذوا بعض دروس الجيتار والدرامز و اشتروا معداتهم الموسيقية الخاصة .. قرر آدم أن يتعلم آلة موسيقية هو الآخر، و يؤنس وحدته في الغرة بها عليه يعود يومًا ما فيلعب مع أصدقائه، ولكنه ظل يؤجل القرار ولم يقدم على الخطوة إلا بعد حادث أليم مر به.

في أحد الأيام الصيفية، وعلى أحد شواطئ المحيط الهادئ كان آدم يلهو مع أصدقائه، وقرر أن يقفز فجأة إلى الماء، ولكن عمق المياه لم يكن كافياً، فارتطم رأسه بصخرة بأسفل، وشرخت فقرات في عنقه، وكان قاب قوسين أو أدنى من الشلل التام.

أخبرته أن هذا يذكرني بما حدث لبطل الفيلم الإسباني الشهير «The Sea Inside»، فأكيد آدم أنها القصة نفسها بالضبط، ولكن مع فارق أنه كان محظوظاً أن الحبل الشوكي لم ينقطع.

وأنا أنظر للآثار الباقية على رأسه تخيلته شاباً صغيراً في مقتبل العمر يصاب بحادث كهذا وهو يعيش وحده في النصف الآخر من العالم، يقول: «عرض علي الأطباء أحد خياراتي، إما عملية جراحية أو أن أعيش بجهاز مثبت على رأسي وكتفي لمدة ستة أشهر دون حركة، وبعدها إما أن أعود طبيعياً أو تفشل وأضطر في النهاية للجراحة، والتي إن فشلت لا قدر الله، فقد أعيش مشلولاً طوال حياتي، فأي حركة بقدر

مليئات بسيطة كفيلة بأن تقطع الحبل الشوكي في أي لحظة».

أصر آدم بجنون مطلق على خيار التثبيت والبعد عن الجراحة عكس نصائح الأطباء.. كتب تعهداً يخلي مسئoliتهم، قاموا بتثبيت الأداة المرعبة، وعاد للمنزل ليبدأ رحلة التعافي لمدة ستة أشهر، كانت كل لحظة منها «عذاباً لا يوصف» كما يقول.

وحتى اليوم إذا جلست قريباً منه ستجد آثار المسامير التي ثبتت بها الآلة على جبهته وفي رأسه؛ إذ كانوا قد أدخلوها لدرجة أنها نخرت العظام وأعادت تشكيلاها للأبد.

أول آلة موسيقية اشتراها آدم كانت جيتار فيندر ستراوكاستر مثل الذي يستخدمه إريك كلابتون، وكأنه أصبح نجم روك فجأة! ولكن الحقيقة أنه ظل يسدد ثمنه في عدة أشهر.

ومع وجود كثير من الوقت بين يديه وهو مراقب في الفراش، أخذ بعض الدروس على الجيتار ثم بدأ في استكشاف الآلة الموسيقية وحده مستخدماً الإنترن트 تماماً كما كان يفعل أصدقاؤه في مصر.. بدأ في كتابة وتلحين الأغاني وغنائها بصوته وإرسالها لهم. يقول آدم إنها كانت كلها سيئة. ولكن منها أغنية اسمها (ساقية) يحبها تامر للغاية.

بعد فترة ترك آدم الجيتار لشعوره بالملل وتعلم الساكسفون.

شفى آدم من الحادث، وبدأ يعود إلى حياته الطبيعية، ولم يكن يتبقى له سوى عام ونصف؛ ليصبح خريجاً للهندسة من واحدة من أكبر جامعات العالم، ولكن الغربة والحادث كانا قد أتيا على كل ما بداخله.. لم يعد يتحمل البعد عن الأصدقاء طوال هذه الفترة.

عاد إلى مصر ودخل الجامعة من جديد؛ حيث درس إدارة الأعمال مع هواري وهيثم. كان هواري يعيد

السنوات؛ بسبب عدم حضوره؛ لأنّه كان مهوساً بالموسيقى والفرقة التي كونها حديثاً مع أصدقائه. أما آدم فكان قد حدد أهدافه في الحياة منذ وقت مبكر: أن يعمل في الـ Corporate Life ويبني لنفسه مساراً مهنياً Career يتتطور مع الوقت. عمل أثناء الجامعة في شركة اتصالات في مجال المبيعات، وانبهر بأنهم أعطوه سيارة وهاتف بلاكبيري ولاابتوب وهو لا يزال طالباً.. حقق أرقاماً جيدة، واستقال بعد عام لأنه شعر بالملل.. بدأ بالعمل مدرساً للغة الإنجليزية بإحدى المدارس الأجنبية، وكان في هذه الفترة يلعب ساكسفون مع الفرقة من باب التسلية، ولكنه لم يكن عضواً أساسياً بها.

يذكر آدم من الأغاني التي لعب فيها ساكسفون: «الفول واللحمة»، «عاشر سبيل»، وأغنتين آخريين.

«في هذه الفترة كان هناك نوع من الـ «تناطح» بين هيتم وأمير؛ فكلّ منهما يتميز بعناد رهيب وشخصية قوية، ويتمسك بموقفه ولا يتراجع، وكان من الواضح أنّ هيتم كانت لديه هذه الشخصية العدوانية العنيفة



كتلك التي يتمتع بها أمير، ولكن مشاهدتها معاً كانت شيئاً مضحكاً».

قرر هيتم فجأة أن يترك البايند؛ لأنه تلقى عرضًا مغرّياً في مجده المهني، وهي الفترة نفسها التي غادر فيها كريس عازف الكيبورد للسبب نفسه. وهنا أعلنت كايروكي عن احتياجها لعازفي بيز وكيبورد.. حضر آدم مع أصدقائه الاختبارات الخاصة بعازفي البيز، وأحبط من سوء مستوى المتقدمين، فقرر أن يشتري بيز جيتار ويتعلمه في عشرة أيام فقط تفصلهم عن حفل مهم في الساقية.

يومها أخذ تامر آدم جانبًا ونظر إليه بنظرات مهددة: «هذا قرار مهم. وأنت إنسان هوائي ومتrepid تغير رأيك كل لحظة، والأفضل أن تقرر الآن إن كنت ستلعب أم لا؛ لأنك لا يمكن أن تغير رأيك مستقبلاً، ستعتمد عليك»، فأكمل له آدم أنه لن يغير رأيه، وهو الوعد الذي خالفه بعد الشهرة المدوية للفرقة في أعقاب الثورة حين عاد للعمل في شركة الاتصالات مرةً أخرى.

أما بينه وبين نفسه، فلم يكن آدم يدرى بالمرة ما الذي جعله يأخذ هذا القرار.. لم يكن حبًا بالموسيقى ولا شغفًا بالألة ولا شيئاً من هذا القبيل.. بل كان قرارًا عقلانيًا بحثًا: «لم أكن يومًا موهوبًا موسيقيًا في الجمل اللحنية أو العزف، ولكنني لدي موهبة فطرية في الشعور بالتوقيتات، وهذا بسبب مخي التحليلي البحث، فشعرت أن البيز الذي يعتمد على الـ Timing سهل بالنسبة لي».

في ذلك التوقيت نفسه، كان يتم اختبار لاعبي الكيبورد، وحضر آدم اختبار شاب صغير لا يزال بعد في المدرسة «كان اختباراً مضحكاً جدًا. لم يكن مستواه سيئاً، ولكنه كان سخيفاً.. حين سأله تامر إن كان قد لعب حفلات من قبل أظهر له شريف تهكمه وأجاب باستهزاء. انتاب تامر الذي يراه لأول مرة غضب عارم وسأله لم ترد بهذه الطريقة؟ فرد شريف ببساطة: «لأن هذا سؤال غبي!» ومنعوا تامر من الانقضاض عليه.



كان الاختبار قد بدأ متأخراً ساعة ونصف، وكان شريف محتقناً هو الآخر.

«بعد أن ذهب شريف جلسنا للتشاور حول قبوله أو لا.. رفض تامر باندفاعيته المعروفة، بينما رأى أمير أن شريف صغير ويمكن أن يتشكل بطابع الفرقة بسهولة، وهذه ميزة ستنتفع في المستقبل، أما أنا فكنت أرى أنه ابن ناس وهذا يكفي؛ لأنه يشبهنا بشكل ما، كما أنه يبدو موهوباً».

وبعد حوالي شهر كان كل من آدم وشريف يقفان على خشبة المسرح يلعبان لأول مرة أغاني الفرقة المغمورة التي كونها طلاب جامعة صفار.. كان ذلك غالباً في أكتوبر 2007 (ذاكرة جميع أعضاء الفرقة سيئة فيما يخص التواريخ، ولذلك إن وجدت تضارباً في بعض الأحيان فذلك لأنني قد استنفدت كل الطرق التي تتبيح لي معرفة التاريخ الدقيق).

وجد آدم نفسه في البيز، حيث إنه ليس في الواجهة بل إنه يختبئ بعيداً عن الأضواء، وهو ما يناسب



شخصيته الانطوائية، كما أنه يصادف هو في نفسه وميله الطبيعي للGroove.

ظلت علاقتي بآدم في الفترة الأولى لا تتخطى ملاحظاته العابرة عن عدم أهمية الكتاب وتأثيره؛ لأنها على حد قوله «مش فارقة». وبعد أن بدأنا نتكلم أكثر لاحظت أنه يكرر لفظ «مش فارقة» و«مفيش فايدة» كثيراً.. تعجبت من هذا الشعور العدمي؛ خاصةً أن مواقفه وما يحكيه الأصدقاء عنه ينافي هذه الفلسفة العجيبة التي يعتنقها.

والتعليق الذي أسمعه من كل ممن حوله هو أنه أكثر شخص لديه «حنية» وقدرة على التعاطف مع الآخرين. ويشهد على ذلك ليس فقط اهتمامه الدؤوب بالحيوانات، ولكن أيضاً كم المواقف التي لا تحصى، والتي يحكيها الجميع عن «جدعنته»، وحبه لأصدقائه وتحمله للمسؤولية، فالمقولة الرائجة في محيط أصدقاء المعادي تؤكد ذلك: إذا قمت بعمل حادث

سيارة، اتصل بآدم.. إذا مات لك شخص عزيز ولا تعرف كيف تتصرف، اتصل بآدم.. إذا كنت ستدخل لإجراء جراحة وتريد من يقف بجانبك يجب أن تخبر آدم.. وكذلك في وصف الأدوية وعلاج الحيوانات وشراء أثاث المنزل واستقدام العمال والمشكلات القانونية التجارية والمالية الزوجية، وكيفية التعامل مع السفارات والعراكات مع الأهالي أو الإدمان والإحساس بالوحدة والاكتئاب وزيادة الوزن أو فقدانه... كلام آدم.

صدقني أنا لا أمزح، كل مثل ضربته هنا شهدته بنفسي في عشرات المواقف مع آدم.

يأخذ أمير وشريف على آدم انطوائيته واهتمامه الشديد ببيته وزوجته والحيوانات بشكل يرونه يأتي على حساب الفريق. وأدم شخص انطوائي بطبيعته، يرفض الخروج من المنزل إلا للضرورة.. يفضل الجلوس ورعاية الحيوانات التي يزيد عددها عن



الأربعين في حديقة المنزل، ورعاية زوجته إلى جانب ممارسة دوره في إدارة الفرقة من الناحية المالية.

«لقد اخترت منذ البداية أن أساعد زوجتي على التأقلم على الحياة في مصر.. لقد وجب أن أقوم بهذه التضحية، فرغم أنها ابنة خالتي، إلا أنها قد ولدت وتركت وعاشت حياتها بالكامل في كندا، وحين أتت إلى هنا صدمت ب مدى صعوبة الحياة، فلم تستطع التحرك أو الخروج ورفضت أشكال التفاعل كافة مع الحياة في مصر، وكان عليّ أن أختار ما بين أن أتركها تواجه كل ذلك وحدها أو أن أقف بجانبها لبعض سنوات حتى تتأقلم ولا تشعر بالغربة».

وتحدثنا كثيراً ومطولاً عن هذه النقطة، فهذا بالضبط ما حدث معي في زواجي السابق من زوجتي الأجنبية.. حين أتينا إلى مصر صدمت من الحياة بها وأرادت مني التفرغ التام لرعايتها في هذه الغابة «الموحشة» المسماة مصر، وهو ما رفضته منها شكلاً و موضوعاً ورفضت التعامل بهذا المنطق.. لم أكن أريد



من يجعلني أكره البلاد التي أحبها كثيراً مهماً كانت الحياة بها قاسية.

«ولكني في النهاية لا أقصر أبداً في دوري؛ لأن أمير وشريف يتوليان الناحية الفنية، بينما أقوم أنا بدور لا يقل أهمية في إدارة الشئون المالية بالكامل، وهي مسألة ليست سهلة على الإطلاق، ولكنها لا تتطلب تواجدي كل يوم لمدة 12 ساعة في المكتب». وبمازحني وهو يضحك: «دول Losers ما تسمعش كلامهم، فاهمين الحياة غلط وفاكرين إن الشغل 24 ساعة في اليوم هو الصح، أنا باستمتع بالتوازن في الحياة».

والتوازن، إلى جانب الزهد والرضا والتخلي، هي مفردات تشكل مفهوم آدم ورؤيته للحياة: «دوري في الفرقة دائمًا هو تحقيق التوازن بينهم جميعاً؛ فكل الأولاد يتمتعون بشخصيات شديدة الاختلاف.. فكما ترى تامر يريد أن ننجح تجارياً وننافس الكرة الأرضية، بينما أمير يرى أننا نحتاج لأن نخلق مساحة جديدة كلّياً؛ لأنه دائمًا مهموم بفكرة مقاومة السائد



وبناءً طريق بديل، أما أنا فأقف في المنتصف: الواقعية المفرطة في التعامل مع الأمور كما تأتي تباعاً، دون آمال أو طموحات عريضة، ولم يحدث أبداً أن أردت أن أغير العالم؛ فالعالم كما هو لا يحتاج إلى تغيير، يحتاج فقط إلى أن نتعلم كيف نتعايش معه».

هذه الفلسفة تجعله محط اتهام دائمًا بأن موقفه غير واضح وأنه يغير رأيه بسرعة وسهولة. وهذا أمر طبيعي بالنسبة لشخص لديه تلك القدرة على أن يتبنى منظور الآخرين وبشعر بهم، فهو يضع نفسه مكان من أمامه وبالتالي يتفهم وجهة نظره فيوافقه؛ لأنه ببساطة ليس مهتماً بإثبات أي شيء لأي شخص.

ودائماً ما يصف الأصدقاء جميعهم من داخل الفرقـة وخارجها آدم بأنه وحيد وكئيب وانطوائيٌّ، خاصةً مع إصراره على أن «كل شيء يتساوی مع أي شيء آخر» و«مفيس حاجة بتفرق أو تتغير»، إلا أنني أرى أن هذا الإحساس المتآصل داخله، إنما يأتي من شعوره التام بالرضا إلى حدٍ يجعله يتخلى عن أي شيء يراه زائداً



عن الحاجة، فمن أكثر الجمل التي يرددتها أمامي: «لقد منحني الله كل ما كنت أرجوه أو أتمناه من هذا العالم، بل وأكثر مما كنت أطمح إليه؛ لذلك ليس لدي شيء أشكو منه.. لقد كان كل أملِي في الحياة أن أظل بصحَّة جيدة وأعمل في وظيفة من 9 - 5 وأجمع بعضاً من الأموال، ولكنني فوجئت بأنني أعمل شيئاً أحبه مع أصدقاء عمرِي الذين أحبهم وأكسب مالاً لا يأس به، والحمد لله صحتي جيدة ومن أحبهم بخين، ماذا يحتاج الإنسان أكثر من ذلك.. بيت أكبر؟ سيارة أحدث؟ هذا محضر هراء».

ولكن آدم أبى أن ينهي حواره الأول معِي دون جملة محبطة: «أرجوك لا تفهمني خطأ، أنا لست مهتماً بالكتاب ولا بما يراه الناس أو يعتقدونه؛ ليس لأنني لا أقدر مجهدك، ولكن فقط لأنني لا أهتم بشيء على الإطلاق».

ولكن مع الوقت سيمكتشف لي مدى عدم صدق هذه الجملة. فآدم يهتم. ويهتم بشدة أيضاً، ولكنه كل أصحاب الشعور الصادق والعميق يحاول قدر الإمكان



إظهار العكس حتى لا يتالم؛ فتألم الإنسان بالغ الحساسية أمر شديد البشاعة قد يقتل أحياناً.

ويحدثني آدم بصوته المميز الذي تتعرف إليه ما أن تسمعه عبر الهاتف: «انظر حولك إلى مدى وحشية الإنسان.. وحشيته في التعامل مع غيره من البشر، الاستغلال والعبودية والقتل والحروب.. ووحشيته في التعامل مع غيره من المخلوقات، كيف تؤمن بأن هؤلاء البشر، أو حتى هذه الدنيا بأكملها، تحمل خيراً؟ أو تستحق أن نحارب من أجلها؟ لقد فقدت الأمل منذ أمد بعيد».

ولكني أتمكن بخبث أن أضيق الخناق عليه: «ولتكن تساعد كل من حولك. سواء كانوا أصدقاءك.. الحيوانات.. الغرباء حتى إنني لم أر أحداً يهتم بالآخرين ويرعاهم مثلك». فيجيبني: «الحيوانات والأطفال ممكناً؛ لأنهم لم يفقدوا البراءة بعد، وبالطبع أساعد الآخرين؛ لأنني مؤمن بأنك يجب أن تبدأ بنفسك، مهما كان التأثير قليلاً، ومهما كان الوضع سوداويًا. ربما يكون هناك أمل، ولكنني لاأشغل بالي



بذلك كثيراً.. فقط أفعل ما أستطيع أن أفعله: أن أقدم يد العون لمن أستطيع وبقدر طاقتى، ربما إن فعل كل واحد منا ذلك يصلح حال الدنيا، ولكن هل يفعلون؟ يظل هذا هو السؤال».

ربما لا يرى آدم قيمةً في الدنيا، وربما لا يهتم برأي الناس، ولكنه بكل تأكيد يهتم بالبشر؛ خاصةً أبناء جيله، ويؤمن إيماناً لا يتزعزع بالكلمة التي تقولها كايروكي.

الفصل السابع

قبل الوصول

2003 - 2010

«حب الشهرة لا يخلق فنًا.. حب الفن والإخلاص له يأتي بالشهرة،

وإن لم تأت، فلا مشكلة».

كل عضو من كايروكي قال لي هذه الجملة بشكل أو آخر.

واثمة جملة أخرى أيضًا: «إحنا بنلعب مزيكا عشان نتبسط، من أول يوم لحد إنها ردة».

ساعدتهم هذه الفلسفة على الصبر طوال السنوات السبع العجاف التي مرّوا بها في بداية مسيرتهم (2003-2011)، حتى وإن كان هذا الصبر بدرجات متفاوتة.



ويؤكد لي شريف وآدم: «كانت لدى أمير رؤية دائمة بأن كايروكي ستحقق شيئاً ما في يوم من الأيام، ولكنه لم يكن يعرف كيف ومتى. ومهما بلغ بنا الإحباط وتمكن منا إلى حد اليأس والاستسلام، كان أمير يرفض ويتمسك بالحلم بجنون ويوافق عمل الأغاني. لم يكن أحد يتخيّل أن ثورة ستحدث، وأن العالم الموسيقي سينقلب رأساً على عقب. وأن الناس سترفض النجوم القدامى الذين تأخروا كثيراً في الانضمام للثورة وتمسّكوا بولائهم للنظام القديم، فكرههم الناس، وبدعوا يبحثون عن بدائل وعن صوت جديد، يعبر عن المرحلة وأمالها، ويتخلون عن أغاني الحب والوطنية الفارغة التي ظلوا محصورين فيها سنوات طويلة.. وهنا كانت لحظة كايروكي».

وكما يؤكد أمير تكراراً: «لولا هذه السنوات السبع التي سبقت الثورة، والتي عملنا فيها بكل إخلاص وجربنا خلالها معانٍ الفشل والتجاهل والإحباط، لما كنا قد تمكننا من الاستمرار والنجاح بعد «صوت الحرية».



كانت الفترة من 2003 حتى 2011 مليئة بالإحباطات بالفعل. وهي فترة يجهلها الكثيرون عن كايروكي، فكل من يشهد نجاحهم اليوم يظنهم مجموعة من الشباب قرروا أن يكتبوا الأغاني.. وفي غضون شهور بسيطة خلال الثورة سطع نجمهم وأصبحوا مشاهير، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فقد كانوا يقضون وقتهم منذ حفلتهم الأولى عام 2003 يتدرّبون ويتعلّمون على آلاتهم و يؤلفون الأغاني، ويلعبون في التوادي الليلية دون جمهور، وينظرون للمستقبل فيجدونه بلا ملامح.. مثلنا جميعاً...

2008 - 2003

بعد أن اتفق الجميع على تأسيس فرقة «بلاك ستار»، لعبوا حفلتهم الأولى في سي هورس؛ حيث لعبوا أغاني أجنبية برداءة شديدة، منها The Man who Sold the World - Clocks- Creep، ولكن الجمهور أعجب بأول أغنية أصلية تألفها الفرقة باسم «غريبة».

بعدها بدأ أمير يتعلم الجيتار وكتابة الأغاني وحده، بينما أكمل هواري الدروس التي بدأها معاً.

وفي اللحظة الأولى التي اعتلى فيها أمير وهواري وتأمر المسرح، عرفوا أن هذا ما يريدون القيام به بقية حياتهم. من هذه اللحظة أصبحوا لا يفكرون في شيء سوى الموسيقى، منذ أن يستيقظوا في النهار وحتى يناموا، لا يرون أو يسمعون غيرها في رؤوسهم. يفكرون كيف يتعلمون ويطورون من أنفسهم؛ فكل منهم يدرك أنه لم يتعلم تعليماً جيداً.. كان عليهم وهم شباب صغار

لا يزالون في السابعة عشرة أن يستوعبوا هذا المفهوم جيداً، وهو أن الإنسان يجب أن يتطور من نفسه وأن يكون ذا فكر ورؤية، ولا يترك الدنيا تحركه يميناً ويساراً دون اتجاه واضح.

وفجأة طرأ على أمير تغير أذهل كل من حوله: أصبح يقرأ كثيراً جداً، كان أمراً يثير استغراب وضحك أسرته وأصدقائه: أمير يقرأ؟ كان طوال اليوم يحمل كتاباً يقرؤه.. كان يريد أن يفهم الدنيا، لا أن يتسلى.

بالتزامن مع هذه المرحلة في حياتهم ظهر الإنترنيت وأصبح هو مصدر التعلم الأساسي لكل أعضاء الفرقة سواء في الموسيقى أو الحياة والمعرفة كلّها.

كان أمير يقوم بتنزيل كلمات أغاني بوب ديلان، يذاكرها، يحفظها، ويتأثر بها.. أصبح بالنسبة له بطله السري. وفي الوقت نفسه، كان فنانون مثل الرئيس بيارة (مؤلف أغاني عدوية)، يثيرون إعجابه أكثر وأكثر، كان يرى بينهما تقارباً ما وأنهما من المدرسة نفسها، كل منهما تكلم عن الناس والشارع.. كل منهما ظهر في وقت ما وغير النمط السائد، وقدم أغاني تتحدث في موضوعات شتى غير متعارف عليها.

وكلما ظهر فنان يثير فضول أي من أعضاء الفرقة، كان أمير يدرس كل ما كتب ويحاول أن يلعب أغانيه.. يفهم عما يتحدث عنه ويريد أن يوصله للجماهير، ويحلل موسيقاها.

وبدءاً من عام 2005 ولعامين كاملين كان أعضاء الفرقة يتوجهون كل يوم اثنين إلى After 8، وهو بار



المعروف في وسط البلد.. جاء عقدهم هناك بعد نجاح بعض حفلاتهم في ساقية الصاوي التي احتضنتهم مبكراً في أواخر العام نفسه.

كانت هذه واحدة من أكثر فترات حياتهم قسوة، فقد كان اختيار الإدارة لهم ليعبوا يوم الاثنين مقصوداً، فهو أقل الأيام ازدحاماً؛ نظراً لأنه يأتي بعد يوم الأحد المشغول عن آخره، وبالتالي اختيار أصحاب المكان أصغر الفرق وأرخصها لهذا اليوم «الميت».. كانت فقرتهم تمتد إلى 5 أو 6 ساعات في المرة الواحدة.. يلعبون حتى تت خدر أيديهم وأرجلهم.. تعلموا كيف يلعبون لأنفسهم؛ لأنه ببساطة لا يوجد جمهور يسمعهم، وإن وجدوا فإنهم لا يتعدون أصابع اليد الواحدة ولا يتفاعلون معهم بأي شكل من الأشكال.

تعلموا أيضاً أنك يجب أن تكون جيداً جداً كي تلفت انتباه المتلقي.. وكانت فرصة لهم للتدريب على آلاتهم وأغنياتهم جيداً إذ كانت توفر عليهم إيجار استديو للتدريبات. في نهاية اليوم كانوا يحصلون على 450 جنيهًا، وقتها كانت الفرقة مكونة من أمير وهواري



وتامر وبازيست اسمه حكيم، وفي فترات كان يصاحبهم بوب على آلات الإيقاع وأدم على الساكسفون بعد عودته من أستراليا.. لم يحضر شريف هذه الفترة، وهو ما يعايره به أمير طوال الوقت: «إنت جيتلنا في العز».

كانوا يوفرون ما يتقاضونه من After Ki يستخدموا هذه المبالغ البسيطة في طباعة بوسترات لحفلات الساقية، يلصقونها على الأشجار وعلى أعمدة الإنارة في الميادين وعلى الجدران في أنحاء المعادي.. في بعض الحفلات كانوا يخسرون ويدفعون الفارق من جيوبهم. في مرات أخرى لم يملكون المال ما يكفي كي يشتروا أوتاراً لجيتاراتهم، وفي إحدى المرات لعبوا في باخرة على النيل قبل فقرة إحدى الراقصات الالاتي كانت تذاع أغنياتها على إحدى قنوات الأغاني الشهيرة في ذلك الوقت، فهتف السكري مطالبين إياهم أن يغادروا؛ لأنهم لا يفهمون الهراء الذي تقدمه هذه الفرقة المخبولة.

في هذه الفترة أيضاً كانوا يلعبون الأغاني الأجنبية التي يحفظونها في الكافيهات، مثل مقهى الشادر- سأزور الشادر في الشهر الرابع من مصاحبتي لـ«كايروكي»، وهو مكان صغير في شارع جانبي متفرع من ميدان دجلة، الجلوس فيه على آرائك وطاولات منخفضة، وهو من أماكن الالتقاء الشهيرة بالمعادي- كان يلعب به أمير وهواري كل أرباع، وكذلك في الساحل الشمالي والبحر الأحمر، حيث كانوا يلعبون الموسيقى على الشواطئ كلما سنت لهم الفرصة.

كانوا مجموعة من الهواة الذين يبحثون عن من يسمعهم.

كان الشغف هو عنوان المرحلة؛ فمثل كل شيء يولد صغيراً تكون له حماسته، وطموحه وروحه الخاصة التي تحرك صاحبه.. كان أمير يتصل بهواري في أي وقت، مساءً أو فجراً، ليخبره أن لديه فكرة جديدة فيهرع إليه هواري ويعملان عليها. وفي هذه الفترة خرجت عدة أغاني، وكان مستواهم يتحسن بسرعة كبيرة.

2010 - 2009

في 2009 طلب منهم أحد أصدقائهم أن يقوموا بعمل أغنية إعلان شركة للمشروبات الغازية، وحصلوا يومها على 30 ألف جنيه، رقم مهول بالنسبة لهم في هذه الفترة؛ إذ أخذ كل منهم 5 آلاف جنيه، اشتري بها أمير خاتماً لوالدته.

بحلول 2010 كان أمير قد ترك عمله كمسئول المبيعات بإحدى المجالات وعمل بقناة تليفزيونية؛ مما منحه مزيداً من الاطلاع على الأوضاع السياسية التي كانت تدور في هذه الفترة.. هناك كان يرى الفساد المستشري المنعكس في ضيوف البرامج، وكان يرى كذلك الإملاءات من الحكومة على البرامج وما هو مسموح به وما هو ممنوع عنه من القول.. بدأت كلمات الأغاني عند أمير تأخذ ثقلاً مختلفاً بعد تفتح وعيه السياسي إثر عمله في الإعلام.

وقتها أيضًا دخل أمير في أزمة نفسية حادة جعلته يفرض على نفسه عزلة كاملة.. ظل لعامين كاملين لا يخرج من المنزل إلا للذهاب للعمل، وما أن يعود يجلس في المنزل يكتب ويؤلف الأغاني. في هذه الفترة كان تامر وآدم قد نجحا في التخرج أخيراً بعد ثمانية سنوات في الجامعة، وانطلقا بعدها للعمل في مجالات مختلفة. والمفارقة أن شريف وتامر وآدم تخرجوا في السنة نفسها رغم فارق السن، ولكن شريف «الدّحیح» كان أسرع في الدراسة.

ولكن شيء ما حدث فجأة..

بدأ كل واحد من أعضاء الفريق يفقد القدرة بشكل ما على الاستمرار ومحاربة المجهول.. النجاح الذي لا يأتي أصبح عبئاً ثقيلاً يضاف إلى عباء لوم الأهالي المستمر ومطالبتهم لهم بأن يمارسوا أعمالاً ذات قيمة بدلاً من تضييع الوقت في هذا الكلام الفارغ؛ فالحياة بعد التخرج أمر آخر.. بات أعضاء الفرقة يتخطبون بين شعورهم بالإحباط ورغبتهم في الاستمرار، ورويداً رويداً.. بدأت حفلاتهم البسيطة تقل.. توقفوا عن



العمل على الأغاني أو البروفات، ومنهم من واصل لعب الموسيقى مع فرق أخرى من باب التنفيذ والتغيير، ومنهم من بدأ في اتخاذ مسار مهني ليبني مستقبله، بينما ظل أمير مصرًا على عمل الأغاني في عزلته... وبداخله يقين أن الأمر لم ينته بعد.

كان مشوار أمير من منزله بالمعادي إلى عمله بالزمالة يمر بشارع قصر العيني.. وهناك شاهد المقهورين والمطحونين وهم يفترشون الأرض، سواء أمام قصر العيني ومعهد الأورام يبحثون عن علاج أو متظاهرين أمام مجلس الوزراء والبرلمان. كنت أشاهد المشاهد نفسها في الوقت نفسه بالضبط (كان البنك الذي عملت به في جاردن سيتي).. من يدرى ربما كنا أنا وهو نقطع الشارع نفسه في الوقت نفسه نراقب الرجال الذين ربطوا أنفسهم في الأسوار مرتدین ملابسهم الداخلية ويحملون اليافطات التي تصرخ من القهر.

وفي هذا العام، تمت انتخابات مجلس الشعب التي جرى تزويرها.

كان شريف هو الوحيد الذي يواكب على زيارة أمير في عزلته ويعمل معه على أغاني جديدة.. لم يكن قد استسلم بعد هو الآخر.. كانت هذه فترة الإيمان بالموسيقى والأغاني وليس بالفرقة أو النجاح. وكان يغلب عليهما أيضًا الإحساس بالإحباط الشخصي والإحباط العام مما يدور في البلد، ولكن اندماج هذين الإحساسين هو ما كان يخرج الأغاني بهذا الصدق.

في التاسع من ديسمبر 2010 قام أمير من مكانه وتوجه إلى حيث تجلس أمه وأخبرها أنه قد عرف أخيرًا كيف يقوم بعمل الأغاني.. كان قد أنهى «ساكتين»، «تايه»، و«بسأل عليكي»، وكانت لحظة تجلٌّ شعر معها أنه أخيرًا وبعد سنوات استطاع أن يصل للسر الذي منه تخرج الكلمات والأفكار والبناء والتعبير. كيف «ينحت» جملة كما يقول المثقفون لا ينساها الناس.. كيف يختزل فكرة كبيرة في بعض كلمات سهلة التلحين والحفظ.. كيف يمسك بقلب



المعاني الوجودية والفكرية ويخلطها بالمشاعر الجياشة والحقيقة ويخرج منها كلمات أغنية يتم تردیدها.. كيف يكون صادقاً أصيلاً.

وفي أكثر فترات الظلام سواداً - سواء على الفرقة أو على مصر - استدعي أمير شريف ليسمعه أجرأ ما قدموه حتى وقتها، «ساكتين».. بدأ كلاهما العمل على التوزيع والتسجيل. ويشيد أمير بمهارة شريف في كتابة نotas بسيطة على البيانو لخصت إحساس الأغنية بالكامل.

نزلت «ساكتين» على يوتيوب في 19 يناير 2011.. سواء قام أمير بكتابتها في أعقاب الثورة التونسية، والتي كانت قد نجحت رسمياً في 15 يناير وبالتالي كانت استشراقاً لموجة قد تضرب مصر، أو رغبةً منه في تحريك المياه الراكدة.. فهو أمر لا أعلم، ولكن من الواضح أن الأغنية كانت تحمل كثيراً من الألم.

حققت الأغنية 29 ألف مشاهدة في أوائل نزولها، وكان هذا رقمًا مذهلاً (أنجح أغاني الفرقة حتى ذلك



الوقت كانت «حلمي أنا» وحققت حوالي 3 آلاف مشاهدة في 4 سنوات!). في البداية كتب أمير اسمه واسم شريف على الأغنية، ثم غيره في اليوم الذي تلاه لـ«كايروكي»، بعد أن وجد أن الأغنية بدأت في النجاح وهناك مشاركات (شير) كثير لها؛ مما جعله يأمل في أن تكون سبباً في إعادة ترابط الفرقة مرة أخرى وعدم ضياع الحلم.

كان رهانه المبكر على الإنترنت قد بدأ يؤتي ثماره.. إذ كان مثله مثل جميع الفنانين في العالم قد بدأ يلتقط قوة الإنترنت كوسيلة لإيصال الفنان بجمهوره قاطعاً الطريق على شركات الإنتاج المجنحة (نزلت «حلمي أنا» على

My Space مبكراً جدًا قبل معرفة كثيرين في مصر بهذا الموقع).

بعد فترة اتصل به أحد ممثلي إحدى الحركات السياسية الناشطة وقتها، وطلب منه أن يستخدمو الأغنية لتصبح الأغنية الرسمية للحملة، ولكنه رفض.. طرأت في ذهنه جملة بطله بوب ديلان حين رأه في



إحدى اللقاءات التليفزيونية يقول إنه لا يغنى لأحد، وإن ما يكتبه إنما هو للجميع، ورفض أن يكون رمزاً لحركة التحرر في الستينيات حينما طلبوا منه ذلك.. كان الشعور الذي سيطر عليه في تلك الفترة أنه لا يريد أن يتم استغلال إبداعه هو والفرقة في أي أغراض سياسية، وهو الموقف نفسه الذي سيتخذه حين تقوم قنوات الإخوان بإذاعة أغاني الألبوم الجديد («السكة شمال في شمال» و«آخر أغنية») طوال الليل والنهر دون إذن، أو حينما ستحاول القنوات الغربية المتحدة بالعربية أن تصطاد في الماء العكر إثر أزمة التوقف وتطلب منه تصريحات نارية ردّاً على ما حدث، وهو ما رفضه بشدة؛ فليس للفن أن يكون جزءاً من البروباجندا السياسية أيّاً كان كما يرى، ولن يسمح أبداً أن يوافق على استغلال الفرقة للهجوم على مصر من الخارج. أتفق معه تماماً في هذا.

كانت لـ«ساكتين» الفضل في أن يكتسب أمير بعضاً من ثقته بنفسه مرة أخرى، وأن يتيقن من أنه يسير على الطريق الصحيح، وأن الأمل لم يفت بعد، وأنه

لا يزال يستطيع أن يحقق شيئاً حتى لو لم يكن جميع أصدقائه يقومون بذلك معه. وأن ما يقوله مسموع بشكل أو باخر، ويلقى قبولاً.

وهو ما شجعه على كتابة أغنية أخرى بعدها بأسابيع قليلة.

أغنية ستغير كل شيء..



الفصل الثامن

حفل الإسكندرية

4 إبريل 2017

أنطلق لحضور أولى حفلاتي لـ «كايروكي» بعد أن بدأت رحلتي معهم.. يقام الحفل على مسرح مكتبة الإسكندرية، المسرح المفضل لـ «كايروكي» إلى جانب الساقية.. يأتي تفضيلهم لهذين المكانين ليس بسبب الإمكانيات أو جودة الصوت فحسب، ولكن حبّا في جمهورهما أيضاً، فهناك يلتقيون بجمهور كايروكي الحقيقي الذي يزحف وراءهم في كل مكان.

تبدأ الاستعدادات للحفل قبل موعده بيومين؛ حيث يقوم عدد من التقنيين المساعدين للفرقة بنقل المعدات المهمة والثقيلة للمسرح.. يعمل مع الفرقة عدد كبير من التقنيين في الحفلات يقارب الأربعين فرداً، ومهمتهم نقل وتركيب الآلات والمعدات الموسيقية والصوتية والضوئية.



وكما حكى لي هادي وأحمد مدحت، فإن كايروكي لا تتنازل عن الجودة في أي حفلة من حفلاتها، ولذلك فقد تم وضع نظام منذ عدة سنوات يتم من خلاله التعامل مع موردين محددين للصوت والإضاءة، وبالتالي فعندما يتصل أي عميل يريد أن ينظم حفلاً لـ«كايروكي»، فإن مدحت يقوم بإرسال قائمة بالمعدات المطلوبة التي لن تخرج الفرقة إلى المسرح دونها، ويتم الاشتراط على منظم الحفل التعامل مع موردين محددين حفظوا عن ظهر قلب طلبات ومعدات الفرقة. ولا تستفيد الفرقة مادياً من تحديد المورد بل العكس هو الصحيح، ولكن تكمن استفادته الفرقة في ثبات مستوى جودة الصوت والنظام على مدار الحفلات مهما تغيرت أماكنها.

على الجانب الآخر هناك التقنيون الذين يصاحبون كايروكي في كل حفلاتها، وهم المسؤولون عن المعدات والآلات الموسيقية التي تملكها الفرقة بشكل خاص.. يتأكدون من أن الجيتارات وكيبورد شريف يتم نقلها وتوصيلها للمسرح بسلام.. وقبل موعد الحفل بعده



ساعات يصعدان إلى المسرح ويبدآن في توصيل الكابلات والآلات كلها، ثم تجربتها مع مهندس الصوت.

وهناك في كل حفل مهندس صوت هو المسئول عن خروج الصوت في الحفلة.. وخلال السنوات الأخيرة كان مهندس صوت حفلات كايروكي هو عصام السحرتي، وهو مهندس صوت سكندري يمتلك سنوات طويلة من الخبرة في التعامل مع الفرق الموسيقية المستقلة.

وينقسم الصوت في الحفل إلى منطقتين: السماعات الخارجية وهي تلك التي يسمعها الجمهور، والسماعات الداخلية على المسرح أو في أذن أعضاء الفرقة، وهي السماعات التي يسمعون فيها آلاتهم وتسمى *Mixer Monitors*. وهناك *Mixer* يتحكم في الصوت لكل قسم، دائمًا ما يكون السحرتي على الميكسر الخارجي ويكون مكانه خلف الجمهور في وسط القاعة، أما الميكسر الداخلي فيكون على جانب المسرح، متوازيًا قدر الإمكان عن أعين الجمهور.

وفي هذه السماعات التي يرتدونها يوجد عادةً ما يسمى بالمترنوم، وهو عداد موسيقي يدق دقات منتظمة طوال كل أغنية، وتفيد هذه الدقات العازفين في الحفاظ على الإيقاع المناسب لها، وتساعدهم وبالتالي على اللعب بتناغم مع بعضهم البعض، فلا يسبق أحدهم الآخرين أو يبطئ عنهم الآخرون.

وكتيرًا ما يتسبب المونيتور في مشكلات بين أفراد الفرقة؛ فهذه السماعات تعزل الفرقة تماماً عن كل ما يحيط بهم؛ فيستمع كل فرد إلى نفسه وبقية العازفين ولكن دون أن تصلهم أصوات الجماهير. وهو أمر في غاية الأهمية لبعضهم كأمير وهواري؛ لأن كليهما يتغذى على طاقة الجمهور وتفاعلاته وتفاعله مع الأغاني، ولذلك عادةً ما تجد أمير يقف ليغني بسماعة واحدة في أذنه.

أما شريف فهو أكثر المتمسكون بهذه الفكرة، ويؤكد لي السحرتي أثناء رحلتنا إلى الإسكندرية ضرورتها وأن كل الفنانين المحترفين اليوم يغنون باستخدامها؛ لأنها تساعد كل العاملين في الحفل على تحقيق التناغم



المطلوب، فالسماعات الداخلية ليس دورها فقط ضبط الإيقاع للعازفين، ولكن أيضًا ضبط منظومة الحفل بالكامل. ألا ترى في بعض الأحيان الإضاءة تعلو أو تخفت أو تتحرك مع بداية مقطع معين من أغنية؟ أو حينما تستمع إلى مؤثر معين على صوت المغني، كصدى صوت أو صوت مكتوم وكأنه يتحدث في هاتف أو شيء من هذا القبيل، أو حين يعلو صوت جيتار هواري ويتردد صداه في الصولو، كل هذه المؤثرات تتم بحسابات وترتيبات معقدة بين مهندس الصوت، ومهندس الإضاءة، والفرقة.. وبالتالي فإن وجود فرق بين عنصر والثاني، حتى لو بثنائية واحدة يؤدي إلى ارتباك كبير، والتنسيق بين كل هذه الأطراف المتباشرة في أرجاء المسرح حول الآلاف من الجماهير أمر صعب جدًا، والكلiek أو المترونوم هو ما يساعد في ذلك.

كذلك هناك عديد من الأغاني التي يتم لعب بعض من أجزائها بنظام الـ *Playback*، مثل الوتريات في «أجمل ما عندي» أو الآلات الإيقاعية الشرقية في



«الكيف» و«السكة شمال في شمال» والإلكترونيات والريابة في أغنية «ديناصور»، فهذه الأغاني توجد بها Backing Tracks لا تعزف بشكل مباشر على المسرح، ولكن يتم تشغيلها من لابتوب شريف الموصول بالميكسر الخارجي وكأنه إحدى آلات الفرقة. وحين يتم تشغيلها، فإن لها سرعة محددة تسير بها دون أن تتوقف، وبالتالي لابد وأن تعزف الفرقة آلاتها بسرعة وإيقاع هذه المقطوعة المسجلة نفسها التي تتحرك للأمام كالقطار دونما توقف أو تعديل.

ومع تطور صوت كايروكي بدايةً من ألبوم «السكة شمال» وحبها في التجريب، لم تعد الموسيقى المقدمة في أغانيهم تقتصر على الآلات الأساسية التي يلعبونها بشكل مباشر (الجيتارات والبيز جيتار والدرامز والكيبورد)، وأصبحت أي أغنية من أغانيهم الحديثة لا تخلو من آلات أخرى إلى جانب آلاتهم الأساسية؛ ولذلك يتم تسجيل هذه الآلات والجمل اللحنية مسبقاً (كما سمعتها في الألبوم) وتشغيلها بنظام Playback: لصاحب الفرقة في الحفل.



حتى الآن، وفي معظم الأحيان يقوم مهندس الإضاءة بتحريكها وتغييرها بشكل يدوي رغم أنه من الممكن أن يتم عملها إلكترونياً؛ بحيث تتحرك وحدها، ولكن لأن ليس كل من في الفرقة يحب المترونوم فإن الاعتماد الكامل عليه يصير أمراً صعباً، ولكن خبرة الفريق المعاون لـ«كايروكي» من كثرة الحفلات التي يلعبونها مع بعضهم البعض منذ ثمانية سنوات تقريباً يجعل الأمر سهلاً.

وطموح شريف الأكبر، والذي يشاركه فيه تامر والسحرتي بقوة، هو أن تصل الفرقة إلى القدرة على الاعتماد بشكل كامل على المترونوم؛ بحيث يتم بناء Show كامل بكل ما يمكن من إبهار ضوئي وصوتي دون حدوث أي أخطاء؛ حيث تحلم كايروكي في يوم من الأيام أن تقدم حفلاً على غرار حفلات Coldplay وPink Floyd ومايكل چاكسون، والتي حققت شهرة عالمية في الإبهار الرهيب الذي تحقق للجماهير. ولكن هواري الذي يعيش حربته الفنية كعازف على المسرح ومن منطلق حبه للمدرسة القديمة في الروك، يرى أن

كل هذه الأمور ليست بهذه الدرجة من الأهمية، وأن حفل فرقة الروك في النهاية يجب أن يكون حفلاً بسيطاً، يسعى في المقام الأول إلى الحفاظ على الأصالة الفنية والتجدد من كل أشكال الإبهار، حتى تظل الشحنة العاطفية والتجربة الموسيقية بكل محصورة فقط في الموسيقى والكلمات دون قيود.

تختلف الحفلات التي تقام في مسارح مغلقة عن تلك المقامة في مسرح مفتوح. ويمثل مسرح كمسرح الساقية أو المكتبة ارتياحاً للسحرتي؛ لأنهم أقاموا به حفلات لا حصر لها من قبل. هناك مخطط مرسوم للمكان مع فريق الصوت والإضاءة، وعادة ما يدخل الفريق الأساسي من العمال سواء في الليلة السابقة أو فجر يوم الحفل. ورغم أن كلا المسرحين مجهز لإقامة الحفلات إلا أن كايروكي تأتي بمعدات صوت وإضاءة كاملة من الخارج.

وفي حفلات الساقية والإسكندرية، تتحمل كايروكي تكلفة المعدات الخارجية بالكامل؛ حرصاً منها على تقديم جودة صوت أفضل من تلك التي يمكن أن يقدمها المسرح؛ لذلك فإنهم يعتبرون الساقية ومكتبة الإسكندرية هي الحفلات التي تنظمها كايروكي بشكل ما، وإن كانت إدارة التفاصيل من بيع التذاكر والدعائية وتنظيم الدخول والخروج متروكة للمكان، ولكن في النهاية كل النواحي الفنية هي مسئولية الفرقة.

ورغم تزايد شعبية الفرقة في السنوات الأخيرة، وعدم كفاية هذين المسرحين لاستيعاب جمهورهم، إلا أنها ترفض التخلّي عن أصولها التي انطلقت منها وتحرص على ألا تتوقف عن هذا التقليد الذي بدأته منذ سنوات عديدة؛ عرفاناً بالجميل للمكانين اللذين احتضنا الفرقة الصغيرة يوم أن بدأت عام 2003، إلى جانب حرصهم على تقديم أسعار تذاكر قليلة التكلفة نسبياً تتيح لكل الفئات أن تحضر الحفل.

هذه الخبرة المتراكمة لـ«كايروكي» وفريقها المعاون في تنظيم الحفلات بالساقية ومكتبة الإسكندرية



لسنوات طويلة كانت هي النواة للانطلاقـة الثانية التي ظلوا يجهزون لها طوال العام الذي قضيته معهم: .Cairokee Empire

ويخبرني السحرتي: «في حال كانت الحفلة ستقام في مكان ما لأول مرة، يتم عقد عدد من الاجتماعات في المكان.. ترفع المقاسات، يختبر الصوت، وبناءً عليه يتم تحديد المعدات المطلوبة. حوالي 60% من المعدات المطلوبة موجودة أصلًا في المسرح، وبقية المعدات يكملها موردو الفرقة. وتختلف المعدات باختلاف المسرح، خاصةً حجمه ونظام الصوتيات به .«Accoustics

والجيتار الكهربائي له سماعات خاصة، الأمبليفاير الذي تحدثنا عنه من قبل، حيث تنتقل الموجات الصوتية الخارجة من الجيتار إلى السماعة عبر كابلات موصلة به، وكذلك تتصل البيدالز التي يعشقها هواري كلها بالسماعات الخاصة بها.



ومن أصعب مراحل تحضير المسرح هي الدرامز. وفوجئت بأن تامر لا يملك عدة درامز خاصة به، فهناك طبعاً العدة الكهربائية الموجودة في المكتب، ولكن الدرامز التي يلعب عليها في الحفلات هي عدة مؤجرة. لا يحتاج عازف الدرامز في النهاية إلى الانتقال إلى كل مكان بالدرامز الخاصة به؛ حيث إن تفكيكها وجمعها مسألة مرهقة، كما أن أصوات الدرامز - على عكس الجيتارات مثلاً - في الأغلب تشبه بعضها البعض، ولكن تامر لديه مجموعة السنيرز (الطبلة البلاستيكية المنخفضة) والسيمبالز النحاسية (والتي نسميها بالبلدي كدا «حلل») الخاصة به؛ لأنها على حد قول عصام بها الكثير من شخصية أي درامز؛ فكتافة النحاس المصنوعة منه هذه الـ(حلل) تفرق في الصوت، وبالتالي تغير من درجة الحدة والخشونة؛ تبعاً لنوع لعب العازف.. وكذلك يتم تأجير الأمبليفاير المستخدم مع الجيتارات؛ فعادةً لا يملك عازف الجيتار واحدة؛ لأنه يكون موجوداً في الاستوديوهات أو يتم تأجيره للحفلات، ولكن هواري بجنونه المعهود سافر إلى إنجلترا وأتى بأمبليفاير وزنه 40 كيلوجراماً،

وحكى لي بعد ذلك عن أزمة حمله على الطائرة، ولكنه بالطبع لا يذهب به إلى الحفلات.

وسائل السحرتي بصفته مهندسًا للصوت عمل مع مختلف فرق ومطربين مصر على مدار العشرين عاماً الماضية عن الاتهام الذي يتم ترديده دائمًا بأن أمير صوته «وحش»، وهي فكرة يرددتها أمير بنفسه طوال الوقت سواء بين الأصدقاء أو على السوشIAL ميديا. يخبرني عاصم أن أمير لا يغنى على و蒂رة واحدة فقط كما يعتقد البعض، وطلب مني أن أشاهد غناءه في برنامج «صاحبة السعادة» مع مدحت صالح حينما غنى أغنية «المليونيرات» الشهيرة.. كانت طريقة مختلفة تماماً، طبعاً صوت أمير ليس فيه مجال صوتي واسع، فهو لا يستطيع التنقل بين الطبقات صعوداً وهبوطاً بسهولة، ولكن هذه خامة موجودة ومتعارف عليها في موسيقى الروك مثل: جيمس هيتفيلد، ليونارد كوين، بوب ديلان، وغيرهم.

«بالطبع من المنطقي أن يرى البعض صوت أمير مزعجاً، ولكن هناك عناصر أخرى مهمة تتحكم في تلقي المستمع للمطرب: الكاريزما، الموضوعات التي يناقشها، الموسيقى المصاحبة له وغيرها، وهي عوامل تتوافر في كايروكي بشكل كبير؛ فأمير ليس مطرياً منفرداً وهو كاتب كلمات موهوب، والفرقة ككل تتمتع بكاريزما عالية جدًا، كما أن نوع الأغاني الذي يلعبونه ليس من النوع الطربي القديم الذي يعتمد بالأساس على خامة الصوت لدى المطرب».

ويذكرني كلامه بالشاعر والمغني الحاصل على جائزة نobel بوب ديلان، فالعالم كله يعرف أن صوته مزعج للغاية، ولكن العالم أيضاً لا يستطيع التوقف عن الاستماع إلى أغانيه التي شكلت ثورة ثقافية امتدت من السبعينيات حتى اليوم، والتي مكتتبه من الحصول على الجائزة الأشهر في العالم عام 2016، إلى جانب فوزه بعدد من جوائز الجرامي، وجائزة أوسكار. بوب ديلان هو مثل أمير الأعلى والفنان الأكثر تأثيراً عليه،

ليس فقط لتشابههما في رداءة الصوت، ولكن أيضًا كمفكر وكاتب كلمة مختلفة عن السائد.

وأسئل السحرتي عن رأيه في الفرقة التي سحضر حفلها بعد ساعات، فيقول: «أجمل ما في موسيقاهم أنها بسيطة، بل وقد تكون في بعض الأحيان ساذجة.. العناصر الموسيقية ليست كثيرة، وبالتالي واضحة وتصل للمستمع بسهولة، والعمل مع كايروكي يعتمد في الأساس على الثقة، وحبي لهم هو الدافع الأول لدى للعمل معهم».

ويؤكد لي معلومة هي أول ما شاهدت بنفسي وسائل أشهادها طوال الفترة القادمة: «جمهور كايروكي هو سر نجاحهم؛ فهناك فرق على الساحة حققت نجاحًا ولكن ليس مثل كايروكي، هناك حالة ارتباط غير طبيعية بينهم وبين جماهيرهم؛ فهم يرون الفرقة تتحدث باسمهم وتقول ما في داخلهم، كما أن قدرتها على خلق جمل موسيقية جذابة يرددوها الناس بسهولة هائلة لا ينافسها فيها أحد».



ويحكي لي أنهم في إحدى السنوات أقاموا حفلاً في الساحل الشمالي حضره عدد كبير من المعجبين الأوفياء للفرقة، وبعد أيام كانوا هم أنفسهم يحضرون حفلاً آخر لهم في أسوان.. هذا الجمهور الوفي يقدر ببضعة آلاف من الشباب والشابات الذين يزحفون وراءهم في كل مكان ويتبعونهم لحظة بلحظة على كل م الواقع التواصل الاجتماعي، وقد شاهدت بنفسي جماهير معهم بطاقات مرور لكواليس المسرح، يجلسون مع الفرقة ويتحدثون معها، ويلتقطون الصور دون محاذير أو قيود. ولم يحدث أبداً على حد قولهم وعلى حد ما شاهدت أن رفض أحد من الفرقة التصوير مع أي من المعجبين إلا في حالات نادرة للغاية.

نصل إلى الإسكندرية في تمام الواحدة ظهراً.. بقيت 3 ساعات على موعد الحفل، وهو وقت قصير نسبياً.. نصل إلى الباب الخلفي للمكتبة، يتم تفتيشنا ثم نصل إلى غرف الكواليس، وهي غرف يصفها الجميع بالرفاهية مقارنة بغيرها من المسارح، فهناك تكيف



وحمام لكل غرفة. وبجانبنا بوفيه يمكننا أن نطلب منه ما نشاء من مشروبات.

أضع حاجياتي ثم أخرج إلى المسرح.

أخرج من الكواليس لأجد نفسي فوق خشبة المسرح، وهذه أول مرة في حياتي أشاهد القاعة من زاوية الواقف على خشبة المسرح؛ أي كما سترتها الفرقة بعد قليل.. تصيبني الرهبة من الكراسي المحممية بلون النبيذ، وأول ما أتخيله شعور الواقف على المسرح حين تمتلى هذه الكراسي عن آخرها؛ خاصةً حينما يندفع الأدرينالين إلى أوصاله كلها بينما الأضواء تسقط في وجهه وتصم أذنيه هتافات آلاف الواقفين الذين يؤمنون بكل كلمة يقولها، والذين أتوا من كل مكان؛ أملاً في الهروب لبعض ساعات في أحضان موسيقى صادقة وحقيقة تغسل همومهم وتنسيهم ولو بعض الوقت العالم القبيح الذي يسحقهم بالخارج.

أرفع رأسيا فأجد فوقي 18 كشافاً للإضاءة، موزعين بشكل ساقط من السقف فوق حافة المسرح الأمامية، إلى جانب 6 كشافات أخرى في الخلف، وكلها معلقة على تراسات الإضاءة بهياكلها المعدنية المتشابكة.. تترافق أمامي صفوف المقاعد على هيئة مدرج؛ حيث تقسم إلى حوالي 17 قسماً، ما بين الصالة والبلكون المعلق بأعلى بعده مقاعد قد يسع 1600 متفرج.

يركض أكثر من عشرين شخصاً فوق خشبة المسرح، وعلى أرضيته تمتد مئات الأمتار من الكابلات تخرج من علب معدنية، وراكات بداخلها أجهزة عديدة، وسماعات Amplifier يخرج منها الصوت وميكروفونات متعددة: لكل آلة وعاذف هناك ميكروفون، إلى جانب أسلاك بيدالز هواري الموزعة على الأرض هي الأخرى.. تراسات الإضاءة والأسلاك كثيرة جداً.

في نهاية مقاعد الصالة، وفي الدرج الفاصل بين الصالة والبلكون يجلس السحرتي أمام الكونسول الضخم الذي يحتوى مئات الأزرار والمفاتيح التي



تعلوها أو تحيط بها لمبات مضيئة صغيرة.. بعضها يعمل بنظام الضغط أو الدوران، وتتوسط الألواح الكثيرة شاشات رقمية صغيرة، وفوق الكونسول وضع لابتوب آبل وأخذ يعمل منه.. بجانبه مايكيل مهندس الإضاءة بمعداته هو الآخر، ويبدو أن معظم الضوؤ والزحام على المسرح تأتي من عمال الإضاءة؛ فهي مسألة مزعجة وتفاصيلها ومعداتها كثيرة.

أعود مرة أخرى للمسرح لأراقب ما يحدث فوقه.. يجلس أحد التقنيين على درامز ياماها ويبدأ في ضرب الطبول المختلفة، يظل يضرب بوتيرة واحدة بينما يحرك عصام الأزرار فتتغير خصائص صوت الضربة التي ترن في أرجاء المسرح، فتختلف حدته وارتفاعه، والأهم: مدى الصدى الذي يحدثه.. Reverb الأصوات تخرج من حوالي 15 سماعة موزعة في أرجاء القاعة. تقني آخر يقوم بإيصال جيتارات هواري وأمير بالAmplifier والميكسير ويبدأ في ضبط أصواتهما بالتفاهم مع السحرتي، بينما يصرخ مايكيل

بين الحين والآخر في عمال الإضاءة كي ينتهوا من التركيبات ويغادروا المسرح في أسرع وقت.

يظهر آدم على المسرح فجأة في الثانية والنصف ويبداً في عزف البيز جيتار. تتعالى الضوضاء مع تداخل الأصوات بين الصراخ وضربات الدرامز التي لم تتوقف، وخروشة الجيتارات. يضع آدم في أذنه سماعات المونيتور، يستمع لبرهة ثم يقول لعبد القادر، الواقف بجانبه على ميكسر المونيتور، أن يخفض صوت الدرامز قليلاً ويعلي صوت جيتار هواري وغناء أمير. بعد قليل يصل هواري للمسرح دون أن ينظر حوله أو إلى أي أحد.. يمسك جيتاره، ويبداً في التجربة وتبادل الملاحظات مع عصام وعبد القادر.

هناك فوضى على المسرح ما بين عمال الصوت والإضاءة وعمال المكتبة أنفسهم المسؤولين عن خشبة المسرح نفسه والكواليس.. أحاول أن أتخيل كيف سيتم تنظيم وتجهيز المسرح للفرقة في الساعة المتبقية.. فجأة تظهر سيدة تصرخ في كل الموجودين أن يخلوا المسرح بسرعة؛ كي يتم تنظيفه ومسحه



استعداداً لإدخال الجمهور، الأمر الذي يحتاج إلى نصف ساعة تقريباً حتى يتم.

بعد قليل يخرج هواري ليشرب سيجارة.. أتبعه.

في الشرفة الخارجية للمكتبة، والتي تطل في جزء منها على البحر والجزء الآخر على الميدان المقابل للمكتبة من ناحية كلية الهندسة.. يقف هواري يدخن سيجارة واضعاً سماعات ضخمة على أذنيه. يبدو على حركاته أنه يشعر بقلق ما.. أنظر له مطولاً فيلحظ وجودي. لم أتكلم معه من قبل عن قرب فأتحسس طريقي في الحوار:

«هل أنت بخير؟».

يرد عليّ، دون أن ينظر ناحيتي:

«لا، لست بخير، أنا لا أعرفك جيداً ولكن بقية الشباب يقولون إنهم يثقون بك، كما أن نهلة تعزك كثيراً وهي



صديقة مقربة لي، لذا سأعاملك بمقدار الثقة نفسه وأتحدث معك دون محاذير».

أتعجب من صراحته الشديدة.

«أنا لا أريد أن أكون هنا.. سارة ليست بخير، أصابها تعب مفاجئ بالأمس، واتصلنا بالطبيب الذي أخبرنا أن الحمل غير مستقر وأنها قد تفقد الجنين في أي لحظة.. سافرت وأنا مرغم، وأشعر أني في أي لحظة سأغادر وأعود لأكون بجوارها وأطمئن بنفسي، ولو لا التزامنا ما كنت قد أتيت».

أحاول أن أواسيه بكلمات بسيطة من قبيل «لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام»، وأسئلته:

«متى يراها الطبيب؟».

«المفترض أن تذهب في المساء، ربما أثناء الحفلة الثانية، وسيفحصها بالأشعة ويطمئننا على وضع الجنين».

أحاول قدر جهدي أن أتخيل ما يمر به بداخله الآن.. أقرر أن أسرّي عنه قليلاً، فلا أجد سوى أن أشاركه مخاوفي أنا الشخصية.

«هل تذكر كانت لدى ندوة كبرى لمناقشة روايتي في دار الأوبرا منذ يومين؟».

«هذا صحيح، لقد أردنا أن نأتي، كنا مهتمين للغاية، ولكن للأسف.. الموعد والمكان كان صعباً للغاية».

«في ندوة الأوبرا سمعت كثيراً من الإطراء على كتابي، وقال النقاد أن اللذان كانوا يناقشان الرواية معي إن هذا الكتاب من أهم الكتب التي ظهرت منذ بدايات القرن الجديد، وأنني سأكون من أكبر كتاب مصر في غضون سنوات، وغيرها من الإطراءات التي أصابتنـي بالذهول.. حين تصاب بمثل هذا التسلیط المفاجئ للضوء عليك، كيف توازن بين شعورك بأنك قد حققت شيئاً مهماً والغرور الطبيعي الذي يصيب أي فنان في مرحلة كهذه، والرعب الذي يصيبك عما يمكن أن تفعله الآن، كيف سأقدم أفضل مما قدمت فعلًا؟».

«هذا سؤال صعب. ولكن أعتقد أنك يجب أن تعود للأصل.. للدافع الحقيقى الذى دفعك لأن تكتب. ما هو؟».

«لدى دافعان واضحان بالنسبة لي: أولهما، رغبتي فى أن أصنع شيئاً للتاريخ وأن أترك شيئاً من تجربتي وإبداعي يظل يلهم الناس ويعملهم وربما يجعلهم يطرحون التساؤلات بعد مائة عام من اليوم، وثانيهما رغبتي الشديدة في التواصل مع الآخرين، ربما بسبب وحدتي المبكرة.. كان هناك دائماً بداخلي ذلك الإحساس الملح بأنني أريد أن أتواصل مع أكبر عدد من البشر، وقد حققت لي الكتابة ذلك».

«هذا بالضبط ما يدفعني أنا أيضاً للإبداع.. كيف سيذكرني التاريخ، ورغبتي كي أتواصل مع الناس.. إذا كنت سعيداً بما حققت فذلك أمر جيد، ولكن الآن هو الوقت المناسب لتفكير كيف تحقق أفضل منه.. يجب أن تقول لنفسك أنا ممتن وسعيد لكل ما يقال لي، ولكنني قد نسيته تماماً الآن وكأنه لم يكن، وهناك كثير وكثير مما أريد أن أقوله بعد، انس كل ذلك».

«المأساة أنك تظل دائمًا في صراع ما بين رغبتك في أن تظل أصيلاً، تحافظ على ولائك المخلص لما تقوم به، والصوت الآخر الذي بداخلك الذي يجعلك تسعى وراء النجاح والشهرة وقبول الآخرين لفنك».

«بالضبط، ولكنك يجب أن تتصالح مع هذه الفكرة.. أن تحاول أن تكون أفضل وتطور وتحسن من نفسك وقدراتك، ولكن عليك في الوقت نفسه أن تتقبل ما أنت عليه.. أنا أعرف تماماً أنني لست أفضل عازف ولا مؤلف ولا مغنٍ، ولكنني أحب ما أفعله، أتقبل نفسي كفنان مثلما أتقبل جسمي وشكلي مثلاً».

وهنا يفاجئني هواري بمعلومة غير متوقعة: أنه يعمل على ألبوم خاص به.

ثم يقول مفسراً: «هذه الرغبة بداخلني «أن أقول شيئاً» أشعر أنها لا تتحقق بالكامل في كايروكي.. فأنا لا أملك الحرية الإبداعية الكاملة؛ لأنني جزء من خمسة أجزاء، وأشعر أن بداخلني كثيراً مما أريد أن أقوله سواء على مستوى الكلمة أو التعبير الموسيقي؛ ولذلك فقد قررت



أن أُولف وألحن وأعزف الأغاني التي أريدها، وأصدر ألبوماً منفرداً، هل تريد أن تسمع منه شيئاً؟»

قبل أن أرد يضع السماعات على أذني ويعطيني هاتفي المحمول.. أستمع لأغنية طويلة للغاية تقارب سبع دقائق اسمها «أمي»، يغني فيها هواري بصوته الحزين باللغة العربية.. أرى على الفور ما يقصده، فهو هنا يأخذ مساحته بالكامل في عزف صولوهات طويلة ومتنوعة.. أخبره أن الأغنية تعجبني، ولكن لدى تعليقاً في التشكيل ونطق اللغة العربية. يخبرني أن هذا تسجيل مؤقت، وأنه يحتاج للمساعدة في التشكيل بالفعل.. أسأله عما أغراه أن يكتب باللغة العربية، فيخبرني أنها قصيدة للكاتب أحمد خالد توفيق..قرأها هواري فأعجبته وتواصل مع الكاتب الذي منحه مباركته، وأخبره أنه يحب الفرقة كثيراً ويستمع إليها هو وابنه.

بعد عام كامل سيصدر هواري الأغنية مع كايروكي في أعقاب وفاة الكاتب المحبوب.



استرق النظر إلى القاعة قبل موعد الحفل بنصف ساعة.. أزبح الستار في الكواليس وأنظر للجمهور المتناثر والذي قد ملأ حتى الآن نصف القاعة.. أحمد مدحت يدور جيئةً وذهاباً في الخلفية، يتحدث مع عمال الإضاءة حتى يطفئوا أنوار المسرح بالكامل.

في تمام الرابعة بالضبط يخرج زاب إلى المسرح.. سيخبرني مدحت - فيما بعد - أن كايروكي من الفرق القليلة الحريرصة على أن تبدأ حفلاتها في مواعيدها بدقة..

ما أن ينهي زاب فقرته حتى تتعالى صرخات مرعبة.. كلها تبدأ بالهتاف الشهير الذي أستمع إليه لثاني مرة الآن: (كايروكي، كايروكي، كايروكي). وسط هذا الصراخ يمر أعضاء الفرقة بجانبي ويخرجون إلى المسرح.. يصرخون أكثر وأكثر، وتبدأ الكوردات الأولى من أغنية «إعادة نظر».



بعد أن ينتهي ال Verse الأول يدخل الفاصل الموسيقي الذي يصاحبه تصفيق حاد من الجمهور الذي زاد عدده كثيراً الآن عن ذي قبل.. تنطلق الأبخرة من ماكينة الدخان، والتي أقف وراءها وأشم رائحة كالكاوتش المحروق.

على أي أساس تختار الفرقة أن تبدأ بهذه الأغنية أو تلك؟ هل تكون البداية بأغنية هادئة أم عالية؟ هل تريد أن تحدث شعوراً بالحميمية أم بالطاقة؟ يخبرني أمير وهواري أن وضع قائمة الأغاني التي ستلعب في أي حفل Set List هي مسألة صعبة معقدة وليس سهلة كما قد يظن البعض؛ فهي تتطلب تحديد عديد من العوامل مثل: نوع الجمهور، المكان، درجة الحرارة، المزاج العام في المجتمع، مزاج الفرقة، رغبة الفرقة في التجديد ولعب أغاني غير تلك التي اعتادوها كسرأا للملل.. وهكذا.

كذلك يجب أن تتحقق قائمة الأغاني تلك درجة من درجات التغير في الشحنة العاطفية بين الجمهور سواء صعوداً أو هبوطاً؛ لأن أول أغنية تضع الجمهور في مزاج محدد، ويجب أن تناسبها الأغنية التالية، وفكرة التنويع بين الأغنيات الهدئة، والمتفائلة، والرسالة القوية ذاتها، أو المفرحة، أو المتأنلة والحزينة.. وهكذا، كل واحدة يجب أن تتوافق مع ما قبلها وبعدها. وحين تمتلك فرقة مثل كايروكي في جعبتها أكثر من 50 أغنية شهيرة، فإن الاختيار ليس سهلاً.

أنتقل من الكواليس إلى خضم الجمهور كما الصراع الداخلي الذي يدور داخلهم في كتابة الأغاني وهو يخرج إلى السطح في شكل أغنية يتناقلها الناس. أقرب هواري بتركيز شديد.. هذه الشخصية الغامضة التي لا تقل غموضاً وإثارةً لفضولي عن أمير. حتى آدم الذي لا يتخطى كلامنا السلام التقليدي عند اللقاء يبدو لي أوضح منهم قليلاً؛ فهو أكثر قدرةً على التعبير عمما يفكر فيه.

في صولو الأغنية الثانية «حلمي أنا»، أرى هواري مغمضاً عينيه دون أن يفتحهما ولو للحظة. يلعب للداخل وكأنه لا يسمع ولا يرى أي شيء حوله. أتخيل ما يدور به من مشاعر الآن بعد ما حكاه لي.. أتذكر مئات القصص عن الفنانين الذين اضطروا للالتزام بمواعيد عروض المسرح أو الحفلات رغم إصابتهم بفواجع عائلية. أذكر حتى أمير الذي حكى عرضاً من يومين كيف أنه حينما جاءه خبر وفاة أبيه في الهاتف خرج مسرعاً فوجد شريف أمامه، هرعاً بسرعة ولكنها وجداً شخصين يقفان يريدان التصوير مع أمير.. فتح ذراعيه لهما بهدوء والتقط صورة معهما، ثم واصلا الركض تجاه منزل أبيه.

هناك شيء لا إنساني في هذه الشهرة.. أتخيل فنانين ربما أكثر شهرةً من كايروكي، وأتساءل كيف يحيون. ولكن في مرحلة ما لا يكون لديك خيار. أبتسم وأنا أتذكر ما حكاه لي هواري للتو: «في إحدى الحفلات التي كنا نؤديها في رأس سدر فاجأتني نوبة بكاء على المسرح، ونزلت بعد انتهاء إحدى الأغاني وقررت أن



أعود للقاهرة تاركًا الحفل في منتصفه، ولكن بينما أنا واقف في الخارج أنتظر السيارة سمعتهم يلعبون «أثبت مكانك» تتردد أصواتها من على المسرح، فشعرت أنني أريد أن أكون معهم، فعدت مرةً أخرى. ربما ليس للفنانين اختيار، ولكن هواري لا يخضع لمثل هذه الثوابت على ما يبدو، ومن يدري ربما يفعلها اليوم.

يساورني القلق بشأن الحفلة الثانية.. ماذا لو أتاه هاتف بأن زوجته مريضة للغاية؟ هل يغادر؟ كيف يكون الموقف عندئذ؟

يغنى أمير «السكة شمال»؛ ليعيد الجمهور إلى أرض الواقع مرةً أخرى بعد الحالة الحالمة للأغنية السابقة. يرد الشباب الواقف غير عابئ بالكراسي المحممية «أوهووهووهوو» مرةً بعد مرةً بينما تسكت الموسيقى لتنقلب الأدوار وتنتصت الفرقة لجمهورها كما تنصت لنبضهم وانفعالاتهم طوال الوقت.

الآن الطاقة أصبحت أعلى بعد الأغنيتين الهايتين اللتين بدأتا الحفل، ثم تنطلق إلى عنان السماء بأغنية «اتجنن»، تلك الأغنية التي تحمل بداخلها من الطاقة الغريبة ما لا يحتمل في الحفلات. إحساس الأغاني يزيد عشرات المرات في الحفلات بالطاقة المتبادلة بين الجمهور والفرقة.. الآن يتتأكد إحساسى، إنى أحب هذه الأغاني حين أسمعها تعزف أمامي أفضل بكثير من الاستماع لها في الألبومات، وهو ما اكتشفت أنه يشاركتنى فيه الكثيرون.

يتعرّق أمير بشدة. يبدو أن مفعول الحقنة قد بدأ يؤتى أثره.

كان قبل الحفل قد شكى من شعور بالسخونية والألم متفرقة في كل جسده.. وصف له آدم حقنة أرسلوا أحد الشباب ليأتي بها، وأخذها أمير ونام قبل الحفل بعشر دقائق. سيعتذر هذا الأمر بعد 4 أشهر أخرى حين نعود إلى هنا للعب أول حفلة في مصر تقدم فيها أغنيات «نقطة بيضا».. ستوصف أدوار البرد التي تأتيه قبل كل حفل بالإسكندرية بـ«لعنة المكتبة».

وضع مزيداً من التفاصيل أثناء التسجيل عند محمد صقر».

وصقر كما يلقب مهندس صوت شهير، سجل عديداً من الأغاني لكايروكى وعشرات الفنانين المصريين والعرب ومن أهم خبراء الإنتاج الموسيقى والهندسة الصوتية.

يتذكر شريف فجأة: «أغنية «أنا مش منهم» هي أول أغنية نسجلها ونتجها عند صقر في استوديو «ليلة».. «أنا مش منهم» تمت كتابتها وقت الإخوان وقمنا بغنائها في برنامج باسم يوسف للمرة الأولى، وهي الحلقة نفسها، التي شهدت العرض الأول لأغنية «أجمل ما عندي» مع الفنانة الجزائرية سعاد ماسي، وبعد التجربة الناجحة مع صقر، والتي تقاضي فيها مبالغًا قليلاً إيماناً منه بما نقدم، ذهبنا إليه في أغنية شركة المشروبات الغازية؛ خاصة وأننا نملك ميزانية جيدة هذه المرة باعتبار أنها أغنية إعلان..

قمنا بإرسال Demo وحصلنا على Feedback من الشركة، ثم عملنا على الأغنية.. كانت الصورة الأولى



للأغنية تميل نحو الروك أكثر من كونها أغنية ذات إيقاعات عالية أقرب لموسيقى الHouse. ولكن شركة المشروبات الغازية أصرت على هذا الاتجاه؛ لأنها كان الأقرب للموضة وقتها والأقرب لروح الأغنية المطلوبة. قبلنا على مضض؛ لأننا كنا وقتها متمسكين بصوتنا القديم ونخاف التخلي عنه، ولكننا مع الوقت بدأنا نغير من أنفسنا كما سيتضح لك من أعمالنا اللاحقة.

كان لصغر دور محوري في الأغنية وخروجها بالجودة المطلوبة؛ فقد استخدم Mix ما بين عزف تامر على الدرامز والإيقاعات المسجلة على الكمبيوتر وهو ما منحها هذا الصوت الإلكتروني المميز، كما أن تسجيل الدرامز كان ممتازاً، وقام بعمل Editing جيد مما خلق تماسكاً جيداً بين لعبنا؛ خاصةً أن الأغنية مزدحمة بالأصوات الكثيرة جداً، وهذه إحدى عيوبنا في البداية: الزحام، الجمل الموسيقية والآلات المتداخلة، ظننا أنها تخلق صوتاً أعلى وبه تلوين أكثر. في هذه الأغنية: 3 جيتارات، تامبورين، درامز، أكورديون،

وتريات، كلارينيت، بيز جيتار، كيبورد وأورجان، وصوت أمير وعايدة الأيوبي طبعاً، وفي أحد المقاطع زاب يغني وحده».

طبعاً وجود عايدة الأيوبي كان بدهياً بعد النجاح الساحق لاغنية «يالميدان»، والتي تعد العودة الحقيقة لعايدة الأيوبي بعد سنوات من الغياب.

ستكون لـ«كايروكي» هذه الفكرة المميزة بإعادة إحياء مغنين قدامى ولكنهم لم يكونوا من نجوم الصف الأول في زمانهم، وكانوا قد توقفوا عن النشاط الفني منذ فترة طويلة مثل: عايدة الأيوبي وطارق الشيخ.. إلى جانب تقديم أصوات جديدة مثل: شهيرة ونسمة هركي وعبد الرحمن رشدي.

يتذكر شريف ضاحكاً: «في تلك الفترة كنت أتعلم الكلارينيت، سرقها مني آدم ولم يعودها، ولكنني قدمت صولو عليها ستتجده في الأغنية، وإن كان يتوه قليلاً وسط الزحام».

نعود للحفل...

الموسيقى على المسرح مزعجة للغاية.. حين أقف في الأسفل خلف تامر مشاهدًا قدميه تضربان على البيز درامز أسمع صوت خروشة رهيباً ومزعجاً.. في الحقيقة لا توجد موسيقى على المسرح، السحر كله وسط الجمهور.

تسارع دقات قلبي مع الضربات الأولى لاغنية «اثبت مكانك».. يبدو أن وجودها هنا مقصود؛ حتى يعني زاب أغنياته كلها مع الفرقة وراء بعضها. يصرخ أفراد الجمهور أيضاً وهم يستحضرون تلك اللحظة التاريخية التي ألهمت هذه الأغنية.. تلك الأغنية التي أتت في وقتها؛ كي تطلب من الجميع الثبات على موقفهم حين كانت الرؤية غير واضحة حين بدأ مصطلح «سرقة الثورة» يشيع بين الناس، وما أن انتهت الأغنية حتى هتف الجمهور مرةً أخرى باسم الفرقة.



بعدها بدأت «صوت الحرية»، شهادة ميلاد الفرقة.. يقوم أمير بتركيب المايك في الستاند الخاص به، ثم يديره في اتجاه الجمهور.. يبدأ العزف بينما يغنيها الجمهور كاملةً. يسكت أمير تماماً ولا يدخل إلا في الـChorus: في كل شارع في بلادي صوت الحرية بينادي.. يخبرني مدحت أن هذه عادة يحافظ عليها أمير بأن يترك الجمهور هو من يغني «صوت الحرية» وكأنه يعيدها إليهم، فهم أصحاب الفضل في وجودها واستمرارها وترديدها حتى اليوم، بعد ست سنوات من الثورة المجيدة.

وربما يكون هناك سبب آخر، وهو محاولة الهروب من الأغنية الـHit، وأنذكر عبد الباسط حمودة الذي رأيته في أكثر من لقاء يرفض أن يغني «أنا تهت مني»، ويغني بدلاً منها أغاني أخرى؛ فهو يريد أن يقول للناس أنا لست أسيراً لهذا النجاح الساحق للأغنية.. هناك أغاني قد تقتل صاحبها حين يرفض الجمهور الاستماع لشيء آخر غيرها. هذا منطقي، وكان ذكاء كايروكي أو حظها الحسن، أنها خرجت بسرعة من أسر

هذه الأغنية حين أعقبوها بـ«مطلوب زعيم» ثم «يالميدان» و«اثبت مكانك».. هذه الأغاني استطاعت بسرعة - إلى جانب «افرد جناحك» ثم «اتجن» لشركة المشروبات الغازية - أن تخرج كايروكي من أسر «صوت الحرية»..وها هو أمير يؤكد الفكرة نفسها في الحفلات المتتالية.

بعدها تأتي أغنية «إحنا الشعب».

تسير الأغنية تتهاوى بذلك الغضب المكتوم الذي يذكرني بأغاني فريق Tool. ينهي أمير كلمات عبد الرحمن الأبنودي العبرية. ويصرخ الحاضرون فجأة: «إحنا الصوت ساعة ما تحبوا الدنيا سكوت». هذه الجملة العبرية التي استعارها أمير بعد ذلك بسنوات في الأغنية الشهيرة «آخر أغنية».

لم تحقق أغنية «إحنا الشعب» نجاحاً كبيراً حينما صدرت عام 2012 كسينجل في أعقاب مذبحة ستاد بورسعيد. تم تصوير الأغنية في ديكور يشبه السجون، وكان الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي قد وافق على



التنازل عنها للفرقة مجاناً بعد أن قابلهم في جلسة ودية وأعجب بروحهم وتفكيرهم.. أصبحت أغنية أساسية في كل الحفلات خاصةً الساقية والحفلات المشحونة عاطفياً، ومن أكثر الأغاني التي وجدت الجمهور يحفظها.

وبسرعة يبدأ اللحن الإلكتروني المميز لـ «آخر أغنية».. يصرخون معها بملء أفواههم وقلوبهم: حرية.. رغم كلمات الأغنية الطويلة إلا أنهم يرددونها ويغنوها بالكامل.. كلمة كلمة، إن هذه الأغنية تعبّر عنهم بحق.. أنزل وسط الجمهور الآن وأرى عيونهم تجحظ.. قلوبهم تدق والعروق تنفر في الأعناق، أفواههم مفتوحة عن آخرها وحناجرهم تهتف بالحرية كما تهتف بها نفوسهم التي تتوق إليها.

وأستغرب كثيراً من أن تعزف أغنية كهذه في مكتبة الإسكندرية، وهي مؤسسة حكومية في النهاية، واعتبرت أن هذه شجاعة تحسد عليها المكتبة.



ولم أعرف ساعتها أن هذه ستكون من أواخر المرات التي سيسمع فيها الجمهور «آخر أغنية» بشكل حي في الحفلات.

بعدها يغنى أمير أغنية «البكا بكا» بلهجتها الساخرة وكلماتها الشعبية القوية وكأنها إحدى مشاهد محمود عبد العزيز المليئة بالتهكم والسخرية من عبثية كل ما يحيط بنا من جنون مطلق.

الأحظ أن الترتيب الذي يغنى به أمير ليس كذلك الترتيب الموجود في قائمة الأغاني التي أعطاها لمدحت منذ قليل، وهي القائمة التي طبعت منها عدة نسخ وألصقت على أرض المسرح حتى يطلع عليها كل عضو في الفرقة، ولهذا غرضان: تذكيرهم بالأغنية التالية، وتحقيق السرعة في تجهيز معداتهم وضبطها للأغنية التي ستلعب، كما أن عصام ومايكل يحصلان على نسخ أيضاً؛ حتى تتم برمجة الإضاءة والصوت بسرعة لكل أغنية، فكما فهمت من عصام فإن كل

أغنية لديها مستويات معينة ومؤثرات خاصة في الصوت يتم إعدادها مسبقاً وحفظها في ذاكرة الميكسر، وبالتالي لا يتم الأمر بصورة يدوية كما كان في السابق.

هناك أغاني ناعمة تحتاج إلى مؤثرات دافئة، مثل «كل حاجة بتعدي» التي تعزف الآن، وهناك أغاني تحتاج إلى القوة وتضخيم الصوت لك «آخر أغنية» و«اثبت مكانك»، وأغانٍ تعتمد على الإيقاع السريع والصوت ال واضح Clear كما في «اتجنبن»، وبالتالي تختلف الإعدادات والمؤثرات من واحدة لأخرى.. كذلك هناك أشياء مسجلة على كيبورد شريف وأخرى يتم لعبها بنظام

ال المسجل مسبقاً؛ ولذلك فالحفظ على Playback الترتيب ومعرفة الأغاني التي ستحتاج مبكراً أمر في غاية الأهمية، ولكن الواقع طبعاً مختلف عن ذلك.

يتعدد أمير كثيراً في وضع قائمة الأغاني، ويظل يغيرها حتى آخر لحظة وفقاً لمزاجه وحالة اليوم والمكان والجمهور، وحينما يخرج إلى المسرح يستمد



من طاقة الجمهور الموجود، وبناءً عليها يغني الأغاني بالترتيب الذي يراه دونما التزام بترتيب القائمة، وهو ما يشكل مفاجأة للجميع؛ لأن لا أحد يعرف ما الذي سيعزف بعد هذه الأغنية، ولكنهم مع طول السنوات وكثرة الممارسة اعتادوا جميًعاً هذا الأمر ولم يعد يشكل مشكلة كما كان في السابق.

ثم «مطلوب زعيم» لتعيد الجمهور لأجواء 2011 مرةً أخرى.

يخرج تامر هاتفه المحمول ويصور الجمهور.

بعدها أتطلع حولي في المسرح بينما أمير يقول موالي الشهير في بداية «غريب في بلاد غريبة»، لا يوجد أي حراس مفتولي العضلات ولا حتى أفراد أمن عند أطراف المسرح. وهذه الحميمية أمر مهم لهم، لا يحبون كل ما يمنعهم عن الجمهور، ربما في الضرورة قبل أو بعد الحفلة حتى لا يصبح التدافع عليهم مخيفًا، ولكن طبعًا ليس أثناء الغناء.. وكثيرًا ما قفز

شاب أو آخر على المسرح واحتضن أمير أثناء تأدية الفرقة لأغانيها.

بعد هذه الأغنية يصور أمير الجمهور بالفيديو ويصور نفسه سيلفي على المسرح مع بقية الفرقة بينما يهتفون في الخلفية باسم الفرقة عدة مرات.

تلعب آخر أغنيتين مليئتين بالطاقة: «مربوط بأستك» ثم «غمض عينك» ثم يخرجون من المسرح بعد تحية الجمهور مصحوبين بصرخات هادرة لا تتوقف.

تعاد الحفلة مرة أخرى من السابعة حتى التاسعة، ثم نعود راكضين إلى السيارات بسرعة شديدة، أركب إداحاها مع زاب وأمير وتامر.. ننام كلنا كالقتلى ونصل القاهرة بحلول منتصف الليل. ندخل المكتب وقد استفاق الجميع: يدخل هواري غرفة جلال ويجلس كلاهما يلعبان الموسيقى حتى الثانية صباحاً، يلعب تامر وأمير بلاي ستيشن ومعهما زاب. بينما طلب



شريف طعاماً وذهب إلى منزله في مصر الجديدة، وطبعاً غادر آدم دون أن يراه أو يشعر به أحد.

بعد قليل تأتي ليلى وأصدقاء لها، ويبدئون في الحديث والسمر بينما يلعب أمير على الجيتار، تصوره ليلى بهااتفها المحمول وتنزل Story على إنستجرام، ثم يبدأ أمير بـثأر حياً يتحاور فيه مع جمهوره بردوده الذكية وسرعة بدبيته الشهيرة ويغني لهم، وهي عادة ستتكرر كثيراً جداً طوال فترة ما قبل رمضان.

أغوص داخل الكنبة ويبدأ تعب اليوم الطويل يحل على الآن وال الساعة تقترب من منتصف الثالثة صباحاً.. أنظر لهم وأسحر في هذا الجو الأسري الدافئ الذي يغلب بقايا برد الشتاء الراحل عنا قريباً.

تأتي في ذهني جملة وتظل تلح عليّ، أفتح كراستي وأكتبها خمس مرات بطرق مختلفة حتى أصل للصياغة التي تعجبني:



«كل فضاء تطوف به الموسيقى لا يعرف الحزن إليه طريقاً».

أنا في الثامنة..

في منزل خالي.. الساعة حوالي الثالثة عصراً.. أجلس أنا وابناها الاثنين اللذان يكبراني بعدها أعواماً.. جمیعنا متسمرون أمام الشاشة دون أن أفهم لم.. تخرج مذيعة بصوت هادئ في برنامج اسمه «العالم يغنى».. يعرض البرنامج فيديوهات لأغانٍ مصورة من حول العالم. وقبل كل فيديو تقول جملة غريبة: «لهواة التسجيلات فإن مدة الأغنية هي أربع دقائق وعشرين ثانية». وفي منتصف الحلقة، تعطي تنبية للمشاهدين: بعد قليل سعرض أغنية

.Europa لفرقة «The Final Countdown»

هنا تحدث هيستيريا مفاجئة وكأن المنزل يشتعل بالنيران.. يهرع كلاهما إلى خارج الشقة ويصعدان السلم جرياً، أتبعهما، يقابلان على السلم ابن عم لهما

يسكن بالع^{مار}ة. يحمل في يده كاسيت ضخماً .. يصبهانه بسرعة إلى داخل الشقة Double Deck مرة أخرى، ويضعان الكاسيت ملائقاً لسماعات التلفاز. وما هي إلا دقائق حتى تبدأ الأغنية بلحنها الشهير، فيضغط أحدهم زر التسجيل.. ما أن أبدأ في قول شيء حتى يضع ابن خالتي الصغير يده على فمي بينما ينظرون إلى في ذعر.. أحبس أنفاسي حتى تنتهي الأغنية وسط هدوء تام في الغرفة المغلقة.

هكذا كان المجهود الذي يبذله الشباب الصغار حتى يستمعوا لأغنية على شريط كاسيت.



الفصل التاسع

تاريخ موجز للعالم

عن الحضارات، الهوية، الحرية، وأصول الانحلال الأخلاقي

كما قلت في المقدمة، فإن أزمة جيلنا الحقيقية هي أزمة هوية. وتعريف الهوية أمر شديد الصعوبة والتعقيد.. هناك من يرى أنها تتمثل في اللغة.. وهناك من يرى أنها تتمثل في الدين أو العرق أو القومية والجغرافيا والتاريخ.. وهناك من يرى أنها كلها.

والحقيقة أنني أرى أن الهوية ليست شيئاً واحداً، وإذا كان المصري في القرن الواحد والعشرين لا يعرف من هو، فربما يجب علينا أن نبذل بعض المجهود كي نصل إلى أصل الحكاية؛ لأنه يعد درباً من دروب السذاجة الفكرية أن نلخص الهوية في فكرة أو اتجاه بعينه.. أنا هنا لا أحاول أن أصل إلى إجابة قاطعة، ولكن ببساطة أستجيب للفضول الملحق بداخلي بالعثور على إجابة



عن سؤال: من نحن؟ مازا كنا.. كيف كنا.. وماذا يمكن أن تكون؟ من هو الإنسان الشرقي؟ ومن هو ابن الغرب؟ وماذا يعني أن تكون مصرّياً في هذا العصر الذي ينفتح فيه العالم على بعضه البعض كما لم يحدث أبداً من قبل؟ ما وجودك؟ ما معناه؟ كيف وصلنا إلى اللحظة التي وصلنا إليها اليوم؟

هل حقاً نعرف من نحن؟

نزل الإنسان على الأرض وحيداً وسط الطبيعة والحيوانات الضاربة. وكي يستطيع النجاة ب حياته في هذه الظروف القاسية كان لزاماً أن تتأصل بداخله غريزة أساسية تسمى غريزة البقاء، وهي كلمة سمعناها وقرأناها كثيراً.

- تمكن الإنسان من أن يكون أسرة، ويجد لنفسه مأوى - الكهف - بعيداً عن تقلبات الجو وشراسة الحيوانات. وبعد مرور بضعة آلاف من الأعوام زاد عدد البشر وتعقدت العلاقات فيما بينهم فصاروا يحتاجون إلى



الاتفاق على عدة مبادئ تمكنتهم من العيش معاً. هنا تكونت المجتمعات، والتي كانت في ذلك الوقت صغيرة للغاية ربما تتكون من بعض أسر. بعد قليل من الوقت وجد الإنسان أن الأرض حين تمطر تنبت الأشجار التي يمكن أن يأكل من ثمارها فاكتشف الزراعة، ونزل بجانب مصادر المياه كالأنهار، وعلى ضفاف هذه الأنهر بدأت هذه الجماعات الإنسانية تنموا وتزدهر وتختلف احتياجات أفرادها، فظهرت المقايسة ثم النقود، ثم وجد هذا المجتمع أن هناك من يعتدون على حرمات غيرهم، ففرضوا قوانين بينهم تعاقب من يخالفها، ومن هنا بدأت الفكرة الحقيقية للمجتمع تنبلاور.

ولأن الإنسان خلق فناناً، فقد عرف الإنسان الأول الذي يعيش في الكهف الفن مبكراً جدًا. منذ مائة عام تقريباً تم اكتشاف رسوم داخل كهوف أثبتت الدراسات والأبحاث أن أعمارها تزيد عن الـ 40 والـ 70 ألف عام، وهي رسوم سجل بها الإنسان الأول حياته اليومية من صيد للحيوانات وزراعة واكتشاف النار واستخدامها



لطرد الأرواح الشريرة، وتذهب بعض الدراسات إلى القول بأن الإنسان عرف الرسم وربما الموسيقى قبل أن يعرف لغة الكلام.

عرف الإنسان الأول أيضًا مفهوم عبادة شيء ما، سواء كان ذلك بداع غريزي أو بفضل رسالات سماوية لا نعلم عنها شيئاً، فالإنسان البدائي كان مؤمناً بمفهوم الأرواح: الشريرة منها والطيبة، ولم يكن يفهم المرض سوى أنه لعنة من روح غاضبة، ومع الوقت بدأ يخترع آلهة سواء من العدم أو من قصص تحكي عبر الأجيال. وبهذين الدافعين الأساسيين داخل الإنسان: الاحتياج للفن والعبادة، انطلق المجتمع الصغير على ضفة النهر إلى بناء ما يسمى بالحضارة.

كان هذان العاملان العنصر الرئيسي وراء ازدهار حضارات مهمة كالحضارة الفرعونية، فقد سخر الفنان (النحات، الرسام، الموسيقي) هذه الرغبة اللا إرادية بداخله في خلق الفن؛ كي يعبر عن تقديسه وحبه لهذه القوى أو الآلهة الأكبر والأقوى منه خوفه منها.



ومن هنا كانت الآثار الفرعونية والآشورية والفينيقية واليونانية، كلها تماثيل ومعابد شديدة الجمال والرقي (فن)، احتفاءً بالعبادة (دين). ومع مرور الوقت صار الفنان لا يكتفي فقط ببناء دور العبادة وتسجيل طقوسها، وأراد أن يحكي أحداث الحياة اليومية أو الدنيوية التي يحياها هذا المجتمع باستخدام الكلمة، فظهر الشعر ثم التدوين، واحتاج الإنسان للتسلية والترفيه فخلق المسرح، وبالتالي معاً ظهور التدوين تطور الفكر وظهرت فنونه مثل الفلسفة والتاريخ.

وعلى كل الأصعدة، وباختلاف هذه الحضارات.. كان القاسم المشترك بينها أنها حضارات يقوم الحكم بها على أساس ديني، فالفرعون هو ابن الإله، والكهنة أقوى البشر، وما ي قوله الفرعون لا راد له، ومثل ذلك في حضارات أخرى.

إلا أن الإنسان في مرحلة متاخرة بعض الشيء، وهي مرحلة ازدهار الحضارة اليونانية ثم الرومانية، اخترع فكرة الديمقراطية وحكم الناس للناس. ولأول مرة في التاريخ يدرك الإنسان أن لديه إرادة، وأن من يحكمه



ليس إلهًا ولكنه بشر مثله، وبالتالي فإن أحكامه وقوانينه ليست مطلقة.

أدت الديمocratie اليونانية لتخلص الإنسان من هذه السلطة.. وبالطبع لم تكن هذه الديمocratie تطبق على الكل، فمنطق الاستعباد واستغلال الفقراء لجمع مزيد من الثروات كان موجوداً، وشجعت ديمocratie العالم القديم التوسعات الاستعمارية والغزو وسلب خيرات الغير كما فعل الإسكندر الأكبر، كما أن الديمocratie حين أتت فتحت الباب على مصraعيه للحربيات الشخصية، واختفى المعيار الأخلاقي الحاكم للمجتمع القديم مع اختفاء سطوة الآلهة والكهنة.

وظل الأمر على ذلك المنوال لبضعة قرون من الزمان، حتى حدثت نقطة تحول فارقة، حيث ظهرت ديانة جديدة في الشرق اسمها المسيحية، كانت اليهودية قد ظهرت قبلها بألف عام ولكنها بقيت في حدود العالم الشرقي دون مشكلات بعد انتهاء أزمنتها في مصر، حين ظهر المسيح في فلسطين بدأت الموازين تقلب، وعادت فكرة الإله الواحد والدين تطفو على السطح



وتنتشر في مستعمرات الدولة الرومانية في الشرق، ودفعاً عن ذلك الإرث الذي ورثته روما، حاربت انتشار المسيحية بكل قوتها وظلت الحرب لقرون، إلى أن آمن بها أحد حكام الإمبراطورية الرومانية، وفرضها وبالتالي في القرن الرابع الميلادي كديانة الإمبراطورية الرسمية بديلاً عن الديانة الوثنية. وحدث تحول آخر شديد الأهمية أيضاً: لقد أصبح الحاكم المؤمن هو أيضاً خليفة الله في الأرض، وعاد الدين مرة أخرى ليكون أحد مسوغات حكم الأفراد.

بعد تمكن المسيحية من الحكم بمائتي عام فقط ظهر دين سماوي ثالث، وهو الدين الإسلامي، وقصته معروفة لدينا جمیعاً، وتمكن بسرعة رهيبة من أن ينتشر لتترث الحضارة الإسلامية جميع ممالك الحضارة الرومانية في الشرق.. وبعد أقل من مائة عام تمكنت من الوصول إلى أوروبا وأسيا.

ولعب التوالي السريع لل المسيحية والإسلام دوراً كبيراً في تأجيج ما صار يسمى بعد ذلك بصراع الحضارات. ففي الوقت الذي كانت الحضارة الإسلامية الوليدة



تزدهر فيه بقوة رهيبة موفرةً كثيراً من الرخاء والازدهار لرعاياها، بحكم ديني بحت لا مكان فيه للديمقراطية اليونانية القديمة، كانت أوروبا تحتضر وتسقط فيما سمي بعصور الظلام والتي ربما سمعتم عنها من قبل.

نقطة اعتراضية: أحد أهم عوامل نجاح الحضارة الإسلامية من الناحية الثقافية هي انفتاحها على العالم الغربي؛ إذ كانت الترجمة هي رأس الحرية التي مكّنت العالم الشرقي من استيعاب إرث الفلسفة والفن الذي تركته الحضارة الأوروبية المحتضرة، وبدأ علماء العرب ببناء إرث إسلامي ثقافي عالمي يجمع ما بين الغرب والشرق.. الفلسفة والإسلام.. العلم والمعتقد الديني، فظهر نموذج العالم الموسوعي الإسلامي: ابن سينا والفارابي والحسن بن الهيثم وأبن رشد، وهذه الأسماء وغيرها الكثير تجسد ببساطة قمة الحضارة الإسلامية وكمال فكرها، وهو بالطبع ما لم ينعكس في قصور الحكم التي انتابها الضعف والتفكك والمكائد والفساد والصراعات المستمرة.

على الناحية الأخرى، وفي هذه الفترة نفسها وهي النصف الثاني من الألفية الثانية (حوال 1450 وما بعدها) بدأت أوروبا تستفيق من غفوتها. كان السبب الرئيسي لهذا الظلام الدامس الذي عاشته أوروبا حوالي ألف عام هو الحكم الديني البحت.

كانت الكنيسة سلطة لا تواجهها سلطة، ولا يمكن بالتالي نقاشها فيما تفرضه على الناس وتسسيطر عليهم بمفهوم راسخ بأنها ظل الله على الأرض، وكان الحاكم الأوروبي كذلك مختاراً من الله؛ لأنَّه مختار من الكنيسة، وأصبحت الكنيسة هي الدولة والدين هو القانون.. و كنتيجة لوجود أي سلطة غاشمة لا تجد من يواجهها، استشرى الفساد والجهل وظل الأمر يتفاقم حتى وصل إلى ذروته في الدولة الإسبانية، والتي جمعت قوتها لطرد المسلمين منها (سقوط الأندلس)، ولا يدرك كثيرون أن نفس الملكة التي طردت آخر ملوك الأندلس، الملكة إيزابيلا، هي نفسها الملكة التي مولت حملة كولومبس لاكتشاف أمريكا، وهي نفس الملكة، تخيل، التي ازدهرت في



عهدها محاكم التفتيش التي نصبت كي تحاكم كل صاحب رأي أو فكر مخالف لما تقوله الكنيسة، فحرقت الكتب وعذب المفكرون والعلماء بوسائل يقال إنها الأبغض في تاريخ البشرية.

وبالتالي نجد أن إيزابيلا تجمعت لها كل العناصر التي تخلق حاكماً فاجراً: سطوة الدين في يد، ورأس المال في يد (الخيرات القادمة من أمريكا المكتشفة حديثاً)، وكذلك حضارة إسلامية تتهاوى (لم يكن يزعج السلطة الدينية الكنيسية في أوروبا سوى الدولة العثمانية الوليدة، وكانت الدولة العثمانية بعد ذلك هي الوريث الوحيد لفكرة الحضارة الإسلامية بعد تفككها في الشرق على يد الهجمات الشرسة للمغول، ثم الـ«عل» الكبير الذي حدث من ظهور المماليك والسلاجقة وغيرهم حاكاماً للشرق).

ثم ماذا حدث؟ قرر التاريخ أن يتتحول مرة أخرى.. وهذه المرة بشكل أكثر عنفاً وتناقضاً عن ذي قبل.



قبل ظهور إيزابيلا، كانت أوروبا كما قلنا تعيش في ظلام العصور الوسطى، ولكن بشكل ما ظهر الفنان / المثقف الأوروبي في حوالي بدايات القرن الرابع عشر (1300 وما بعدها)، وقام هذا الفنان بأمر شديد الغرابة: قام بتطوير الفن آخذًا من التراث العربي الذي كان يعيش أواخر أيام ازدهاره، وكان العالم الإسلامي المتحضر كان يسلم الراية للحضارة التي سترته، وسلمها كعادة كل حضارة للفنانين والمفكرين.

هذا التطوير الذي قام به الفنان الأوروبي كان الهدف منه (طبعًا) هو خدمة الدين؛ فليس من هدف في هذه العصور - كما قلنا - لأي نشاط إنساني سوى خدمة الدين والكنيسة بالأساس.. ولأن الكنيسة كان لديها أموال طائلة جمعتها من ضرائب مواطني الدول الأوروبية والحروب التي كانت تشن باسمها (الحروب الصليبية) على الشرق؛ فقد تمكنت من أن تضخ هذه الأموال لتزيد من سطوطها وتعظم من وجودها أمام رعاياها، فكانت هي السلطة الوحيدة تقريبًا التي يمكنها أن تدفع بسخاء للفنانين؛ كي يبنوا أعظم



الكنائس ويرسموا أعظم اللوحات، وظهر لأول مرة في التاريخ التدوين الموسيقي وظهرت ترجمات جديدة لأعمال فلاسفة اليونان، والتي أنقذها العرب من الضياع؛ حين ترجموها وشرحوها في موسوعات عديدة، فأعادت حضارة النهضة الأوروبية ترجمة هذه الأعمال من العربية (أترى كيف تنتقل شعلة النور من حضارة إلى أخرى؟).

وبدأت هذه الحركة الفنية في خلق كثير وكثير من الوعي لدى الإنسان العادي الذي بدأت حياته تتطور وتزدهر (بالطبع، هناك قدر كبير جدًا من هذا الازدهار كان سببه رواج التجارة والأعمال بعد احتلال الدول الأوروبية لدول شرقية واكتشاف ممرات وطرق بحرية جديدة)، ولكن لا تنس أن كل هذا الازدهار كان في النهاية يتم تحت رعاية ومن أجل خدمة الدولة الدينية بالأساس.

ذلك الرقي والتقدم في الذوق والعقل الجمعي جعل الإنسان يشعر بحرفيته وإنسانيته وبأنه يستحق أفضل مما يقبل به، وأن هذه القيود اللانهائية التي تضعها



عليه الدولة الدينية تتناقض مع إدراكه الذي يتسع كل يوم. هل تذكر صديقتنا إيزابيلا؟ ماتت الملكة الأكثر تشدداً وعنفاً في التاريخ بعد حوالي مائة عام من بدء النهضة الفنية الأوروبية.. طيب وماذا يعني ذلك؟

على الضفة الأخرى كانت مملكة بريطانيا تحدث نقطة فارقة في تاريخ الحكم الديني الأوروبي، كان هناك ملك ظريف اسمه هنري الثامن، كان متزوجاً من ابنة إيزابيلا (تخيل المفارقة)، زواج مصلحة ويكرهها، وأراد أن يطلقها ويتزوج من عشيقته.. رفض بابا الفاتيكان أن يمنحه الموافقة على الطلاق؛ فقرر بكل بساطة أن يستقل بإنجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية ويؤسس كنيسته الخاصة على مذهب (البروتستانتية) ويصبح هو رئيسها، يتزوج ويطلق كما يشاء.. والأهم، أن جميع رعيته دخلوا في المذهب الجديد.. كانت هذه ضربة موجعة لسيطرة الكنيسة الأوروبية؛ خاصة وأنه قبل هذه المعركة بين هنري والكنيسة بعشرين عاماً فقط، ظهر في ألمانيا قسيس متنور (يمكنا أن

نقول: نتاج لعصر التنوير الذي كان قد بدأ منذ مائة عام) اسمه مارتن لوثر، كتب وثيقة شهيرة يقول فيها شيئاً واحداً بسيطًا: كل المسلمات التي تستخدمنها الكنيسة للسيطرة على المسيحيين في كل دول أوروبا مسلمات باطلة فاسدة، الغرض منها هو استخدام الدين لحكم البشر والسيطرة عليهم، وأن الدين يحتاج إلى مراجعة (نعم، تجديد الخطاب الديني، تخيل!) وأن العالم يتقدم الآن إلى الأمام ولا يمكن أن نظل في عصور الظلام التي نعيشها حتى الآن. كثيرون آمنوا بما قاله لوثر، الذي يعد مؤسس المذهب البروتستانتي، وأتى هنري الثامن بعده بحركته الجريئة وتبني هذا المذهب؛ ليشجع الرجل الأوروبي المتنور أكثر فأكثر على هز السلطة الدينية التي كانت تسيطر عليه لمدة ألف عام هزة قوية للغاية.

زهقت من حصة التاريخ؟ لا تقلق لقد أوشكنا على الانتهاء، هل تعرف لماذا؟ لأن العالم بدأ منذ هذه الفترة يتحرك بسرعة مخيفة في كل الاتجاهات، لقد انتهى عصر النهضة في فترة 1700، لأن عالماً (لاحظ أول



مرة نستخدم كلمة عالم، فالعلم الذي امتهنه العرب حول عام 700 ميلادية وما بعدها وصل أخيراً إلى أوروبا بعدها بآلف عام وصار مهنة) اسكتلندياً اسمه جيمس واط قام بتطوير الماكينات التي تتحرك بقوة البخار؛ ليظهر ما يسمى بعصر (الثورة الصناعية).

بدأت أوروبا تصنع، ومع بداية التصنيع أتى الاحتياج المعتمد للخامات والثروات؛ فازداد الاحتلال بجنون، ووقع الشرق ومعه إفريقيا والهند والصين تحت وطأة الرجل الأبيض المتعلم المثقف المتتطور (صناعياً وعلمياً) إلى جانب أمريكا، التي تمكنت من إبادة الهنود الحمر جميعاً واستغلال هذه الأراضي الطيبة.

أصبح المال في هذا القرن عنوان المرحلة، الدين موجود - بالطبع - ولكنه تراجع جداً، الانحلال الأخلاقي الناتج عن الحرية المطلقة يعود مرة أخرى بعد سنوات الحرمان والكبت التي فرضتها الكنيسة، وازدهرت الفلسفة الأوروبية الحديثة كذلك، فظهرت أسماء مثل: باسكال، كانط، موزارت، چون لوک، موليير، وغيرهم.

وبسرعة دخل القرن الـ19، وهو قرن ازدهار الأدب والموسيقى والفكر في أوروبا، وهذا الازدهار الإنساني كان لا يزال يغذيه الضخ المستمر لثروات العالم المتاخر المحتل، وظلت الثقافة والفكر والموسيقى تتضخم وظل الإنسان (الأبيض) يؤمن بقواه المطلقة يوماً وراء الثاني، وبالتالي حقه في استعمار هذه القوى المتخلفة التي لا تجيد استثمار مواردها؛ لأنها ببساطة... متخلفة (ظهرت نظرية مناسبة جدًا لهذا الفكر العنصري/الاستعماري تقول إن الإنسان أصله قرد ولد في إفريقيا.. وكان هناك صائدون يصطادون الأقزام السود ويعرضونهم في حدائق الحيوانات في أوروبا).

وبالطبع، عادت فكرة العبودية بعد أن كانت قد انحرفت بمساواة الدين لألف وخمسين عام.. عادت هذه المرة بناءً على اللون لا أكثر، وتدفق السود المكبلون ليبنوا العالم الجديد، وأعطى الرجل الأبيض لنفسه الحق في أن يتسيد العالم وبشر هذا العالم، فارتکب الرجل الأبيض - وأخص بالذكر هنا



البلجيكيون (تخيل بلجيكا هذا البلد الصغير) فظائع في الكونغو لم تر البشرية مثيلاً لها، وكذلك فعل الهولنديون في جنوب إفريقيا.. والإنجليز في الهند ومصر وأستراليا، وفرنسا في المغرب العربي وإفريقيا، وكانت كل نقطة دم تراق في هذه البقاع البائسة من العالم تروي الازدهار الأوروبي، فازدهر الأدب الإنجليزي والموسيقى الألمانية والفلسفة الفرنسية، وكانت كل الثروات وكل المواد الخام المسروقة تظهر في أمريكا على هيئة نهضة اقتصادية لم يشهد لها العالم مثيلاً أيضاً.

وسط كل هذا نسي البشر الدين، لم يعودوا في حاجة إليه؛ فالإنسان (الأبيض) قد صار هو الإله، يملك كل شيء، واستيقظت أوروبا في عام 1883 على فيلسوف ألماني اسمه نيتشه يخبرهم - في كتاب له - أن فكرة الإله قد ماتت. في هذه الفترة ظهر مفكر نمساوي اسمه كارل ماركس الذي قال إن هذا التوزيع للثروة غير عادل وأنها يجب أن تكون مشاعة للجميع، وتبنت روسيا والصين وكوبا هذا الفكر الشيوعي فيما



بعد، وظهرت أيضاً أفكار نيتشه وشوبنهاور وفاجنر (كلهم ألمان) التي تقول بأن الجنس الآري هو الأنقى والأقوى والأفضل، وظهر حفيدهم هتلر ليطبق نظريات أساتذته بفكرة النازي.

في القرن العشرين اكتشف الإنسان بعد حربين عالميتين مريرتين أنه قد فقد إيمانه بكل ما كان يضعه له المجتمع من قيم ومبادئ، وأصبح يبحث عن تفرده وحريته بأي ثمن، وباتت الوحدة هي الحالة الوجودية الأبرز.

صاحب ذلك انفجار تكنولوجي غير طبيعي؛ ففي أقل من مائة عام انتقلنا من التنقل بعربات تجرها الخيول إلى الإنترن特.. مروزاً بالطيران والإذاعة والتليفون والتليفزيون والقنابل الذرية النووية والإبادات الجماعية بقنبة واحدة، واستمر تقسيم العالم ما بين شرق وغرب وواصلت الحضارة الغربية تسديها للكوكب، وتم تقسيم الشرق بين هذه الدول، حتى بعد أن أجبرت الحرب العالمية الثانية العالم «المتقدم» على التخلّي عن فكرة الاحتلال العسكري.. ظهر مكانه



احتلال اقتصادي وثقافي فلم تعد الولايات المتحدة الأمريكية العظيمة في حاجة إلى إسقاط قنابل ذرية جديدة، بعد أن صارت لديها اختراعات أكثر اختراقاً وقوة كالسينما والإعلام والموسيقى والأزياء.. ورويداً رويداً بدأت الهوية الحقيقية للشعوب تختفي ولم تعد لها خصوصية، فالمطلوب هو أن نفكر جميعاً بالفكرة نفسه ونحلم بالحلم ذاته، ونعيش الحياة نفسها.

ومن المثير للسخرية أن رواية ناقدة للشيوخية كرواية «1984» الشهيرة لجورج أورويل (إحدى أكثر الروايات قراءة بين أبناء جيلنا) ركزت على فظائع الحكم القمعي الذي يخلق قوالب واحدة من كل البشر. ولكن في حقيقة الأمر.. فإن هذا النوع من القمع الذي تمارسه الشيوخية والدكتاتورية عموماً هو نوع ظاهري وينتهي به الحال عادةً إلى الفشل، كما رأينا في الاتحاد السوفيتي وألمانيا النازية وغيرها، ولكن هذه «القولبة» الحقيقية للبشر في كل أنحاء العالم.. إنما تتم بشكل ممنهج وأكثر نفاذًا من خلال المحو الكامل للهوية الثقافية الذي تنتهجه الدول الغربية التي تنادي

بالحرية والديمقراطية، وهو ما التفتت إليه فرنسا مبكراً حينما فعلت ذلك في الدول التي احتلتها، ومثلها فعلت إسبانيا في أمريكا اللاتينية، وجاءت أمريكا لتأخذه إلى مستوى أبعد حين بدأنا جميعاً نأكل ونرتدي ونشاهد ونستمع إلى الشيء نفسه بفضل السينما والموسيقي وثقافة الـPop.

أما الشرق البائس.. فلم يكن أمامه حل سوى الاستسلام التام، اللهم إلا فئة صغيرة من البشر وجدت في النموذج الإسلامي البعيد للحكم مخرجاً ومهرباً.. يمكنها من خلاله أن تجد هويتها المفقودة. ولكن الفكر الإسلامي نفسه كان قد تغير بحلول القرن الجديد، وانقلب التعددية والمذهبية إلى انغلاق وتقهقر كبير في مواجهة الاحتلال المادي والثقافي الأوروبي، وصار الانغلاق والتمسك بأصول الأمور المعيار الأوحد لقوة الدين؛ حفاظاً على الهوية.. ومن هنا جاء الفكر الأصولي الذي ظهر في القرن التاسع عشر في شبه الجزيرة العربية، والذي حاولت مصر (المستنيرة والمتمدنة وقتها) محاربته، ثم استسلمت له تماماً



وتركته يتناهى ويستفحل بين أبنائها حتى ظهر في أوج قوته في سبعينيات القرن العشرين، وبدأ ظهور الجماعات المسلحة التي قررت أن تفرض هذه الرؤية للدين باعتبارها الرؤية الوحيدة الممكنة والتي ستؤهلنا لاستعادة أمجادنا القديمة. ولأننا متأخرن - بالطبع - عن العالم بـألف عام على الأقل، فقد بدأنا الدورة تماماً من حيث بدأتها أوروبا قبلنا بألفية كاملة: الدين هو الورقة الرابحة التي ستحقق لنا الأغراض كافة.

لقد قرر المتطرف المسلم أن يحاسب الرجل الأبيض على كل فظائعه بأن ينهج منهجه نفسه: تأسيس دولة دينية، طغيان كامل ومحاربة لأي فكر تنويري مخالف، ثم محاربة واستغلال كل الدول المجاورة وبناء النهضة «الإسلامية» على أنقاضها، ظناً أنها بذلك ترث الحضارة وتصبح هي السائد المسيطر في العصر القادم، ولكن الفكرة هنا ببساطة أن الإنسان قد تغير، تغير كثيراً ولم تعد أزمته فقط في أن يجد الله، ولكن في أن يفهم وجوده بالأساس، أضف إلى ذلك الفقر

والقهر والجهل الذي تسبب فيه كل من المستعمر الغربي ثم الدكتاتور العربي ثم الغزو الثقافي الغربي بعد ذلك؛ ليظهر الشاب العربي مع بدايات القرن الواحد والعشرين كائناً مشوهاً يعاني من الضياع في اللغة، والتفكير، والعادات والتقاليد، وفهم الحرية.. وبالطبع فقدان الهوية.

وكانت هذه بداية الهوس الشرقي بكل ما هو غربي؛ باعتباره الحل الأمثل والأسهل لحياة سعيدة. وببدأ الشرقيون، الشباب منهم - بالذات - يؤمنون بأن قيم الحرية والمساواة تنطبق عليهم أيضاً إذا ما عاشوا في كنف الرجل الأبيض، متناسين تماماً أن هذا الرجل / الفكر كان يحتلنا وينهينا وينظر نحونا بدونية شديدة حتى خمسين عاماً مضت (آخر دولة عربية تحررت من الاستعمار بشكل رسمي كانت جيبوتي عام 1977)، وبالتالي فمن السذاجة بمكان أن تظن أن هذا الرجل بات يحترمك ويعتبرك ندّا له لك الحقوق نفسها، وسيقوم باحتضانك ومعاملتك بقدر المساواة وهو من كان يراك في درجة أدنى منه منذ بضعة عقود فقط.

هذا الاحتواء الظاهري لجميع الثقافات تكشفه العنصرية المستترة في كل هذه الدول.. إنها عنصرية تخرج - في بعض الأحيان - إلى السطح عبر ممارسات عديدة في دول تدعي أن الكل سواسية أمام القانون، ولكنها في الحقيقة موجودة خلف كل ابتسامة وادعاء بالتقدير، تنفضح بقوة في مباريات الكرة أو النظارات المحتقرة التي ينظرها إليك الأوروبي.. حينما يستضيفك للدراسة في الجامعة أو حينما تقف لتسأله عن الاتجاهات أو أي حافلة تستقل، كما تظهر في ممارسات الشرطة والعصابات المسلحة وهؤلاء الذين يرفضون خدمتك في المطعم، أو حتى في تباطؤ القضاء والإجراءات القانونية حين تصبح أنت طرفاً في هذه المعادلة.

الرجل الأبيض - كما هو - لم يتغير ولكنه صار يرتدي بدلةً أرقى ويبتسم في وجهك.. أما داخله لم يختلف كثيراً.. ولم يختلف قليلاً!!

صدقني.

لم يختلف بالمرة.



الفصل العاشر

«مطلوب زعيم»

في عام 2011م انطلقت الفرقة الموسيقية الشابة إلى عنان السماء بعد نجاح أغنيتها الأشهر «صوت الحرية».. كانت الفرصة قد حانت لهم أخيراً - بعد عمل متواصل استمر ثمانى سنوات كاملة - أن يعيشوا هذا النجاح الذي طالما حلموا به.

قيل وقتها إن كايروكي ستختفي فجأة كما ظهرت فجأة، وأنها من الأصوات الشابة الغريبة التي ظهرت وقت الثورة وكانت لها أغنية واحدة ناجحة بسبب الظروف وأن هذا النجاح لن يتكرر.. تعلالت الأصوات بأن الفرقة لن تصمد أكثر من أغنية «هيت» وبضعة إعلانات، وهو ما حفّز أمير العنيد والكاره لمحاولات التقليل منه إلى الخروج بالأغنية تلو الأخرى، بعد لم شمل الفرقة إثر الخلافات التي حدثت بعد «صوت الحرية».. وفي غضون أشهر قليلة ردت الفرقة على



هذه التكهنات بأشهر أغانيها: «اثبت مكانك»، «مطلوب زعيم»، «يالميدان».

استطاعت هذه الأغاني أن تؤكّد أن ذلك الصوت الجديد الذي ظهر أتى ليبقى، وأن هؤلاء ليسوا أولاداً صغار ظهروا على الساحة فجأة، ولكنهم موسيقيون أصالة ظلوا يعملون قرابة عقد من الزمن، وأن هذه الشهرة كانوا يستحقونها بعد أن عملوا من أجلها وحلموا بها طوال السنوات الماضية.

وبحلول عام 2012م، أصدرت الفرقة ألبومها الأول «مطلوب زعيم»، والذي يتضمن أغاني من بدايات كايروكي المبكرة، إلى جانب أغنيات أخرى كتبت وصدرت قبل الألبوم مباشرةً. وكانت الرؤية وقتها أن تجمع هذه الأغنيات وإصدارها في ألبوم سينضع الفرقة على أول طريق الاعتراف بها ككيان موسيقي متكملاً سينتج بعد ذلك أعمالاً أخرى، وأن صدور ألبومات له عديد من الفوائد من الناحية التاريخية.



كان أمير يقضي أيامًا طويلة في المنزل، ويجلس أغلب الوقت مرتديًا ملابس الخروج كاملةً، ومنها جاكت جينز كان يرتدية كثيراً.. كان في هذا الجاكت زر معدني بارز كعادة الجواكت الجينز، وكان يضايقه أثناء لعبه بالجيتار.

في أحد أيام الشتاء كان أمير يعزف، وحين شعر بالبرودة ارتدى الجاكت الذي كان قد تركه في الدوّلاب طوال أيام الصيف. وما أن بدأ يلعب حتى عاد الزر ليضايقه، لتعود إليه ذكرى الشتاء الماضي حين كان يرتدية ويسبب له المشكلة نفسها، ومن هنا قفزت في رأسه جملة لا يعلم من أين أتته، أملأها إياه الله كما ي ملي ملايين الملهمين في هذا الكون الواسع في كل لحظة من كل يوم: «يعدي الصيف وييجي الشتا وأنا زي ما أنا».

كانت أول مرة يعبر فيها أمير عن الإحباط: «تفوت أيام وأسمع كلام عن حلم راح وانتهى»، مشيرًا إلى قصص الحب الفاشلة سواء الخاصة به أو بمن حوله،



«نفسي أنا دى بأشغل صوتي، أهرب من سكوتى، متكتف وعااجز».

و تستطيع في هذه الأغنية المبكرة (أنتجت عام 2005) أن ترى الشكل الغربي لموسيقى كايروكي في تلك الفترة؛ فقد كان تكوينهم ومعرفتهم الموسيقية بسيطة.. كان التسجيل يتم بأبسط الوسائل المتاحة: ميكروفون ولا بتوب.. قاموا بتسجيل الأغنية في منزل أمير بميدان الاتحاد، حيث اقتطع جزءاً من الصالة وحوله إلى استوديو صوت معزول.

كانت الفرقة في بداياتها تحافظ على الشكل الكلاسيكي البحث لفرقة الروك: جيتارات كهربائية وأكoustic، درامز، بيز جيتار، الكيبورد. وكان من الطبيعي أن يؤخذ عليهم وقت صدور الألبوم أن موسيقاهم غربية خالصة ولا تمت للمusic الشرقية بصلة.

المusic هنا ناعمة، هادئة، حالمـة، تبدأ منذ اللحظة الأولى بالمقدمة القصيرة للRhythm جيتار (الريثـم هو



عزف الجيتار بطريقة إيقاعية، وجملة لحنية قصيرة ذات إيقاع ثابت ومتكرر)، وجيتار هواري صوته واضح للغاية خاصةً في الصولو الأخير الذي ينهي الأغنية (ويسمى دوره دور Lead Guitar، وهو الجيتار الذي يعزف ألحاناً طويلة ومتكاملة). وكذلك في حوار جيتار هواري مع أمير، حيث يرد أو يعلق على كل شطر ي قوله في ال Verse (كل أغنية تتكون من Verse و Chorus، وسوف أشرح ذلك بالتفصيل في خلال بضعة فصول)، فهو ممتد طوال الأغنية لا يسكت ولا لحظة حتى تنتهي بالصولو الشاعري.

بعدها تأتي أغنية صوت الحرية الشهيرة، ولكن دعنا نرجئها الآن إلى وقت لاحق.

«الميدان»

تأتي بعدها أغنية «الميدان».. من حيث الترتيب المبني على الارتباط بالحدث وأن مسرح الحدث هو ميدان التحرير، وهي أغنية بسيطة تتكلم عن المشاعر

الجياشة التي يشعر بها المتظاهرون في ميدان التحرير، رمز كل ما حلم به المصريون.

ويخبرني أمير: «**يالميدان**» أغنية مكررة كثيراً. ووجدنا أننا ستحقق التنوع إذا ما قمنا بإضافة صوت آخر معنا. وكانت عايدة الأيوبي من المطربات المفضلات لدينا منذ طفولتنا بسبب إحساسها العالي وموسيقاها المختلفة عن جيلها، وكانت دائمًا ما أقول: إذا اشتهرنا سوف أطلب منها أن تغني معنا. وكان ذلك يبدو مستحيلاً لأنها مختفية عن الأنظار».

بحث عنها أمير حتى اكتشف أنها تسكن في المعادي أيضاً، وقاموا بزيارتها وأسمعواها الأغنية.. فوافقت على الفور.. «كان ذلك أمراً غريباً بالنسبة لي؛ لأنها لم تفك للحظة في أنها ستعود للغناء بعد 20 عاماً من التوقف».

وكانت قبلة حياة جديدة أطالت في عمرها الفني، فقد سمعها الآن فتيات وفتیان لم يكونوا قد ولدوا بعد حين توقفت عن الغناء. وصوت عايدة الأيوبي يشبه



صوت أمير في أنه لا يحمل الكثير من التلوين أو المجال الصوتي الكبير.

تبدأ الأغنية بلحن قصير يسمى Arpeggio، أي لعب نotas متفرقة من الكورد يلعبه أمير على الجيتار، ويظل يتكرر في الخلفية طوال ال Verse الأول، ثم يبدأ الدف بدقاته؛ ليمهد الطريق لصوت عايدة الأيوبي المميز التي تغني ال Verse الثاني. وتغني كلمات ذات قدرة هائلة على التنبؤ، وكان كاتبها كان يرى المستقبل حين عبر بخوفه الأصيل وال حقيقي: «ساعات بخاف تبقى ذكرى، وبعد عنك تموت الفكرة، ونرجع تاني ننسى اللي فات، ونحكي عنك في الحكايات».

تتميز الأغنية بتلك النعومة الهادئة نفسها التي تميز الموسيقى المبكرة لـ«كايروكي». ورغم تنوع تأثيراتهم الموسيقية.. إلا أن أعضاء الفرقة - حتى الآن - لم يأخذوا شيئاً من التنوع الصوتي الموجود في فرق الميتال مثلاً، وفضلوا أن يكون عملهم كفرقة روك أقرب للنموذج الكلاسيكي الهادئ المتأمل، كأغاني



كولدبلاي الأولى أو بوب ديلان وبينك فلويدي.. تشعر أن الأغنية تسير على و蒂رة واحدة، حالمه، وهو ما يناسب صوت كل من عايدة الأيوبي وأمير الذي لا يذهب صعوداً وهبوطاً.. الجديد في هذه الأغنية هو ظهور العود والأجراس والدف، وهي زخرفة موسيقية جديدة على كايروكي، ربما كان الهدف منها تحقيق مزيد من الدفع والحميمية توافي تلك الحميمية التي عرفناها عن ميدان التحرير وقت الثورة.

حين تسمع كلمات الأغنية تشعر بهذه الاحتفائية، ومحاولات أمير الأولى بكتابة جمل يمكن أن تلخص كشعارات أو حكم، مستوحياً فكرة الأمثال الشعبية التي يعشقها المصريون لتلخص حكم الحياة وتجاربها بسرعة وبشكل مباشر، وهو ما طوره جيلنا بعد ذلك لهوسه بالQuotes التي نراها كل يوم آلاف المرات على شاشة الهاتف؛ فتجد كلمات مثل: «فكرتنا هي قوتنا، وسلاحنا في وحدتنا».

وتحاول الأغنية أن تفعل الكثير: الحديث بشجن عن الميدان، واستخدام الصور لشرح حالة التكافف أمام



الظلم وبرد الشتاء، والتنوع الشديد بين أهداف وأغراض المتواجدين على أرض الميدان الواسع.. رسائل عديدة ومتتالية لدفع المستمعين للعمل والحركة وعدم الاكتفاء بالبكاء على الماضي «لازم بيأيدينا نغير نفسينا»، كما أنها تستلهم أغنيتها السابقة «صوت الحرية» في إحدى الكلمات: «صوت الحرية بيعمعنا، خلاص حياتنا بقى ليها معنى». كما يحاسب الأجيال السابقة التي لا تنتهي معركتنا معها: «ميدان زي الموجة ناس راكبة وناس مشدودة وناس بره بيقولوا دي هوجة»، والرسالة الأهم بالنسبة لى: «هنسون بلدنا وولاد ولادنا وحق اللي راحوا من شبابنا»، وأيضاً التغني بفكرة البعث التي منحها لنا الميدان قبل الفناء الذي كنا مقبلين عليه: «اتولدننا من جديد واتولد الحلم العنيـد، خلاص مفيش رجوع صوتنا بقى مسموع».

صدرت الأغنية في 29 نوفمبر 2011 عبر فيديو شهير تم تصويره بإحدى شقق وسط البلد، وهي أغنية بها الكثير من الجماليات في الصورة، ويحب آدم هذا



القديو كثيراً. وفي يوم صدور الأغنية كانت أحداث محمد محمود في ذروتها، والتي ألهمت بدورها واحدة من أهم أغاني كايروكي التي كتبت بعد ذلك «أثبت مكانك».

حققت «يالميدان» نجاحاً ضخماً وباتت مصر كلها تغنيها.

«مطلوب زعيم»

الآن وقد انتهت الثورة، كان التيه وفقدان البوصلة والاتجاه يجتاحنا جمياً.. صدرت الأغنية على بلاتفورم الجمهورية TV، وهي أول أغنية تصدر بعد «صوت الحرية».

الأغنية كلمات صفوت الألفي، والد صديقة لأمير، وهو رجل مثقف كبير في السن يحب كتابة الشعر كهواية.. حين قرأ أمير الكلمات أعجبته كثيراً. وقرر تحويلها لاغنية.. كان هو وهواري وتمار في الغرفة، لعبوا مع



بعضهم البعض، وضع كل منهم خطه الخاص، وانتهت الأغنية في لحظتها.

نجحت الأغنية جدًا، هذه هي الأغنية الثالثة على التوالي التي تصدرها الفرقة وتنجح بهذا الشكل. وعلى حد قول أمير: «بدأ الجميع يستغربون كيف يمكن لهؤلاء الـ«عيال» أن ينجحوا كل شهرين بهذه الطريقة.. كانت أول أغنية تؤكد بها الفرقة أنها ليست فرقة الأغنية الواحدة» وأحب أمير الأغنية؛ لأنها عبرت عن شعور الجيل في ذلك الوقت وهو بحث الثورة عن زعيم يقودها ويحقق أهدافها.

حين يعود أمير ليقيّم «مطلوب زعيم» الآن، يجد أنه يختلف معها فهو لا يستسingu فكرة المخلص التي نحتاج إليها، وأننا نضيع دون ذلك القائد الذي سيأتي لينقذنا لأنها فكرة تحمل بداخلها قدرًا من الديكتاتورية، أو كما يقول المثل الشعبي المصري «اللي مالوش كبير بيشتريله كبير»، وهي وإن كانت تعني إجلال الكبار والحاكم الرشيد، ولكن الفكرة في جوهرها تحمل قدرًا من



الخضوع. وفي جرأة يخبرني أمير أنه قد يفضل مثلاً أغنية «مسار إجباري».. «الحكومة» التي كانت تمجده الشعب أكثر من تركيزها على نظام بعينه.

ولكن في فترتها كانت «مطلوب زعيم» هي نبض الشارع الذي نطقت به كايروكي كعادتهم.

«افرد جناحك»

من أجمل الأفلام التي قدمت في تاريخ السينما فيلم Forest Gump (فيلم أمير المفضل)، والذي كانت رسالته الأساسية هي: فطرة الإنسان البسيطة ورؤيته الساذجة للعالم هي التي تستطيع أن تجعله يغير كل هذا القبح الذي يحيط به، وهي الفكرة نفسها التي حلمنا بها جمیعاً بالساذجة نفسها.

وافرد جناحك هي إحدى الأغانيات الساذجة الأخرى، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يلومنا على سذاجتنا في تلك الفترة؟



كتبت «افرد جناحك» أغنية إعلان لشركة مشروبات غازية.. وكانت أول أغنية تقوم بها الفرقة لهذه الشركة؛ إذ كان المطلوب هو أن تقوم الفرقة بكتابة أغاني إيجابية ومفرحة تتناسب مع المزاج العام للمصريين في ذلك الوقت المفعم بالأمل. وبالطبع، كان البعض بعد ذلك يلوم الفرقة على هذه الأغاني المتفائلة باعتبارها أمراً مصطنعاً يهدف الناحية التجارية للبحثة.

كنا نشعر بعد الثورة أننا في معجزة، وأن كل شيء أصبح بعدها ممكناً، فنحن على حد قول أمير كنا «نكتب جولة وراء الأخرى» بسرعة رهيبة أسرع من استيعابنا، فشعرنا أننا نستطيع التغيير بحق.. كان جيلنا بحق هو الجيل الذي أراد أن يغير العالم، وكان يستطيع.

فالموهوب تتفجر والروح والأعناق في عنان السماء.. كانت رسالة مفعمة بالأمل تدعونا إلى غلق صفحة قديمة وبدء مرحلة جديدة من البناء والسعادة واليوتوبيا.

كانت الأغنية هي إحدى الأغاني التي كتبتها الفرقة، وحين قامت شركة المشروبات الغازية بعرض Brief عن فكرة حملتهم الإعلانية القائمة على الشعور بالسعادة، وجد أمير أن ما يطلبوه ينطبق على الأغنية، سمعوها وأعجبتهم. ولكن المهمة الآن كانت أن يتم إعادة توزيعها بحيث تكون أكبر. انقضت الفرقة، بالذات شريف، على الفرصة، فهذه أول مرة تكون معهم ميزانية لإنتاج عمل كبير: «كانت فرصتي لأقوم بإنتاج عمل ضخم وبجودة عالية» كما يقول شريف.

كانت الشركة تريد وجود أطفال في الأغنية، تواصل شريف مع أستاذة في معهد الكونسرفتوار أمدته بأطفال الكورال، وساعدته علاء الكاشف على التسجيل في استوديو عالم الفن الشهير. يقول شريف بفخر: «أم كلثوم سجلت في هذا الاستديو». أنا وأمير وشريف يجمعنا عشق بهذه السيدة العظيمة.

«غريب في بلاد غريبة»

كان أمير يعمل في بنك فور تخرجه من الجامعة عام 2006، وكعادة البنوك يتعيين عليه أن يحضر تدريباً في البداية؛ فكان يستقل مترو الأنفاق من وإلى المعادي حتى التحرير.. كانت بالنسبة له تجربة غريبة، فيها من الشقاء والتعب والشعور بضياع العمر في السعي وراء لقمة العيش، كل ذلك كان يراه في وجوه البشر الذين يتقاسمون معه رحلته اليومية.. يتغذون كل يوم، ولكن معاناتهم واحدة.

كتب أمير هذه الأغنية في المترو.. يوماً تلو الآخر.. كل يوم يصل إلى المنزل فيدون ما كتبه. هذه المرة.. الكلام لم يكن له لحن في ذهن أمير.. فقط كلمات.. قالها لهواري الذي لعب له لحناً على الجيتار، فكانت الأغنية:

«في وشوش الناس أنا اتأملت، شفت الكذب والإيمان،
شفت الفجر والنسيان».

ويهزني كثيراً تعبير «الفجر والنسيان» فهو تعبير قوي، عنيف. وشرح لي أمير أنه يقصد أن الفجر أي قلة



الأخلاق تأتي من نسيان الخالق، وهذه فكرة الكلمات. وفكرة الوجوه المنسية، أي هؤلاء الذين يجرون وراء لقمة العيش ليلاً نهاراً.. كانت هذه الوجوه هي التي أشعرته بالغربة الداخلية، التي نعاني منها جميعاً.

هذه الغربة التي تتحول مع الوقت إلى عزلة.. تشعر أنك تشاهد كل من حولك من وراء لوح زجاجي يفصلك عنهم.. تسير في مجريات الحياة محاطاً بفقاعة شفافة. هذا الشعور بالوحدة، الذي كان يشعر به أمير ويعكسه على كل من يراه، استطاع أن يعبر عنه بقوة في هذه الأغنية، وهي الأغنية التي كانت نقطة تحول في حياة كايروكي بعد عشر سنوات من تأليفها حين قاموا بإعادة توزيعها توزيعاً شعبياً.

«حلمي أنا»

تأتي «حلمي أنا» كأغنية غريبة واستثنائية بما تحمله من سذاجة. ويخبرني أمير أنها واحدة من أكثر الأغاني التي يحبها في حياته ومن أفضل ما كتب.



تحمل الأغنية قدرًا هائلاً من النعومة.. وكلما استمعت إليها لم أركز مع كلماتها أبدًا؛ لأن إحساسها يصلني من الموسيقى وحدها، خاصةً حينما يرتفع أمير بصوته بضعة أوكتافات (حين يصبح صوته أكثر حدة، رفيقاً بعض الشيء) في ال Chorus، أجد نفسي وكأنني أحلم معه أنا الآخر.. دخلتها القوية: «أنا مش هنحنني ولا بنتني ليك يا زماني»، تخبرك عن الصلابة، تلك الصلابة التي تزداد قوة حين تصاحبها هذه الموسيقى الناعمة، وكأنها تخلق تضاداً قوياً. قوة الحلم الناعم؛ فالحلم به الكثير من المشاعر، ولكنه يحمل قوة رهيبة بداخله إن أنت صدقته بما يكفي، وبالتالي أنت الموسيقى لتعبر عن تلك النعومة، بينما تواصل الكلمات صلابتها في وجه الإحباط: «أنا مش ناسي، ومش قادر أبدأ من جديد، أنا مش هتكسر ولا هتأسر فيك يا زماني». أنا مش هرتوي من نهر غرقانة فيه كل أحلامي»، هذه صورة قوية تقوم على التضاد بين بداية الجملة وأخرها، أكاد أراهم جمیعاً يعزفون الموسيقي تحت الماء، يغرقون وهم عطشى، ونحن جمیعاً من حولهم. وتأتي دعوات السلام التي لن

تحقق أبداً: «نلغي الحروب.. أزرع ورود مكان الحدود»، وغيرها.

تحاول الأغنية إيقاظنا من هذه العدمية التي نشعر بها تجاه القتل والدمار الذي نراه كل يوم. «حلمي أنا في عيون الناس لكنه تاه وسط الأحداث».. تحول الوفيات إلى أرقام، والمظلومين إلى ضحايا، ويموت الشعور بينما نشاهد على شاشات التلفاز.

كتب أمير «حلمي أنا» وهو في العشرين من عمره وقت الانتفاضة الفلسطينية، وتتغنى بحلم السلام حول العالم. وكل فرقة أو مغنٍ لديه أغنية على الأقل عن السلام، كـ *Imagine* لجون لينون، و *Wind of Change* لـ *Scorpions* وغيرها.

وهي من الأغاني التي أخذت وقتاً من أمير، وكانت والدته وقتها تدخل وترجع عليه وهو يكتبها وتخبره بملحوظاتها، ما يعجبها وما لا يعجبها، ولعبت هذه الأغنية دوراً مهماً في إعطائه الثقة بالنفس التي كان



يبحث عنها طوال حياته، وحصل عليها لأول مرة بفضل «حلمي أنا».

تقدّم أمير لورشة الموسيقي المعروف فتحي سلامه.. لعب هذه الأغنية، وظل سلامه يطلب منه أن يعيدها مرةً أخرى، مرةً بعد مرة. أربع مرات.. يغنى أمير وهو لا يجد أحداً من اللجنة التي تختبر المواهب الشابة يلتفت إليه. بدأ يشعر بالإهانة، وبدأ طفل الشارع يتضاعد بداخله يريد الخروج مع غضبه، ورفض أن يلعبها مرة خامسة حتى يفهم لماذا.

شرح له سلامه أنه معجب جداً بالأغنية، ولا يصدق أن هذا الشاب الصغير الذي لم يكمل بعد الثالثة والعشرين قد كتبها (كانت صديقته المقربة ليلى أعطته ردة الفعل نفسها). أخبره فتحي سلامه أنه لا يحتاج أن يتعلم الكثير عن كتابة الأغاني؛ فهو يعرف بالفطرة كيف يعبر عن أفكاره بوضوح، وأخبره بالحقيقة التي ستلازمه طوال عمره: «أنت عمرك ما ه تكون مغني



جامد، صوتك مش هيساعدك، بس أنت عندك شخصية، هي دي كل حاجة».

كان أمير يذهب للعمل صباحاً، ثم يذهب إلى وسط البلد للورشة ثم منها إلى After 8، حيث يقابل الشباب (كانت الفرقة في ذلك الوقت مكونة من تامر، هواري، أمير، حكيم على البيز، وأحمد بهاء «بوب» الذي أسس «شارموفرز» بعد ذلك وكان عازفاً للإيقاع في كايروكي من 2005 حتى 2008 ثم ما بين عامي 2009-2011)، ويلاعبون كل يوم اثنين بالمكان لمدة خمس ساعات، ثم ينام ليستيقظ ويذهب للعمل.. وهكذا لمدة شهر ونصف.

يدين أمير بالفضل لفتحي سالمه كثيراً جداً من ناحية أنه أول من وضع إصبعه على موهبته، وطمأنه أنه يعرف كيف يعني.. كيف يكتب الكلمات، وأنه فنان. كان أمير يحتاج لذلك جداً.. كان ذلك في صيف 2007 قبل انضمام شريف إليهم مباشرةً.

«أثبت مكانك»

في أحد أيام الانتخابات والاستفتاءات الكثيرة عدت من المدرسة التي تقع بها دائرة التصويتية مع صديقي، ودخلنا في سجال طويل من تلك السجالات التي انخرط فيها المصريون طوال هذه الفترة.

وفجأة سألني إن كنت قد سمعت أغنية كايروكي الجديدة. فسألته بكل براءة: «ومن هم كايروكي؟» وصم من سؤالي، ثم أخذ يتلو عليّ كلمات الأغنية التي يحفظها عن ظهر قلب بحماس شديد؛ خاصةً الجزء الذي يغنيه مغني راب أضحكني اسمه كثيراً حين سمعته: زاب ثروت.

كتبت «أثبت مكانك» في أحداث محمد محمود ومجلس الوزراء في نوفمبر/ديسمبر 2011.

في ذلك الوقت كان أمير حاضراً في الميدان حين لاحظ المتظاهرين يركضون فجأة، سمع صرacha من

أحدهم: «أثبت أثبت».

وفكر: علام ثبت؟ على موافقنا؟ على كرامتنا؟ عاد للمنزل مسرعاً، ومثل «صوت الحرية» لم يدون الكلمات على ورقة، ولكنه تركها تأتي بسلاسة مع صوت الجيتار: «أثبت مكانك، هنا عنوانك، دا نور الشمس راجع، يا تموت وانت واقف يا تعيش وانت راكع.» وهذا الشطر الأخير أصبح مقولة متداولة ومحفورة في ذاكرة الكثيرين، كما هي محفورة على ذراع أمير اليسري بحبر لا ينمحى.

كانت مشكلة أمير في هذه الفترة الكلام المؤلم الذي كان يقال عن الشباب الذي فجر الثورة بعد أشهر قليلة من انطلاقها.. إنهم مدسوسون، ممولون، مخربون، وعملاء. كان هذا كلام الجيل السابق الذي لم يكن قد أدرك بعد ما حدث. وأراد أن يلخص هذه الحالة بوضوح في Chorus الأغنية: «كلامك مبيتفهمش، إحساسك مبيتوصفش، إنت تقول كrama، وهو ما يردوا بمهانة، إنت تقول العدل، هما يقولوا عنك ندل».«

وفي كل مرة يسألني أمير عن أغنيتي المفضلة لـ«كايروكي» تأتي «أثبت مكانك» في مقدمة قائمتي. هذه الأغنية تصيب الشباب في الحفلات بهيستيريا، وحين يدق تامر دقاته مع بداية الكورس فإنيأشعر فعلاً بأن قدمي تتشبتان، أنا والآلاف من حولي، على الأرض.

إن كانت قدرة كايروكي الحقيقية هي تعبيرها الصادق عما يشعر به آلاف الشباب المصري، فإن هذه الأغنية هي بلا منازع قمة هذا الصدق. تستطيع أن تتأكد بنفسك حين ترى هذه الدرجة الرهيبة من التوحد بين الجمهور والفرقة حين تغنى الأغنية في الحفلات.

«هتافك صوته أعلى من صوت الرصاص»، كان ذلك له علاقة بأن العالم كله أصبح يتحدث عن الثورة المصرية أكثر مما يتحدث عن الحروب والقتل، كانت استراحة احتجتها الإنسانية من الألم، ولو إلى حين.

ويقول أمير إن أغلب الضرب والكر والفر كان يحدث وقت الفجر، ولذلك كثيراً ما كان يسمع المتظاهرون



أذان الفجر في الخلفية أثناء معاركهم مع قوات الشرطة في شتاء ديسمبر القارس، ومن هنا كتب: (أنت نور الفجر)، ومعها إشراقة (نور الشمس راجع) التي أسقطها على الجيل.

ثم كانت فكرة دخول زاب ثروت في الأغنية.

كان أمير قد شاهد زاب على الإنترن特 قبل الثورة بيومين، وجد أغنية اسمها «كاتب لبكره جواب» على يوتيوب بالصدفة، أعجبته، تواصل معه، وعملا على أغنية اسمها «بحلم» بعد «صوت الحرية» ثم كلمه مرة أخرى في «اتب مكانيك»، اتصل به وطلب منه طلبًا واضحًا: «عايزك تكتب أهم كلام في حياتك». وقد كان.

أتى كلام زاب بطريقته المميزة في عكس بناء الجمل مستعينًا وموثقًا كثيرًا من الأحداث التي شهدتها أثناء كتابة الأغنية كتعريبة الفتاة وحرق المجمع العلمي.. وغيرها من المآسي التي مرت علينا في تلك الفترة.



تم توزيع هذا الألبوم في حفلات كايروكي مجاناً، وبالتالي فتارياخياً هو الألبوم الأول والأشهر. تلاه بعد ذلك «وأنا مع نفسي قاعد» في العام نفسه.. وهو الألبوم الذي صدر أولاً للجماهير.

الفصل الحادي عشر

عن فن الأغنية

دائماً ما أستمع أثناء وجودي هنا إلى كثير من المصطلحات مثل: Verse, Chorus و Riff وغيرها. ورغم أنها بدت غامضةً بالنسبة لي في أوائل رحلتي مع كايروكي، إلا أنني وجدت الأمر بسيطاً ومفيداً حين درسته.

وهناك بعض المصطلحات الموسيقية التي تخص تقسيم الأغنية وبناءها، وهو ما سأحاول شرحه هنا أولاً من باب العلم بالشيء، وثانياً كي يساعدك على أن تفهم ما أكتبه في الكتاب ويفربنا أكثر للغز صناعة عمل موسيقي، تلك الحرفة التي أكتشف كل لحظة أنها لا تحدث اعتباًها بأي شكل من الأشكال.

ومن خلال بحثي وقراءاتي توصلت إلى أن كل أغنية لها بناؤها الخاص، ولكن البناء الأساسي لأي أغنية في



الدنيا يتلخص في شيئين: ال Verse، وال Chorus.

ال Verse، هو الجزء الذي يغنى مرة واحدة في الأغنية، وال Chorus، هو الجزء الذي يتكرر.. وهناك تنويعات كثيرة على هذا النموذج سوف أشرحها وأنا أحلل الأغاني؛ حتى لا أُعَقِّد الأمور الآن.

وكلمة ال Chorus تأتي من الكلمة الكورال Choral، وهم المغنيون الجماعيون الذين يغنون مع المغني أو يردون عليه، والمقصود بها الجزء الذي يتكرر.. وعادةً ما يغنيه المستمعون مع المطرب. مثال: «مربوط بأسنك وسط ناس بلاستيك كله عامل فيها مستر بومباستيك» أو «السكة شمال واليمين مش شغال على فين رايحين».

وهناك عادةً ترتيب محدد لهذا النمط من الأغاني، كأن تبدأ الأغنية ب Verse، يعقبه ال Chorus ثم Verse جديد، ويتكرر ال Chorus، بعدها Verse أخير.. وهذا.



هذا من حيث الكلمات، أما من حيث الموسيقى فإن الملحن عادةً ما يركز على الـ Chorus باعتباره اللازمة التي تتكرر ويحفظها المستمعون، وبالتالي يحاول أن يجعل الموسيقى المصاحبة لهذا الـ Chorus سهلة الحفظ والتذكر Catchy وتشير متعة داخل المتلقي فلا ينساها. كما أن الـ Chorus في الحفلات هو أكثر جزء يغنىه المستمع مع المغني.

ويحكي لي شريف أن البيتلز من أوائل الفنانين الذين استغلوا فكرة التكرار هذه في الأغنية الحديثة، وأدركوا أنها تساعد المتلقين على مشاركة الأغنية وحفظها وترديدها معًا ومع الفرقة، ولذلك فإن أغانياتهم اعتمدت كثيراً على هذه الفكرة البسيطة لجذب الجماهير.

وبالطبع لا يغنى المطرب طوال الأغنية، ففي موسيقى الروك بالذات هناك دائمًا فواصل موسيقية تستخدم في البناء الأساسي في الأغنية، وهي المساحات التي تترك للصolloهات أو الاستعراض الموسيقي عمومًا.



وهناك مصطلحان يتكرران في هذا الشأن هما: الDrop أي الفاصل الموسيقي الذي يتكرر وهي موسيقى لا تنساها وتعلق في ذهنك عادةً، وأبرز مثال لها هو الDrop الذي كتبه شريف لاغنية «ديناصور»، والذي يعزف بشكل أساسى بالرِّبابة، ويترکرر بعد كل مقطع يغنىه أمير حين يقول: «أنا مش هستغرب لو شفت ديناصور أو بطريق عالناصية وبيسكور». ويكثر استخدام Drop في الموسيقى الحديثة والالكترونية.

والمصطلح الثاني هو الBridge: أي فاصل موسيقى هدفه أن يصبح جسراً ينقل إحساس الأغنية من شعور إلى شعور مختلف، كالفاصل الموسيقي الذي يأتي قبل الكورس الأخير في أغنية «الكيف».

وأخيراً يوجد الصولو، وهو معروف بأنه فاصل موسيقي يعزف بآلية واحدة، وعادةً ما يأتي في وسط أو آخر الأغنية في فن الروك.



نجلس أنا وشريف في حوار مطول حول بنية الأغنية.. يفتح لي تراكات أغنية «اضحك» التي يعمل عليها الآن على برنامج من الكمبيوتر ويشرح لي: «اضحك مثلاً تبدأ بالChorus، وبالتالي فبناؤها مختلف وكانت هذه من تحديات الأغنية». يقول الChorus الطويل نسبياً: «اضحك لأن الفرح مقسم عشان ضحكتك، وازعل لأن البكا عمره ما هيموتك، اعشق لأن الهوى طيب وكله أمان، فارق لأن اللقاء معرفش يوم سكتك»، ومن هنا تستطيع الموسيقى أن تأخذك من الChorus إلى الVerse وتعيدك للChorus مرة أخرى ثم Verse أخير دون أن تشعرك بالملل.

وحين سمعت «اضحك» لأول مرة أخبرته أنها تذكرني بأغنية «أجمل ما عندي»، وأوضح لي شريف أن ذلك بسبب اعتماد كليهما على إيقاع رقصات الفالس، وهو إيقاع محبب لكثيرين.

والفالس هو نوع من الرقصات التي اشتهرت للغاية في أواخر القرن الثامن عشر، وكان أوج مجدها في القرن



التاسع عشر مع مقطوعة المؤلف النمساوي يوهان شتراوس (الدانوب الأزرق)، والتي إن سمعتها ستتجدها تشتراك مع «اضحك» و«أجمل ما عندي» في سرعة الموسيقى، أو ما يسمى بالإيقاع *Tempo*، لاحظ أن كلمة إيقاع في العربية هي ترجمة لعدة مصطلحات مختلفة بالإنجليزية وكل مصطلح له معنى مختلف، ولذلك فالواقع دائمًا هو استخدام اللفظ الإنجليزي.

وهناك أهداف عديدة من وجود بناء محدد للأغنية، مثل: بناء التكوين الدرامي المناسب والقدرة على توصيل المشاعر المطلوبة من الأغنية، والتأكد من أنها يفقد المستمعون اهتمامهم أو يملون منها، ومن أنه تثير بداخلهم الأحاسيس التي تقصدها.

وهناك عديد من طرق بناء الأغاني التي تختلف باختلاف النوع الموسيقي، كما أن هذه الطرق تتطور باختلاف العصر. أما شريف فهو لا يؤمن بنوع موسيقي واحد للفرقة أصلًا، ويقول إن كايروكي فرقة روك من حيث الشكل فقط؛ أي الآلات التي يلعبونها، ولكن ما يقدمونه يتخطى الكثير من الأشكال



الموسيقية: الشعبي والPop والهارد روك والسوفت روك والهاوس وغيرها.

يقول شريف: «كتيرًا ما أسمع أغنية أحبها وأتحمس لها جدًا، ولكن هناك شيئاً ما غير مضبط. وهو ما يثير جنوني. أعرف أن هناك شيئاً خطأ. والدراسة هنا تفرق؛ فهي تساعدني على أن أبحث عن مكمن المشكلة.» ويضيف: «كلما درست وتعلمت كلما تحسنت مهاراتك في معرفة كيف تبني أغنية».

ثم يسمعني أغنية «KISS» لبرينس، أحد أكثر المغنيين الذين أكرههم في حياتي إلى جانب بوب ديلان.

وبعد أن أسمع الأغنية، يفتح شريف رسميًا بيانياً يحلل الأغنية من مختلف جوانبها: صعود وهبوط الموسيقى، صعود وهبوط المشاعر وردود الفعل تجاه الموسيقى، والآلات المستخدمة، لحظات الذروة ولحظات الهدوء... ثانية بثانية.



ويؤكد لي شريف نقطة مهمة من وجهة نظره: «لا توجد قواعد في صناعة الأغاني أو تكوينها، والهدف من الدراسات هو أن تساعدنا على فهم الطرق المختلفة لصناعة الأغاني وتطويرها.. هذه الدراسات قائمة على تحليل العناصر المشتركة بين عديد وعديد من الأغاني الناجحة وغير الناجحة.. في النهاية ليس هناك نموذج واحد أو طريقة محفوظة لعمل أغنية ناجحة، وهذه من مشكلاتنا في مصر، أننا نؤمن بفكرة الـ«السطمبات» وأن هناك نموذجاً واحداً فقط، وهو ما ليس حقيقياً بالمرة.. الفن لا يصنع بالقواعد ولا المحفوظات».

ويشرح لي الفرق بين الـDynamics؛ أي تغير علو وانخفاض الأصوات داخل الأغنية، ثم المشاعر المختلفة، والمقصود هنا المشاعر عموماً وليس مشاعر الحب، ولكن الغضب أو الحزن أو الفرحة حسب نوع الأغنية.

ويشبه شريف الكثير من كلامه بالكتابة والسينما؛ لأنه يعرف أنني قد درست الاثنين، فيخبرني أن كل أغنية



لها Climax أي ذروة، وكيف أن التصاعد التدريجي للموسيقى والكلمات هو مثل تصاعد أحداث الفيلم، إلى أن تأتي النهاية التي ينقد فيها الفارس أميرته من الوحش؛ فتشعر بالسعادة.. كذلك الأغنية، تبني شيئاً فشيئاً حتى نصل إلى ذورة تدفق المشاعر التي نمر بها في أي أغنية. وطوال ذلك لابد وألا نشعر بالملل، وأن ننتظر اللحظة القادمة، وأن يتحرك جسداً مع إيقاع الأغنية والغناء فنهترز على مستويات عدة.

وتعد أغنية «نقطة بيضا» خير مثال على ذلك؛ فكل لحظة في الأغنية تحضرك للثوانی الأخيرة التي يغني فيها عبد الرحمن مع الفرقة، حيث يكون هناك انفجار كامل: الآلات الكثيرة والصوت العالي وغناء أمير المؤثرات.

ويخبرني شريف أن هذه الجزئية من أسباب الخلاف بينه وبين هواري؛ فشريف يخطط لهذا التأرجح في المشاعر طوال الأغنية، ولكن قد يأتي هواري ويقرر أنه يريد أن يقوم بعمل صولو طويل أو بشكل معين، ولكن شريف يرى أنه يجب أن يكون له شكل؛ ليشد انتباه



المستمع ويستمتع بها ضمن الإطار الموضوع، أما إذا طال الأمر مثلاً فسوف يسقط إيقاع الأغنية في البطء. وهذا التلاعُب بمشاعر المستمع مقصود ومحسوب، تماماً كما يفعل الكاتب أو السيناريست؛ فهو يتحكم في سرعة وقوة الأحداث وبطئها كي يلعب بمشاعرك فيكسبك في صفة و يجعلك تتفاعل معه. ولذلك يجب التعامل معه بالحسابات الصحيحة للصورة الكلية والنتيجة النهائية للأغنية وليس بشكل منفرد.

وأسأل شريف: كيف يحدث التوازن بين كل هذا العلم أو القرارات الواقعية، وفكرة الإبداع اللحظي والفن؟ كيف تضمن أن الميلودي أو الكلام الذي تكتبه سوف يخدم كل هذه النقاط؟ فيؤكد لي ما أخبرني به أمير من قبل: «لا تفك في هذه الأشياء أبداً وأنت تبدع، ربما يكون الأمر مختلفاً في الكتابة، ولكن في الأغاني لابد وأن تحافظ على التدفق وإلهام اللحظة في البداية وبعد ذلك تبدأ في إعادة بناء كل شيء من جديد. والعلم بهذه الأشياء مهم جداً؛ لأنني في بعض

الأحيان أستمع لاغنية فأشعر أنني قد ملت ولكني لا أعلم لماذا.. ساعتها أقوم بعمل هذا الرسم البياني وأدرس ماذا حدث في التوزيع، لأضع يدي على المشكلة، ولذلك فالملحن لا يفكر في كل هذا.. إنه يخرج بلحن معبر فقط، ولكن البناء والألحان المصاحبة والآلات المختلفة كلها تأتي من المنتج الموسيقي غالباً». ومن أهم مزايا كوننا فرقة موسيقية هو أن معي 4 موسيقيين آخرين أستمع إلى آرائهم في ما أقوم به.. كل منهم يستمع للأغنية وحده ويخبرني بمحظاته؛ خاصةً فيما يخص جزئية الإحساس، وهو ما أحرص على تجربته على مستمعين آخرين ممن حولي من الأهل والأصدقاء.. هذا كله يساعدني على الوصول إلى البناء والتوزيع المناسب».

نقوم بتحليل أغنية «هدنة» التي يرى شريف أن أمير تفوق فيها على نفسه في البناء.. نستمع للأغنية الجميلة. «الكلمات هنا تمشي بتدفق موسيقي جميل، حيث إنه يكلم نفسه هنا، ولذلك فليست هناك آلات كثيرة، ثم يأتي الـ Chorus، وهنا الداينامكس تعلو



والآلات تزيد.. أعود مرة أخرى للـ Riff الموجودة بالـ Intro ولكن بالات أكثر وبإيقاع Groovy، يدخل أمير في الـ Verse الثاني وهنا تبدو طريقته بها أكثر إصراراً وعدائية؛ لأنه يتكلم عن المجتمع وينقده ويعبر عن سأمه من الوضع، ثم يتكرر الـ Chorus، هذه المرة أعلى من السابق.. هنا كنت ستشعر بالملل؛ لأننا نسير تقربياً على الوتيرة نفسها منذ بداية الأغنية، فكنت أحتج إلى صولو يضيف لوناً جديداً، فيدخل ترامبيت هواري».

بعد صولو هواري بالترامبيت ندخل في الـ Verse الثالث وهو الأكثر عنفاً وقوة وعلواً، وينتهي بالـ Chorus الذي يغلق معلقاً بسؤال: «خايف أبعد وخايف أقرب». والذروة في هذه الأغنية تأتي في الـ Verse الثالث فهي لحظة إعلان الحرب الحقيقية على النفس، وقد طلب شريف من أمير أن يعيد كتابة هذا الجزء عدة مرات؛ حتى يستطيع أن يصل بالأغنية لهذه الذروة.

ويرى شريف أن هواري هو من يعطي البصمة الحقيقية لـ«كايروكي»، وهو أفضل من يعزف صولوهات في مصر لأنه ببساطة يركز على المشاعر؛ لذلك فإنه يكون حريصاً على أن يعطيه أكبر مساحة ممكنة في هذا الألبوم.

«الترامبيت رائع ولكنني لم أرد أن ينسى الجيتار؛ فحققنا التوازن بين الاثنين. وهواري يعرف جيداً كيف يترجم المشاعر، وفي أغنية مثل «كنت فاكر» استطاع هواري أن يلخص المشاعر كلها في صوت الترامبيت والجيتار أفضل من أي شيء آخر.. لقد أعطاني ما أحتاجه وسهل مهمتي كثيراً، هو روح الأغنية والموسيقى بلا جدال».

ويبتسم شريف حين أخبره بتدفق المشاعر الذي ينتابني كلما سمعت أغنية «نقطة بيضا» تخرج من غرفته، فيخبرني أن سبب ذلك هو تمكنتهم جميعاً كموسيقيين من التعبير عن هذا الصراع الرهيب الذي يدور بداخل المغني في كلماته.



ويواجه شريف مشكلة كبيرة مع الدرامز في التسجيل. وهذه مشكلة عامة في مصر؛ إذ إن الدرامز شديدة الصعوبة في التسجيل؛ بسبب تداخل أصواتها و ضعف إمكانات المعدات. وقد حاول شريف كثيراً مع تامر أن يسجلوا فعلاً ويترك له حرية اللعب كما يريد. ولكن التسجيل يسبب مشكلة.. كما أن تامر ليس عنده الصبر الكافي لطريقة عمل شريف البطيئة والتكرارية. وقد استغرقت «هدنة» شهراً لتسجيلها، واستغرقت «نقطة بيضا» 4 أشهر لتوزيعها.

وهناك في بعض الأحيان صعوبة في التواصل بين تامر وشريف؛ بسبب اختلاف طريقة كل منهما في العمل، فتامر يحن أكثر للأيام القديمة حينما كانوا يلعبون مع بعضهم البعض لساعات ويخرجون بالأغنية بشكل عضوي.. كل شخص يدخل باللحن والإسهام الخاص به في لحظتها، ثم يكررون اللعب حتى يصلوا إلى الشكل النهائي.. أما طريقة شريف فهي تعتمد على التجريب في إطار رؤية واضحة للأغنية وتنوع الأشكال الموسيقية.

وتزايد الآلات وتعقد الصوت في ألبوم مثل «نقطة بيضا»، يطرح مشكلة في الـ *Playback*.. فعيبه أنه يقيد اللعب على المسرح؛ إذ ليست هناك حرية كبيرة للارتجال؛ لأن الأمر يسير وفقاً للموسيقى المسجلة من قبل. «الفكرة أننا لن نتقدم صوتياً إذا ظللنا محكومين بأصوات آلاتنا فقط.. يجب أن يزداد صوت كايروكي ثراءً وتنويعاً؛ لذلك أحتاج لأن أكون حراً في وضع الوترات والآلات الأخرى كي يصبح هناك تجديد فيما نقدمه». ويحاول شريف أن يلعب أكبر قدر ممكن من هذه الأصوات عبر الكيبورد في الحفلات، ففي بعض الأحيان يلعب الوترات والموسيقى الإلكترونية في الأغاني الشعبية أو في أغنية مثل «مربوط بأسنك» بشكل حي وليس مسجلاً، وبالتالي يمنح نفسه وبقية الفرقة مزيداً من المرونة.

«ولكنها بالطبع لا تخرج بجودة التسجيل نفسها، والحل الوحيد لتحقيق هذا التوازن هو أن تكون هذه الآلات موجودة على المسرح، وساعتها إذا أردت أن تعزف ألبوماً مثل «نقطة بيضا»، فإنك ستحتاج إلى



أوركسترا كاملة معك على المسرح. هذا حلم أتمنى تحقيقه في يوم ما».

وهناك دائمًا احتياج لإسهام أعضاء الفرقة في التأليف والتلوين الموسيقي؛ كي يتغلبوا على نقطة ضعف شهيرة وهي صوت أمير الذي ليس فيه تلوين كثير، فحتى لو كان أمير يغني معظم الوقت بالطريقة نفسها، فتغيير الـ Dynamics والألحان والتلوين الموسيقي عمومًا هو ما يجعل لكل أغنية بصمتها الحقيقية. وهذه من أقوى نقاط كايروكي بالنسبة لي.. فأنا أعاني عند السماع لفرق أخرى، أو حتى لموسيقار مثل عمر خيرت، من شعوري بأن كثيرًا من المقطوعات متشابهة، ولا أستطيع أن أميّز بين أغنية وأخرى.. بينما مع كايروكي فأنت يستحيل أن تخلط بين أغنية وأخرى.. حتى في الألبوم الواحد، كألبوم «ناس وناس» أو «السكة شمال» فالأغاني شديدة الاختلاف، فمن يتوقع في ألبوم واحد أن يكون موجودًا أغنية مثل «مربوط بأسنك»، «التليفزيون»، و«الله ما عايز»؟ ويرى البعض أن هذا ضعف في «شخصية» صوت الباند، ولكنني

أعتقد أن ألبوماً مثل «نقطة بيضا» يحل هذا الأمر بشكل كبير.. وبالنسبة لي أرى أن وجود أغاني متفردة أهم بكثير بالنسبة لي من ألبوم «ماية واحدة» ولكن متشابه أو ممل.

وكي أعرف المزيد عن الإنتاج الموسيقي وصناعة الأغاني، رشح لي شريف كورسات من بيركلي التي يأخذها عبر الإنترنت. ولا يوجد Course له علاقة بالموسيقى أو الإنتاج الموسيقي وكتابة الأغاني لم يدرسه شريف، بل وقام بتدريس دورة تدريبية في مركز الفنون للإنتاج الموسيقي، وحبس الطلبة في آخر محاضرة وظل يحاضرهم لمدة 12 ساعة متواصلة دون استراحة كي ينهي كل ما يريد أن يقوله لهم في آخر حصة!

وفي كل أغنية هناك ما يسمى Kinetics، وهي كلمة يرددتها أمير وشريف كثيراً، وتعني الحركة العفوية للجسد استجابةً للموسيقى، ذلك الإيقاع أو اللحن الذي

يجعلك تحرك رأسك وجسمك بشكل معين.. يختلف باختلاف الأغنية حتى لو كانت هادئة. وتأتي الحركة في الأهمية بعد المشاعر. وتحتاج إلى رؤية واضحة لأن وجود عدة أصوات أو إيقاعات متناقضة يجعلك تتوه، ويقول شريف إن أغنية مثل «غمض عينك» ليست متكاملة؛ بسبب عدم وجود رؤية واضحة في هذه الجزئية، فكان المقصود في الأول أن يكون لها Groove راقص ولكنها تحولت إلى أغنية روك في النهاية، وترتبط القدرة على عمل Groove جيد بقدرة الموسيقيين أنفسهم وإحساسهم الفطري بالحركة ويجب أن تلائم المشاعر والكلمات، و«هدنة» نموذج لذلك بإيقاعها الواضح وكذلك «نقطة بيضا» السريعة، التي لن تدرك قوة حركتها إلا إذا سمعتها بشكل حيٌ في حفلة.. والبيز والدرامز هما الأساس في وضع حركة الأغنية؛ ولذلك يحتاج شريف إلى إسهام تامر وأدم كثيراً في كل أغنية من البداية.

شريف يلعب البيانو، العود، الجيتار، الأكورديون، والكيبورد، حتى أن صوت الأبوا والكلارينت في ألبوم



«نقطة بيضا» قام به شريف بنفسه.. أما الوتريات كلها بما فيها الربابة مثلاً، فقد عزفها شريف على الكيبورد، ثم طلب من جلال أن يدونها موسيقياً على نوطة وبعدها أتى بموسيقيين ولعبوها وقام بتسجيلها.

أنا في العاشرة (حتى السادسة عشرة):

أعيش مع والدي في السعودية منذ خمس سنوات وأكره كل لحظة فيها.. أجلس حبيس المنزل طوال اليوم.. أذاكر دروسي وأفتر وارتبت المنزل وحدي؛ حيث إن كليهما يدرس بالجامعة. تتكرر هجمات حمى البحر الأبيض المتوسط، المرض الوراثي الذي ولدت به، بشكل شرس؛ بسبب الضغط الذي أشعر به من الوحدة والعزلة التي لا تناسب طفلاً وشاباً صغيراً مثلي، من المفترض أنه يقضي أيامه بين المدرسة والدروس ومغامرات الشارع مع أصدقائه.

سواء كانت صحتي جيدة أم كنت مريضاً.. فإن شيئاً واحداً فقط هو رفيقي، وهو الذي يؤنس وحدتي



ويتحدث إلّي ويخفف عني ويفهمني: محطة الإذاعة الكلاسيكية في الراديو.. واحدة من هدايا القدر وعطف الله علىي أن المدينة التي أسكنها كان أغلبها من الأميركيين والأوروبيين الذين يعملون في شركات البترول، فقررت الحكومة أن تبث قناةً موسيقية لهؤلاء الأجانب كي ترفة عنهم.. هذه البلاد التي تحرم كل شيء كانت تحمله طالما أنه يوافق هو الرجل الأبيض.

عبر هذه الإذاعة ومذيعها المميزين عرفت كل شيء عن الموسيقى الكلاسيكية. قبل كل مقطوعة تعزف كان المذيع يعطي نبذة عنها وعن مؤلفها.. هذا العالم الساحر كان عالمًا خياليًا منحني المهرب الممتاز من واقعي الحزين.. لم أكن أشبع من هذه القصص، وأحاول بكل جهدي وعقلي الصغير أن أجد الرابط بين حكايات المؤلفين وموسيقاهم، وكيف عبروا عن محنهم وألامهم وصراعاتهم في الموسيقى.

وأنا لا أزال في العاشرة عرفت عن صراع بيتهوشن مع الصمم، وكيف أن سيمفونيته الخامسة تحمل اسم



«القدر»؛ لأنها أول عمل يمؤلفه بعد اكتشافه أنه يفقد أهم وأغلب الحواس لديه. وأنا في الثانية عشرة عرفت قصة الحب المستحيل بين يوهانس برامز وكلارا شومان، أرملة أستاذه المؤلف الكبير روبرت شومان، وكيف اختار هذا المؤلف العظيم أن يعبر عن مشاعره تجاه هذه السيدة من خلال أعماله الموسيقية طوال أربعين عاماً؛ لأنه لم يكن يستطيع أن يخبرها بما يشعر.. عرفت القصة الغريبة والملتبسة لموت تشاييكوڤسكي، هل كان انتحرًا أم قتلاً أم بالتيقويد؟ واستمعت بحزن كبير ودموع كثيرة إلى سيمفونيته السادسة التي كتبها قبل موته مباشرة. كانت رسالة رجل يائسأخيرة قبل أن يغادر الحياة.. استمعت إلى سيمفونية دفورجاك التاسعة، والتي كتبها هذا المؤلف الفلاح القادم من بلاد التشيك أثناء إقامته في الولايات المتحدة.. كان الحنين إلى بلاده يقتله، وكذلك كان يؤلمه كثيراً معاناة العبيد السود الذين كانوا يعملون بالسخرة في الفلاحة التي عشقها منذ أن كان طفلاً، فكتب سيمفونية عظيمة تجمع ما بين ألم الغربة وتسجيل ألحان السود تحيةً لهم.

وحيث استمعت إلى السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، وجدت طريقى إلى الكلمة التي ستظل تسيطر على حياتي كلها حتى هذه اللحظة: الكمال.. كانت هذه أول مرة أفهم معنى هذه الكلمة، وأرى هذا المعنى متجسداً أمامي، هذا العمل هو الكمال بكل صوره. وكل ما أقوم به في حياتي إنما هو محاولة للوصول إلى لحظة السمو تلك التي تمنحها تاسعة بيتهاوفن.

لعام كامل أشتري الأسطوانات رغم أن الكاسيت الذي نملكه ليس به مشغل أسطوانات.. ولكنني أنتظر وأنظر وأنظر حتى يأتي اليوم الذي نشتريه فيه حينما يسمح والدي بذلك.. أكتفي بإخراجها من حافظتها الجلدية وأنترج على أغلفتها المبهرة بموسيقيها فائقي الأنقة والرقي، وهم يقفون في أعظم قاعات الأوبرا في فيينا ولندن وبرلين.. أفتح الغلاف وأشاهد ألوان الطيف تنعكس على الأسطوانة اللامعة التي أخاف أن أمسها؛ حتى لا أترك بصماتي عليها. في مرات قليلة جداً، حين أخرج فيها الأسطوانة وأشغلهما أحرص على أن أتبع التعليمات المكتوبة عليها بدقة: أضع إصبع

السبابة في المنتصف وأسندها بإبهامي عند الحرف
وأنظر إليها قليلاً وأعيدها مكانها.

على واجهة هذه الأسطوانات عرفت أسماء هربرت
 ڤون كاريان - قائد الأوركسترا المفضل بالنسبة لي -
 وأوركسترا برلين الفيلهارموني - أعظم الأوركسترات
 على الإطلاق - ونایجل کینیدی، الإنجليزي المجنون
 الذي يعده البعض - وأنا منهم - أعظم عازفي آلة
 الكمان، والذي ألهمني أن أنتظر خمس سنوات كاملة؛
 حتى أعود إلى مصر وأبدأ في تلقي دروس الكمان أنا
 الآخر، فقد قررت أنني يوماً ما سأُولف عملاً موسيقياً
 عظيماً كهؤلاء.

كنت أمنع نفسي من أنأشغل هذه الأسطوانات قدر
 الإمكان؛ لأنها كانت تمنعني قدراً من السعادة لم أكن
 لأتحمله وسط حزني وعزلتي. وفضلت حفظها بعيداً
 في حافظة زرقاء؛ إذ كانت رمزاً للسعادة المؤجلة التي
 سأعيشها حين أعود إلى مصر وأتمتع بحياة سوية
 ومستقرة.. وحينها فقط سأستمتع بهذه الموسيقى كما
 ينبغي، أما الآن فلاكتف بمشاهدتها من بعيد



والاطمئنان إلى أنها لاتزال بجواري، ولاكتف بالراديو الجميل.

في كل صيف كنا ننزل إلى القاهرة.. وكان تقليد شراء الهدايا للأهل والأقارب فرضا لا جدال فيه. أما الخطابات الطويلة التي كانت تأتيني من خالتى رحمها الله، والتي كانت ردًّا على خطابات أطول، فكانت تذكرني في آخرها أن أشتري شرائط ميتاليكا الجديدة لأولادها.

أظل لعامين متتالين أشتري شرائط ميتاليكا لأولاد خالتى دون أن أسمعها. بالنسبة لهم هذه ثروة لا تقدر بثمن؛ لأن الشريط «أصلي» ولا تقطع منه أي أغاني، كما أن الغلاف يحتوي على كلمات الأغاني وعديد من الصور النادرة. أما بالنسبة لي، فهذه ليست بالموسيقى، فقط محض هراء.

عام 97 أشتري ألبوما مزودجا اسمه «Garage Inc»، يدفعني الفضول لفك السوليفان من حوله



ووضعه في الكاسيت الضخم، وما أن تبدأ الأغنية الأولى حتى أصاب بالذعر وأغلقه مرةً أخرى.. نعم هو هراء لا شك.. جنون مطلق وصخب لا يطاق.

في العام التالي أشتري ألبوماً مزدوجاً آخر: S&M. هذه المرة فرقتهم المجنونة تلعب مع أوركسترا سان فرانسيسكو السيمفوني.. أظل لفترة أنظر للشريط دون أن أفتحه وأنا أتساءل عن علاقة هذه الموسيقى الكهربائية المجنونة بالموسيقى الكلاسيكية التي أحبها.. مرةً أخرى أضعف فأبدأ في تشغيله.

تبدأ أول أغنية.. وللعجب هي مقطوعة موسيقية بعنوان Ecstasy of Gold من الموسيقى التصويرية لفيلم الطيب والشرير والقبيح، والتي سأعرف فيما بعد أن الفرقة تستخدمنها كافتتاحية لجميع حفلاتها، ثم تليها المقطوعة الثانية: Call of Kutululu، ثم تليها المقطوعة الثالثة: Master of Puppets.

لحظتها أعرف أنني قد وقعت في حبهم للأبد.



فحينما استمعت إلى حفلة S&M كان العالم كله يتبدل ويتحول أمامي إلى غير رجعة، وجدت وقتها من يعبر عن مشاعر الغضب والعنف التي تكتنفي، والتي تتضاعف مع مرحلة البلوغ التي أمر بها وتجعلني أكره وأغضب من كل ما حولي: أهلي الذين أتوا بي إلى هنا، والحياة الأفضل التي يعدونني بها، وهذه البلاد الكريهة التي أعيش بها، ومرضي الذي جعلني أتعرف إلى الألم قبل أن أعرف النطق بالكلام.

كنت في تلك اللحظة التي أكتشف فيها هذه الفرقة العظيمة أتشارك مع أعضاء كايروكي على بعد آلاف الأميال هذا الشغف الهائل بمياليكا وتأثيرها على أبناء جيلنا الذين يستمعون لأغانيها في فترة المراهقة.

وجدنا عند هذه الفرقة الجباره النطاق الكامل للمشاعر الإنسانية، والتي تناولت ما لم تكن تناقشه أغانينا العربية: الغضب والوحدة والعلاقات الإنسانية وال الحرب ومجاهدة النفس ومحاولة الفكاك من قيود المجتمع.. ذلك الغضب الهائل تجاه كل شيء.. الألحان التي لا يمكنك أن تنساها أو ألا تتفاعل معها حتى لو لم تكن



تفهم الكلمات.. التكامل بين الآلات الموسيقية.. اللعب الرائع وتمكن كل أعضاء الفرقة من آلاتهم.. كل هذا جعلها أيقونة يتطلع إليها محبو الموسيقى من مختلف الأعمار.



الفصل الثاني عشر

الاجتماع الثاني

11 فيديو وتأثير القنبلة

2 إبريل 2017

بدأ أمير الاجتماع بمراجعة ما قيل في المرة الماضية، وقراءة أجندة الاجتماع الجديد. ثم أكد ضرورة اختراق السوشيال ميديا بشكل غير مسبوق؛ لأن الألبوم سيصدر بالكامل على الإنترنت، وبالتالي فهو الملعوب الرئيسي للألبوم وليس ملعاً موازيًا للCD كما كان يحدث من قبل. وأعاد أمير في ختام مقدمته الحديث عن الهاجس الذي يشغله الآن: خلق عالم موازٍ لـ«كايروكي» أكبر وأكثر قوة من العالم الموجود في الإعلام.

بالنسبة لشريف فالميكسنج يسير على ما يرام، فيما عدا أغنية «الديناصور» التي لم تنته بعد.. كذلك كانت



هناك مشكلة عدم التوصل للمطرب الشعبي الذي اختاروه كي يغني أغنية «عم غريب» مع أمير، وبالتالي لابد من البحث عن مغنٍ آخر لو ظل يماطل، فالمعيار هو وجود شخص يريد أن يغني مع كايروكي وليس العكس.. الشيء الوحيد الثابت هو أن طارق الشيخ سيغني «الكيف».

أكد أمير أن أهم شيء هو التركيز على إظهار الفرقة بالكامل في الـ 11 فيديو، وأن هذا هو الهدف الأوحد لها، فـ«كايروكي» تعاني منذ فترة من تضاؤل مفهوم «الباند» لدى المستمعين، وكثير منهم يسلط اهتمامه على أمير، ظنًا منهم أنه يقوم بكل شيء في الفرقة، وهو أبعد ما يكون عن الصحة، وبالتالي فإن القيديوهات يجب أن تظهرهم جمیعاً وكأنهم في جلسة تسجيل ومن حولهم آلاتهم.

سأل آدم إن كانت الآلات الوتيرية التي يستخدمها شريف ستكون ظاهرة، بمعنى آخر هل سيكون هناك عازفون آخرون أم لا؟ وكذلك تسأله هواري إن كان المطربون في الدويتوهات سيغنون ويظهرون فيها



أيضاً. وكسؤال طريف، جاء سؤال عن الثلاث الفتيات اللاتي سجلن صوت الخليفة في «الواطي بقى عالي» (هذا هو الاسم المتداول للأغنية بين الفرقة). وتطرق الحديث إلى تفاصيل تصوير هذه الجلسات وكيفية إخراجها بأفضل صورة ممكنة. وما العناصر التي ستظهر والعناصر التي لن تكون موجودة، وهل من المنطقي أن تكون هناك آلات وأصوات تعزف في الأغنية ولكن لا يراها المشاهد على الشاشة؟ وأجمع الحاضرون على أن طريقة إخراج الموضوع هي التي ستجعله مقبولاً للمشاهد.. وبالتالي فإن الأصوات الإضافية (Playback) من السهل إضافتها، وأكد هواري أن العنصر الرئيسي في كل أغنية يجب أن يكون موجوداً في الصورة، وبالتالي فإن وجود الضيوف لا غنى عنه.

على الحائط الذي يقابلك حين تدخل من باب المكتب، ستجد عدة أوراق معلقة مكتوب عليها بخط اليد عبارات مثل: «أنا أول مرة أسمع ألبوم من أوله لآخره

في حياتي». «دا أجمد ألبوم سمعته، مفيهوش أغنية وحشة». «إنتوا بجد أجمد فرقة في مصر.. عاش». هذه الجمل الافتراضية خرج بها سليم ومدحت حينما كان التساؤل عما نريد للناس أن تقول حينما تستمع للألبوم «نقطة بيضا» إذا فالهدف من أول يوم كان أن تتعامل الجماهير مع التجربة كاملة.. مرة واحدة، دفعة واحدة، كقنبلة تنزل على الجمهور لدرجة تربكهم.

حلم أمير هو أن يستمع الناس للـ 11 أغنية دفعة واحدة وتبدأ في الانتشار على السوشيال ميديا، ليصبح الـ *Timeline* الخاص بكل مستخدمي فيسبوك ممثلاً بأغانٍ مختلفة للألبوم.. كل شخص يقوم بعمل *Share* للأغنية التي أعجبته، وبالتالي فاحتمالية التواجد والانتشار أصبحت الآن مضروبة في 11، وكذلك لن يكتفي الجمهور بسماع هذه الأغاني ولكن سيشاهدونها أيضاً.

يتحدث تامر بسرعة موضحاً قلقه من فكرة الـ *Reach*، أي وصول كل أغنية لعدد المشاهدين؛ فنزول عدد كبير من الأغاني سيؤدي إلى عدم ظهور



كل أغنية لعدد كبير من المستخدمين. وطمأنه أمير بأن قوة الأغاني تكمن في ترابطها مع بعضها البعض وأن الهدف من ترقيمها بهذا الوضوح «الأغنية رقم 2، الأغنية رقم 7. وهكذا» أن يشعر المشاهد/ المستمع طوال الوقت أنها أغاني مترابطة، وأنه إذا استمع لأغنية منها فقط فهذا يعني أنه فقد الأغاني السابقة واللاحقة، وهكذا.

كانت كل هذه التفاصيل الصغيرة تتكون في عقل الفرقة وأمام عينيها؛ حرصاً منهم على أن يصل الألبوم بشكل معين للناس.. المقامرة الكبرى الآن هي: هل ستساعدهم الظروف على تحقيق ما أرادوه وعملوا من أجله طوال عامين ماضيين؟

يوضح تامر ويؤكد لأمير أن طريقة تفكيره أصبحت مثل إبراهيموفيتش لأنها متاثر به بقوة. يرد أمير: «لقب إبرا هو الأسد، تماماً مثل شعارنا وشخصيتنا».. الأسد هو شعار كايروكي الذي يعبر عن شخصيتها، «الهاجس الحقيقي الآن هو القيمة الفنية للفرقة.. وأن



هناك كثيراً من الإمكانيات والقدرات لدى كايروكي التي لا يعرفها الناس.. يجب أن يكثّر الأسد عن أنيابه».

يبدأ آدم في سؤال الجميع عما يريدون أن يأكلوا لأنهم سيطلب طعاماً.

وأتى الاتفاق أن تصدر أغنية واحدة فقط قبل نزول الألبوم، ولن تكون سينجل ولكنها ستتصبح تمهدًا له.. تنزل قبله بأسبوعين مثلاً لتشير اهتمام الجمهور. واتفق الجميع على ألا تكون «نقطة بيضا» هي الأغنية؛ لأنها ليست عالية أو سريعة بشكل يجذب عموم الجمهور، واقتصر تامر أن تكون أغنية «السكة شمال في شمال» لأنها توازن ما بين الشعبي والكلاسيكي، كما أنها استمرار لأغنية «السكة شمال» وبالتالي فهناك ألفة بينها وبين الجمهور، وأخيراً لأنها تتميز بكلمات كايروكي الجريئة التي اعتادها الجمهور.. لاقت الفكرة استحسان أمير جدًا، وبالتالي بدأ الحديث على أن تكون هي الإصدار الأول لـ«نقطة بيضا».

يتحوال الحوار بعدها إلى الديناصور؛ فهناك الآن معضلة: إذا كنت تبني تصويرها فيديو كليب، هل ستقوم بتصويرها في الجلسات؟ وإذا فعلنا ذلك فما جدوى تصويرها في كليب، ستحرق؟ وبدأت الاقتراحات.. أمير يقول: نضع فيديو عليه عالمة إكس وبه أول بضع ثوانٍ من الأغنية، ونقول انتظروها في الصيف.. تامر يقول نضعها كموسيقى فقط دون كلمات.

وحين تقول الفرقة إنها تهدف تحقيق 10 ملايين View لأغاني الألبوم على يوتوب، يطالبهم باسل بعدم رفع سقف التوقعات إلى حد كبير؛ حتى لا يصيبهم الإحباط إن لم يحدث.

سيحقق الألبوم 150 مليون مشاهدة في عامه الأول.

الموايد المتفق عليها هي 1 مايو الألبوم، و«الديناصور» يوم وقفه العيد الصغير بعد حوالي شهرين.

يتحدث أمير الآن عن بيان الفرقة حول رفض الرقابة.. يريد أن يصدره قبل صدور السينجل. وهناك جدال كبير حول هذا البيان: هل نصدره أم لا؟ يرى شريف أنه غير ذي جدوى.. يريد أمير أن تكون هناك شفافية مع الجمهور، ويفيد تامر المتضايق من عدم وجود توضيح لأسباب عدم الإجازة أو حتى فرصة للجلوس والمراجعة.. يحدث كثير من اللغط حول عديد من القضايا، ولكن الثابت: البيان.. السينجل.. الألبوم.. كليب «الديناصور».

بقي أقل من شهر على كل هذا.

يرى سليم أن منطق المواجهة العنيف لا يفيد الألبوم من الناحية الفنية؛ في بيان تصدر وراءه أغنية «السكة شمال في شمال» هي حرب مفتوحة. يدافع تامر عن الأغنية، وأنها فنية جدًا بغض النظر عن موسيقاها الشعبية وكلامها الصادم.. وكان هذا حقيقيًا في رأيه.

عاد الخلاف بعدها عن أيهما أفضل كسينجل قبل الألبوم: «نقطة بيضا» أم «السكة شمال»؟ «نقطة



بيضاً» هي التي ستحدث فرقاً فنياً لدى مستمعي كايروكي، ولكن هناك فريقاً يرى أن الأهمية الآن أن تثبت الفرقة أنها صاحبة موقف كما فعلت عندما نزلت «آخر أغنية» في مارس 2016.. وقتها كان قد مر وقت كبير دون أن تصدر الفرقة شيئاً، وبدأت التعليقات على السوشيال ميديا تقول بأن كايروكي تراجعت ولم يعد لديها جديد.

تظل الصعوبة الباقية في إقناع الرعاة بدفع تكلفة الـ11 فيديو مع وجود أغاني غير مجازة، ولكن في كل الأحوال تستطيع الفرقة تحمل تكلفة القىديوهات دون الحاجة إلى راعٍ، وقد يكون من الأفضل عدم وجود راعٍ؛ حتى يظهر أن الفرقة قادرة على قول كلمتها دون أي ضغوط.. اجتمع الجميع على ضرورة عدم وجود منتجات واضحة وصريحة؛ حتى لا تأخذ من مصداقيتها.

لم يتحدث شريف أو آدم كثيراً في هذا الاجتماع.. أما أمير فكان باديأ عليه حماس كبير سيخفت مع مرور الوقت، منذراً بعواصف كبيرة ستذهب على الفرقة قريباً.



أيامي مع كايروكي - الفصل الثاني عشر



الفصل الثالث عشر

أمير

الكل هنا يأخذون مسألة صحة أمير بكثير من الجدية..
فبشكل واعٍ أو

لا واعٍ، يصبح السؤال عن صحته وزنه تقليداً يومياً..
كأن يدخل أحدهم فيلقي السلام ثم يسأل أمير ماذا
أكل اليوم، والسؤال الأهم: ما الكمية التي تناولها؟
حين أراقبه يتناول الطعام أجده الأمر صعباً، فهو يقطب
جبينه ويتقلس وجهه مع كل لقمة يبتلعها. وحين
يطلب الطعام يطلب كميات كبيرة نسبياً ولكن ما أن
يوضع الأكل أمامه، فإنه يبدو مكرهاً على تناوله،
ويتوقف بعد لقمتين أو ثلاث على الأكثر. وتجعل ليلى
من واجباتها الأساسية أن تتأكد أن أمير يتناول طعاماً
صحيحاً، فتزور المكتب بشكل شبه يومي غالباً معها
فواكه أو خضراوات وأكلاً مطبوخاً في المنزل. وأمير
كأي طفل عنيد.. يتناول مشروبات الطاقة والشيبسي
أكثر من أي شيء آخر.



وكتيرًا ما أراه متالماً حينما يقرأ على السوشيال ميديا استنتاجات الكثيرين عن سبب فقدانه الوزن بهذا الشكل وأنهم يرجعون الأمر إلى تناوله للمخدرات.. وأتعجب من الجرأة التي يتمتع بها البعض حتى أنهم يسألونه بينما نسير في الشارع أو بعد الحفلات وجهاً لوجه إن كان بالفعل مدمنًا أم لا؟

هناك كثير وكثير من الأسرار التي لا يعرفها الجمهور عن حياة الفنان، ولكن الاستنتاج دائمًا أسهل، ودائماً يرتأحون لأن يكون في استنتاجهم شيء من الغموض والاتهام للنجم.. ربما بسبب الصورة القديمة المترسخة لدينا بأن كل الفنانين يتناولون المخدرات والخمور ويعيشون حياة ماجنة، ولكن الحقيقة أبعد ما تكون عن ذلك بكثير...

ينتمي أمير إلى أسرة عادية كملاليين الأسر المصرية من الطبقة المتوسطة التي تأكلت بشدة طوال العشرين عاماً الماضية، ودخل مدرسة فيكتوري

كوليدج (كلية النصر) بالمعادي، وتسمى أصطلاحًا **فيكتوريا** نسبةً إلى ملكة إنجلترا التي حكمت المملكة المتحدة في القرن التاسع عشر.. القرن الذي شهد في نهايته إنشاء حي المعادي الهايد.

وللمعادي خصوصية كبيرة؛ حيث ساهم التصميم الذي وضعه المهندسون الإنجليز في عزلها عن بقية المناطق المحيطة بها، وهو ما منحها طابعين اتسمت بهما طوال المائة عام الماضية حتى اليوم: سهولة التوahan في شوارعها المتفرعة من ميادينها العديدة، وهدوؤها التام على مدار اليوم بعيدًا عن صخب المدينة.

وقد كانت لهذه الخصوصية آثارها على سكان الحي الهايد، فأصبحوا يشكلون مجتمعاً سكنياً صغيراً فيما بينهم وكلهم يعرفون بعضهم البعض. وسكان المعادي يحبونها جمّاً لا يقل عن حبهم لمصر، ولا يغادرونها إلا نادراً، وكثير من أصدقائي انتقلوا من المعادي إلى القاهرة الجديدة بعد أن ازدحم الحي في السنوات الأخيرة، ولكنهم سرعان ما عادوا إليها لارتباطهم بها وبفكرة المجتمع المصغر بداخلها، فهي لا تزال من



الأخياء القليلة التي تستطيع أن تتمشى في شوارعها وتنعم فيها بالهدوء، وتقابل أنساً من مختلف الأطياف والجنسيات والطبقات.

وتتميز المعادي بتضارفها الطبقي الغريب؛ ففي مجتمع تحكمه الفوقيّة والحرص على التفرقة بين أبناء الطبقات المختلفة، تعد المعادي نموذجاً غريباً من الانصهار الاجتماعي.

تنقسم المعادي بشكل عام إلى المعادي الجديدة التي يسكنها أبناء الطبقة المتوسطة وما فوقها، ومنهم حتى من كانوا ينتمون للطبقة الأرستقراطية والإقطاعية أيام الملكية، كعائلتي آدم وليلي. أما المعادي القديمة التي تبدأ من بعد كوبري المعادي وتمتد إلى كورنيش النيل، فيسكنها أبناء الطبقة المتوسطة فيما أدنى، وصولاً إلى دار السلام التي تنتمي بشكل أو باخر إلى نطاق العشوائيات.

وفي إحدى الشوارع المتفرعة من ميدان الاتحاد بالمعادي القديمة ولد أمير وتأمر.. وميدان الاتحاد وما



حوله من المناطق التي تتصف بأنها تجمع ما بين الشعبية والحياة العصرية، وكان أبناؤها يرددون ويجهلون بينها وبين المعادي الجديدة مختلطين بأبناء الحي الراقي في تناغم تام. ويتخذ هذا الاختلاط أشكالاً عدّة: المدارس ونادي المعادي في الطفولة، ثم الشارع وأكشاك المياهين في المراهقة. وتتطور هذه العلاقات وتستمر؛ لتصبح بعد ذلك علاقات صداقة طويلة المدى أو مصاهرة وزواج في كثير من الأحيان.

كل شخص أقابله اليوم في محيط الاستوديو أو الحفلات له علاقة بالشباب تمتد ربما لأكثر من عشرين عاماً.

ولا شك أن هذه الشبكة الداعمة من الصداقات المتنوعة والعلاقات الممتدة بشكلها الصحي كان من أهم العوامل التي أثرت على أمير وتمير وهواري وأدم منذ سن مبكرة للغاية؛ فقد منحتهم صفات مختلفة من التوافق والتناغم، والهدوء، أو الـ Coolness، وجنبتهم تعقيدات أخرى مثل: كيفية تعامل الفتيات



والأولاد، أو الاختلاط بين أبناء الطبقات المختلفة، أو وجود أحقاد أو صراعات نفسية من أي نوع.

فهذا الاحتكاك المستمر مع مختلف الأطياف بشكل منفتح ومتقبل للآخر يعطي تجربة غنية تحقق مزيداً من السواء النفسي لأي طفل أو شاب صغير، يجعله يتعامل مع الأمور بأريحية أكثر حين يكبر.

في سنوات النشأة، قابل الشباب جميع أنواع النماذج من الأصدقاء: الملتهم، والمنفلت، والمرتاح مادياً، والأقل حظاً، والأشقياء ومن يعشقون حياة الشارع بكل تضاداتها وتحدياتها، ومن يفضلون حياة العزلة وعدم الاختلاط بالآخرين، ومن كانوا مجتهدين في الدراسة وحققوا نجاحاً عملياً ومن ذهبت حياتهم إثر الإدمان أو على أعلى أفضل تقدير انتهى بهم الأمر في السجون.

ولأن معظم السكان كانوا من طبقات تشبه بعضها البعض، ولأنهم جمیعاً تلقوا التعليم نفسه بشكل أو باخر، أصبح التشابه بين أبناء المعادي واضحاً على مر



الأجيال، فجمعهم جبهم للموسيقى والحفلات، وكل ما هو غربي؛ مما جعلهم رواداً في إطلاق الصيحات المختلفة: الحياة الهيببي، حب موسيقى الميتال، ارتداء الملابس الملففة، حتى الأهالي.. فإنهم يتميزون بقدر من الخروج عن التقليدي على خلاف معظم سكان القاهرة.. لقد كانوا أقرب للسكندرية من أبناء الطبقة نفسها الذين يعشقون الفن والحرية، ولكنهم في الوقت نفسه يحتفظون بالكثير من قيم المجتمع ولكن بقدر من الانفتاح ليس بالهين.

حتى الأجيال الكبرى لا تختلف كثيراً.. حينما سأقابل أهالي أعضاء الفرقة سأجد أن المشترك بينهم الكثير: الهدوء والرقي، وتقدير الآخرين واحترامهم والتمسك بالأصول، وفي الوقت نفسه الانفتاح والميل نحو الثقافات الأخرى واستيعابها، والجرأة الشديدة في التعامل مع كثير من الأمور التي قد يبعدها المتحفظون أموراً معيبة.

باختصار.. القاسم المشترك بين الجميع هنا هو تعاملهم بقدر كبير من التحرر الذي يبعدهم عن الحكم على



الآخرين.

ولد أمير بميدان الاتحاد في نوفمبر 1983، ورغم أننا نتقاسم الشهر نفسه إلا أنه ولد في السادس والعشرين منه، وبالتالي فهو ينتمي إلى برج القوس. وذكر لي بحماس أن ليلي زوجته ولدت في اليوم الذي تلاه، السابع والعشرين، وفي المستشفى نفسه.

كان أمير طفلاً منطويًا، إذ رغم أن له عديداً من الأصدقاء في المدرسة والنادي، إلا أنه لم يكن يخرج للعب كثيراً في سنواته المبكرة، وكان يقضي معظم الوقت مع والديه وأخيه كريم الذي يكبره بخمس سنوات.

كان والد أمير الذي يعمل بالتجارة يشمل أسرتهم الصغيرة بالرعاية، أما والدته «ميس» ابتسام، فكانت تعمل مدرسة رسم بمدرسة فيكتوريا؛ مما منح الأفضلية لولديها لدخول المدرسة، وكان مستواهم المادي جيداً للغاية. كان والده من النوع الطموح



والمجتهد.. رجل مصرى صميم من حي روض الفرج الشعبي، وكان حريصاً على أن يمنح أولاده حياةً جيدة.. ودائماً ما يتذكر أمير فترة السنوات الأولى بكثير من الحنين: «كنا نسافر خارج مصر أثناء الصيف، إلى جانب المصيف الطويل الذي كنا نقضيه بالإسكندرية والعجمي.. كنا نشتري معظم ملابسنا حين نسافر إلى الخارج، وكنا نتمتع بطفولة هادئة ومستقرة وسعيدة إلى حد كبير، وكان ميدان الاتحاد مختلفاً عما هو الآن.. كان أكثر حيوية ورقىًّا، لم يكن من الأحياء الغنية في المعادي بالطبع، ولكنه لم يكن أبداً بذلك التردي الذي وصل إليه الآن.. مثله مثل كل شيء».

ولكن هذه السعادة لم تدم طويلاً..

حدث الانفصال بين والديه بعد فترة خلافات مريرة وهو في سن السابعة، وكانت هذه لحظة فاصلة في حياته، فلم يعد شيء كما كان.. غادر الوالد إلى غير رجعة.. اختفي في يوم وليلة، وأصبح على أمير الصغير وأخوه كريم الذي كان يخطو أولى سنوات

المرادفة أن يتعامل مع الوضع وبسرعة.. أصبحت والدتها تعمل بمهنتين على مدار اليوم؛ كي تستطيع أن تؤمن لأولادها معيشةً جيدة.

كانت سيدة مناضلة كملائين الأمهات المصريات، وتعلم منها أمير القوة والتصميم:

«كانت أمي شخصية بريئة ومحبة لكل من حولها، تتمتع بقوة رهيبة تحت كم الضغوط التي وقعت على عاتقها.. وأول ما أدركته في هذه السن الصغيرة هو كم المعاناة التي تمر بها أمي، ولم أكن أريد أبداً أن أحملها فوق طاقتها فكنت أداري عنها ألامي وأوجاعي، وكانت هذه بداية إدراكي لمعنى تحمل المسؤولية، وأن حياتي لن تصبح مثل حياة من هم في مثل سني».

اكتسب أمير صفة الكتمان وقلة التعبير عما يشعر به في تلك الفترة، وهي صفة ستلازمه طوال حياته إلى اليوم.



ثمة صفة أخرى أظن أنها بدأت عنده في هذه الفترة، وهي شعوره بعدم الأمان وقلقه الدائم من المستقبل.. وهي صفة زادت وتضخمـت بعد انخراطه بالمجال الفني؛ لأنها صفة تصاحب كل الفنانين في المطلق الذين يخافون من زوال النجاح الكبير الذي يحققوـنه، وكيف أنه لن يحميـهم من غدر الزمن كما حدث مع كثير من المشاهير الذين كانت نهايـتهم مؤلمة في أواخر حياـتهم. سيـسبب هذا القلق عدـداً من المشاحنات والشعور بعدم الراحة بينـه وبين الفرقة؛ خاصةً آدم الذي سـيلحظ هذا الأمر ويـحاول معالجته طوال الوقت وطمـأنـة أمـير من هذه النـاحـية؛ باعتباره المسـئـول عن مـاليـات الفـرقـة.

«فجأة بدأنا لا نسافـر، لا أشتري الملابـس التي أـريدـها.. أصبحـت أكثر صـلـابة فلا مـكان لـلـ«ـدلـعـ»، إما أنـ أـظل الفتـى المـدلـلـ الذي كـنـته أيامـ أبيـ، وأـسبـبـ مـزيدـاً من الإـرـهـاقـ لأـميـ وأـخيـ، أوـ أنـ أـنـضـجـ بـسرـعةـ وأـعـتمـدـ علىـ نـفـسيـ تـاماً.. وهـنـاـ كانـ قـرـارـ نـزـوليـ إـلـىـ الشـارـعـ».

كان الشارع بالنسبة لأمير عالماً كاملاً من العجائب والمفاجآت، يقضي به معظم وقته، وفي الشارع تعرف إلى تامر، الذي كان يأتي إلى مصر في الصيف عائداً من سلطنة عمان التي يعيش فيها مع والديه.. كما تعرف إلى أصدقاء المنطقة مثل: هيتم جاره في العمارة نفسها، وعماشة، الذي استمرت صداقته بهم حتى اليوم.

«في الشارع تعرفت إلى مئات البشر الذين لم أكن لأقابلهم أبداً في نادي المعادي والمدرسة.. أشعر دائمًا أنني أنتمي لكلا الطبقتين الاجتماعيتين، أتميز عن جرفهم الشارع إلى الضياع.. وفي الوقت نفسه لست مثل المدعين الذين عزلهم وطبقتهم عن معرفة حقيقة الأمور والحياة».

من أوائل الكلمات التي كتبها أمير في حياته: (أنا مواطن من الطبقة «ب»، بشوف الألف وأحس بـ «ت»؛ أي يشعر أنه يستطيع أن يتواافق مع أي شخص من أي طبقة، وإن كان يميل ويرتاح دائمًا نحو الطبقة



الشعبية والناس الأكثر بساطة.. يجد نفسه وسطهم، لأن أكثر ما يكرهه في حياته هو الادعاء.

ويُعشق أمير هذه الـ«بيرسونا»، أو الشخصية التي يصدرها للناس ولنفسه ربما، بأنه «صايع»، و«مخلص»، و«عنه خبرة الشارع»، وأنه مش «فروفور».. هذه الأوصاف يطلقها على نفسه كثيراً، حتى عندما بدأ يتكلم معي لاحظت في لهجته أنها تحمل طابعاً شعبياً خاصةً في مخارج الفاظه ونطقه للحروف، وظللت أراوغه بآني لا أعتقد أن هذه لهجته الحقيقية؛ فأخوه الذي قابلته بعدها بشهور ليس كذلك بالمرة، ولا حتى أصدقاؤه الذين تربوا معه في المنطقة نفسها والظروف، وأعتقد أن الطفل الصغير الذي كان يُعشق الخيال منذ صغره، ظل يتخيّل نفسه واحداً من هؤلاء الذين يحيطون به.. وكان يرفض بشكل أو باخر أن يكون شيئاً بأي من أصدقائه من الناحية الأخرى، وأراد أكثر أن يكون واحداً من منطقتهم يشبههم ويختلط بهم، وأن يصبح من الأولاد الذين لا يطرف



لهم جفن أمام أي مشكلات أو خناقات... أن يتميز بهذه الخشونة.

ولا يمكن أن تفصل ذلك عن شعوره بالغضب من اختفاء والده.

ورغم وجود النادي والمدرسة كمتنفس أمام أمير، إلا أن شيئاً ما، فضولاً أو سحراً، دفعه إلى الارتباط بـلعبة الكرة في الشارع، ووقفة الغروب أمام البقال، وأكل الكبدة والسبحق من عربات الأكل، وشراء الخضروات والفاكهة والأسماك لأمه من السوق القديم.. كان أمير، على عكس أخيه الناضج الملتزِم والجاد معظم الوقت، قد استسلم برضاء لفضول استكشاف الشارع.

ولأن الشارع قاسٍ، كان يقال على أمير وأصدقائه أنهم «فرافيير»؛ لأنهم يدرسون في مدارس اللغات و«أولاد ناس» فكان الحل هو خلق آلية دفاع ثبتت أحقيتهم في التواجد في الشارع، فبدأت عادة صبيانية استمرت حتى سن المراهقة والبلوغ وربما فيما بعد ذلك، وهي الخناقات.. «كنا نتخانق خناقات بشعة عشان محدثش



يعلم علينا». وكان جسده الضخم والممتليء يعطيه ميزة عن بقية أقرانه: «قلبي كان ميت وأي حد يخش عليا مكنش ياخد في إيدي ضربة.. كنت عفي جداً ميغركش شكري دلوقتى» يقول لي ضاحكاً في ضعف. الكل هنا يحكي لي عن تهريج أمير العنيف معهم أيام وزنه الزائد وقدرته على الـ«فرهدة» وطاقته التي لا تنتهي والوجبات الضخمة التي كان يبتلعها كل يوم، فيزداد ضخامةً وطولًا واستقواً.

بالطبع تامر الآن يهدده بأن لديه فرصة للانتقام مما كان أمير يقوم به طوال السنوات الماضية.

«أنا وتامر وأدم كان للشارع دور كبير في تكوين شخصياتنا، على عكس شريف وهواري اللذين كانوا طفلين ملتزمين لا يخرجان خارج النطاق الآمن للمدرسة والعائلة (هذا النموذجان وجهان للشخصية المصرية التي تنتهي للطبقة المتوسطة).. كنا في كثير من الأحيان نظل في الطرق حتى مطلع الصباح.. دخلنا أنواع الشرطة ونحن لم نتم الخامسة عشرة.. كنا مجانيين، سافرنا سيناء حينما لم يكن أحد يسمع



عنها ونحن لا نزال في الصف الثاني الإعدادي.. كانت روح المغامرة والفضول لمناوشة الحياة هي ما تدفعنا، وفي الوقت نفسه كنا نغادر بيوتنا قليلاً، ونفضل الجلوس والاستماع للموسيقى معظم الوقت».

ولقد انعكس هذا فيما أراد أن يقدمه من فن بعد ذلك:

«باختصار لقد أخذت الطبقة المتوسطة من أدناها لأعلاها، جيئة وذهاباً، ولذلك فإن همي الأساسي هو أن أكون صوتاً يعبر عن هذه الطبقة بكل إحباطاتها وألامها وتحدياتها لأنها الطبقة التي ليس لها صوت، فالمعنى الشعبي يعبر بقوة وصدق عن ألم وشجن وقضايا الطبقة الشعبية، أما الطبقة المتوسطة فقد كان الفن الذي يخرج منها كله يتمحور حول قصص الحب والهجر والسوق.. دائمًا ما كنت أحلم أن يكون صوتها أشرس وأعلى ومسموعاً أكثر. الثورة المصرية فجرتها الطبقة المتوسطة، وآلاف الشباب الذين وقفوا وراءها كانوا في الأصل يبحثون عن صوتهم».

وهذا تضاد غريب في الهوية الطبقية لدى أمير انعكس على ذوقه في الموسيقى: فهو يسمع بينك فلويد وأحمد عدوية.. الاثنين بالشغف ذاته، تماماً مثل كايروكي.. تقوم بعمل أغاني غريبة تماماً، مثل «التليفزيون» أو «حلمي أنا»، وأخرى مغرقة في الشعبية مثل «الكيف» و«غريب في بلاد غريبة».. إن أمير مقتنع تماماً أن الاثنين بداخله، وأنه ينسلاخ من واحدة إلى أخرى بسهولة تامة.

ستظل فكرة الانسلاخ هذه تلازم أمير طوال حياته، وهي فكرة في الأدب والفلسفة تسمى Metamorphosis حيث يتتحول الشخص من طور إلى طور، وهي غير التطور الطبيعي للإنسان من مستوى أو مرحلة في حياته إلى مرحلة أخرى، ولكنه تحول كامل ومفاجئ من حالة إلى أخرى، من «فرفور» إلى Tough.. من فاشل إلى ناجح.. من بيئة مطمئنة ومرجحة إلى المغامرة والخطر. هذا الانسلاخ يكون عادةً مدفوعاً بأشياء مجهولة، برغبات دفينة

قلقة ترفض الوضع الثابت الذي لا يتغير، أو حالة «محلك سر» كما يطلق عليها (Status Quo)، هذه الرغبات الدفينة أيضاً دافعاً للتميز والتغيير والنجاح حتى لو كان لها ثمن، أو لم يفهمها الكثيرون ممن حولك.

أظن أن أمير ظل يبحث طوال عمره عن نوع من الأمان في الاختلاف، وألا يشبه أحداً؛ إذ أيقن في مرحلة ما من حياته أنه لن يجد الاطمئنان أبداً من مصدر واحد، وبالتالي كان يجب أن يحاول أن يستعيض عن ذلك بمصادر أمان متعددة: الشارع، الأصدقاء، الفرقة، الجمورو، الكلمات التي يكتبها، تقبل الناس له، وإثارته المستمرة للجدل.

كلنا بلا استثناء نبحث عن فكرة التقبل، والانخراط داخل مجموعة.. نحن نريد أن يتقبلنا من حولنا سواء الأهل، الأصدقاء، الجنس الآخر، شريك حياة، المديرون في العمل.. إلخ، وهذه إحدى مساعي إنسان العصر الحديث التي لا تتوقف.

في فيلمه Revolver، كتب المخرج والمؤلف الشهير جاي ريتتشي مونولوج على لسان البطل يعبر عن هذه الفكرة بشكل رائع: «هناك أمر لا تعرفه عن نفسك.. أمر ستظل تنكره حتى يصبح الوقت متاخرًا فلا تملك حياله شيئاً، وهو السبب الوحيد الذي تستيقظ من أجله في الصباح.. والسبب الوحيد الذي يجعلك تتحمل معاناتك مع مديرك السيئ.. تتحمل الدماء والعرق والدموع: أنك تريد الناس أن يعرفوا كم أنت طيب، جذاب، كريم، مضحك، مجنون وذكي.. تقول لمن أمامك دائماً: فلينتابك الخوف مني، ولكن أرجوك قل إني إنسان متميز.. كلنا نتشارك ذلك الإدمان، نحن مدمنون استجداه قبل الآخرين.. كلنا نتمتع بأن يربت أحد على ظهرنا ويمنحنا مكافأة مشجعة. ذلك الهاتف: براقو عليك.. انظر للفتي الشاطر ذي الشارة وهو يلمع جائزته، واصل التلميع أيها الجوهرة المجنونة؛ لأننا كلنا قرود نرتدي البذلات ونتسول القبول من الآخرين».

حتى الثورة حين قمنا بها كانت بسبب شعورنا بأننا خارجون عن المكان والزمان.



لم نكن ننتمي لا للجيل الذي قبلنا ولا للحياة التي نحياها.. يسير كل منا بكم مهول من الأسئلة غير المجابة.. حمل ثقيل. نشاهد حولنا أوضاعاً عبثية، لا نفهمها، ولا نريدها، وتحملنا ما لا طاقة لنا به.. وحتى أحلامنا لم تكن واضحة لنا.. كانت أكبر منا ومن قدرتنا على أن نحكيها ونصفها لأهالينا، مدرسينا، وكل من نتعامل معهم؛ فكلهم في هم جماعي وفردي يجعلهم يسرون نياماً، لا يسمعون ولا يفهمون ولا طاقة لهم على الفهم أو المساعدة. ولأننا شعرنا أننا متزوكون هكذا في العراء ومضطرون لتحمل أوضاع لا نفهمها ولا نريدها.. تراكم الغضب والإحباط بداخلنا؛ خاصةً وأن القدر كان يحاصرنا، سواء في المحيط الصغير لأسرتنا، أو المحيط الأكبر للمجتمع الذي سيطر عليه الفسدة والطغاة في مختلف المؤسسات.

لقد كنا نبحث عن صوتنا.. نريد أن نجده كي نصرخ. وما أن وجدناه حتى انطلقت حناجرنا بالصراخ والغناء



والجهر بالحلم والحرية.. أردا أن نحطم قيود الحاضر ونبني مستقبلنا الذي نريد.

أردا ببساطة أن نسلخ من حالة لا تطاق إلى حالة بها بعض الأمل.

بدأ أمير في الرسوب وهو في الصف الرابع الابتدائي، ومعها بدأت مشكلاته التي لا تنتهي في المدرسة: «تم رفدي لأول مرة لأنني ضربت ولدًا سبّني.. حصلت على رفد مؤقت لمدة أسبوع، وبعد أن عدت رأني الولد في الطابور فقال لي: «عشان تتربي»، فضربته مرة أخرى، وتم رفدي نهائياً من المدرسة».

«التمرد في حياتي بدأ منذ سن الدراسة.. كان التعليم سيئاً وكنت أكرهه.. أسرح بخيالي في الفصل متخيلاً المدرس في حياته خارج المدرسة كيف تكون.. أتخيله في الشارع أو في معركة، في موقف كوميدي أو يشاهد التلفاز في منزله. كان خيالي هو مهرب.. كنت أفضل الوحدة لأنني كنت غاضباً طوال الوقت. حين كنا



نسافر إلى البحر كنت أنزله وحدي، وأظل أراقب الأمواج وأتخيلها وحوشاً تهاجمني أنا وأهلي وأتخيل نفسي أحميهم.. كنت أيضًا مدفوعًا بغضبي من الواقع في المشكلات، أُعشق حرية الشارع وأنفر من الدعة والخمول البدائية على وجوه معظم فتيان وفتيات النادي.. أشعر أنهم فرافيير مقارنةً بعيال الشارع، وأشعر أنني أكثر صياغة».

ومن أهم أعمدة الانتماء التي ساعدت أمير على تخطي هذه الصراعات بداخله الأصدقاء:

«كانت شلتنا القرية تقاد تصل إلى 20 شخصًا، وكنا الشلة الوحيدة التي تنتهي إلى عدة مدارس في الوقت نفسه.. كل شلة كانت معروفة باسم المدرسة: شلة فيكتوريا، شلة نيو هوريزون، شلة الأمل.. وهكذا، إلا نحن فقد كان يجمعنا عدم توافقنا مع أبناء المدارس التي ننتمي إليها، فنفضل البحث عنمن يتتوافق معنا.. كل حاجة عملناها مع بعض خاصةً أنا وتامر وأدم وهيثم؛ أول خناقة، أول حب، أول سفرية.. الفرقة بالنسبة لي هي ذكريات حياتي كلها.. لو حدث في يوم



ما واحتفيينا من حياة بعضاً البعض، ستمحى معهم ذاكرتي بالكامل».

انتقل أمير إلى مدرسة آدم، وظل بها لمدة عام، وشعر وقتها بأنها نقلة حضارية بشعة، ولا يزال يذكر دورة المياه بكل ما فيها من قذارة وقبح، وحاولت أمه أن تستخدم علاقاتها؛ كي يحصل أمير على إذن أن يدخل الحمام في المنزل؛ خاصةً أن المدرسة كانت ملاصقة لميدان الاتحاد.

سارت الأمور في المدرسة الجديدة على مايرام إلى أن قرر مع عماشة أن يتسللا إلى حافلة المدرسة الخالية وسط اليوم الدراسي.. قررا قيادتها فأدارا المفتاح لتعود الحافلة إلى الخلف وتنهشم في السور.

ورفد أمير رفداً نهائياً للمرة الثانية.

ظلت أمه تكافح كي تجد له مدرسة تقبله، تم نقله إلى مدرسة كانت تعد منتخب الفاشلين في المعادي.. كان يتم قبول كل المرفوضين بها، ظل هناك حتى الصف

الثالث الإعدادي، وكان الغش بها سهلاً فنجح دون ملاحق لأول مرة، ولكن أمه لم تكن راضية عنها، وظلت تحارب حتى عاد إلى فيكتوريا في مرحلة الثانوي، وقضتها كلها هناك بسلام (عدا أول يوم عاد فيه، حين حاول أحد المتنمرين السخرية منه، فضربه ورقد ل أسبوع).

وثقافة العنف هذه منتشرة في مجتمعنا وجيئنا، وفكرة أن تأخذ حرقك بيده وألا تاحترم أي قانون أو تنتظر حرقك بشكل إداري أو قانوني تبدأ من مدارسنا وتستمر بعد ذلك لدى معظمنا: (اللي يضربك اضربه).

هناك من ينضج ويكبر، وهناك من يظل يلزمه هذا الأمر في مختلف جوانب حياته؛ فيتجه إلى الباطحة على من حوله.. بدءاً من المارة في الشارع حتى بيته وزوجته، أو أن يأخذ عدم احترامه للقانون أشكالاً أخرى كالفساد والسرقة والنهب.

ولحسن الحظ أن أمير من النوع الأول الذي تخلص من هذه العدوانية، وهو سلوك طبيعيٌ جدًا لدى طفل نشأ



في أسرة بها انفصال بين الوالدين، وأصبح أكثر هدوءاً، ونضجاً، بل وثقافة.

وكاننا جميعاً في المرحلة الثانوية لم يذهب أمير للمدرسة طوال هذين العامين. رسب في الرياضيات في الصف الثالث الثانوي، وبالتالي قضى عاماً كاملاً لا يدرس سواها، وهو ما منحه وقت فراغ كبير قضاه في تعلم الموسيقى والقراءة وكتابة الأغاني.

وبحلول عامه الأول في الجامعة كان أمير قد أسس فرقةً يلعب فيها الموسيقى مع أصدقائه.



الفصل الرابع عشر

تصوير ألبوم «نقطة بيضا»

13 إبريل 2017

اختفى شريف لمدة يوم كامل وهي ليست عادته أبداً.. سألت عنه فلم يعرف أحد أين هو.. في اليوم التالي كنت جالساً مع أمير حينما دخل علينا وفرحة الأطفال بادية على وجهه.. فوق كتفه كان يحمل حقيبة ضخمة وشيئاً ما يبدو ثقيراً. سأله أين اختفى بالأمس، فوجده يفتح الحقيبة ويخرج منها أكورديون أسود ضخماً.

كان شخص قد عرض الأكورديون للبيع على فيسبوك، واقتنص شريف الفرصة وراسله واتفق معه على السعر.. سحب كل ما يملك من الـ ATM وهرع إليه ليشتريه.. كان يمسك به بفخر شديد، وظل يحكى لي إن هذه الماركة، شتاينواي، هي ماركة ألمانية شهرة وتعد «مرسيدس الأكورديونات»، ونظام المفاتيح بها



متشعب ومعقد على ما يبدو. يجاهد شريف ليعزف أي لحن عليه، ولكنه يظل ينظر إليه بفضول شديد.

أبدى أمير إعجابه به، وأخبر شريف أن عليه أن يشكره؛ لأنّه أرسل له لينك العرض على فيسبوك.. نظر إليه شريف بحدة وأخبره أن هذا كلام غير حقيقي.. نظر أمير إلى لحظتها: «أرجوك اكتب أن شريف يكذب.. أقسم بالله أنني قد أرسلت إليه هذا اللينك.. أنت ناكر للجميل» تبادلا السباب بعض الوقت - أعضاء الفرقة يستخدمون الألفاظ النابية أكثر من استخدامهم للألفاظ العادية في حواراتهم- وأصر شريف على الإنكار وأنه لم يتلق أي رسائل من أمير.. جلس أمير بعدها على الجيتار يعزف بعض الألحان التي تدور في رأسه.

في اليوم التالي أخبرهم باسل أنه استطاع أن يصل إلى اتفاق مع شركة الاتصالات أن تشتري أغاني

متشعب ومعقد على ما يبدو. يجاهد شريف ليعزف أي لحن عليه، ولكنه يظل ينظر إليه بفضول شديد.

أبدى أمير إعجابه به، وأخبر شريف أن عليه أن يشكره؛ لأنّه أرسل له لينك العرض على فيسبوك.. نظر إليه شريف بحدة وأخبره أن هذا كلام غير حقيقي.. نظر أمير إلى لحظتها: «أرجوك اكتب أن شريف يكذب.. أقسم بالله أنني قد أرسلت إليه هذا اللينك.. أنت ناكر للجميل» تبادلا السباب بعض الوقت - أعضاء الفرقة يستخدمون الألفاظ النابية أكثر من استخدامهم للألفاظ العادية في حواراتهم- وأصر شريف على الإنكار وأنه لم يتلق أي رسائل من أمير.. جلس أمير بعدها على الجيتار يعزف بعض الألحان التي تدور في رأسه.

في اليوم التالي أخبرهم باسل أنه استطاع أن يصل إلى اتفاق مع شركة الاتصالات أن تشتري أغاني

الألبوم بالكامل.. كان ذلك انتصاراً رائعاً؛ لأنّه يعني حصول الفرقة على مبلغ محترم دون تجزئة الألبوم.

أصبح مطلوبًا الآن أن يتم إرسال الأغاني؛ حتى تبدأ الشركة في وضع Sample من كل أغنية على تطبيقها الخاص؛ لتبدأ بذلك حملة الـ Pre-Order التي تشجع العملاء على دفع مبلغ للحصول على الألبوم من خلال التطبيق قبل صدوره.

ما معنى الطلب المسبق للأغاني Pre-Order؟: تصدر أغنية واحدة (سينجل) قبل الميعاد الرسمي لصدور الألبوم بأسابيعين أو ثلاثة، ويطلب من المشترك أن يدخل للإستماع إليها.. وإذا أراد أن يسمع الألبوم كاملاً قبل صدوره (قبل أي حد تاني كما تقول الرسالة الصوتية) فليضغط لينك معين، ويخصم من رصيده 15 جنيهًا، وبالتالي، وقبل صدور الألبوم كاملاً ب أسبوع، يبدأ العد التنازلي، حيث تستقبل على هاتفك كل يوم أغنية جديدة تستمع إليها من خلال التطبيق فقط، وبالتالي تستطيع أن تستمع إلى الألبوم تدريجياً قبل صدوره تقريراً ب أسبوع، وهذا يعني أنك تستمع إليها



من خلال تطبيق على الهاتف دون إمكانية تحميلها ونسخها.

وتعد حملة الـ Pre-Order بيت القصيد من ناحية المكسب لشركة الاتصالات، إلى جانب الـ Ring Tones (خللي الأغنية دي رنج تون لرقمك)، ولخدمة هذين العاملين ستقوم شركة الاتصالات بإرسال حوالي 30 مليون رسالة للهواتف المحمولة، إلى جانب الدعاية على السوشيال ميديا وعبر الرسائل المسجلة للهاتف على مدار عدة أيام.. ولن تقوم بذلك إلا بوجود أغنية واحدة على الأقل الآن وبعدها تتواتي بقية الأغاني.

ولكن شريف لم ينته بعد من عملية المكساج والماسترنج لأي أغنية من الأغاني..

ظلت الأيام تمر دون أن يتم الانتهاء من كل ما يحتاجه الألبوم.. لم يكن شريف قد سجل دويتو «عم غريب» بعد. كما أن الاختيارات التي أرسلها سليم لألغفلة الألبوم لم تعجبهم بالمرة. شاهدتها على هاتف أحمد مدحت ووجدتها عنيفة للغاية: كان الاقتراحان



المعروضان يركزان على فكرة كائن مشوه.. لقد أوحى لي التصميم بإحساس مظلم، ربما كان يحاول أن يعبر عن فكرة الصراع في الألبوم.. صراع الفرد مع نفسه أو مع المجتمع، ولكنه تغافل تماماً عن الرقة الشديدة والشغف الظاهر بالموسيقى.

أيضاً لم تكن القيديوهات قد صُورت حتى الآن ونحن نقترب من منتصف إبريل.. كان تامر يصرخ كل حين وأخر يسأل من مدير التصوير ومن المخرج وأين سابقة أعمالهما؛ في غرفته رأيت أمير منكبًا على كتابة كلمة الفرقة التي سيلقيها الأعضاء قبل كل أغنية.

ظلت الأمور على هذا الوضع حتى ذهبت للمكتب بعد تغيب يومين بسبب ظروف العمل، لأجد الكل يتحرك بنشاط: لقد تحدد ميعاد التصوير غداً.. هكذا فجأة ودون مقدمات.

يبدو أن الأمور بعد الاجتماع الأخير كانت قد تأزمت وأصبح التصوير ضرورة إن كانوا يريدون الالتزام بموعد صدور الألبوم في 1 مايو.. ومن الواضح أن



سليم - الذي لم أره حتى الآن - قد مل شعورهم من أنه قد تأخر، وعاد للظهور في الصورة وقرر أن يحرك الأمور بسرعة، فأخبرهم أن التصوير غداً.

كل ما يملكون من آلات ومعدات موسيقية مكون أمام باب المكتب.. التشيللو والكمانجات وكيبوردات شريف وعشرات الجيتارات وحقائبها، وسماعات، والجرامافون العتيق والراديو الخشبي، وغيرها الكثير.. كلها بانتظار السيارة التي ستنقلهم إلى مكان التصوير بأحد الهناجر بالمريوطية.

بدا الحماس على الجميع، وأخذوا يسألون عن الملابس التي يجب ارتداؤها.. أحمد مع سليم على الهاتف، ينقل إليه أسئلة الفريق أولاً فأول.. تامر يطلب تأجير عدة درامز ذات لون أبيض مميز ولكن يتذرع الإتيان بها.. تامر - بالطبع - يشعر بتخوف شديد: «الموضوع هيتكّرِوت ويطلع وحش، كل مرة نبوّظ الشغل كله على رشة ملح.. يعني إيه تصوير يتحدد لياتها؟».

هذا التخوف لديه انعكاسات داخل الباقين، ولكن كما وضح من المجتمعات السابقة فهم لا يريدون أن يضيعوا وقتاً في مزيد من المهاارات.. وغداً يكون اختباراً واضحاً لثقتهم في سليم إن كانت في محلها أم لا. يتظاهر أمير بعدم الاكتئاث أو القلق، وهو - بالطبع - كما سأتأكد بعد ذلك من عدة موافق - عكس ما يشعر به.

سألت أمير إن كان كل فرد قد تدرب على ما سيقوله في القيديو، ولكنه فاجاني أنهم قد تخلوا عن الفكرة: «لا نشعر أنا وسليم أن هذا سيخدم الأغاني بالشكل المطلوب، ليس من الجيد دائمًا أن تفسر ما تقوله في الأغنية، من الأفضل أن تترك مساحة للخيال، كما أن الشباب عادةً ليسوا مرتاحين للتحدث أمام الكاميرا.. إنهم على حق، الأمر مباشر للغاية وغير فني».

تنتهي الاستعدادات ليوم التصوير في الثانية صباحاً.

وصلت إلى المريوطية ودخلت الهنجر بهدوء وأنا أستمع لصرخات ترن يبدو أنها لمخرج العمل، والذي لا أعرف حتى الآن من يكون.. سالت عدة مرات بالأمس ولم يكن أحد يحمل إجابة. وجدت نفسي أقف في ظلام دامس..

لا أكاد أرى يديّ. وعلى مسافة بعيدة تبلغ عشرات الأمتار، كان المنظر البديع: بقعة ضخمة من الضوء المستدير تنزل ساقطةً من أعلى سقف الهنجر البعيد، محاطة بأربع قطع طويلة من القماش تتدلى من السقف هي الأخرى؛ لتحيط بالضوء وتحده وتركته بشدة نحو الأرض.. تحتها يوجد المنظر المعد بعناية شديدة وعشوائية فنية معًا: الشباب الخمسة يجلسون على مقاعد بأطوال مختلفة وسط آلاتهم الموسيقية ومعداتهم، أبرزها السماعات التي تحيط بأركان جلستهم.. حولهم في دائرة كاملة توجد على الأرض قضبان الشاريوه (اسم العربة التي توضع عليها الكاميرا ويتم تحريكها من قبل الفني الخاص بها؛ كي تصور مشهدًا والكاميرا تتحرك).

الفكرة الموجودة هنا كما فهمت حين دخلت هي أنه س يتم تصوير الفرقة بالكامل من خارج جلستهم، من خلال الكاميرا التي ستدور حولهم بشكل دائري أثناء الغناء.. وسيقوم المصور بتصويرهم رويداً رويداً، وتتغير حركة الكاميرا سرعةً أو بطيئاً حسب إيقاع الأغنية.

كان هواري قد أرسل لأمير قيديو لإحدى الفرق التي صورت أغنية لها داخل استوديو، وأعجب أمير جداً بالفكرة وأراها لسليم، وكان المميز في هذا القيديو الذي شاهدته بعد ذلك أنه قد تم تصويره كله في لقطة واحدة متصلة؛ أي دون مونتاج One Take .. طبعاً كانت التقنية المستخدمة في القيديو معقدة؛ لأن اللقطة المصورة لمرة واحدة مسألة ليست سهلة بالمرة، كما أنها تحتاج إلى مساحات هائلة حتى تستطيع الكاميرا التحرك بحرية بين العازفين.

أظل واقفاً مكانني ريثما ينتهيون من التصوير.. أرى الشباب الخمسة وقد ارتدوا تيشرتات سوداء كلهم،



**فيما عدا عبد الرحمن رشدي الذي كان
- مصادفة - يرتدي تي شيرت بيضاء.**

بعد شهر من الآن، وعند نزول الفيديو كسينجل يسبق الألبوم، سيعمل عديد من المشاهدين على رمزية ارتداء عبد الرحمن لتي شيرت البيضاء وسط سواد الخلفية وملابس بقية العازفين، وأن هذا يعني أنه هو النقطة البيضاء داخل السواد؛ خاصةً أن صوته يمثل أحد أصوات الضمير المتصارعة داخل البطل. ولكن الحقيقة المضحكة هي أن لا أحد أخبر عبد الرحمن ليلتها أن يأتي مرتدِياً زِيَّاً معيناً. ولما كان التصوير بالنهار والجو حار، فقد أتى بتني شيرت بيضاء ولم يأت بشيء غيرها! وسيخبرني سليم بعد ذلك أنه يؤمن بالطاقة وقدرتها على تحريك الأمور حينما يقوم الفنان بوضع كل تركيزه فيما يعمل؛ فهو يرى أن هذه المصادفة الكونية لارتداء عبد الرحمن تي شيرت بيضاء ليست مجرد مصادفة، ولكنها تكامل فني يخلقـه العالم كجزء من ولادة الناحية البصرية للألبوم بشكل عضوي Organic، وهي كلمة يستخدمها سليم كثيراً.



سنأتي لسليم لاحقاً.. لا تقلق.

أما عبد الرحمن طوال رحلته مع أغنية «نقطة بيضا»، كان يعاني من نسيان الفرقة له في هذه المسائل: ينسون إحضاره في البروفات قبل الحفلات.. ينسون إخباره بتفاصيل الحفل، كيف سيذهب أو يعود، ودائماً ما يشكو من هذه الفكرة ويظل في كل حدث يظهر في اللحظة الأخيرة وهو يلهث ويصرخ من أن أحداً لم يخبره بشيء.

بعد انتهاءهم من تصوير الأغنية الأولى، أعيدت 6 مرات.. أقترب من مركز التصوير وأسلم على الشباب، وأبدأ في ملاحظة الأمور عن قرب أكثر: أربع سجادات على الأرض.. سماعات ضخمة تشكل الدائرة، بعضها موضوع على حقائب معدات الإضاءة السوداء المربعة Flight Cases، ماكينة البخار الصغيرة على الأرض.. جيتارات موضوعة على الحوامل الخاصة بها، بيانو أبيض صغير بجانب معدات شريف، عدة الدرامز،



والشباب المتشح بالسوداء.. شريف يرتدي جاكيت جلدياً.

توضع الكاميرا.. يجلس الشباب متخذين وضعية الاستعداد، ثم يبدأ أحد التقنيين الجالسين في الأطراف على شاشة لابتوب في تشغيل الأغنية التي تنطلق من السماعات الضخمة الموجودة في المكان.. وساعتها يبدعون في محاكاة الموسيقى، والحقيقة أنهم يعزفون أيضاً بشكل حقيقي وكأنما يعزفون في بروفة أو حفل حتى يخرج أداؤهم بالدقة المطلوبة ويحاكي الأغنية بالضبط؛ لأنك لا تملك هنا فرصة للمونتاج وضبط الصوت والصورة معاً؛ لأن الأغنية كما قلنا يتم تصويرها مرة واحدة.

انظر في ساعتي: بقي حوالي أسبوعين على إطلاق الألبوم.. هل يكفي الوقت للحاق بالموعد؟



الفصل الخامس عشر

صوت الحرية بينادي

2012-2011

في واحد من أهم وأعظم المشاهد التي يعرفها محبو السينما جيداً، يقوم بطل فيلم Shawshank Redemption باحتلال راديو السجن وإذاعة مقطوعة موسيقية لموزارت عبر السماعات المنتشرة في أرجاء المكان.. تلك السماعات التي لا تخرج منها سوى الأوامر القمعية التي تبرز تحكم الحراس بالمساجين.. تقوم الدنيا ولا تقدر ويهبس البطل انفرادياً لفترة، وعند خروجه يسأله المساجين لماذا فعل ذلك وتکبد مشقة الحبس الانفرادي والعزلة، فيخبرهم أن السلطة مهما استطاعت أن تسليفهم حريتهم.. فإنها لن تقدر أن تسرق منهم الموسيقى / الحرية؛ فهي بداخل كل واحد منهم.



كان غليان السنوات الماضية قد وصل لذروته وأن له أن ينفجر.

وقامت ثورة 25 يناير..

«صوت الحرية»

بدأت الشرارة الأولى التي أضاءت مصر كلها مساء الثلاثاء 25 يناير، وخلال الـ 18 يوماً التاريخية كان الميدان منظماً إلى حد رائع.

بنظام مذهل نصبوا لجان التفتيش على جوانب الميدان، ونصبت المستشفيات ميدانية، واستمر إمداد مؤن الأكل والشرب والأدوية دون انقطاع.. ظهر الباعة الجائلون يوفرون احتياجات المتظاهرين والمعتصمين.. نصبوا الخيام ومنها خرج الفن والشعر والموسيقى. بدأ الجرافitti يزين الأسوار ورفعت الأعلام واللافتات تعلن عن مطالب المتظاهرين، حتى توثيق وتسجيل الثورة كان له نصيب من خلال الأركان التي تم تخصيصها لهذا الأمر.

كل شيء كان يتم في سيمفونية عظيمة دون قائد... تماماً كالأوركسترا الشرقية التي تكونت دون قائد.

بالطبع، لم تكن الأمور خارج الميدان بهذه الرومانسية.. كانت مصر تشتعل في جميع أنحائها، من المطيرية إلى السويس، ومن الإسكندرية إلى أسوان، الميادين تحترق، والعنف في الشوارع يتزايد.. نهبت محلات ومات الكثيرون بالرصاص المجهول حتى الآن.. حرق أقسام وفتحت سجون وبسرعة نزلنا أمام البيوت نحميها.

وسواء كانت الثورة مؤامرة كونية للقضاء على مصر أو حدّاً شعبياً حقيقياً، وسواء محبت من ذاكرتنا وأرواحنا أم لا، فإن الحقيقة المؤكدة - التي لا جدال فيها تماماً كما الموت وسعى الإنسان للحرية - أن الثورة المصرية في الخامس والعشرين من يناير هي الحدث الأهم والأبرز والأشرف والأكثر قداسة الذي صنعه المصريون في التاريخ المصري الحديث، ولا يقل في أهميته عن طرد الهكسوس أو عين جالوت أو حرب أكتوبر.

وتوالت الأحداث.. نزل الجيش.. وتعالت الهتافات.. وتحركت المجموعات التي أطلقت الشرارة الأولى.. وبدأنا نسمع أسماء لم نسمع عنها من قبل عن شباب يقودون الرأي ويشجعون الناس على الاستمرار.. مرت الثورة بكثير من لحظات اليأس والشجن والإحباط. ولكنها في النهاية نجحت وظهر نائب رئيس الجمهورية المعين حديثاً، ليعلن تخلي الرئيس عن السلطة.

كانت كملحمة إغريقية عنيفة انتهت بانتصار الخير على الشر..

أو هكذا كنّا نظن.

بعد يوم 28 يناير، ربما في الأول من فبراير، تواصل أمير مع شريف كعادته وطلب منه أن يأتي للمعادي من فوره؛ لأنّه عاد لتهوّه من الميدان ولديه فكرة أغنية جديدة.. نزل شريف ووضع الكيبورد وحامله اللذين

يزنان أكثر من 30 كيلوجراماً في السيارة، وانطلق مخترقاً حظر التجوال.

استمع شريف للأغنية وأخبر أمير أنها رائعة.. كان هاني عادل وهيثم قد استمعا لها منذ قليل. اتصلوا بعلاء الكاشف وحکوا له الفكرة.. تحمس لها كثيراً وطلب منهم أن يأتوا للاستوديو الخاص به في المهندسين؛ ليوزعها ويسجلها لهم. لكنهم بسبب الحظر وصعوبة الحركة اتجهوا إلى منزل هاني عادل الذي كان قد جهز استوديو صغيراً فوق السطوح.. تحمس هاني- وكان صديقاً مقرباً لتامر وأمير- والذي كان يدعم الفرقة بشدة وقرر أن يعمل على التوزيع ويسجلها بالتعاون مع شريف، وأثناء العمل على الأغنية اقترح أحدهم أن يغني هاني كوبليه بالأغنية.. وبسرعة اتصلوا بهواري، الذي كان مراقباً في البيت منذ بداية الأحداث، وأتى ليسجل الجيتار.

بعد 4 أيام من السهر تم تسجيل الأغنية وتصويرها ورفعها على يوتيوب.. ناما جميعاً كالقتلى، واستيقظوا ليجدوا الدنيا قد انقلبت رأساً على عقب.



ما بعد «صوت الحرية»

استيقظ أمير في العاشر من فبراير ليجد عشرات الاتصالات على هاتفه.. فتح آل «يوتيوب» ليجد أن 800 ألف مشاهد قد شاهدوا الأغنية في ساعاتها الأولى. توالى الرسائل على هاتفه من المحطات التليفزيونية المحلية والعالمية، السي إن إن والتلفزيون الفرنسي وغيرها.

نزل إلى الشارع ووجد الناس تعرفه، شعر بالخضة.. لم تكن لحظة سعيدة بقدر ما هي مخيفة. وجد أمير نفسه يسأل إن كان يستحق هذا النجاح؟ وإن كان على قدر المسؤولية بأن يقول هذا الكلام. هل هو حظ مؤقت؟ أم مجهود وصدق؟ كان قد قال شيئاً شعر به في لحظة ما ولم يكن كل ما يحدث الآن في الحسبان.. والسؤال الأهم: هل ستكمل كايروكي أم تنتهي؟

عاد الـband ليتجمع سريعاً. وتقابلوا في التحرير، وكانت قبلة الحياة قد عادت للفريق الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كان نزول الأغنية على قناة أمير على يوتيوب ذا دلالة، بل حتى عنوانها المكتوب لا يحمل اسم كايروكي، ففيها اسم أمير وهاني عادل.. هواري على الجيتار وشريف على الكيبورد. في الأغلب كانت مرارة مكتومة داخل أمير من تخلی الباقيين عن الحلم.

ورغم أن ولاءه لـ«كايروكي» غلبه في «ساكتين»، إلا أن هذا لم يحدث هذه المرة.

وهنا طرح التساؤل: هل هي أغنية كايروكي؟ هناك ثلاثة أفراد من الفرقة عملوا عليها. وكان تامر في عمان مضطراً، بينما كان آدم مصاباً في قدمه من مباراة كرة قدم ولم يستطع مغادرة المنزل. ولكن على ناحية أخرى عمل معهم هاني عادل على توزيع وتسجيل وتصوير الأغنية.

وفي أعقاب النجاح الهيستيري لـ«صوت الحرية»، بدأ هاني في غنائها مع «وسط البلد» باعتبار أنها أغنيته أيضاً.

فجأة أصبحت الأغنية بلا صاحب.

وحدثت الخلافات بين الجميع.

كان إيقاع الأحداث يسير بسرعة أكبر من استيعاب الشباب الذين تتراوح أعمار أصغرهم ما بين 22 وأكبرهم 28 عاماً.. كانت الشهادة والاهتمام المفاجئين كالزلزال الذي يرج الأرض من تحتهم، وهم لا يزالون بعد في هذه السن الصغيرة.. السن ذاتها التي احتل أبناؤها الميادين طوال 18 يوماً حتى قلبوا كل الموازين رأساً على عقب.

وبات واضحًا أن لحظة الميلاد الجديدة التي تمر بها مصر تمر بها أيضًا كايروكي... وبتوازٍ مذهل.

في خضم الأحداث المتسارعة بعد «صوت الحرية» قام أمير وشريف بعمل أغنية إعلان مع شركة مشروبات غازية.

ومما زاد الأمور صعوبة هو أن أمير وقع عقداً منفرداً مع الشركة التي قدموا لها الأغنية، كان ذلك بسبب شروط عقدها مع فرقة أخرى، والتي تمنعها من التوقيع مع أي فريق آخر.

صدم الجميع بهذا الأمر. وأصبحت المعركة مفتوحة على ثلاثة أصعدة: استعادة «ملكية» «صوت الحرية» بأسرع وقت ممكن، وكيفية التعامل مع طلبات أغاني الإعلانات التي تنهال على أمير، وعقود الرعاية من الشركات، والذي يعد مفهوماً جديداً لا أحد يعرف كيف يتعامل معه.

وبسرعة كان يجب أن يلتئم شمل الفرقة وتقرر إن كانت ستستمر أم لا؛ حتى لا يضيع مجهد السنوات والذي وصل بهم جميعاً إلى اللحظة التي كتب فيها أمير ولحن هذه الأغنية.



ومرة أخرى ظهر تامر - الذي عاد مسرعاً إلى مصر ضد رغبة والديه- ليجمع شمل الفرقة المتفككة بكل ما يملك من قوة.. كان بشغفه المعهود وقدرته على المواجهة يقوم بما قد يخجل منه الآخرون: الحرب علانيةً لاستعادة «صوت الحرية»، وفي الوقت ذاته إقناع أمير والباقين أن الفرقة موجودة ولم تنته.

وناقش الجميع الأمر من وجهة نظرهم بشكل واضح، وكان الشعور العام هو أن أمير وإن كان لديه الحق في البحث عن مصلحته - بناءً على شعوره بالإحباط مما حدث قبل الثورة - إلا أن الفرقة لم يحدث يوماً أن تفككت.. كانت فترات خمول لا يقومون فيها بعمل أغاني مع بعضهم البعض كما كان يحدث قبلًا، ولكن كان ذلك طبيعياً وسط مناخ الإحباط الذي كان يسيطر على الجميع. والأهم: أنهم أقوى كفرقة، ككل متهد، وهذا هو حلمهم الذي بنوه معاً لسنوات وسنوات.

واتفقوا جمیعاً على هذا الأمر: الحفاظ على كيان كايروكي.



وما أن التأم شمل الفريق، حتى عاد أمير يطالب شركة المشروبات الغازية بأن تقوم كل الفرقة بتوقيع العقد ووافقت، ولكن تامر كان قد فتح الخط مع الشركة المنافسة.. وصلت المزايدة بين الشركتين على كايروكي إلى مئات الآلاف من الجنيهات. وفي النهاية دفعت إحدى الشركتين الشرط الجزائي مقابل فسخ أمير عقده المنفرد مع الشركة الأخرى، وووقيع معها الفرقة مقابل مبلغ أقل ولكنها كانت تشعر تجاهها بارتياح أكبر.

إلا أنه وسط ضغط الظروف والمغريات وتعب السنوات المتراكمة والشعور بالارتباك في خضم اللحظة الجارفة، زادت المفارقة غرابة حين بدأت الفرقة تتفكك بالفعل: اختار آدم حياة الموظف الأكثر استقراراً وقرر أن يعمل في شركة الاتصالات، بينما قال هواري إنه مسافر لإنجلترا ليتعلم الجيتار وإنه لا يريد لهم أن ينتظروه لأنه لا يعلم إن كان سيعود أم لا.. وبقي أمير وشريف وتامر، وهم بأي حال من الأحوال لا يمكن أن يكونوا فرقة في حد ذاتهم.

بعد محاولات يائسة لإيجاد عازفٍ جيتار وبيز آخرين، جلس أمير مع هواري يقنعه بأنهم سينتظرونَه حتى يعود من إنجلترا، واستطاع بقدراته الإعجازية على الجدال والإقناع أن يقنع آدم بالعودة وترك حياة الشركات.

من الواضح أنها كانت فترة خلافٍ مريءة، ولو لا الصداقة التي امتدت لسنوات وسنوات منذ الطفولة.. ولو لا الذكريات المشتركة والولاء الحقيقى فيما بينهم ما كان الأمر قد نجح.. كانت لحظة مؤقتة، وعاد كل منهم إلى رشده، وقرروا أن يواصلوا رحلة الكيان الذى بدءوه معًا قبلها بثماني سنوات وهم يحملون رؤية واحدة لا تتغير: تغيير شكل الموسيقى في مصر.

ودخلت كايروكي الاستوديو مرةً أخرى.

في أعقاب «صوت الحرية» وبينما كانت مصر تفوح بمرحلة من الحراك والغليان لم تشهدها في تاريخها، وبعد لم الشمل تعاقبت أغاني كايروكي بتدفق رهيب،

وصارت بعد ذلك علامات لا تنسى في تاريخها: «مطلوب زعيم»، «أثبت مكانك»، «يالميدان»، إلى جانب الأغاني الإيجابية التي تبث روح الأمل والتفاؤل لبناء غد أفضل والتي كانت أغلبها أغاني دعائية لشركات المشروبات الغازية والاتصالات مثل: «اتجنبن» و«مكملين» و«افرد جناحك» و«مين قدك».

بات واضحًا بعد نزول الأغاني الثلاثة الأولى أن الباند أصبح يصنف كفرقة سياسية، وسريرًا أتت المقارنات بالشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم، وغيرهم من الفرق والمطربين السياسيين، وكانت هذه نقطة أرادت كايروكي أن تنهيها عن نفسها؛ فهم يدركون تمام الإدراك أن الفنانين ذوي التوجهات - مهما كان صدقهم - عمرهم قصير، ومستمعيهم فئات صغيرة، لا يمكن أن تنجح فرقة أو فنًا لو صب كله في نهر واحد، حتى لو كانت قضية مهمة كقضايا الحرية السياسية والاجتماعية.. كايروكي تريد أن تدخل كل بيت، وتغنى أوجاع وأحلام ومشاعر (مشرع الكلمة مهمة جدًا



جداً؛ خاصةً عند شريف وهواري، تتكرر في كلامهما معي بشكل شبه يومي) الإنسان المصري المعاصر.. وهو هدف نجحت الفرقة فيه، ألبوماً تلو الآخر.

أدت الخطوة الذكية في صدور ألبوم «وأنا مع نفسي قاعد»، وهو ألبوم غير سياسي بالمرة بل إنساني بحت. وكي يصدر الألبوم، عادت الفرقة تفتش في الثروة التي كونوها طوال 8 أعوام: الأغاني التي عملوا عليها طوال تلك السنوات.

وهذه نقطة مهمة في مسيرة أي فنان، فالنجاح الفني في الأساس هو نجاح تراكمي. والفنان الحقيقي هو الذي يخرج منه بغض النظر عن النجاح من عدمه، والولاء الحقيقي يجب أن يكون للعمل الفني وليس للنجاح الذي سيعود عليك منه؛ فسواء كنت تكتب أو تؤلف الأغاني أو تمثل.. فإن النجاح لن يأتي فجأة، وإن تأخر فالحل ليس اليأس، ولكن أن تواصل ما تفعله بحب.



الفصل السادس عشر

الأزمات تبدأ

لم تكن الرقابة هي الطرف الأول من الأزمة التي ظهرت أمام نزول الألبوم في أول مايو كما كان محدداً له.

ولكن رأس المال كان الطرف الآخر الذي يملك القدرة على وضع مزيد من التحديات.

بعد انتهاء التصوير ظل العمل يجري على قدم وساق أملاً في اللحاق بموعد نزول الألبوم، وظل شريف يبيت بالأيام في المكتب ويردد على مسامعي وهو ينظر للكمبيوتر بعينيه المحمرتين الدامعتين: «هذا توقيت غير منطقي. ولكن أمير يعاند». على الناحية الأخرى كان أمير يعلق: «أنتم منحتوني قيادة الرؤية الفنية للألبوم، وأنا أخبركم أن الرؤية الفنية تحتم علينا الانتحار حتى ننزل في أسرع وقت، لا بديل عن 1 مايو».

وهكذا استمرت خلية النحل، ما بين حضور هواري وأدم لتسجيل الأغاني، وتأمر يطارد سليم في كل مكان.. بينما أمير يضع الأفكار الاستراتيجية الواحدة تلو الأخرى لإطلاق الألبوم، وكتابة بيان يوضح للجمهور لماذا سينزل الألبوم بالكامل على يوتوب مجاناً، وكيف سيتم عمل الدعاية الخاصة به.. إلخ.

ولكن في يوم 23 إبريل ألقى باسل قنبلة ستقلب الموازين رأساً على عقب، وستكون لها آثارها التي ستبقى بعض الوقت: تحتاج شركة الاتصالات إلى ثلاثة أسابيع كاملة؛ كي يقوموا بعمل حملة Pre-Order وبالتالي فإن الألبوم لن يصدر سوى يوم 10 مايو، أي قبل رمضان بأسبوعين.

أصاب الجميع الوجوم بسبب هذه الأخبار.. لا يمكن بعد كل هذه المحاولات أن يتم التأجيل مرة أخرى!

أراد أمير أن يتخلى عن اتفاق شركة الاتصالات برمته من باب العناد، ولكن الكل كان يعرف أن هذه فرصتهم الأخيرة حتى لا يواجهوا حسبة مالية صعبة، خاصةً



وأن الشركة كانت تريد أن تدفع مبلغًا أقل؛ لأنها لن تعرض الأغاني التي لم تجز رقابيًّا («هدنة»، «السكة شمال في شمال»، «آخر أغنية»، و«ديناصور») على التطبيق، وبالتالي فهي لا تريد حتى حقوق استغلال هذه الأغاني على موقع بيع الأغاني الرقمية مثل سبوتيفاي وأبل ميوزيك، ويجب أن يبدأ باسل في البحث عن قنوات بديلة إذا لم يتم بيع الألبوم للشركة، والتي أكَد أنها لن تدر عليهم دخلاً يذكر.

كان هذا الكلام مناقضًا لما قيل لهم من قبل بأن الشركة اشتَرَت حقوق الألبوم بالكامل.

ازدادت المسألة تعقيدًا بعد أن أكَد شريف أنه من المستحيل أن يعطي أغنية «الكيف» لباسل غدًا؛ لأن صقر لا يزال يعمل على الماسترنج، كما أنه لن يتنازل عن تسجيل «عم غريب» مع مطرب آخر؛ لأن هذا من العوامل المهمة التي ستزيد من نجاحها، فهي أغنية طربية بالأساس وتحتاج إلى صوت آخر مع أمير يزيد من قيمتها الفنية.

وهنا أعلن تامر وهواري وآدم رفضهم باستماتة لصدور الألبوم بعد كل هذه التأجيلات قبل رمضان بأسبوعين؛ فهذا يعني أنه سيتم الاستماع إليه فقط خلال هذه الفترة القصيرة قبل أن يخبو في حمية طقوس رمضان.

لابد من التأجيل للصيف.

أمير، الذي أسود وجهه بوجوم مخيف واكتسى بتقطيبة جبين لن تغادره طوال ثلاثة أشهر كاملة، قال لأول مرة جملته التي ستظل تتكرر طوال تلك الأشهر: «خلاص براحتكو، إعملوا اللي أنتو عاوزينه».

كان قد أعلن بذلك تخليه عن كل ما كان يحارب من أجله طوال الفترة الماضية.

لا يمكن أن أحصر لك عدد الساعات اللانهائية التي مرت وهم يخوضون جوانب هذه الأزمة.

يتتحول الأمر إلى كابوس بالنسبة لي.. هناك عشرات الآراء التي تقال في المرة الواحدة، والجدال بين الخمسة لا ينتهي، أضف إلى ذلك مشاركة عديد من الأطراف الأخرى برأيها.. لم يكن هناك من يقود الحوار بقدر ما كان مسألة تشاركية بحتة، وبالتالي، فإن كل من هب ودب في المكتب يتحدث في الأمر ويدلي بدلوه.

في أحد المجتمعات-وكنت قبلها قد قضيت الليلة في المكتب- نمت مرتين أثناء الاجتماع الذي استمر 7 ساعات كاملة.. كان سليم يحاول مع أمير أن يدافع عن فكرة نزول الألبوم بعيداً عن موسم الصيف كي لا يتوه في زحام الألبومات والإصدارات الكثيرة وقت العيد.

كذلك ظهرت معضلة أخرى: كانت شركة الاتصالات متمسكة بأن يتم إصدار أغنية «السكة شمال في شمال» كفيديو كليب منفصل، و«الكيف» كأول أغنية (سينجل) تصدر من الألبوم قبل بقية الأغاني بأسبوع على الأقل. من الواضح أنهم يبحثون عن القوة



الشرائية التي ستحققها هاتان الأغنيتان باعتبارهما أغاني شعبية، وهو ما رأه الجميع كارثة على الألبوم؛ لأن نزول هاتين الأغنتين في البداية سيعطي الانطباع للمستمعين أنه ألبوم شعبي وهي ليست الحقيقة، كما أن القيمة الفنية الحقيقية تكمن في الأغاني الأولى، وإذا أخذ الناس هذا الانطباع سيلقى الألبوم كثيراً من الانتقاد.

في الوقت نفسه لا يزال شريف يصارع «ديناصور»؛ إذ يعتبرها أصعب أغنية حتى الآن في الوصول إلى شكلها الموسيقي النهائي.. سمعتها عشرات المرات وهو يعمل عليها طوال تلك الأسابيع، وفي كل مرة كانت تبدو مختلفة. كان شريف يبحث عن السخرية والتهكم قدر الإمكان في الموسيقى، مع الحفاظ على الروح المرحة واللاذعة للكلمات، وأن تكون أغنية مسلية في النهاية فهي ليست مانييفستو سياسياً.. حتى وإن بدت كذلك، فإن شريف يرى أن الموسيقى يجب أن تقول شيئاً هي الأخرى تماماً كما قالت الكلمات، ولكن في إطار الأغنية الممتعة المسموعة التي سيحب المتلقى

إعادة سماعها عدة مرات، وهو أمر صعب لأنها أغنية طويلة للغاية.

كان أمير قد غير كلمات الأغنية عدة مرات، خاصةً المقطع الأخير، كلما حدثت تطورات جديدة.. كان يريد أن توافق الكلمات كل ما يجد من أحداث. دائمًا ما أسأل أمير: «ألا تخاف أن تناقش هذه الأغاني الأوضاع الحالية، والتي ستتغير وتتحول مع مرور الزمن؛ فتصبح الأغنية قديمة، تماماً كالخبر القديم؟» ولكنه كان يؤكد لي في كل مرة: «إذا كانت ذات إحساس حقيقي وأصيل فإنها ستعيش، وإذا كانت تؤرخ لمرحلة فإنها بذلك تعيش أيضًا؛ لأنها شاهدة على الوقت الذي كتبت فيه».

كان أمير مقتنعاً أن سقوطهم في فخ النزول في توقيت خاطئ يعني تخلיהם عن مجهد عامين كاملين.

على الناحية الأخرى بدأ سليم في إرسال مقاطع من القيديوهات المصورة بعد أن تم تعديل ألوانها وضبط الصوت عليها.. كانت النتيجة مبهرة لكل أعضاء الفريق.. كذلك أرسل لهم بعض البوسترات التي قام بتصميمها؛ لتنزل مصاحبةً للأغاني على السوشيوال ميديا، مستخدماً الصور التي تم تحميضها من الكاميرا القديمة المستخدمة أثناء التصوير.

على البوسترات كتب اسم الألبوم بخط عربي كان منتشرًا في مانشيتات الجرائد ولافتات المحلات في فترة السبعينيات، ولكل أغنية بوستر عليه اسمها ويسبقها رقم، ثم بوستر آخر كتب عليه «كايروكي قادمون».

كان الإحساس الذي يريد توصيله هو الإحساس الـVintage القديم وكأنه ألبوم صور، وأن الفرقة تطرح نفسها بشكل مختلف وكأنها خارج الزمن.. كان سليم يريد أن يقول إن كايروكي فرقة شارع أكثر منها فرقة مشهورة، وكأنهم يعودون لأصولهم كفرقة مكافحة وليس مجموعة من الشباب حققت شهرة



مفاجئة. أما فكرة الأرقام فهي تؤكد تسلسل الألبوم وترتيب الاستماع إليه والذي وضع - بالطبع - عن قصد.

لم أكن متأكداً إن كانت هذه الرسالة البصرية قد وصلت للجمهور أم لا، فأنا نفسي لم تصليني. كانت الصور تبدو جيدة و«شيك»، ولكن ليس أكثر من ذلك.. إلا أن الإحساس العام تجاهها كان إيجابياً.

خرج أمير بفكرة غريبة، مؤداتها أن يتم طرح الأغاني الأربع الأولى فوراً، ويتم تأجيل الأغاني الأخرى لموسم العيد؛ بحيث تصبح مناسبة للجمهور، و ساعتها سيتقبل الجمهور الفكرة. كان أمير قد توصل إلى هذا الحل الغريب؛ أملاً في أن ينقذ أغانياته التي يريد لها الالتفاف لمقلة العيد والصيف.

لم تكن المشكلة الخوف من المنافسة أبداً، فـأمير كان واثقاً أن «نقطة بيضا» ستكون الأنجح أمام كل النجوم الذين سينزلون صيفاً، ولكن لأنه كان يرى أن في مثل



هذا الموسم الذي يقضيه معظم الناس في المصايف والرحلات لن يستمعوا أبداً لاغنية تقول كلماتها «نقطة بيضا وسط سواد.. إنسان بينادي جماد» في سياراتهم.. لم يتقبل أعضاء الفرقة هذه الفكرة أيضاً. كما أنها لم تكن فكرة منطقية لشركة المحمول وكانت ستبعف من النتيجة النهائية في مدى اختراق الألبوم لواقع السوشيال ميديا.

أجهضت الفكرة في مهدها.. و كنت أستطيع أن أرى في عبوس أمير أنه قد بدأ يضيق ذرعاً من الضغوط الموجودة حوله. وبمرور الاجتماعات كان أسلوبه قد بدأ يزداد حدة. وبحلول الأول من مايو كان قد بدأ يسقط في صمت كبير.

في الأول من مايو - الموعد الذي كان مقرراً لنزول الألبوم- جرى اجتماع ملحمي بين الفرقة وسليم.. لم يكن هواري حاضراً. بدأ الاجتماع بشكوى مطولة من سليم؛ بسبب ما حدث طوال الفترة الماضية، وحاول

أن يعزي الاختلافات التي حدثت في الألبوم والتأخيرات إلى عدم وصول الفرقة إلى رؤية واضحة ومحددة.. كنت قبلها قد تحدثت مع بعضهم وكانوا يشتكون من أن سليم يتعامل مع أمير فقط، ظنًا منه أنه الوحيد الذي يتتخذ القرارات وهو ما ليس صحيحاً، وبالتالي لا يقوم بإبلاغهم بأي تطورات أو يشركهم في المراحل المختلفة للعمل. كان رد سليم أن ذلك فقط كان بهدف الإسراع من العملية، وأنه من المنطقي أن يوجد متحدى واحد من الفرقة يتعامل معه بدلاً من أن يدور في كل مرة على خمسة أفراد، كما أن القرارات الكبرى كانت تتم وفقاً لاجتمعات يتم فيها التصويت.

كذلك أكد سليم أن هناك مجھوداً يبذل من ناحيته ولكنهم لا يدركونه، وأنه حين قال إنه يستطيع أن ينهي القيديوهات والسوشیال ميديا والتصميمات الخاصة بالألبوم قبل 1 مايو كان يستطيع أن يفعل هذا، وأن التأخير ليس من عنده وحده وهناك أغاني لم تنته بعد كـ«الديناصور» و«عم غريب»، أما آدم وتامر



فقد جادلاه بأنه لم يقدم لهم أي شيء يخص السوشيال ميديا أو التصميمات التي كان يعمل عليها بتركيز، ولم يكن مقبولاً لهم أن يظلوا مضغوطين بالDeadline بهذه الطريقة.

في النهاية اتفق الجميع على أن يطووا صفحة الخلافات الماضية، ويركزوا جمیعاً في المضي قدماً في وضع الخطط الجديدة لنزول الألبوم.

سافرت كايروكي إلى كثير من دول العالم. وأحياناً حفلات في مختلف الدول مثل: بولندا، السويد، سويسرا، إنجلترا، دبي، المغرب، وغيرها. وفي صبيحة اليوم كان سليم وأمينة يسرورون إلى كايروكي خبر إتمام الاتفاق على حفل كبير في إنجلترا سيقام على مسرح الباربيكان غرب لندن ضمن مهرجان لموسيقى فرق العالم العربي.

ورغم تقاضيهم لمحالغ بسيطة في البداية، إلا أن كايروكي كانت ترى أن هذه الحفلات قد تكون بداية



جيدة لبناء جمهور لها في الخارج؛ خاصةً من أبناء الجاليات العربية. كما أن الحفلات في الخارج تقليد مستمر يقوم به الفنانون من مختلف المجالات والدول؛ حرصاً على التواصل مع جماهيرهم في كل مكان.. وكذلك رغبةً في التعامل مع العالم الخارجي والاحتكاك وتجربة مستوى مختلف من الجودة والتنظيم؛ أملاً - بالطبع - في الوصول للعالم بشكل عام يوماً ما.

ولن تكون هذه السفريّة الأولى للندن؛ فقد أحياوا هناك 4 حفلات قبل ذلك.. منها جولة كاملة حيث قاموا بعمل 3 حفلات في أسبوع واحد في مدن: لندن، برمنجهام، ولิقريول. وتمت استضافتهم في جامعة كامبريدج العريقة؛ كي يتحدثوا مع الطلاب العرب عن رحلتهم وبصفتهم شباباً مصرياً كان يمثل وقتها الجيل التائر، الذي أراد الشباب العربي في الخارج أن يتواصل معه بأي شكل.. لابد أنها كانت تجربة مميزة جعلت الشباب الخمسة يشعرون بالفخر، حين جلسوا في قاعات واحدة من أعرق جامعات العالم.

كُتِبَتْ عَنِّي ملاحظة: «هَلْ أَسَافِرُ مَعْهُمْ لِلنَّدْن؟؟؟»

خُرِجَ أَمِيرٌ بِفَكْرَةِ أُخْرَى: أَنْ يُصْدِرَ الْأَلْبُومَ بِشَكْلٍ فِيْزِيَائِيٍّ (CD) كَامِلًا، وَلَكِنَّ الْأَغْانِيَ غَيْرَ الْمُجَازَةِ تَكُونُ بِنَظَامِ الـ Karaoke، أَيْ مُوسِيقِيَّ فَقْطَ دُونَ كَلْمَاتِ، ثُمَّ تَقْوِيمُ الْفَرْقَةِ بِعَمَلِ حَمْلَةٍ ضَخْمَةٍ عَلَى السُّوْشِيَالِ مِيَدِيَا تَطْلُبُ فِيهَا مِنَ الْجَمَاهِيرِ أَنْ تَغْنِيَ هَذِهِ الْأَغْانِيَ بِصُوتِهَا وَتَرْسِلُهَا لِصَفَحَةِ كَايِروُكِيِّ.

ظَلَّ أَمِيرٌ مَهْوُوسًا بِالْفَكْرَةِ لِبَضْعَةِ أَيَّامٍ قَبْلَ أَنْ يَتَخَلَّ عَنِّهَا بِالْكَامِل.. لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا بِجَدِيَّة.. وَكَانُوا يَتَرَكُونَهُ يَرْدِدُهَا وَهُمْ يَهْزُونَ رُؤُوسَهُمْ دُونَ أَنْ يَعْلَقُوا.

وَيَخْبُرُنِي تَامِرُ: «الْفَكْرَةُ أَنَا أَصْبَحَنَا نَعْرِفُ كَيْفَ نَتَعَالَمُ مَعَ أَمِيرٍ بَعْدِ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ.. إِنَّهُ يَفْكِرُ بِسُرْعَةِ مَائَةِ فَكْرَةٍ فِي الثَّانِيَةِ، وَحِينَ تَسْتَهُوِيهِ فَكْرَةٌ يَبْدُأُ فِي الْحَدِيثِ عَنِّهَا بِجَنُون.. فِي الْبَدَائِيَّةِ كَنَا نَتَحَمَّسُ لِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَنَبْدُأُ فِي تَخْيِيلِهَا وَوَضْعِ تَصْوِيرَاتِنَا لَهَا، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ يَقْذُفُ بِهَا إِلَى سَلَةِ الْمَهْمَلَاتِ، وَيَتَجَهُ إِلَى



فكرة أخرى، فنحبط، وبالتالي تعلمنا ألا نسايره في أي شيء إلا حين نتأكد أن هذه آخر فكرة وأنه لن يغير رأيه قبل أن نستثمر فيها وقتاً ومجهوداً.. وإلى أن يحين ذلك، نكتفي بهز رؤوسنا وبعض الكلمات المشجعة».

ظللت أرافق أمير وهو يجلس على حافة الكنبة في غرفته التي تحولت إلى مركز إدارة الأزمة. كان الجو لا يزال ما بين البارد والحار في هذا الفصل الريعي في مايو، ولم يكن أمير أو أنا نغادر الغرفة مطلقاً.

تعقد المجتمعات بينما نأكل، يلعبون البلاي ستيشن، يتذاركون، يكتب أمير على نوته كل الأفكار التي تأتيه.. إن مخه لا يتوقف عن التفكير في صمته الدائم.. لا يأخذ أمراً بساطة، ووسط ضحكاته وقصصه التي لا تنتهي عن بطولاته الوهمية في أغبها.. هناك شيء ما يأكله من الداخل، خوفه وحرصه الذي لم أر مثله من قبل على أن ينجح في إيصال ما يريد.

وحين يحل المساء.. يستقبل أصدقاء المعادي القدامى الذين يمرون في أي وقت للسلام والسؤال: عماشة وي يوسف ودودا ونهلة وفاطمة وأحمد وليد وعبد الله وبلال، وعبد الرحمن، وزاب، وأصدقاء جلال، والقادمين من السفر هيتم وكريس (أول عازف كيبورد للفرقة) وغيرهم ممن لا أعرفهم.. وحين يرحلون، يعزف الموسيقى سواء وحده، أو مع ليلى وأصدقائها أمام الكاميرا مع متابعيه أو في رأسه.

ليلتها أSENTت رأسي المتعبة إلى الكتبة نفسها، لم أكن أقوى على القيادة حتى المنزل بعد أكثر من 14 ساعة متواصلة من النقاشهات التي لا تتوقف.

فتحت مفكري وكتبت: «إذا أردت أن تقتل أمين، امنعه عن قول ما يريد».

تتواصل المجتمعات اللانهائية.. كلهم يقاطعون بعضهم البعض.. تامر يعترض ويتعارك دون فقدان للأمل أو التراجع عن رأيه.. آدم سافر في إجازة إلى

جزيرة بالي بأندونيسيا، فنسمع صوته عبر رسائل الواتساب في المجتمعات، أما شريف فيفكر قليلاً وحين يتحدث يكون في شكل استفسار عن شيء أو آخر.

أما هواري فصامت تماماً، ولكن حين يتحدث يبدو الإحباط على صوته وملامحه. ولكن هناك حالة من العزلة، وأكاد أقول عدم الاكتتراث، يحملها بداخله عن كل ما يدور في الغرفة الضيقة.. كان واضحًا أنه يتعامل بقدر من البرود والشعور بأنه لا يملك من الأمر شيئاً، وأنه قد قام بدوره المطلوب منه وليس مطلوبًا منه أكثر من ذلك.

من الواضح أن هواري كان مستسلماً لفكرة أن أمير سيقود الموضوع بـ«دماغه» بغض النظر عن آراء الآخرين. وإن نجحت العملية الديمقراطية في الوصول إلى حلول لا تعجب أمير، فإنه سيرضخ لها مضطراً، ولكنه سـ«يقلب الترابيزة» كما يقول شريف.



وأمير على الناحية الأخرى يخبرني: «ما قيمة دوري كصاحب رؤية، لماذا يلقون عليّ بتلك المسئولية إذاً، مadam لا يريد أحد أن يستمع إلى كلامي؟ ما قيمته إذاً؟ هل دوري فقط أن أتحايل على كل الأطراف وأكتب أغاني وأتراجع عن مواقفي طوال الوقت وخلاص؟ أكيد أنا بني آدم بتعب وله طاقة ممكّن تخلص، وكل ده بيستنفذ من طاقتني وقدرتني على الكتابة والتلحين، المفروض بعد كل ده أكتب وأشتغل وأنا مبسوط؟».

كان الاحتقان قد بدأ يتزايد و تستطيع أن تشعر به في الجو.

كان الحل لكل هذا هو التخلي عن فكرة الDeadline القريب والموافقة على فكرة النزول في العيد: كان الموقف الآن لفنانين قد بذلوا شيئاً من أرواحهم قد خرج في عمل فني، ولكن هذا العمل بكل قيمته الفنية يحمل قيمةً تجارية يريد طرف آخر أن يستغلها، الفنان مجبر أن يتركه يفعل ذلك؛ لأنّه يحتاج للأموال لأن فنه مكلف.. كانت دائرة مفرغة لا تنتهي.

قال أمير وسط شروده: «الفكرة الآن أن هناك Buzz كبيرة تحدث حولك كفرقة كبيرة تصدر ألبوماً، ولكن ما يحدث أن هذا الشخص يريد أن يأتي الآن ويأخذ هذه الـBuzz ويترجمها إلى أموال، وهذا ما يقلل من قيمتنا الفنية كفريق».

وهنا رد تامر: «ولتكن في المقابل تأخذ تسويقاً كبيراً وحملات دعائية وشهرة أكثر وقطاعاً أعرض وتنقاضي أموالاً ليست سيئة: هذه الـ30 مليون رسالة كم تساوي؟ والحملات على السوشيال ميديا؟ كل هذا يقدمونه لنا مجاناً».

كان كل شيء يعود للنقطة التي بدأ منها.

وظل باسل يعيد ويزيد في إغراءات البقاء لما بعد رمضان.

وفي يأس شديد طرح أمير التصويت على توقيت نزول الألبوم: 10 مايو أم بعد رمضان؟



حتى التصويت لم يكن سهلاً: اختار هواري الصيف بشرط التخلص من فكرة الرعاة وسيطروا عليهم فيما بعد. واختار تامر الصيف.. شريف وسليم اختارا مايو، وأرسلوا لآدم فاختار الصيف. أما أمير فقال إنه يحتاج مزيداً من الوقت للتفكير.

وقال تامر بعد انتهاء الاجتماع: «إذا أجمعنا على اختيار الصيف، فيجب أن تنزل أغنية سينجل قبل رمضان». وهنا أصر أمير: «إذا لن تكون أغنية شعبية»... ستنزل بـ«نقطة بيضا».

وقد كان.

وفي التاسع عشر من مايو، وبعد ثلاثة أسابيع من النقاشات، وعامين من الجهد المتواصل والصراعات والإحباطات القاتلة، نزلت أغنية «نقطة بيضا» لأول مرة على يوتوب.

الفصل السابع عشر

مع سليم عن كايروكي

و تاريخ الموسيقى المستقلة

قضيت اليوم السابق لنزول الأغنية في مقر «الوكالة» بمصر الجديدة.. أمضى سليم الساعات السبع التي جلسناها معاً متتناقلًا ما بين حوارنا والكمبيوتر، يرد على الهاتف ويرسل الرسائل ويقوم بعمل التعديلات التي لا تنتهي من شركة الاتصالات كعادة كل الشركات على القيديو.. كبر اللوجو.. صفر اللوجو.. اكتب اسمنا هنا.. أين سنظهر، وبالطبع إلى جانب التعديلات على فونت الأغنية.. كان يكاد ينفجر بضع مرات ولكنه ظل متancockاً.

ذهبت لأقابل سليم وانطباعي عنه ليس بأفضل ما يمكن؛ بسبب تشبعي بما يدور في الناحية الأخرى. ولكن الحقيقة أنه كان في غاية الترحيب والتهذيب معي وظل يتحدث في حماس شديد، وأجاب عن كل



أسئلتي باهتمام كبير ولم يمل من استجوابي له طوال الساعات الطويلة لحوارنا.

ذهبت لأفهم ما يقوم به أكثر، وكذلك لأعرف منه الكثير الذي لا أعرفه عن تاريخ صناعة الموسيقى بشكل عام؛ خاصةً موسيقى الـ Underground في مصر والعالم (بالنسبة لي هذا مصطلح سخيف يحتاج إلى إعادة صياغة، وأفضل استخدام لفظ المستقل)؛ لماذا توجد موسيقى مسماة بذلك الاسم، وموسيقى أخرى تسمى بالموسيقى الجماهيرية Mainstream أو التجارية أو موسيقى «السوق» كما يسميها الفنانون؟ وهل يرتبط ذلك بدرجة نجاح أم بشركات الإنتاج أم بماذا؟ كايروكي مثلاً لديها جماهير بالملايين ولكنها لاتزال ينظر لها على أنها فرقة مستقلة، ربما لأنها فرقة وليس فناناً واحداً كما اعتدنا وربما لأنهم شباب، ما الحكمة؟

وسواء كنت أكتب الكلام التالي على لسانه أو بلسان الكاتب.. فإن الفضل يعود إليه في هذا الفصل المهم.



تستطيع أن تقول إن سليم هو نموذج للفنان البديل والمتمرد الذي لا يخضع لل المسلمات بكل معنى الكلمة.

لازمة سليم الأزلية هي كلمة «بشكل معين».. هن شوف الصورة «بشكل معين».. لازم تحافظ على ثبات مستواك «بشكل معين».. الموضوع لازم يطلع «بشكل معين» يخليلك تتلقاه «بشكل معين».. وهكذا.

يقوم سليم بالإنتاج الفني المتكامل للمحتويات الموسيقية. وربما يكون قد ساهم بشكل أساسي في خلق حالة النوستالجيا التي اجتاحتنا منذ عدة سنوات: فقد أنتج حلقة من برنامج اسمه «كوكتيلز»، وكانت فكرة البرنامج التي خرج بها مع فريق معاون له أن يأتوا بأحد نجوم الثمانينيات الذين اختفوا من على الساحة، ويقومون بتصويره في دويتو مع أحد نجوم الوقت الحالي. وكانت النتيجة الدويتو الشهير بين حسام حسني وأمير عيد، الذي أعاد نجم الثمانينيات وغيره من أبناء جيله للأضواء مرة أخرى، وباتوا

ضيوفاً دائمين في برامج التلفاز والإعلانات، بل وعاد بعضهم إلى تقديم الحفلات مرةً أخرى.

كانت فكرة الفن البديل هي التي ساعدت سليم على الدخول والتألف بسرعة وسط الفرق الموسيقية التي تقدم فنًا بديلاً هي الأخرى. وحين سأله أن يوضح لي بالضبط ماذا يفعل؛ خاصةً أنه لا يعمل في الموسيقى ولا يتداخل في الجزء الموسيقي.. أجابني: «أقوم بوضع الخطة والاستراتيجية لوصول المنتج الفني للجمهور، من خلال عدة عوامل نعمل عليها معاً.. الفكرة كلها أني أفهم بالضبط ماذا ينوي الفنان أن يقوم به وما يفكر فيه، وأساعدته على أن يخرج ما بداخله في أفضل شكل ممكن يصل للمستمع/ المشاهد.. أساعد على وضع الـ Concept الخاص بالألبوم أو العمل الموسيقي، من حيث: الروح، الفكرة، الشكل، الناحية البصرية بكل مشتملاتها من فيديو كليب، صورة، ملابس، تصوير، فونتات، مواعيد طرح، الأسواق والجمهور المستهدف، السوشيوال ميديا.. وهذا.

سألت سليم عن انطباعه عن الفرقة، ومدى تقبلهم لما يقوم به ولدوره في الفريق؛ خاصةً بعد التوترات التي شهدتها الفرقة طوال الفترة الماضية.

«هذا طبيعي للغاية.. فإن كلهم لا يتقبلون دوري بالدرجة نفسها. ولا تنس أنني أتعامل مع خمسة أفراد.. كل واحد منهم شخصية مختلفة، خلفية مختلفة، Ego مختلف، التعامل مع هذا ليس سهلاً، وهذه صعوبة التعامل مع فرق موسيقية وليس فناناً واحداً فقط».

«التجربة ليست سهلة، ولكنني أترك الأمور تأخذ وقتها، ثم أسمع للكل، وأضع رأيهم في الاعتبار.. دعني أعطيك مثالاً: مشكلة آدم كانت أن أعمال كايروكي تفتقد للصبغة المحلية القريبة من المصريين، وكان هم أمير الأساسي أن الجمهور يركز عليه فقط بدلاً من التركيز على الفرقة، وهو ما يرفضه ويريد أن يغيره.. هواري مهموم بالأصالة وليس البهرجة والاستعراض، أما شريف فيهتم بأن يكون كل شيء منمقًا ومرتبًا،

وتامر بشخصيته الاندفاعية وطموحه الكبير مختلف تماماً عن الباقيين».

«حين تنظر لما خرجت به في «نقطة بيضاً»، ستجد أني راعيت كل ذلك رغم أن لا أحد منهم يراها: فالفونت المستخدم يعكس رغبة آدم.. التصوير بفيلم كاميرا يعطي الأصلة التي يريدها هواري.. أمير ليس بارزاً في الصور أو الفيديوهات بالمرة، بل الآلات الموسيقية الأخرى هي الظاهرة.. كايروكي قادمون، تلك الـ Statement القوية ذات الجرأة هي الأقرب لروح تامر.. استخدام اللون الأبيض والدمج ما بين الفوントات الديجيتال وخط الرقعة وطريقة التنسيق.. كلها تعكس روح شريف الممنقة التي ترکز في التفاصيل العديدة في عمله».

كايروكي في الأساس هي المعنى.. المعنى في موسيقاهم وأغانيهم، هذا إن وصل للناس العادية أو أهل الوسط الموسيقي سيقدرونهم للغاية. وكيفي تصل كايروكي للجماهير، يجب أن يروهم في الإطار الذي يعكس هذه الموسيقى بشكل صادق.

يحاول سليم أن يقنع الفرقة أن البساطة هي الأهم.. أنهم لا يحتاجون إلى أفضل مصمم أو أفضل مخرج.. إن المسألة ليست بكبر الأسماء، «لقد كانوا مصابين بهلع ليلة التصوير وشعروا بأنهم مقبلون على كارثة، وأخذوا يسألوني عن كل شيء: من stylist؟ من المخرج؟ من مهندس الديكور؟»، وكان ردّي: يا عم البس اسود واطلع غني، بتتفكر في كل ده ليه؟ انت بتقول أغنية بسيطة يبقى نفذها ببساطة».

كان هذا هو تصوري: لا تحاول خطف أعين المشاهد، لذلك الكل يرتدي أسود، دون بهرجة.. الديكور البسيط والخلفية السوداء.. اهتممت بالأناقة في الصورة بشكل يريح العين، ومرة أخرى بعيد عن البهرجة والقطعات الكثيرة والاستعراض.. الأساس في الأمر هو الموضوع، ما يقال وما يعزف، لا داعي للتشويش عليه بأي وسيلة أخرى، ما تحتاجه فعلاً هو مدير تصوير شاطر وكاميرا بجودة عالية وهذا ما يكفي لهذا المشروع.

ويحب سليم تنفيذ المشاريع الحميمية والصادقة، التي تراعي إمكانات الفنان المستقل وتمكنه من إخراج منتج جيد دون أن يكون ذلك مرتبّطاً بتكلفة إنتاجية مرتفعة، وهذه هي روح الإنتاج البديل التي يتبعها.

تقابل سليم مع أمينة بالصدفة عام 2014، وعرفت ما يقوم به وفكر كلاهما في أنهما يمكن أن يتعاونا معاً، واقترحت عليه أن يسافر معها للندن لحضور حفل تنظمه هناك لفرقة كايروكي.

سافر سليم، وهناك قابل الفرقة لأول مرة وتعرف إليها عن قرب.. وبصدفة غريبة لم يتمكن آدم من السفر بسبب مشكلة في جواز سفره، فلعب سليم البيز جيتار في الحفل، «الموسيقى من الأشياء التي تقرب البشر من بعضهم البعض بشكل كبير؛ ولذلك حين لعبنا معاً وسارت الأمور بسلامة عرفت أننا نستطيع أن تكون شراكة ناجحة».

أقيم ذلك الحفل في يناير 2015.. بداية فترة الصراعات الهائلة للعمل على ألبوم كايروكي الخامس.



أسأله عن رأيه الصريح في كايروكي: «هم أكبر فرقة في مصر من حيث النجاح والجماهيرية، رغم إنهم ليسوا أقوى موسقيين في الوسط الفني. ولكن بهم ميزة لا تضاهى: إنهم أكثر فرقة مجتهدة ودؤوبة.. أشبههم دائمًا بأنهم مثل السلفاداة التي سبقت الأرنب.. لديهم بعد فني جيد للغاية بالطبع ولكن الأهم هو اجتهادهم واطلاعهم.. هذا نصف نجاح أي فنان؛ لأن الفنان بطبعه كسول ونفسه قصير ولكنهم عكس ذلك تماماً.. ليسوا الأفضل موسقياً ربما ولكنهم الأسرع تطوراً؛ مما يجعلهم يسبقون فرقاً أخرى قد تكون أقوى فنياً وبها موسقيون ممتازون ولكن لا يجتهدون أو يطورون من أنفسهم بالمرة، بل أضاعوا وقتهم في الفلسفة الفارغة والادعاء أكثر من قيامهم بالتركيز على أنفسهم. وإذا ظلت كايروكي تواصل تطورها بهذا الشكل ستصبح الأفضل فعلاً على كل المستويات في سنوات قليلة».

ويكمل: «حينما سمعت «نقطة بيضا» لأول مرة عرفت أن هناك خطوة نضج كبيرة تشهد لها الفرقة؛ لأن هذا الألبوم فيه قدر كبير من التمكّن الفني والتحكم في الكلمات، والموسيقى، وطريقة اللعب والتسجيل.. موسيقياً كانت كايروكي تعاني من تفكّك معين، الأفكار عائمة وتنفيذها ليس واضحاً، ولكن الآن هنا يوجد تمكّن أكثر في هذا الألبوم الجديد».

«هناك ميزة في كلمات أمير وهي أنها بسيطة للغاية.. هناك الكثيرون جدّاً، ممن يصفون كلامه بالسطحية والركاكة، ولكن الحقيقة أن البساطة هي واحدة من أهم عناصر نجاح أي عمل فني.. وحينما بدأ أمير يتمكن من لغته ويستفيد من هذه الموهبة الفطرية في كتابة كلام بسيط ولكن ذي معانٍ متداخلة، كانت النتيجة مذهلة.. أغنية «نقطة بيضا» أغنية شديدة الصعوبة ولها منطقها الداخلي الخاص، ولكن لو لا قدرة أمير على صياغة أفكاره بوضوح ما كانت الأغنية قد خرجت بهذا الشكل. حينما يقول مثلاً: «معايا مفاتيح كل البيان لكن جبان» أو «أنا الجاني والمجنى عليه»،

فإن هذا القدر من التماسك والبساطة معاً يعطيها ثقلًا رهيباً، وكل مرة تسمع فيها الأغنية ستجد جملة جديدة تعلق في ذهنك».

وقال لي ملاحظة كنت أشعر بها بقوة وأنا أحفل أغاني الفرقة: «كلمات أمير حين تقرؤها مكتوبة تجد أنها أقوى بكثير مما تظن حين تسمعها في الأغاني». ولا أدري هل الموسيقي تخفف من جدية الكلمات؛ خاصة حين لا تعبر عن محتواها بالشكل المناسب، أم أن هذه ميزة خفية في كلمات أمير.

ويستكمل معلقاً: «أشعر أن جملة «أنا نسخة مش أصلية» جملة عظيمة تلخص جيلنا بأكمله.. ربما لا يكون الشكل الموسيقي أصلياً، ولكن الأمر أصيل حقيقي، ليس فيه ادعاء بالمرة، وهذا هو سبب وصول كايروكي إلى مختلف الفئات.. من أكثر الأشياء التي تعجبني هي أنني أجد الكثير والكثير من عمال الديلفري والسائلين والتقنيين يسمعون كايروكي.. أغاني كثيرة لهم ووصلت إلى فئات لا تسمع هذا النوع من الموسيقى؛ بسبب حفاظهم على الأصلة الحقيقية



فيما يناقشونه وبعدهم عن الادعاء الفني بأي شكل من الأشكال».

«لقد أصبحوا أول فرقة تخلق قاعدة جماهيرية يمكن أن تحطم الفاصل بين المستقل والسائل.. هذا الخط الوهمي يبدو أنه سيتهاوى قريباً، وأتوقع أن تتحقق «نقطة بيضا» هذا الأمر».

«ولا تنس أن جزءاً من ذلك يعود إلى انتمائهم بشكل كبير إلى الشارع.. أنت تلاحظ بالتأكيد كم الألفاظ النابية التي يستخدمونها في كلامهم دون حسيب أو رقيب، وكيف يتحدون مع بعضهم البعض، والخناقات التي يحكون عنها.. هم ليسوا منفصلين عن الشارع بمختلف فئاته حتى لو لم ينتموا إلى تنوع طبقي كبير، فهم في النهاية أبناء الطبقة المتوسطة التي تتصل بهن فوقها وتحتها بكل سلاسة».

وهناك ميزة أخرى أراها في هذه الفرقة، وأضيفها لما قاله سليم: قدرتهم الغريبة على محاسبة أنفسهم وجلد الذات في بعض الأحيان، وعدم التسامح مع الهفوات



والأخطاء، سواء في الحفلات أو العزف أو التسجيل أو السوشيال ميديا.. في كل حفل حضرته لهم كانوا يجتمعون صباح اليوم التالي على الفور لعمل كشف حساب بكل المزايا والعيوب التي حدثت، ويتمتع حديثهم بقسوة شديدة على بعضهم البعض.

ويشير سليم إلى نقطة مهمة: «لقد حدث تزامن Sync بين كايروكي والثورة.. لقد أتت الموجة ورفعتهم إلى أقصى السماء ولكنهم كانوا مستعدين لها، والموجة انتهت، ولو لم يكونوا على قدرها لكانوا قد اختفوا في لحظات. وأمير هو من ساعدي إليه الفضل في دأبه على تسجيل أغنية وقت الثورة.. ليس ركوباً على الموجة ولكن تعبيراً عن اللحظة. هذا اجتهاد، هناك من وقف يتفرج وينتظر مما ستسفر عنه الأحداث قبل أن يتخذ موقفاً واضحاً.. هذا ما فعله فنانو التيار السائد، ولكن أمير كان واحداً من الشباب في التحرير، وبالتالي أتي تعبيره عن اللحظة صادقاً، وفي الوقت نفسه هناك ذكاء حقيقي، في أن يكون مواكباً للحظة، هذا ما خدمهم إلى اليوم».



أسأله عن الفرق الموسيقية وتعريفها للنجاح، ومكانها وسط المنظومة في مصر: «إلى متى ستظل تحارب فكرة الشباب اللطيف الذي يلعب الموسيقى على النواصي دون أن توضع في مقارنة مع النجوم المشهورين في التيار السائد، رغم أنهم قد يفوقونهم في الشهرة والحضور؟».

«أحادية التفكير هي التي تجعلنا كلنا نرى الأمور بهذا الشكل، وحتى جيلنا الذي يحاول أن يكسر هذا القيد يقع فيه أحياناً» وأسئلته سؤالاً مهماً: لماذا (ش) أو (ع) يسمعهم 80 مليون مصرى ولكن فرقة مثل (ك) أو (م) لا يسمعها سوى مليون؟ ما العائق هنا؟ هل المسألة في جودة أو نوع ما يقدمونه؟ أم نوع الموسيقى التي يقدمونها، والتي تبعد بشكل أو باخر عن الذي تعوده الناس؟

ويجيبني: «وجهة نظرى أن (ش) أو (ع) هناك 40 مليون واحد «يعرفونهم»، ولكن كايروكي أو (مسار



إجباري) وأمثالهم هناك مليون واحد «بيحبوهم».. هذا هو الفارق. درجة الولاء وعمق العلاقة بين الفرقة وجمهورها أكبر بكثير من الفنانين العاديين.. هذا معيار نجاح شديد الأهمية ولا تستطيع أن تغفله. أما الجماهيرية على نطاق أوسع فهي ستأتي إن عاجلاً أو لاحقاً، ومن يدري ربما يكون اتجاه كايروكي نحو الأغاني الشعبية خطوة في هذا الطريق».

كايروكي تهتم بصراع الفرد مع نفسه.. مع المجتمع.. ومع السلطة الأبوية. وصراعه هذا يتخذ أشكالاً مختلفة: الهوية، الطموح، الإحباطات، الحب.. وهكذا. هذه هي كايروكي في سطر ونصف كما يصفها سليم. وكلها موضوعات لم يكن فن الأغنية يناقشها من قبل.

وقال لي آدم نقطة شديدة الحكمة في هذه الجزئية: «التيار السائد ينهاز من تلقاء نفسه لأنّه لا يتتطور، وما أن يدرك الجمهور أن هناك نوعاً آخر من المشاعر يختبرونه مع هذه الموسيقى المختلفة، فسوف تتغير رؤيتهم لها.. وهو ما يحدث الآن بالفعل». وبعد لحظات قال لي كلمة ربما تكون من أحكم ما قيل لي



في هذا الشأن: «جمهور التيار السائد اليوم هو الذي تربى على هذا التيار من صغره، أما نحن.. فإن جمهورنا من صغار السن الذين سيكبرون يوماً ويصبحون هم المرحلة السنية الغالبة على المجتمع، وساعتها ستصبح نحن التيار السائد لهذا الجيل.. اليوم نحن ننافس فنانيين يغدون لأكثر من ثلاثين وعشرين عاماً، فانطلاقتنا الحقيقة كفرق موسيقية مستقلة جاءت بعد الثورة التي لم يمر عليها سوى سبع سنوات فقط؛ لذا فليس مستغرباً أن نأخذ بعض الوقت حتى نتسيد الذوق العام».

إذا أردت أن تعرف أين تقع كايروكي الآن، ولماذا لا يأخذون المكانة التي يستحقونها في الإعلام ولا يرحب بهم القائمون على صناعة الموسيقى في مصر، فيجب أن تعرف تاريخ الحركة الموسيقية في العقود الماضية وصولاً للحظة الحالية، وهنا ستفهم الكثير.

نشعل سيجارتين وأبدأ في الاستماع إلى سليم؛ إذ يبدو أن ما سيقوله مثيراً للاهتمام للغاية.



فنان الأندروجرواند هو من يلعب الموسيقى ولكن بعيداً عن الصناعة؛ أي لم يقم ببيع أعماله أو يخرج للجمهور بشكل تجاري ممنهجه أو نموذج عمل.. فقط يلعب في السهرات والتجمعات والنوادي الليلية مثلاً، بينما الفنان المستقل هو من يدخل صناعة الموسيقى وقد يحقق نجاحاً جماهيرياً ولكنه لا يعمل مع شركة إنتاج.. أما الفنان التجاري فهو من يعمل مع منتج بشكل مباشر، وهذا

لا يضمن بالضرورة نجاحه جماهيرياً.. ولكن ما يجعل الأمر يختلط على كثيرين هو أن الموسيقى التي يتم إنتاجها بشكل تجاري أصبحت هي الأكثر جماهيرية؛ فيظنون أن كل فنان يتعامل مع شركة إنتاج ناجح بينما الفنان المستقل ليس كذلك، وبالتالي يمكن لفنان مستقل مثل كايروكي أن يقدم موسيقى مختلفة عن السائد، ويصبح أكثر انتشاراً من شخص آخر يعمل بشكل تجاري ولكن لا يتم الاعتراف به.

ما تعريف مصطلح الاستقلالية الفنية؟ هو نهج أو نوع أو فكر فني معين يتمتع بحرية فنية أكبر من قيود المعادلة التجارية. وغالبًا ما تتميز أعمال الفنانين المستقلين وأفكارهم بتقديم شيء جديد ومختلف عن السائد، ورويدًا رويدًا يتحول هذا الاتجاه إذا ما وجد قبولاً عند الناس إلى Trend؛ أي موجة أو صيحة، وإن استمرت أصبحت هي الذوق السائد.

وخلال المائة العام الماضية حدث تطور رهيب في التكنولوجيا والتسجيل وغيرها؛ مما غير قواعد اللعبة تماماً، وأصبح فنان القرن العشرين يعيش حالة وجودية ولحظة تاريخية لم تحدث من قبل. في السبعينيات والخمسينيات بدأ يظهر مفهوم «الفنان الترفيهي» وعالم الاستعراض والترفيه Entertainment and Showbiz إلى صناعة متكاملة تقوم على الإبهار والنجاح والشهرة، وكُمْ مهول من الأموال التي تدور وتدور في هذه الصناعة الضخمة.



وأبرز مثال على ذلك هم البيتلز؛ حيث لفتو نظر رجال الأعمال في أن مجموعة من الفنانين يمكنها أن تقيم صناعة تساوي ملايين الملايين من الدولارات، إلى جانب التأثير الفني والثقافي على العالم أجمع.. لقد أصبح شباب البيتلز الأربعة في لحظة من اللحظات يمثلون اتجاهًا موازيًا لكل ما تمثله هوليوود في أمريكا فيما يخص الغزو الثقافي والتشكيل الثقافي لشكل وصوت وأفكار جيل بأكمله حول العالم.

وفي الثمانينيات كانت ذروة صناعة المال في الموسيقى.. أصبح النموذج التجاري الذي يضخ فيه كثير من الأموال هو الأكبر والأضخم. وظهر مفهوم مرعب وهو شركة التسجيلات Record Label مرة أخرى، لكن «مقابل صريح» لاستوديوهات الإنتاج الضخمة في هوليوود.

كانت الفكرة بسيطة: يختار المنتج الموهبة الموسيقية التي يرى فيها فرصة للنمو، ويصرف عليها في جميع النواحي: التسجيل والإنتاج والصورة والدعاية والإعلان وتنظيم الحفلات... إلخ، وكل هذا يعد



مخاطر، ويبدأ في دفع الفنان إلى السوق ليرى ما إن كان سيعملجمه أم لا. وبالطبع كان يجب أن يضمن المنتج أكبر كم ممكن من العائد في حال نجاح الفنان؛ كي يحقق ربحاً مقابل مخاطرته إلى جانب تعويض خسارته مع الفنانين الآخرين الذين لم ينجحوا.

يقول سليم إن نظام شركات الإنتاج التجارية في الثمانينيات وصلت سيطرته إلى درجة أنه كان يحصل على 80% من العوائد مقابل 20% فقط تذهب إلى الفنان.

وهنا ظهرت فكرة الاحتكار والسيطرة على الفنان بعقود فنية طويلة تمتد لعدة ألبومات وبعوائد ضئيلة للفنان. وأصبح الصراع الأزلي الذي تكلمنا عنه في أول الكتاب يدور بين الفنان والمنتج الذي اكتشفه ويكيلاً لبعضهما البعض الاتهامات بشكل رهيب.

استمر هذا النظام طوال الثمانينيات والتسعينيات وأوائل الألفية الثانية، ثم ظهرت الكلمة السحرية



الجديدة، التي غيرتنا كجبل وغيرت طريقة تلقينا وفهمنا واستيعابنا للموسيقى وصناعتها: الإنترت والعالم الرقمي.

مع الإنترت ظهر مخزون رهيب من الموسيقى، وأصبحنا نعيش في عالم تغمرنا فيه الموسيقى كفيضان.

«ظهر شاب اسمه شون باركر، اخترع شيئاً اسمه Napster، والذي أحدث زلزالاً في الصناعة الموسيقية بأكملها.. ولأول مرة لم تعد بحاجة إلى شراء الـ CD من المحل؛ لأنَّه أصبح متوفراً للتنزيل على الكمبيوتر مجاناً دون حقوق أو مجهود أو حدود».

وأهم شيء.. دون حدود.

اختفى العالم الذي كنا نعيش فيه؛ حيث ننتظر شهوراً طويلة حتى ينزل الشريط الجديد لميتاليكا مص، والذي يكون مقصوصاً منه بضعة أغاني توفيراً للمادة

الخام.. أو نبحث عن أي شخص قادم من الخارج؛ ليشتري لنا الشريط الأصلي بالأغاني كاملة وكلماتها في الغلاف، ونكسر قطعة البلاستيك التي على جانبي الشريط؛ حتى لا يسجل عليه أحد بالخطأ.

هذه الندرة كان من شأنها تعميق التجربة الموسيقية للجيل وتعزيز تأثيرهم بها؛ فقد كان الاستماع لشريط جديد حدثاً حتى أنك تسمعه كل يوم لمدة أعوام وكأنها أول مرة.. كل هذا كان يعطي هذه التجربة نكهة خاصة. ولكن كل هذا تغير تماماً حينما أتى الفيضان، وأصبح المتوفر أمامك أكبر وأكثر بمراحل عما تستطيع استيعابه أو اللحاق به، وأصبح الاستهلاك أكثر وأسرع بكثير من القدرة على الاستيعاب والتجربة، وصار البحث عن الجديد هو الأساس.

يقول سليم: «استطاع شون باركر بموقعه القرصاني أن يحطم إمبراطوريات كاملة من المال والصناعة الموسيقية.. فقط باختراع تكنولوجي على شاشة الكمبيوتر»، دون أن يخفي إعجابه بشون باركر، رغم عدم قانونية ما قام به؛ لأنّه على حد قوله «حطّم



الثوابت وغير الصناعة وهو ما أفضله في كل الأحوال».

وأثار نابستر الجدلية الرهيبة ما بين إتاحة الموسيقى للجميع، واحتراق حقوق الفنانين والمنتجين وضياع مصاريفهم ومجهودهم لسنوات. واستمرت هذه الجدلية ربما إلى يومنا هذا، حتى أن الفرقة الأكبر التي امتلكت من الطاقة والمجهود والمصادر المالية والصبر ما يكفي كي تقاضي نابستر لسنوات حتى قضت عليها - ميتالكا - واجهت رد فعل سيء من جمهورها الذي اتهمها بالجشع والطمع والمادية المفرطة وعدم رغبتها في مشاركة موسيقاها معهم.. لقد كان أمراً غريباً وصادماً لأعضاء الفرقة في ذلك الوقت؛ فقد كانوا يدافعون عن حقوقهم وحقوق كل الموسيقيين الذين اخترقتهم نابستر، ورغم ذلك لم يكن الكل في صفهم.

«لقد بدأ المستمع يحاسب الفنان على محاربته للقرصنة، وأصبح يتهمه بأنه يقدم فنه حرضاً على المال، وفي الحقيقة حرضاً على الكثير من المال وليس



حِبًا في الفن». ويرى سليم أن أول فكر تشاركي على الإنترنط ظهر في هذا النوع من المواقع، الذي تطور بعد ذلك إلى مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي.

وبعد القضاء على نابستر - بالطبع - كانت هناك آلاف المواقع الأخرى التي كررت النموذج ذاته، حتى أتت الثورة الأخرى وهي التورنت، والذي ظهر مصاحباً لدخول الـ ADSL مصر بدلاً من خطوط التليفون Dial Up، والتي سهلت ونوعت وفتحت باب الفيضان الجارف من المحتوى المرئي والمسموع على ملايين الأجهزة في كل البيوت المصرية وحول العالم.

ودخل عالم الإنتاج في نفق مظلم لأكثر من عشر سنوات، وأدى ذلك إلى توقف كثير من الشركات عن نشاطها، وبطبيعة الحال أغلقت في مصر عشرات الشركات، لاسيما الصغيرة منها والمتوسطة.

ظهرت بعد ذلك مواقع Facebook و MySpace في 2005 و 2006، وعكسـت احتياج البشر للتواصل في عالم حزين يعاني من الوحـدة والعـزلـة والتـفكـك الأـسـري



والإنساني. ومنح MySpace فرصة للفنانيين المستقلين الذين لا يمتلكون إمكانات مادية أن يضعوا أعمالهم على الإنترن特 للجمهور عبر صفحاتهم الشخصية، مع التواصل مع المستمعين وقياس ردود أفعالهم على هذه الأعمال بشكل لم يكن متاحاً من قبل.

ولأول مرة في التاريخ توجد علاقة تواصل مباشرة بين الفنان والجمهور.

وصدمت شركات الإنتاج - بالطبع - من هذا التطور المرعب، ليس فقط لأنها تخسر أموالاً بسبب توافر المواد على الإنترن特 بالمجان، ولكن لأن الفنان أصبح يستطيع أن يعرض سلعته على الجماهير وي التواصل معهم ويظهر أمامهم، دون الحاجة إليها.. لقد كانت شركات الإنتاج وسيلة الفنان الوحيدة قبل الآن للوصول إلى الجماهير.

«إذا أنت شركة إنتاج تطلب منك اليوم أن توقع معها عقداً لسنوات، ستخبرها ولم أفعل ذلك؟ أنا لدى



متابعون على يوتيوب بالآلاف الآن، وكلما شاهدوا أعمالي دفعت لي اليوتيوب مبلغاً من المال، وإذا وقفت وغنية في الشارع أو المطعم المجاور لمنزلي سياتوني، ومع بعض الحفلات في أماكن كالساقية وغيرها سأجني ما يكفي من المال لأنتج ألبومي الخاص، وربما انتشر أكثر فأوقع إعلاناً أو أظهر في برنامج أو مسلسل تليفزيوني، فلم أحتج لك وأتركك تحتكرني؟».

ويؤكد لي سليم أن كايروكي كانت من أوائل الفرق التي تبنت هذا الفكر مبكراً جداً في مصر.

لقد أدى العالم الرقمي إلى منح القوة والسيطرة للفنان أكثر من شركة الإنتاج بكثير وبالتالي رفعت من نزاهته الفنية، فأصبح يغني ما يريده ويجرب ويغامر، ويطرح طرقةً وموضوعات مختلفة وفقاً لرؤيته الفنية الخالصة لنفسه ولموسيقاه وكلماته، وليس وفقاً لإملاءات السوق والبحث عما يعجب الناس وفقاً لتصور المنتج. هذه ثورة خطيرة في المفاهيم، وأدت مواكبة الثورة الحقيقية في 2011 لعكس مناخ التغير الذي شهدته

الساحة الفنية الموسيقية؛ خصوصاً في مصر خلال تلك الفترة.

بدأت شركات الإنتاج تغيّر من شكلها ونموج عملها لتواءِكَبِ الجديد، وأصبحت الدنيا تعمل بنظام آخر وهو أن الفنان هو الذي يقود العملية، والشركة تعمل كشركة إنتاج تنفيذِي وإنْتاجِاً صرفاً، بل تعمل بفلوس الفنان نفسه. دورها أن تنفذ الإنتاج وتفاوض معه وتقترح عليه رؤاهَا للعملية كل، إلى جانب تسهيل الحفلات في الداخل والخارج، والمساعدة في عملية السوشِيال ميديا وغيرها، وبالتالي محاولة إتمام الاتفاقيات مع الرعاة.. وهكذا أصبحت المنظومة تقوم على معاونة الفنان باستخدام دخله وأمواله، في إتمام رؤيته. وهذا ما تقوم به الوكالة والفرق المعاونة لـ«كايروكي» بشكل عام.

يتركني سليم أثناء ساعات الحوار الطويلة كل فترة؛ كي يتبع آخر التعديلات على التصميمات واللوجوهات

التي ستوضع على القيديو، أو ليجىب على طلبات شركة الاتصالات.. أسأله وهو أمام الكمبيوتر: «لماذا استغنىتم عن الكلمات التي كان سيقولها كل فرد من الفرقة؟».

«الفكرة بالنسبة لي كانت مباشرة بشكل زائد، طالما أنك وضعت أفكارك في الموسيقى لا داعي لمحاولة شرحها بشكل آخر، ستفقد الكثير».

«وكيف تمكنت من إنجاز المهمة المستحيلة بإقناع أمير؟».

«كان ذلك صعباً.. وضعته أمام الواقع وأريته المونتاج دون الكلمات.. تذمر قليلاً، ولكنه رضخ في نهاية الأمر».



الفصل الثامن عشر

تامر

«التاريخ قد يكذب ولكن أغانينا لن تكذب عليك أبداً».

هكذا بدأ تامر حديثه الأول معي.

ورغم بساطة تعبير تامر عن أفكاره، إلا أنها أفكار قوية وواضحة.. منها هذه الجملة التي أعجبتني كثيراً، ولخصت فلسفة كايروكي ببساطة.

«بعد خمسين عاماً حين يعود الناس ليعرفوا ماذا حدث سيجدون أغانينا هي أصدق وأقوى ما عبر عن المرحلة.. نحن لسنا فريقاً موسيقياً سياسياً، ولكننا كملايين المصريين نريد أن تصبح مصر أفضل.. وقد قلنا ما لم يكن أحد يستطيع أن يقوله في كثير من الأوقات».

يتحدث تامر بكثير من الحمية، وكل فترة حينما تخونه الكلمات يضرب بقبضته على الطاولة أو على



صدره؛ ليعبر عما يدور بداخله.. وله لازمتان: شكرًا ميرسي، جحيم وكمبور.

«نحن أعظم بلد في العالم، موقعنا أفضل موقع ولدينا أعظم العقول، ولكننا نهدر ذلك كله».

كره تامر التعليم منذ صغره، وكان يرى الجميع ضحية نظام فاشل: «نحن في أمس الحاجة إلى نظام تعليم جيد؛ كي يقضي على كل العادات والموروثات والمفاهيم الخاطئة، والممارسات الرديئة كالتحرش والطائفية والإرهاب.. نحن كفرقة نقوم بإبراز هذه المشكلات جًّا في البلد وأملاً في حلها.. الفساد مستشرٍ والدولة تحاربه.. حتى الموسيقى نفسها بها فساد؛ فهناك منتج يقوم بالإثبات بمطلب أو مطرب لا يعرفان شيئاً عن الموسيقى، وببعض الموديلز والديكورات وكاميرا ليصبح نجمًا.. هذه مأساة. هل تعلم أننا الفرقة الوحيدة التي لا يوجد بها موديلز فتيات في أغانيها؟ هذا قرار مقصود اتفقنا عليه من أول يوم».

لم أكن قد لاحظت هذا الأمر من قبل.

«كايروكي هي الشيء الوحيد الذي يجعلني أنام في الليل سعيدًا بما حققته في حياتي، فهي بالنسبة لي تمثل التغيير الوحيد الذي ينشده جيلنا في مواجهة كل الأشياء التي لا ترضينا.. حينما كنت صغيراً كنت غاضبًا جدًا طوال الوقت، ولم أكن سعيدًا أبدًا بما أعيشه وأراه من حولي من فساد وتحكم من الأجيال الأكبر منا، وأنا فخور كوني جزءًا من تجربة تحاول أن تواجه كل هذا».

ولد تامر لوالدين صغيرين للغاية.. كان أبوه لا يزال في الجامعة حين تزوج، وبعد تخرجه سافر إلى عمان وأصطحب أسرته معه.. تربى تامر هناك ودخل مدرسة حكومية وكان يرتدي الذي الوطني العماني وهو طفل! بعدها بخمس سنوات افتتحت المدرسة المصرية في عمان، وبدأ تامر يتلقى المنهج المصري هناك.

كان تامر يلعب الموسيقى في المدرسة، وأحب آلات الإيقاع ولعبها طوال طفولته.. كذلك كان محباً للخط



والرسم. وعندما قرر أصدقاؤه تأسيس فرقة موسيقية كان أول من اختار آلته: الدرامز.

تستطيع أن تلاحظ هوسه بالإيقاع في جميع إيماءاته وحركات جسده. «الإيقاع موجود حولنا في كل شيء في العالم.. كل الخبطات والأصوات إذا تم تنظيمها تحول إلى إيقاع كضربات قلب الإنسان، ولذلك فهي أقرب شكل موسيقي للبشر».

ويقال إن أول موسيقى عرفها الإنسان هي الإيقاع، ولا تزال أصوات الطبول هي التي تسيطر على موسيقى القبائل البدائية حول العالم حتى اليوم.

عاد تامر للاستقرار في مصر نهائياً وهو في المرحلة الإعدادية، وصم بالمدرسة الحكومية التي دخلها هنا.. كان الكل يعاملونه على أنه الشاب «الفرفور» الآتي من الخليج.. وتعامل تامر مع كل الفئات في هذه المدرسة وبدأ يعطي الأعذار للناس لأنه كان يرى الخلفيات المختلفة التي يأتون منها.

وكان يسمع مختلف أنواع الموسيقى في ذلك الوقت.

خلال سنوات الجامعة، عمل تامر في عدد من المحلات التجارية الشهيرة. ثم ظل في مجال الأزياء فترة.. بعدها قام بالعمل في مجال التسويق بالمجلة نفسها التي عمل بها أمير، ثم أسس شركة للإنتاج الفني تحولت بعد ذلك لتصبح كايروكي برودكشنز.. كان كل ذلك يسير جنباً إلى جنب مع تأسيس الفرقة ولعب فقرات في النوادي المغمورة والصغيرة حتى بدعوا في اللعب في After8 والساقية.

رفض أهله تماماً فكرة عمله في الموسيقى: «هل تريد أن تصبح طبلاً؟» كان جيل والديه يحترم كثيراً المطرب والمغني ولكن كل من يعمل حوله هم مجرد آلاتية». ورأى آخرون أن الموسيقى أصلاً حرام، وقرروا أن يتركوه بعد حرب مريدة يفعل ما يريده ولكنهم كانوا ينتظرون فشله في أي لحظة.. وظل تامر يسير طوال حياته بعد ذلك حاملاً ذلك العباء وراءه: أن يثبت لأهله أنه يفعل ذلك عن قناعة وليس لأنه شاب فاشل أو مهملاً.

اشترى أول درامز في حياته وكان سعيداً بها إلى حد الجنون، افترض وعمل كي يستطيع شراءه، وكانت أمه تشكو من هذه الكراكيب الموجودة بالغرفة. وفي أحد الأيام عاد إلى المنزل؛ ليجد أنها قد تخلصت منها.. اليوم تشعر أمه بفخر كبير بابنها، وتكلم صديقاتها كلما ظهر في التلفاز لتتغنى بوسامته ونجاحه. أما أبوه - والذي كان يعطف تامر بقسوة وهو صغير، وكان رافضاً بشدة لاتجاهاته الموسيقية - فهو الآخر يحضر حفلات كايروكي حينما يزور مصر ويبدو مطمئناً لما وصل إليه ابنه.

«لو لم تكن كايروكي لم أكن لأعيش في مصر لحظة واحدة.. لا أستطيع أن أتخيل أو حتى أفكر أنها لن تكون موجودة في يوم من الأيام.. بالنسبة لي هذا شيء غير وارد.. لا أريد أن أكون وحدي مهما كنت ناجحاً.. لا أريد أن أنجح وحدي أبداً، فلا شيء يضاهي شعوري بمشاركة كل هذا مع الناس».

يعتبر تامر أن طاقة الجمهور واللعب على المسرح هي أجمل لحظات حياته. وهو متتأكد تماماً أنه مهما حدث



فإنهم لن يكونوا وحدهم أبداً؛ فالناس معهم طوال الوقت. وسيظلون معهم إلى الأبد طالما أن الفرقة تتكلم عن حياة الناس يومياً من حب وقهر وحرية وحنين وطموح وأمل وانكسار.

ودائماً ما يتذكر تامر الأ أيام الأولى للفرقة بكثير من الشغف.. الحقيقة هو يتحدث عن تلك الأيام بحنين كبير يزيد عن حماسه للأ أيام الحالية.

«كان لدي مزيد من الحرية في اللعب قبل الآن.. كنا نلعب في الاستوديوهات مع بعضنا البعض.. كان هناك اتجاه عام للأغنية نعمل كلنا وفقاً له، كأن يقال إن هذه الأغنية Up beat, Build Up، وهكذا.. كنا نذهب في استوديو (جنوب) مدينة نصر ونلعب كثيراً.. الآن هناك توجه أوضح للأغاني: فشريف يضع لنا تصوراً للموسيقى كما يراها بعد أن يكتب أمير الكلمات، ثم يدخل كل منا ويوضع الـ Input الخاص به.. وفي بعض الأحيانأشعر أن لدى توجهاً مختلفاً للأغنية أو للإيقاع، ولكن في النهاية ألتزم بما يطلب مني. وأنا أنتهي أكثر للمدرسة القديمة، وهي المدرسة



التي يميل إليها هواري، وهي أن نلعب كثيراً مع بعضاً البعض ونخرج الأغاني بشكل عضوي أكثر وكان هذا هو الحال في الألبومات الأولى، ولكننا نجحنا أيضاً أن نخرج بصوت جديد في هذا الألبوم أنا فخور به.. ولكن لازلت أتمنى أن نعود ونلعب بروفات كثيرة مع بعضاً البعض كما كنا نفعل في السابق».

ويكمل: «وأنا لست درامز يعتمد على التكنيك، فأنا أحب أن ألعب مع أصدقائي.. هذا هو جوهر الأمر بالنسبة لي، ويمكنني أن أتدرب أكثر وأخترع صولوهات للحفلات وأطور من قدراتي في التكنيك، ولكنني دائماً أفضل التركيز على ما تحتاجه الأغاني وإحساسها، ويمكنك أن تلحظ ذلك من حفلاتنا؛ فأنا دائماً ما أركز مع هواري في الصولوهات حتى أستطيع أن أعطيها بعداً آخر يبرزها».

وقدوة تامر هو Nick Mason عازف الدرامز في بينك فلويد: «لا أهتم بأن أكون من أكثر اللاعبين البارزين أمام الجمهور، ولكنني في الوقت نفسه أدرك دورى وتأثيرى جيداً».

ومنذ بداية الفرقة حتى ألبوم «السكة شمال»، كان تامر مسؤولاً وحده عن كل شئون الفرقة العملية: تنظيم البروفات والحفلات واتفاقات الرعاية، وقرر أن يقود مسألة إنتاج كايروكي لنفسها في مواجهة إغراءات عروض المنتجين التي انهالت عليهم بعد الثورة.. يومها أشرف على تصميم اللوجو الشهير، ثم بحث عن شخص يصنع الأسطوانات وبدأ يكلم الرعاة، وظل يحارب حتى تخرج أول أسطوانة للفرقة:

«كنت من البداية أركز في هذا، وقمت بتأسيس الشركة. وعندما كبر الموضوع أتيت بهادي ليساعدني حتى تطور وأصبح اليوم من اللاعبين الأساسيين في السوق، كما أتيت بعاصم السحرتي للصوت ومايكل في الإضاءة، وطورت من حفلاتنا بشكل كبير. وحين دخلنا في فترة الأزمات بين بعضنا البعض استعنت بباسل وكريم حلمي؛ كي يساعدوا في الناحية التسويقية، كما أن هناك عدداً كبيراً من المديرين السابقين للفرقة أتيت بهم مستغلاً شبكة علاقاتي الواسعة. إن طموحي لا يتوقف عند شيء، ودائماً ما أفكر فيمن يمكنه أن

يساعد كايروكي في الوصول إلى المكانة التي تستحقها».

ويرى تامر أن محمد فوزي هو النموذج الأقرب لـ«كايروكي» في الزمن القديم، فهو كان تقدمياً جدًا وأول من قام بعمل أسطوانات مصرية وجدد على مستوى اللحن والكلمة بشكل لم ينل التقدير الذي يستحقه، رغم أنه أصابه الغم والمرض ومات حزناً على شركته الضخمة التي أسسها للإنتاج الموسيقي وأمّتها الدولة في السينما».

وعلى مدار يومه، لا يترك تامر الهاتف، وإذا غاب عن المكتب فذلك يعني أنه في اجتماع مع شركة الاتصالات أو أحد الرعاة أو يزور مكاناً سيقام فيه حفل.. دائمًا ما يتحدث مع عشرات الأشخاص طوال الوقت، فهو المسئول الأول عن تنظيم الحفلات بكل ما يشتمله من تفاصيل لا نهاية لها، أو يتفق مع راعٍ على أغنية، ويطارد شريف وأمير بعدها حتى يلتزما بالعمل على الأغنية الجديدة وتسليمها في الموعد الذي اتفق عليه مع العميل.

يتولى تامر أيضًا مسئولية المشروع المحبب إلى قلبه: Cairokee Store: وهو موقع إلكتروني لبيع المنتجات التي تحمل شعار كايروكي، وهو أحد الأشكال التقدمية والذكية في الدعاية للفرقة. ومؤخرًا اتفق مع شركة تصميم وتصنيع أزياء مصرية شهرة، كي تتولى إنتاج خطوط أزياء خاصة لـ«كايروكي»، ويتبع التصاميم وجودة المنتجات بشكل مستمر مع المصنعين، كما يحرص على تنظيم جلسات تصوير محترفة يرتدون فيها هذه الملابس لعرضها على الجمهور.

وتامر مشغول دائمًا وأبدًا بالآفاق الجديدة التي يمكن لـ«كايروكي» أن تصل إليها: «هناك الكثير من المجهود الذي نبذله ولكنه لا يبلور بالشكل السليم.. نحن نستطيع أن ننتقل إلى مكانة أخرى تماماً وننافس على الساحة العالمية، فقط لو اهتممنا بجودة القيديوهات والحفلات وصورتنا بشكل عام بالقدر نفسه الذي نهتم به بالأغاني.. فنحن لدينا منتج موسيقي رائع، ولكن الطريقة التي نقدمه بها يمكن أن تكون أفضل».

لتامر عادة تضحكني كثيراً وأجدتها غاية في اللطف: حينما يشاهد فيلماً أو مسلسلاً تليفزيونياً، فإنه ينفعل للغاية لتصريحات الشخصيات والأبطال، فيبدأ في الصراخ فيهم أو مخاطبتهم بانفعال وكأنهم أشخاص حقيقيون ماثلون أمامه، تماماً مثلما كانت تفعل جدتي وأنا صغير مصدقةً أن ما يحدث أمامها على الشاشة حقيقي دون شك.. إن حبه للدراما دفعه إلى خوض مغامرة التمثيل في عدد من الأعمال الدرامية.

يتضح لي الآن أن تامر شديد العاطفية.. هذا هو سر غضبه وانفعاله الدائم. وإذا كان لي أن أطلق أحکاماً مطلقة على البشر، لقلت أن تامر بلا منازع أطيبهم قلباً.. تامر باندفاعه وحبه الأعمى للفرقة قوة لا يستهان بها استطاعت أن يجعلها متماسكة ومستمرة في عديد من الأوقات الصعبة؛ فهو لا يلتفت للحساسيات أو التفاصيل المعقدة ولا يترك شيئاً يوقفه عن إقناع بقية الأعضاء بضرورة استمرارهم مهما كانت الظروف:

«أي مشاكل بين بعضنا البعض تؤثر على كثيراً، وتصيبني بضيق رهيب، فـ«كايروكي» هي كل حياتي.. لقد حاربت كثيراً من أجلها».

كان تامر يعاني لفترة طويلة من نوبات الغضب ونوبات هلع كادت تقضي عليه.. ولكنه اليوم أهداً كثيراً وإن كان لا يزال مخيفاً لكثيرين من حوله.

إن شغف تامر وحبه للفرقة لا ينافسه سوى هوسه بتنظيم أكبر حفل في تاريخ الفرقه تنظيمًا ذاتياً دون وسيط. وعلى مدار الأشهر الأخيرة من 2017 بذل مجاهوداً خرافياً ليحقق الحلم الذي راوده منذ أول يوم تأسست فيه الفرقة، وإذا لم يكن قد فعل شيئاً طوال الخمسة عشر عاماً التي مرت على كايروكي سوى تنظيم حفلة كايروكي إمبایر لكان ذلك يكفيه؛ إذ لم أر في حياتي شخصاً شغوفاً بما يقوم به وقلقاً ومهووساً بالتفاصيل كما رأيت تامر في تلك الفترة.

الفصل التاسع عشر

«وأنا مع نفسي قاعد»

في عام 2008 ترك مهندس الصوت الشهير الذي يديرون له بكثير من الفضل علاء الكاشف الاستوديو الخاص به لهم؛ كي يلعبوا ويسجلوا كما يريدون.. وقتها كان قد تم تكليفهم بعمل أغاني لبرنامج رمضان لم ير النور أبداً. كانت فكرة البرنامج أن يناقش في كل حلقة قضية، وسيقومون هم أنفسهم بتقادمه، وعمل أغنية لكل حلقة.

أين تكمن المشكلة إذًا؟ إن هذه الـ30 أغنية كان مطلوبًا أن تنتهي في 30 يومًا.. دخلت الفرقة الاستوديو ولم تخرج طوال هذا الشهر.. كان أمير يكتب الكلمات ثم يقومون مع بعضهم البعض يومياً بعملها.. كانوا يبيتون تقريباً في الاستوديو.. كانت هذه هي أكثر فترة قضاها الفريق كاملاً مع بعضهم البعض، وكلهم يذكرونها بكثير من الحنين. بانتهاء المدة، لم يكن عدم نزول البرنامج في



النهاية أمراً محبطاً بالنسبة لهم؛ فقد كسبوا شيئاً أهم بكثير.

و«أنا مع نفسي قاعد» هو غالباً الألبوم المفضل لدى جميع أعضاء الفرقة.. كلما أتى ذكره وجدت هناك دفناً في أصواتهم وحنيناً ما تجاه هذا الألبوم، ربما لأنه خرج من قلوبهم في فترة لم يكن يعرفها فيهم أحد، وكانت تجربتهم خلال هذه الفترة تتمتع بدرجة من النقاء لن تتكرر مرة أخرى؛ فمعظم هذه الأغاني كتبت في فترات الصراع التي يعيشها الفنان مع نفسه.. يريد أن يقول شيئاً.. يريد أن يتحقق ويصبح صوتاً مسموعاً، دون ضغوط من جماهير أو إعلام أو أصدقاء أو توقعات ممن حوله أو من نفسه.. كان مثالاً حياً للفن من أجل الفن.. الضغط الوحيد كان الشك الذاتي وعدم التحقق.

والتيمة الرئيسية الواضحة في هذا الألبوم هي العزلة. ويعتقد أمير أن العزلة هي الواجب المقدس لأي فنان؛ فهي تتيح فرصةً للتأمل، والتفكير والنظرية العميقه



للحياة التي تمكنت من الإمساك بتلك التفاصيل الصغيرة التي ينساها البشر في خضم الحياة.

ومن أهم ما يمثله هذا الألبوم أنه نموذج لأعمال كايروكي ما قبل الثورة، وبالتالي.. فإنه أكثر الألبومات المعبرة عن حالنا قبلها، على عكس ما يظننه الكثيرون من أن إنتاج الفرقة الحقيقي جاء كله بعد الثورة.

ومن هنا فإن هناك أهمية تاريخية لهذا الألبوم؛ لأنه الألبوم الذي استطاع - بشكل ما - أن يرصد مشاعر الإحباط والعزلة التي كانت سبباً رئيسياً في الانفجار الذي حدث بعد ذلك؛ إذ تلاحظ في الألبوم مباشرة في المشاعر: «مستني»، «تايه»، «صوتي»، «كرامتي»، «حلمي»، «سكوتي».. كلها أغاني تحكي نطاقاً من المشاعر نمر به ربما عدة مرات في اليوم.. وهي أغاني لا يلعبونها كثيراً في الحفلات.

هناك الكثير من إسهام هواري الواضح هنا، والألبوم هو أكثر ألبوم «روك» بالمعنى التقليدي، وهو يمثل كل ما



يرفضه غير المحبين لفرق الروك العربية: الألحان والمقامات الغربية الصرف، والصعوبة الواضحة في تدويب الكلمات وسط هذه الألحان والآلات الكهربائية، وطريقة غناء أمير التي لا تحمل كثيراً من التلوين والتنوع وكلمات الأغاني المباشرة والبسيطة، وسذاجة الأفكار في كثير من الأحيان.

الفصل العشرون

رمضان الطويل، الحزين، والكئيب

بحلول رمضان في أواخر مايو كان الاحتقان بين أعضاء الفرقة قد بدأ يزيد بشكل ملحوظ.

مضت الأيام الثلاثة الأولى ولم يظهر أمير في المكتب.. عرفت أنه قد أغلق غرفته أيضاً بالمفتاح وهو ما لم يفعله من قبل.. وكلما سالت عليه أخبروني أنه لا يأتي ولا أحد يعلم لماذا.

في اليوم الرابع كانت الفرقة على موعد تدريب على استعراضات سيؤدونها لإعلان يخص شركة الاتصالات.. كانت إعلانات قديمة تعاقدوا عليها منذ وقت بعيد وكان عليهم أن يتمموا التزامهم ناحيته، وقررت الشركة تصوير الإعلانات في رمضان؛ لتنزل في العيد؛ فتستفيد من الضجة التي سيثيرها نزول الألبوم.

في 8 يونيو أرسل لي مدحت رسالة: الشباب سيجتمعون لإجراء أول بروفة على ألبوم «نقطة بيضا» استعداداً لحفل إنجلترا.. إذا أردت أن تحضرها، تعال إلى استديو في الدقي.

كان ذلك بعد الإفطار مباشرةً.. كنت أشعر بثقل رهيب وجسمي كله في حالة خدر التخمة.. وكانت فكرة القيادة للدقي مخيفة، ولكنني حسمت قراري بسرعة: هذه لحظة مهمة، أول بروفة لـ«نقطة بيضا»، وأول ظهور لأمير بعد اختفائيه الطويل.

كما أني أدرس بجدية السفر معهم.. لم يكن معي ما يكفي من المال لتحمل السفر بعد تعويم الجنيه، ولكنني قررت أن أدبر أمري؛ لأن فضولي لتعطية هذه السفريّة كان يغلب أي حسابات. إذا كنت قد قررت خوض المغامرة مع الفرقة فيجب أن أخوضها بالكامل، ولو كان هذا يعني الاستدانة والمخاطرة بحياتي وركوب الطائرة (لدي خوف مرضي من الطائرات) فسأفعل ذلك.. لا أريد أن أفوّت فرصة لمراقبة تفصيلة



هنا أو هناك قد تفيد في نقل هذه التجربة لتصبح أكثر تكاملاً وثراً.

كان سليم قد اختار إجراء البروفة خارج الاستديو لسبعين: توفير إمكانات صوت أفضل، وإخراج الفرقة من محبسها في المعادي.. كان يأمل أن يكون لذلك الخروج أثر إيجابي في تجديد الدماء وخلق حوار بناء أكثر.. الحفل سيقام بعد العيد مباشرةً وبالتالي ليس هناك كثير من الوقت لإجراء البروفات وتقديمه بشكل مختلف.

حين وصلت كانوا قد وصلوا قبلي بأكثر من ساعة ونصف، ولكنهم لم يكونوا قد بدءوا البروفة بعد.. كان الاستديو مظلماً بالإظلام ذاته الذي رأيته على وجوههم، وعندما دخلت وجدتهم جالسين في صمت رهيب.

حيّاني سليم وأمينة بابتسامات متوترة.. كان الجو مشحوناً وشعرت بذلك، فحاولت الكلام مع أمير ولكنه كان مسود الوجه وشارداً تماماً بشكل جعله وكأنه



وضع ساتراً شفافاً حول نفسه يفصله عن العالم ويفصل العالم عنه.

أعلن أمير رفضه لكل ما تم في الفترة الماضية من تعامل مع مسألة نزول الألبوم، وتكلم عن إحباطه الشديد تجاه ما حصل، وشعوره بأنه لا يملك اتخاذ القرار في أي شيء، وبالتالي فإنه يعلن تخليه عن قيادة الناحية الفنية في الفريق وأنه لن يكون مسؤولاً منذ الآن عن أي شيء يخص هذا الأمر، وسيكتفي بكتابة الأغاني، وحتى هذه المهمة فسيقوم بها في إطار محدود وفقاً للرؤية الفنية للألبومات التي سيضعها شخص غيره، ثم طلب منهم اختيار من يتولى هذه المسئولية، واقتراح هواري.

فوجئت بما سمعته ولم أدر: هل هذا أمر طبيعي أم أن له دلالة خطيرة؟ قفزت إلى ذهني فوراً تلميحات شريف وهواري في جلساتهم معي، والتي كانت تقول بأن عدم استمرار الفرقة أمر وارد طبعاً.



بعدها حاولوا عمل البروفة حتى لا يضيع اليوم دون فائدة، ولكن محاولات شحذ الإيجابية وسط مناخ الإحباط والإظلام هذا كانت مستحيلة.. حاول تامر وأدم أن يقودا هذه الفكرة ولكن لم يستجب أحد.. لم يكن لدى أي منهم مزاج للعب بعد أن استنفدت طاقاتهم في الكلام الكثير وإخراج ما بداخلهم من مشاعر سلبية إلى حد كبير.

كانت المشكلة باختصار هي شعور أمير وشريف بأنهما يبذلان مجهدًا خرافياً في مختلف مناحي العمل، بينما يريان أن بقية الأعضاء لا يبذلان المجهود نفسه. وعلى الناحية الأخرى يرى الباقيون أن الاتفاق الذي تم أثناء العمل على «نقطة بيضا» لم يعد يترك لهم مساحة كبيرة للعمل على الموسيقى والأغاني، وببحث كل من آدم وتامر عن أدوار أخرى، بينما ظل هواري عالقاً، ومن هنا بدأ يتعامل مع الأمور بسلبية ما جعلته لا يكتثر كثيراً بما يحدث. بالإضافة إلى شعور الآخرين بأن أمير يقود الفرقة عنوة، وهو شعور غير حقيقي من وجهة نظره، وكل ما يتمناه هو أن يتمكن من وضع الرؤية

وهذا يعني بعضاً من المساحة في اتخاذ القرار له، وهو ما يتعارض مع فكرة الديمقراطية المطلقة التي تنتهجها الفرقة.

بعد هذا الاجتماع انتقلت المسألة إلى يد هواري. وكان حفل إنجلترا هو أول محك حقيقي لتنفيذ الطريقة الجديدة.. كان واضحاً أنهم فشلوا في إقناع أمير بتغيير رأيه، وكما فهمت فيما بعد، فقد أخذوا الأمر دون جدية واضحة. طمأنني شريف وتأمر قائلين: «هذه مجرد فترة يمر بها أمير كل فترة ويتحول خلالها إلى شخص رافض لكل من حوله. وتنتابه هذه الحالة حين يمر بفترة كتابة صعبة أو بدء العمل على ألبوم جديد أو حين يشعر أنه يفقد السيطرة على مجريات الأمور.. سيمر بعض الوقت ويعود إلى طبيعته ويطلب تولي القيادة مرة أخرى، تماماً كما فعل من قبل أثناء العمل على «نقطة بيضا». إن فكرة القيادة هذه تثير حساسيات

لا نهائية، والالتفاف حولها والتعامل معها حين تزيد أو تنقص هو بيت القصيد في هذه المسألة برمتها».



في منتصف رمضان اقترح شريف اسم وائل الفشنبي كصوت ثانٍ في أغنية «عم غريب». كان آدم قلقاً لأنه لم يكن قد سمعه من قبل، ولكن شريف ومدحت أخبراه أنه غنى تتر مسلسل «واحة الغروب» الذي يلاقي استحساناً كبيراً لدى المشاهدين منذ بداية عرضه في رمضان، وأن شريف يرى أن صوته قوي للغاية وملائماً لصوت أمير وللأغنية.. استمع آدم للتتر ولم يقنع أيضاً.. حاول فاشلاً أن يقنع شريف أنه لا يناسب الأغنية. بالطبع، جادله شريف حتى سكت آدم.. كان شريف متھمساً للمغامرة، وظل يكرر لآدم الفكرة نفسها: «حاسس إنه هيطلع حاجة حلوة، ومش عايز نتعامل مع حد مشهور في الأغنية دي بالذات». وفي النهاية أخبره آدم: «دي حنتك، شوف عايز تعمل إيه ولو كدا نكلمه».

كان الضغط مرعباً، نحن في الأسبوع الثاني من رمضان ولم تزل أغنية «الдинاصور» عائقاً.. حتى أنه فكر أن يستعين بصديقهم المنتج الموسيقي المعروف



ساري هاني ليساعده، وتم الاتفاق على الموعد النهائي لنزول الألبوم: 11 يوليو 2017.

كل هذا وأمير لا يظهر لأكثر من أسبوعين الآن.. أرسلت له أنني أريد أن أقابلـه، فأجابـني بأنه خرج ليشتري بعض الأشيـاء وسيـمر علـي في المكتب ليـقلـني بسيـارـته للـبيـت.. بعد نصف ساعـة أتـي ولم يـدخل المـكتـب.

مرـ أمـيرـ عـلـىـ المـكـتبـ وـاصـطـحـبـنـيـ بـالـفـعـلـ.. ذـهـبـنـاـ إـلـىـ شـارـعـ 9ـ لـتـناـولـ شـيـءـ مـنـ الطـعـامـ ثـمـ تـوـجـهـنـاـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ. كانـ هـنـاكـ كـتـابـ «ـطـبـائـعـ الـاستـبـدـادـ»ـ لـلـكـواـكـبـيـ عـلـىـ الـكـنـبةـ، وـأـخـذـ أـمـيرـ يـحـدـثـنـيـ عـنـهـ بـحـمـاسـ شـدـيدـ..ـ كانـ أـكـثـرـ اـنـطـلـاقـاـ فـيـ الـكـلامـ عـماـ رـأـيـتـهـ مـنـذـ بـدـأـتـ الـأـزـمـةـ،ـ كانـ أـمـيرـ الـذـيـ عـرـفـتـهـ طـوـالـ الـأـشـهـرـ الـمـاضـيـ،ـ وـرـوـيـدـاـ روـيـدـاـ بـدـأـتـ فـيـ طـرـحـ أـسـئـلـتـيـ عـلـيـهـ عـماـ يـحـدـثـ.

«ـالـأـمـرـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ أـكـبـرـ بـكـثـيرـ مـنـ مـجـرـدـ فـرـقـةـ وـلـعـبـ مـوـسـيـقـىـ نـحـبـهـ مـعـاـ،ـ الـ«ـعـيـالـ»ـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ هـمـ حـيـاتـيـ،ـ

فقد قضيت معهم أكثر بكثير مما قضيت مع أي أحد أعرفه.. كل موقف، محزن أو مفرح، كانوا جزءاً منه، لم أسافر مكاناً داخل مصر أو بلداً خارجها دون أن يكونوا معي فيه.. لو انفصلنا عن بعضنا البعض سأمحى بذلك تاريخ حياتي كله. مشكلتي معهم أن وثيرتي سريعة جداً، وأنني لا أتدخل في دور أحد ولكن الكل يتدخل في دوري.. هناك سوء إدارة فيما بيننا كما أن هناك استثناءات للآخرين لا تمنح لي، ومشكلة بعضهم هي عدم الاستمرارية الـConsistency، ففي بعض الأحيان يملون ساعات طويلة وربما أسبوع، ولكن يصاب أحدهم بالملل فيختفي ولا يكمل، ثم يلومونني أنني ديكاتور أو لا أسمح لأحد بالمشاركة، ولكن الوضع هو العكس.. لا أجد من يريد أن يشارك بشكل حقيقي ويتحمل ما تحتاجه العملية الإبداعية حتى يخرج الأمر للنور، ما عدا شريف الذي لديه الصبر والإصرار أنفسهما».

ويكرر عليَّ هذه الجملة «ما يبقيني هو قلبي وليس عقلي» لو كان القرار بالعقل لكان الأمر قد اختلف.



أسأله إن كان جلوسه في المنزل نوعاً من العصيان، أو تهديداً خفياً بأنه «مش لاعب» كي «يحتاسوا من غيره».. يبتسم في هدوء ودون تعبير واضح في نبرة صوته: «أبداً».

ينتهي الحوار عند هذا الحد، وإن كنت أحاول أن أهدده بشكل خفي وأخبره أن نماذج المغنيين الذين نجحوا بعد أن تركوا فرقهم قليلة للغاية، وإن كان أمير يتمتع بموهبة لا تخفي على أحد في كتابة الكلمة وربما اللحن، وبالطبع لديه كاريزما، ولكنني مؤمن أنها كاريزما تأتي لأنها جزء من كل وأنها كاريزما مشتركة بين الجميع، وهذا التبادل للأفكار الموسيقية بينهم هو القيمة الحقيقية لـ«كايروكي».. أنا مقنع تماماً بأن قيمة كايروكي الحقيقية كوحدة واحدة أكبر من قيمة كل عضو من أعضائها على حدة.

في وسط كل الاختلافات التي تمر بها الفرقة الآن لا أستطيع التوقف عن فكرة تلح على كثيراً، وهي عدم

إدراكمهم كم هم محظوظون بالعمل مع بعضهم البعض، وكم هم محظوظون أيضاً بالنجاح الذي حققوه.. وأخيراً كم هم محظوظون بكم التأثير الكبير والتاريخي إن جاز التعبير، الذي يحملونه لدى مستمعيهم سواء الآن أو من سيأتون فيما بعد.

لا يمكن أن تطالب أي إنسان لا يشتغل بالفن أن يدرك كم المعاناة والألم الذي يمر به الفنان كي يبدع شيئاً من العدم.. وهناك فنون فردية مثل الكتابة أو الرسم تفرض على مبدعها سجناً لا يطاق من الوحدة.. إنها وحدة مريعة. ولك أن تخيل أن هذه الكلمات التي أكتبها الآن في هذا الكتاب استغرقت مني آلاف الساعات وأنا جالس وحدي في أكثر من 4 مدن داخل مصر وخارجها.. أفكر وأحلل وأرصد وأتخيل وأجتر كثيراً من الذكريات المفرحة منها والمؤلمة، ثم أكتب وأراجع وأحذف وأضيف عشرات المرات.. كل ذلك وأنا جالس وحدي في عزلةٍ تامة لا أتكلم مع أحد ولا أتفاعل مع أي إنسان كائناً من كان. سواء كان ذلك في شرفة منزلي في فجر يوم قارس البرودة، أو أمام



البحر في غرفة ضيقة منعزلة لأسابيع، أو أثناء قيادتي للسيارة، أو ركوب الطائرة، أو حتى في مترو الأنفاق في بلد غريب يبعد عن منزلي آلاف الأميال.

إن هذا الاختيار القاسي للعزلة وتنافع المشاعر هو حالة لا تنتهي طالما أن الإنسان يريد أن يبدع شيئاً.. وكيفية ترصد أدق تفاصيل الحالة الإنسانية، يجب أن تتصل بكل ما هو حزين ومؤلم بداخلك حتى تعبر عمما يدور داخل كل من يقرأ أو يستمع لأعمالك.. ليس هناك أقسى من أن تواجه صفة بيضاء، لأنك كي تملأها بشيء ذي معنى فإنك يجب أن تواجه نفسك، وهذه أصعب معركة في الكون يمكن أن تخوضها.

ولكن في الفنون الجماعية، كالسينما أو الفرق الموسيقية، فإن مساحة الاستمتاع بالإبداع تكون أكبر بكثير. حتى لو كانت هناك صراعات واختلافات في الرؤى، فإنك تكون محظوظاً؛ لأنك تتكلم مع شخص ما، تخرج طاقتكم وانفعالاتك تلك.. تتحدث عن عملك القادر الذي يولد بين يديك الآن وفي ذهنك.. وتبتعد ولو بقدر ضئيل عن الوحدة المجنحة.

أما النجاح الذي حققوه فهم محظوظون به؛ لأنَّه أنقذهم من كابوس واجهوه طوال ثمانية سنوات متصلة، وهو كابوس الخوف من أن ينتهي كل ما تقوم به إلى المجهول وألا يصل لأحد، وألا تخلق تلك اللحظات المؤلمة الطويلة التي مرت بها شيئاً ذا تأثير حقيقي يُعترف به.. فأنت تحتاج إلى من يخبرك بأنَّ ما تقوله قد وصل، وغير حياته أو تفكيره أو رؤيته لنفسه ولو بقدر بسيط.. إنه النجاح، هو الذي يطمئنك بشكل ما أنك قد وصلت، أو «تحقيق» كما يسميها المتفقون.

ولكن إلى أن يتحقق هذا النجاح تظل تضحي كثيراً كي تبدع شيئاً وأنت لا تتوقف عن السؤال: كم كتاباً سأكتب ولا يقرؤه سوى بعض مئات؟ كم أغنية ستصدر ولا يسمعها سوى عشرات؟ كم حفلًا سنقيم دون أن يحضره أحد؟ هل ستكون كتبي مجرد أغلفة ملقة على الرصيف دون أي شيء يميّزها؟ هل أنا مجرد واحد ضمن ملايين يبدعون كل يوم حول العالم دونما تأثير يذكر؟



هذه الأسئلة مدمرة.. وحين تنجح فإنك تنساها تماماً لأنك تستبدلها بأسئلة أخرى عن الحفاظ على النجاح والاستمرار فيه والتفوق على منافسيك. ولكن هذه الضغوط لن توافي أبداً شعورك بأنك تحترق من أجل أن تنير فراغاً لا يشغله أحد.

والنجاح يعني أنك قد أثربت.. وأن هناك من يؤمنون بك، وبما تقول.. وبالتالي فإن الهدف الذي من أجله بدأت هذه الرحلة، والذي من أجله ضحيت كل هذه التضحيات، قد تحقق أخيراً.. لقد صرت مسماوغاً، متواصلاً مع جماهيرك، لقد بدأت بالفعل تتحقق التغيير الذي تنشده في نفوس كل من يتلقون فنك.. أليس هذا حظاً رائعاً لا تصيبه سوى قلة؟ كيف يمكن لأي إنسان حقق هذه الأمور أن ينساها ويغفل عنها؟ بل ويسمح بأن تصبح مهددةً بالفناء؛ بسبب خلاف أو تضائق أو صراع؟ كيف؟!

هذه هي الأسئلة التي كنت أحاذل أن أبحث عن إجاباتها وسط ظلام هذه الفترة الكئيبة.



الفصل الحادي والعشرون

هواري (1)

الدور العلوي بشقة هواري به غرفة مخصصة بالكامل لمعاداته، يتدرّب فيها ويُعمل على الكمبيوتر ويُلعب القديو جيمز المهووس بها.

«تعودت منذ صغرى أن أعيش في صمت.. كان أبي لا يتسامح أبداً في وجود أي ضوضاء بالمنزل، يمكن أن أشاهد فيلماً كاملاً دون صوت. كنت كلما أعزف في المنزل أحرص ألا أزعج الجيران أو أي شخص يعيش معي، لا أريد أن يشعر بوجودي أحد». تقاطعه سارة التي كانت تجلس معنا في حديقة المنزل الصغيرة: «هذا بالطبع إلا عندما بدأ يتعلم الترامبيت»، ويعلق هواري أن هذا أحد أسباب عدم تمكنه من الآلة الصعبة؛ لأنه لا يتدرّب عليها كفاية بسبب صوتها المزعج.

هذه هي جلستي الثالثة معه.



أحبّ هواري الترامبيت من موسيقى أفلام الغرب الأمريكي ورعاة البقر التي كان يسمعها في صغره.. منذ فترة أراد أن يتعلم آلة جديدة ليبتعد عن الجيتار قليلاً ويوسع من مداركه الموسيقية ويضيف صوتاً جديداً للفرقة.. أراد الاختيار ما بين البيانو والتشيللو والترامبيت، وبما أن شريف مصطفى يلعب البيانو بالفعل والتشيللو صعب جدًا مثل بقية الآلات الوتيرية وصوته منخفض لا يناسب ديناميكية الفرقة، فكانت الترامبيت.

جاء قرار هواري للعمل على ألبومه المنفرد في 2016 في خضم فترة التحضير لألبوم «نقطة بيضا»، والتي استعرضنا ملحمًا منها في فصل سابق.

شعر هواري أن مساحته تقلصت بعد النظام الجديد الذي تم وضعه بتولي أمير وشريف الجزء الأساسي في الأغاني، ثم يضيف الباقيون إسهامهم وفقاً للإطار الموضوع مسبقاً.

طبعاً هذه الطريقة شديدة الإزعاج و«التكلف» لهواري؛ فهو يريد أن يشعر بحرি�ته كاملة.

«في النهاية حينما يخرج الألبوم سأكون قد ساهمت بشكل يرضيني في أغنية أو اثنتين. أما في بقية الأغاني فإني أُولف وأعزف جملي الموسيقية على الجيتار حسبما يطلب مني، وطاقتى الإبداعية بالتأكيد أكبر من مجرد أغنية كل عام».

«دائماً أشعر بأن الأغنية لها مدبر ونائب ثم يأتي بقية الموظفين، وهذا يجعلني أضطر للمحاربة في كثير من الأحيان وأحبط من المحاولات المستمرة؛ لأن قناعهم بوجهة نظرٍ.. في أغاني مثل «لكن إحساسِي مش كفاية» أو «إحنا الشعب»، بذلت جهوداً مضنية وتجادلنا كثيراً كي يتركوا الصولو الذي لعبته كما هو».

يُسمعني أغنية «لكن إحساسِي مش كفاية».. موسيقاه هو بالكامل. تحمل بصمة كايروكي الأولى، الموسيقى الغربية البسيطة غير واضحة الشخصية.. «الأغنية 4 دقائق. الصولو هنا دقيقتين كامتين، هذه هي الأغاني



التي تربينا عليها أنا وأمير وتأمر حينما كنا نستمع لـ «Guns N' Roses».

«أنا أكره المواجهات والسياسة وليس لدى طاقة للجدال، وبالتالي أستسلم بسهولة، ومرة بعد مرة.. وجدت أنني مقيد فكريًا وإبداعيًّا، ومن هنا وجدت أنني محتاج فعلًا؛ لأن أجد متنفسًا آخر لهذه الطاقة التي ستساعدني بكل تأكيد على أن أشارك مع كايروكي بأعصاب أكثر هدوءًا وباهتمام أكبر».

«حينما كان أمير يمر بفترة صعبة إثر مرض والدته ووفاة والده، قرر ألا يستمر في إدارة الموضوع بسبب الخلافات الفنية والإبداعية التي كنا نمر بها جمیعاً في تلك الفترة. واستقر الأمر على قيادتي للرؤية في هذه الفترة؛ لنخرج بالألبوم الخامس الذي تأخر كثيرًا.. قررت أن نقوم بعمل ألبوم صيفي يحوي 4 أغاني فقط، وبدأت العمل عن قرب معه، وكنت متھمساً أن آخذ فرصتي في كتابة الكلمات إلى جانب التلحين».



وصل هواري إلى حائط سد بعد عدة محاولات للخروج بالأغاني.. لم تكن الظروف أو ضغط الوقت يساعدان على إنجاز ما كان يريد، خاصةً مع طبيعته المتمهلة في العمل.

«سرعان ما بدأ شريف يشتكي أن الكلمات لا تعجبه، فقمت بتعديلها، ويخبرني بأن التعديل لم يعجبه بعد، ثم عرض أمير أن يساعد ويكتب الكلام هو.. وافق شريف على الفور، فتضاعفت جدًا بالطبع. وفي النهاية لم يكتب أمير أي شيء لأنه غير مقتنع بموضوع الأغنية، فأخبره شريف أن يكتب أي كلام يعجبه في أي موضوع على اللحن».

وهنا شعر هواري أن شريف يأخذ جانب أمير، وغير متحمس له ككاتب أغاني، وعاد أمير بعد فترة انقطاعه المعتادة؛ ليقرر أنه يريد أن يتولى رؤية الألبوم الجديد ويقوده مرة أخرى.

«ولأنني أكره المواجهات، وثقةً مني في رؤية أمير، وافقت على الفور أن يعود لتولي زمام الأمور حينما



أصبح مستعداً.. ولكنني أدركت أنني قد اكتفيت من فكرة أن أبدأ في شيء ثم يُسحب مني.. لم تكن أول مرة».

كان ذلك في يونيو 2016.. «في سبتمبر من العام نفسه بدأت العمل على ألبومي».

«لا أريد أن يذكروني التاريخ كعازف جيتار فقط.. أريد أن يذكروني كأسطورة.. لا علاقة للأمر بالناحية المادية تماماً؛ فأنا لا أعرف إن كانت أعمالي ستصل إلى جماهير غفيرة أم لا، ولكنني أريد أن أكتب ما أنا مقتنع به دون تدخل من أي شخص».

في غرفته نسمع لديموز أغانيه.. «بابا» و«أمي» وغيرها.. الأغاني تحمل بصمتها الواضحة. وبها قدر من الملحمية والأثيرية، التي لا تجدها كثيراً عند كايروكي.. هناك كثير من الغضب أو ربما القوة المكتومة. يحب أن يأخذ هواري وقته في بناء الأغنية بمقدمة موسيقية طويلة، Verses متعددة، وطبعاً



صولوهات تأخذ وقتها في البناء وبلغ الذروة ثم الهبوط مرةً أخرى.. الكلمات أيضاً التي يكتبها تغلفها الكآبة التي تلائم صوته وشخصيته.. الأمر فني بحت وأعتقد أنه متفرد للغاية، ولكنه ليس لكل الأذواق. ولكن لا أنكر أن لديه قدرة رائعة على خلق جمل موسيقية مؤثرة لا تنساها بسهولة.

حين أخبره بلاحظاتي تلك يعقب: «هذا بالضبط السبب الذي يدفعني إلى أن أقوم بعمل ألبومي الخاص.. أنا هنا متحرر تماماً من فكرة ماذا يريد الناس، هل سيعجب هذا الجمهور أم لا؟ هناك أغانيات تطول لمدة عشر دقائق، ومقدمتها 3 دقائق، هل سيعجب ذلك كل المستمعين؟ بالطبع لا.. وبالطبع أحاول الاستفادة برأي من حولي وأستمع إليهم، ولكن أن تستمع لرأي شخص دون أن تكون مضطراً للتقييد به أمر يختلف تماماً عما يحدث حين ت العمل مع 4 أشخاص أحتج أن أقنعهم برأيي وذوقي».

ويفكر هواري في مختلف التفاصيل. حتى الطبقات الاجتماعية المختلفة التي تستمع لأعماله، ويدرك جيداً



أن هذا الألبوم ليس للجميع، وإن كان يتوقع أن تعلو استجابة الجماهير الذين يشاركونه الخلفية الثقافية والاجتماعية نفسها، ويرون الدنيا كما يراها.

في ألبومه الخاص يكتب هواري الكلمات، يعزف الجيتار بأنواعه والتراكيب، ويوزع ويغني.

وعن الفنانين الذين يتأثر بهم في موسيقاه عموماً خاصةً في ألبومه يذكر: توم وايتس، موريكوني، ليونارد كوهين، ونيك كايف. وكلهم موسقيون يقدمون أشكالاً موسيقية ليست بالسهلة أو المنتشرة حتى المستمع الغربي، وفيها قدر كبير من الانتقائية.

ومعرفة هواري الموسيقية وذاكرته اللحنية مخيفة.. ذكر في إحدى المرات أنه ركب معه السيارة وما أن فتحت الكاسيت التقط اسم الأغنية بعد الثانية الأولى بالضبط من بدايتها.. كانت الأغنية الأولى من ألبومه المفضل لفرقة Camel وهو Harbour of Tears.



«أركز على خلق الأصوات واستكشاف المجهول من الموسيقى.. أترجم المشاعر.. أخرج أفضل جودة ممكنة؛ إذ إن الجودة بالنسبة لي مهمة. أمضي أسابيع «أتفرج» على فيديوهات؛ لأعرف لماذا Pedal أفضل من Pedal ثانية.. أشتري الكثير والكثير من المعدات. لست جيتارист سرعة ولا تكنيك، ولكن الصوت النهائي بالنسبة لي هو الأهم.. أستثمر كثيراً. الجيتار الجيبسون الأحمر ليس جيتاري المفضل، ولكنه الأنسب لصوت كايروكي. أما إذا كنت سالعب وحدى، فسوف اختار الفيندر، وهو جيتار ديفيد جيلمور، لأنه الأكثر تعbirية».

هذه الفروق والخصائص لا يعرفها الجمهور ولا يتصورونها حينما يستمعون إلى أغنية، ولكنها حياة كاملة تمضي في هذه التفاصيل؛ حتى يخرج ألبوم يستمع إليه أكثر من 100 مليون شخص في أقل من شهرين من صدوره.

أسأله عما قاله لي أمير من أنه عرض عليه أن يكون هذا الألبوم ألبوماً لـ«كايروكي»، مع الحفاظ على كل



الحرية الإبداعية التي يريدها هواري.. كان أمير قد أخبرني من قبل: «نحن مستعدون لأن نعمل ك مجرد موسقيين بأجر نسجل معه ما يريده دون أي تدخل منا، وهذا سيفيد الفرقة ويخلق تنوعاً وتجربة جديدة نرى فيها رأي الجمهور في صوت مختلف من الفرقة.. المغامرة تستحق القيام بها بغض النظر عن رد الفعل».

«رفضت طبعاً؛ لأن هذا سيضر بالألبوم وبـي؛ فالجمهور تعود من كايروكي نوع أغاني ومواضيع معينة، فهل سيقبل فجأة أغنية عن حقوق الحيوانات مثلاً؟ إذا كان 30% من المصريين يستمعون إلى كايروكي، 10% منهم فقط سيقبلون ألبوماً كهذا، وساعتها سيؤثر عليهم الرافضون بشكل سلبي للغاية، وفي الحقيقة سأدفع أنا والفرقة الثمن».

ويشرح لي هواري الفرق بين أغانيه وأغاني أمير؛ فأمير أغانيه أسرع وأكثر بهجة ومن مقامات أعلى وأكثر تفاؤلاً وخفة، ولذلك يستخدم مقام ال Major أكثر.. أما هواري فيجذب إلى مقام ال Minor أكثر؛ حيث الهدوء والمشاعر الأكثر تعقيداً.

كذلك يعترف هواري بأنه لن يترك لأي مساحة لأي عضو في الفرقة كي يبدع، فهو يعترف بأنه «ديكتاتوري» فيما يخص العمل على أغانيه، وأنه لن يستمع سوى للموزع الذي يتعاون معه.. دكتاتورية هواري يشكوا منها أمير وشريف أحياً تماماً كما يشكوا هو منها لديهما.. هناك جزء إنساني أناي داخل كل فنان، يطمح إلى أن يحقق رؤيته وحده دون تدخل، وأن يرى اسمه يتتصدر الأفيشات والألبومات، وأن يراه الجمهور أكثر من مجرد عضو في فرقة.. أعتقد أن لدى هواري شيئاً من ذلك .

«أمتلك من الموهبة ما يؤهلني أن أقوم بعمل أغنية كاملة من حيث: الكتابة والتلحين والتوزيع والغناء، وبالتالي أستطيع أن أعتمد على نفسي في هذه النواحي.. لا تفهمني بشكل خاطئ، أنا أستمتع وأفخر بكلوني جزءاً من كايروكي، وبالتالي أنا سعيد للغاية بأن ألعب دوراً في الفرقة، وفي الوقت نفسه لا أرى ضرراً في أن يكون لي منفذ خاص الذي أخرج فيه ما بداخلي من طاقة إبداعية.. تامر أراد أن يمثل



وشعناه أن يأخذ دروس تمثيل ويكتشف هذه الناحية بداخله.. نحن لدينا خط أحمر واضح: لا أحد منا سيذهب ليلاعب مع فرقة أخرى، وما دون ذلك فأي شخص من حقه أن يكتشف قدراته في مكان آخر. ولذلك أعتقد أن ليس هناك منطق لأحد أن يعترض على قيامي بعمل ألبوم وحدي.. المعيار هو أن أي عضو يفعل شيئاً لوحده يشرف الفرقة ولا يقلل منها ويحافظ على مكانتها.. تماماً كما يقوم أمير بعمل إعلانات أو حفلات وحده، أو يقوم تامر بالتمثيل أو يقوم شريف بعمل موسيقى تصويرية للأعمال تليفزيونية».

وعلق هواري أكثر من مرة على فكرة أن مطرب أي فرقة هو من يحصل على كل الأضواء، خاصةً مع شخصية ذات كاريزما ورؤبة كأمير؛ مما يشير بوضوح إلى وجود لعبة توازن قوى بينهما، وهو ما لا يقال أبداً حتى في حواراتهم وجداولاتهم المستمرة ولكنه يبدو كشيء في الخفاء، ككائن ضخم يسبح في العمق تحت السطح.

«لقد ماتت قلوبنا كمصريين منذ زمن بعيد؛ بسبب الضغوط السياسية والاجتماعية التي نعيشها. ومع الوقت أصبح تذوقنا للكلمة التي تعبّر عن إحباطنا أو معاناتنا وتعطشنا لها أكبر من قدرتنا على تذوق الموسيقى الخالصة والجريدة، وهنا تكمن قوّة أمير الحقيقة، وبالتالي ليس منطقياً أن أجادله في جزئية الكلمة، وبالتالي ليس أمامي سوى الموسيقى، وهي مسألة نسبية؛ فقد يحبها تامر ولا يحبها شريف.. وساعتها ندخل في كمية تعديلات رهيبة، ويتمسك شريف بحقه في الرؤية النهائية للعمل من الناحية الموسيقية، وهي جزئية يوافق أمير تماماً على أن يتركها له بحرية تامة».

يضع هواري كل ما يملكه على المحك؛ من أجل هذا الألبوم حتى أنه يخاف أن يموت دون أن ينهيه.

«كثيراً ما قمت بعمل أغاني أعرف جيداً أنها Hit رهيبة، وأكون متأكداً من ذلك، فأرسلها لأمير ولكنه يخبرني أنها لن تنفع، وفي مرة لحت كلمات «أنا مش قادر»، ولكن أمير غير اللحن ونزلت. أتفهم تماماً أن بعض



الأغاني تحتاج إلى مزيد من العمل عليها، ولكن لم لا يحدث ذلك في النهاية؟ ولا أحد يعمل عليها وتلقى بعيداً.. هل لأن أمير لا تعجبه؟ هل لأن أمير يظن أنها لا تتواءم مع بقية الفرقة؟ لا أدرى، ولكن هذا هو الواقع».

أسأله: «والحل؟ لماذا لا تواجه إذا كنت ترى أن هذا حقك؟».

«ساعتها سنكرر مأساة تكررت كثيراً من قبل حول العالم.. سنصبح بول مكارتنى وچون لينون، أو روجر واترز ودافيد جيلمور. سندخل في مواجهة من أغانيه أفضل، ومن من حقه أن يقرر، ونحتكم إلى بقية الفريق، فيحصل تصويت على من الأفضل، وتبدأ الجبهات في التكون، وتهار الفرقة.. لن أقبل بذلك أبداً».

ويطمح هواري إلى أن يأخذ المكانة التي يريد لها داخل الفرقة، ولكن ليس لمجرد أن أمير أو غيره يمنحه فرصة، ولكن أن يأخذها حين يحقق مكانة كبيرة خارج



كايروكي يعترف بها العالم كله و ساعتها يعود إلى كايروكي منتصراً.

«لم يكن أمامي إلا حلٌّ من أربعة: أكتم الموضوع وأحبط موسيقى، أو أنتج ألبوماً شخصياً، أو أتعارك مع أمير.. أو أترك الباند.. لا أريد أن أبني على اسم كايروكي بأن أنشر أعمالني من خلالها، ولكن أن يتم الاعتراف بي وحدي. ولغة التفاهم بيني وبين شريف ليست أفضل ما يمكن.. هناك شيء ما في الكيمياء يحتاج إلى أن نضبطه.. أنا أحب شريف على المستوى الشخصي بالطبع وأرى أنه موهوب للغاية، ولكن طريقي في العمل مختلفة تماماً عنه».

ثم يستكمل: «ما مهمة المنتج الموسيقي؟ أن يخرج أفضل ما في الفرقة التي يعمل معها، مثل جورج مارتن مع بيتلز، والذي كان يتحدث ويناقش كثيراً مع الفرقة ثم يتركها تبدع ويأخذ ما يخرجون به ويضعه في شكله النهائي».



أما شريف فيرى أن هذه الطريقة أدت إلى الفوضى وهذا رأي أمير، خاصةً مع هواري الذي يلومه أمير دائمًا على أنه يعاني من مشكلة عدم الاتساق أي لا يسير على وثيرة واحدة، في فترة يعمل بنشاط كبير ثم يهدأ بعدها ولا يظهر لفترات أطول.

«يجب أن يترك شريف الفوضى تسيطر.. الفوضى جميلة، وخلقية ومبدعة».. يقول هواري تعليقًا على رأيهما. «لم تحدث هذه الحرية الفنية إلا في أغنية «كنت فاكر» والجزء الخاص بعد الرحمن في «نقطة بيضا»، أما عن عدم استمراري في العمل لمدة طويلة؛ فذلك جاء كنتيجة للإحباط وليس العكس.. ولكن يجب أن أعترف أن وصول ابنتي إيزابيلا للدنيا أخذ مني الكثير من التفكير والجهد، وربما انعكس ذلك على تركيزي لفترة».

ويستطرد: «أتفهم لماذا يرى شريف الأمر من هذه الناحية؛ لأنه ينتمي إلى نوع آخر من المنتجين الموسقيين، وهو النوع الذي يفضل بناء الأغنية من



الصف، وهو النموذج الرايوج حالياً في صناعة الموسيقى، حيث يضع المنتج الهيكل الخاص بها، ثم يأتي بك لتلعب الجزء الخاص بك فقط.. هذه هي نقطة الخلاف».

ويحكي لي هواري عن مثال لعدم وجود كيمياء بينه وبين شريف في مسألة الإنتاج الموسيقي: «يمكن أن أمسك بالجيتار ألعب لمدة ساعة، وفجأة تخرج نغمة جيدة للغاية، فيلتقطها أمير ويقول: «هذه رائعة، حافظ عليها.. كررها». أنا أيضاً أتمتع بهذا الحس، أن ألتقط النغمة التي تعجبني وأعلم مباشرةً أين تقع في الأغنية. أما مع شريف فيمكن أن أظل ساعة ألعب النغمة نفسها ولا يختارها أو يقرر ماذا يريد. في مرة ظللت أعيد نغمة لأغنية «نقطة بيضا» السريعة.. مرة وراء مرة، وشريف يستمع لي دون أن يعلق. وما أن دخل أمير الغرفة حتى قال: «هي دي.. ساعتها عرفت أنها النغمة الصحيحة للأغنية، وساعتها أيضاً عرفت أن لدي مشكلة مع شريف».

وأجابني شريف حين سأله عن هذا الأمر أنه عكس ما فهمه هواري، وأنه لم يكن يريد التعليق على ما يقوم به؛ حتى لا يشعر بأنه يوجهه لأنّه يعلم مدى حساسيته من هذه النقطة: «كنت بالعكس أهدف أن أترك له الحرية كاملة أن يفعل ما يريد، فقط في حدود الأغنية الموضوعة، وهو أمر طبيعي حتى تكون لدينا أغنية متماسكة ذات شكل واضح.. فكرة «قلب» الأغنية رأساً على عقب كل مرة نعمل عليها معاً لم تكن تؤدي إلى شيء بالمرة».

يضرب لي هواري مثلاً بأغنية «لفة»، يشغلها لي، وفي الدقيقة الثالثة يبدأ Riff في الخلفية، نستمع له بينما يرفع هواري صوته لأسمعه: «هذا الـ Riff لم يكن موجوداً في البداية، ولكن لأنّي كانت لدي مساحة في التدخل في البناء الأساسي للأغنية فقد تمكنت من إضافته، ونقل الأغنية لمنطقة أخرى موسيقياً. إن مثل هذه الأشياء غير ممكنة مع شريف فهو منظم ومحدد بشكل كبير، ويترك المساحة لنفسه فقط كي يضيف ويحذف».

وأعتقد أن طريقة تفكير هواري المرنة في التعامل مع هذا الأمر تظهر بعدًا استراتيجياً وشديد الذكاء منه.. يمكن أن ترى هذا الجانب في هوس هواري بالألعاب الإلكترونية التي تعتمد على الكثير من التخطيط، وترى هدوءه وصبره حتى في وضع خطط الفريق الذي يلعب به في فيفا. إن هناك تشابهًا واضحًا بينه وبين أمير في هذه الجزئية يجعل تواجدهما معاً في فرقة موسيقية واحدة أمرًا ليس سهلاً بكل تأكيد.

بعد ذلك اللقاء بشهرين سأستمع لألبوم «نقطة بيضا» يوم صدوره وأرسل رسالة لهواري: ما فعلته في هذا الألبوم هو أقرب ما يكون إلى معجزة. فيرد بسؤال: فعلاً؟ أعتقد أن هذا أقل ألبوم عملت به ماعدا «كنت فاكر» و«اضحك»، فأرد: لأنك مختل ومجنون.. على فيسبوك كانت الأغلبية الساحقة من التعليقات تنصب في أمرين: صوت عبد الرحمن غير الواضح في «نقطة بيضا»، وجمال إسهامات هواري في الأغاني.

«أعلم أن هناك قدراً من المشاعر السلبية التي تدور في الفرقة الآن، ولكننا إخوة. ولا يوجد شخص أثق



في رأيه في العالم كأمير.. وطبعاً آدم وتمام، وشريف - يضحك وهو يكمل - يمكن مش أوي، لأنه يتفلسف كثيراً، (دائماً ما أتهم شريف بالسفسطة الفارغة والجدال العقيم).. وأنا متأكد من أنهم جمياً يريدون الأفضل لي».

وليس ما يقلق الفرقة هو ما يفعله هواري، ولكن أن يكون في طريقه إلى فقدان حماسته لكايروكى.. هناك رادار شديد الحساسية لدى جميع أعضاء الفرقة لأي فتور ينتاب أيّاً من أعضائها.

الفصل الثاني والعشرون

عن الإنتاج الموسيقي

بدأت الموسيقى منذ فجر الإنسانية الأولى، وكانت آلات مثل الها رب والناي والترامبيت من الآلات الموسيقية القديمة التي استخدمها المصريون القدماء.. كذلك شهدت العصور اليونانية نهضة في الموسيقى وإن كانت لم تدون، وبالطبع استخدمت القبائل الإفريقية والهنود الحمر آلات الإيقاع منذ أمد بعيد جدًا حتى اليوم.

وكان للعرب إسهام كبير في عصور النهضة الإسلامية مع ظهور علماء كالفارابي وابن سينا، وملحنين مثل زرياب وغيرهم.. عادت الكفة للعالم الغربي وازدهرت الموسيقى مع ازدهار الكنيسة الغربية، وكانت مثل الرسم والنحت والمعمار من أدوات دعم الكنيسة والجانب الروحاني للحضارة المسيحية.



أَتَتِ الطُّفْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ بِاخْتِرَاعِ أَدْوَاتِ مُوسِيقِيَّةٍ
 مُخْتَلِفةً كَالْكَمَانِ وَالْأَلَاتِ النَّفْخِ النَّحَاسِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ
 فِي وَقْتِ ظَهُورِ التَّدَوِينِ الْمُوسِيقِيِّ نَفْسِهِ، أَيْ إِنْ
 الْمُوسِيقِيَّ الْآنُ أَصْبَحَتْ لَهَا قَوَاعِدٌ وَلِغَةٌ مَكْتُوبَةٌ،
 وَبِالْتَّالِي يُمْكِنُ بِنَاءُ تِرَاثٍ وَتَارِيخٍ مَكْتُوبٍ وَمُوْتَقَّعٍ كَعَسْ
 مَا كَانَ يَحْدُثُ قَدِيمًا حِينَ كَانَتِ الْأَجِيَالُ تَتَنَاقِلُ
 الْأَغَانِيَ وَالْأَلْحَانَ سَمَاعِيًّا.

شَهِدَ عَصْرُ النَّهْضَةِ ثُمَّ العَصْرُ الْبَارُوكِيُّ طُفْرَةً هَائِلَةً،
 وَظَهَرَ وَقْتُهَا مُوسِيقِيُّونَ عَظَامٌ مُثْلُ بَاخَ وَهَانَدَلُ، ثُمَّ
 ظَهَرَ مُوزَاتٌ وَبِيَتْهُوْقُنْ لِيَبْدأُ مَعَهُمَا العَصْرُ الرُّومَانِيُّ
 فِي الْمُوسِيقِيِّ، الَّذِي اسْتَمْرَ حَتَّى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ
 عَشَرَ، وَظَهَرَتِ الْمُوسِيقِيُّ الْحَدِيثَةُ بِبِدَائِيَّاتٍ عَلَى يَدِ
 فَاجِنَرِ وَمَالَرِ حَتَّى انْطَلَقَتْ إِلَى آفَاقٍ وَاسِعَةٍ فِي الْقَرْنِ
 الْعَشَرِيْنَ.

كَانَ الْفَنَانُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُسَمَّى مَؤْلِفًا مُوسِيقِيًّا
 (Composer)، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ كَانَ يَؤْلِفُ الْمُوسِيقِيَّ
 وَيَدُونُهَا وَيَوزِعُهَا عَلَى آلَاتِ الْأُورْكَسْتَرَا.. كَانَ هُوَ الْفَنَانُ



الشامل أو الموسوعي بمفاهيم ذلك العصر، حيث كان يقوم وحده بكل هذه المهام.

بالطبع كان الغناء موجوداً طوال تلك الفترات. ويقول الدكتور فؤاد زكريا في كتابه «التعبير الموسيقي» (1956)، إن الغناء يسبق الموسيقى في الظهور، حيث إن الإنسان الأول اكتشف في صوته هذه القدرة، وكانت الهبة التي وضعها الله بداخله تدفعه لا إرادياً للغناء؛ كي يرُوح عن نفسه ويضمد جروحه ويعبر عن مشاعره.. وهناك نظريات أخرى تقول إن الإنسان عرف الموسيقى من خلال نمط الإيقاعات المتكررة في الطبيعة من حوله، كأصوات العصافير أو حفييف الشجر أو خبط قطع الطوب والخشى الصغيرة على الصخور لإشعال النيران.

إلا أن الغناء الكلاسيكي اتخذ شكل الغناء الأوبراكي المعروف؛ ذلك الغناء الذي نسخر منه دائماً بسبب الصراخ المستمر. والغناء الأوبراكي هو تطوير للغناء الديني الموجود في أوائل القرنين الثاني عشر والثالث عشر؛ حيث كان الغناء الديني غناءً جماعياً دون آلات



(Accapella)، واحتفل في هذه الفترة الغناء الجريجوري Gregorian Chant، وبعض من أبناء جيلنا كانوا يستمدون إلى فرق تغني بهذه الطريقة ولكن بمزجها بالموسيقى الحديثة، وانتشرت هذه الفرق في التسعينيات مثل: Gregorian Era، كما استطاع الغناء الأوبرالي أن يجد طريقه إلى موسيقى الميتال في فرق الـ Symphonic Metal، مثل فرقة Nightwish الشهيرة.

المهم أن الموسيقى اتخذت منحنى خطيراً وثورياً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وجاءت الانطلاقة من أمريكا، العالم الجديد، حيث كان العبيد السود يعانون أشد المعاناة من الظلم والقهر على يد السادة البيض، وخرجت هذه المعاناة في غنائهم الذي كانوا يغونه في المزارع والحقول وهم يعملون. كان العبيد قد تعلموا الإنجليزية واستمعوا إلى موسيقى الرجل الأبيض، كما اخترعوا بفقراء البيض الآتين من أيرلندا وإيطاليا محملين بتراويمهم الموسيقى الشعبية، ولكنهم أيضاً توارثوا الحانًا وأشعارًا من آبائهم.

وأجدادهم الذين جاءوا رأساً من إفريقيا. وحافظاً على جذورهم الإفريقية، قاموا بدمج الاثنين مع بعضهما البعض فخرجت موسيقى مؤلمة وحزينة سميت بعد ذلك باسم البلوز، من مصطلح Blue، والذي يشير في الإنجليزية الدارجة إلى حالة الشجن أو الكآبة.

وبعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية، انتصر الشمال الذي كان يدعوا إلى تحرير العبيد وإعطائهم (بعض) الحقوق؛ مما أدى في السنوات التالية إلى ظهور أجيال من السود المتعلمين، الذين سمح لهم بالدراسة في المدارس بل وأحياناً الجامعات. كذلك بدأ دمجهم في المجتمع، وكان من أفضل الفرص التي تناح لهم هي العمل في مجالات الترفيه، الكلمة الأهم على الساحة الفنية الأمريكية حتى اليوم Entertainment؛ فعمل كثير منهم في الموسيقى وبدعوا في نشر الموسيقى الخاصة بهم عبر فرق تجوب القارة شمالاً وجنوباً، كما بدأ بعضهم في دراسة الموسيقى بشكل محترف، واستطاع هؤلاء أن يدمجو تراثهم الموسيقي الإفريقي بالموسيقى الغربية، ورغبةً منهم في العثور



على صوتهم بحثاً عن الحرية التي كانوا يفتقدونها، ذهبوا إلى كتابة موسيقى متحركة من كثير من القيود الكلاسيكية المعروفة، فظهر الجاز كنوع من الثورة على الثوابت التي وضعها الرجل الأبيض منذ سنوات بعيدة.

ومع تزايد أعداد المهاجرين من أوروبا بدأ فن الأغنية والموسيقى الشعبية يظهران بقوة في الولايات المتحدة؛ لتزيد شعبيتها عن الموسيقى الكلاسيكية الخالصة. وصار الرقص أيضاً من الفنون واسعة الانتشار، مستمدًا هذا الفن من الفنون القبلية القديمة، وكانت الموسيقى السوداء جاهزة بقوة للعب هذا الدور.

ومرة أخرى يحمل القرن الجديد قفزة هائلة، فقد تمكن توماس أديسون، المخترع الشهير، من اختراع الجرامافون، وهي آلة تستطيع تسجيل الموجات الصوتية وإعادة تشغيلها مرة أخرى على أسطوانات، وبعده بسنوات ظهر الراديو.. وبالتالي أصبح من الممكن لأول مرة في التاريخ أن يتم تسجيل



الموسيقى والاستماع إليها في أي وقت دون الحاجة إلى الذهاب إلى المسرح، وتعد هذه ثورة إنسانية وشعبية كبيرة؛ لأن الموسيقى لم تعد فنًا مقصوراً على الأغنياء والمرفهين القادرين على ارتياح المسارح ودور الأوبرا، وأصبحت في متناول يد الشخص العادي الذي يستطيع أن يستمع إليها في أي وقت مهما بلغت مكانته الاجتماعية.

وهنا ظهر الموسيقي الموهوب الذي يستطيع أن يلعب الموسيقى ويؤلفها دون أن يحتاج إلى تدوينها أو توزيعها، وتراجع دور المؤلف الموسيقي الكلاسيكي، ولكن أصبح له دور كبير في تأليف وتدوين الموسيقى المستخدمة في الأغاني والأعمال الموسيقية التي تنتمي إلى أنواع موسيقية Genres مختلفة.

ومع استماع الناس للموسيقى في بيوتهم لأول مرة في التاريخ، تغير الأمر برمته. وظهرت صناعة الموسيقى وظهرت الاستوديوهات التي يتم فيها التسجيل. وكانت طريقة التسجيل سهلة وبسيطة:



فقط ميكروفون واحد، تقف الفرقة أو المغني أمامه ويعزفون، ويتم التسجيل وينتهي الأمر.

ولم يكن يوجد ما يسمى بالمิกسر، هذه اللوحة الكهربائية ذات الأزرار الكثيرة التي ترى مهندس الصوت يصعد ويهدى بها في الاستديو، وبالتالي لم يكن هناك أي تحكم في مستويات الصوت أثناء أو بعد التسجيل، وكان العازف إذا أراد أن يلعب صلوو مثلاً ويكون صوته أعلى من بقية الفرقة، فعليه أن يقترب من الميكروفون، وما أن ينتهي يعود إلى مكانه مرة أخرى، ويأتي مكانه المغني. وهكذا.

ومع تطور تكنيات التسجيل، ظهرت وظيفة مهندس الصوت الذي يتولى مهمة التسجيل.

يخبرني شريف أن ثمة نقطة تحول مهمة في هذه الفترة هي ظهور موسيقي ومخترع اسمه Les Paul (1915 - 2009). كان ليس بول رجلاً وحيداً منعزلاً، وسجل هو وزوجته مئات الأغاني وحدهما.. وإليه

يعود الفضل في الجيتار الكهربائي الذي نعرفه الآن، والذي قامت بتصنيعه بشكل تجاري شركة جيبسون (جيارات هواري وأمير من ماركة جيبسون بالشكل نفسه الذي صممه بول في أربعينيات القرن العشرين).

وكان ليس بول يمارس لعبة غريبة في ورشه المنزليّة: يقوم بعزف آلة ويسجلها. ثم يلعب آلة أخرى ويسجلها، ثم ثالثة، أو يلعب ألحاناً مختلفة على الآلة نفسها ولكن يسجل كل لحن على انفراد، ثم يغني بصوته فقط دون أن يعزف أي آلة، وهكذا، وبعدها يعيد تشغيل كل هذه التسجيلات مع بعضها البعض، ويسجلها مرة واحدة.

كان التأثير الصوتي الذي حصل عليه بول من هذه التجربة غريباً وجديداً، وهو ما كان يسعى إليه، فسجل عدة أغاني بهذه الطريقة وأصبح يكون فرقة كاملة من رجل واحد، ولكنه ظل سنوات لا يمتلك الجرأة؛ بسبب خجله الشديد للإفصاح عن هذه الأغاني، ولكن بعد بضع سنوات حينما واتته الشجاعة، كان له الفضل في



ظهور ما يسمى بالتسجيل متعدد التراكات - .track Recording

بهذه اللعبة المنزلية البسيطة غير يول شكل التسجيل الموسيقي، والموسيقى كل، إلى الأبد.

حتى الآن في الوسط الموسيقي يعد مهندس الصوت المسئول عن التسجيل من الناحية التقنية البحتة، كما يشمل دوره خلق الشكل الصوتي للأغنية، والتأكد من أنه يتم تسجيلها بالشكل المريح لأذن المتلقي، كما يقوم بدمج الآلات الموسيقية المختلفة وضبط المستويات المتعددة والمتدخلة لأصوات الآلات والمغني، واستخدام المؤثرات الصوتية.. وكل هذا يسمى بشكل أو باخر بالماسترنج، وهي المرحلة النهائية التي يمر بها أي عمل موسيقي قبل أن يتم إصداره. ومع تطور التكنولوجيا أصبح الميكسر الشهير مجرد أزرار رقمية تتحرك صعوداً وهبوطاً على شاشة الكمبيوتر.

ولكن مع مرور الوقت، وتعدد الأشكال الموسيقية، وظهور فكرة الفرق الموسيقية التي تضم عدداً من العازفين والمؤلفين وكتاب الأغاني، ظهرت وظيفة جديدة اسمها المنتج الموسيقي *Music Producer*.

في الفيلم الوثائقي الرائع *Some Kind of a Monster* (2004)، نشاهد فرقة ميتاليكا تجتمع داخل الاستديو لأول مرة منذ ست سنوات كي يعملا على ألبوم جديد.. تستطيع أن تستنتج مبكراً أن جيمس هيتفيلد (المغني) ولارس أولريخ (عازف الدرامز) هما الشخصيتان المهيمنتان على الفرقة.. وبينهما يوجد شد وجذب مخيف لا ينقده سوى صداقتهما التي استمرت طوال عشرين عاماً حتى وقتها. طرف آخر في الصراعات الفنية داخل الفرقة هو منتجهم الموسيقي الشهير *Bob Rock*، والذي لعب دوراً شديداً الأهمية في مسيرتهم الفنية؛ حيث أنتج معهم خمسة ألبومات بدءاً من ألبوم *Master of Puppets*. وعلى الهاشم قليلاً تجد كيرك هامييت

(عازف الجيتار)، الذى يحاول أن يتحدث عن مشكلته في الاختيارات الفنية التي يريدون انتهاجها في الألبوم الذى يعملون عليه، حيث يريدون نزع الصولوهات تماماً ومنح الألبوم جودة خشنة وصوتاً عدوانياً، ولكن لا أحد يستمع لاعتراضاته تلك.. وأخيراً يأتي عازف البيز جيتار المنضم حديثاً (روبرت تروخيلو)، والذي يبدو عليه الانبهار من انضمامه للفرقة العظيمة.

كان بوب روك عازماً على أن يدفع بأعضاء ميتاليكا داخل الاستديو؛ كي يسجلوا ألبوماً بأي ثمن.. كانت مشكلات هيفنفيلد مع الشراب، ومعاناة أولريخ الأخيرة مع السرطان، ومغادرة چيسون نيوستد عازف البيز بعد 13 عاماً مع الفرقة كافية بأن تتجه الفرقة بسرعة نحو الفناء.. أضف إلى ذلك صراعهم الداخلي مع ظهور أسماء واتجاهات وأنواع جديدة في الميتال أصبحت تهدد عرش الفرقة العجوز، إلى جانب تراجع شعبية موسيقى الميتال عموماً، والتي كانت قد وصلت

ذروتها في الثمانينيات وواصلت شعبيتها في التسعينيات بفضل النجاح التجاري لميتاليكا.

«كانت هذه الفرقة عازمة على تدمير نفسها بكل قوتها» كما يقول روك. وكان دوره هو أن يكون القوة المسيطرة على هؤلاء الأطفال الكبار وأن يجبرهم على أن ينتجوا موسيقى ويعودوا إلى المشهد مرةً أخرى.

وبالفعل، تدخل الفرقة في عملية التأليف والتسجيل المضنية، وعلى الهاامش نرى كم المعاناة والضغط العصبي والنفسي الذي يمر به كل واحد منهم، وجهود المنتج في احتضانهم وإرشادهم، حتى أنه في أحد الأيام يأتي لهم بطبيب نفسي. كما يدفع بهيتفيلد لدخول مصحة لمعالجة الإدمان على الخمر، ويقدم لشركة الإنتاج تقارير حول تقدم الألبوم، ويحاول حماية الفرقة من أي نوع من أنواع الضغوط أو التدخلات التي قد تؤثر على إبداعهم، كما يحاول أن يدفعهم ليصلحوا من أنفسهم وينتصروا على شياطينهم كي يستطيعوا أن يخرجوا من رحم ذلك إبداعاً.

وكان ألبوم St. Anger.

وهو إن لم يكن أفضل ألبومات ميتاليكا، رغم أنه كان يحتوي على أغاني رائعة مثل: Frantic, St. Anger وأغنيتي المفضلة، The Unnamed Feeling، إلا أنه كان تذكرة خروجها من عنق الزجاجة، وأعطاهم قبلة الحياة التي منحتهم خمسة عشر عاماً إضافية في مسيرتهم الفنية.. تلك المسيرة التي كان من الممكن أن تنتهي مع آخر ألبوم أصدروه عام 1997 (Reload).

وهذا بالضبط هو الدور المثالي لمدير الفرقة/ المنتج الموسيقي.

دور المنتج الموسيقي شديد التعقيد والتدخل؛ فهو في الأساس فنان ومؤلف موسيقي وغالباً ما يكون متعدد المواهب، فلا يتلزم بلعب آلة واحدة ولكن لديه فكرة عن كل الآلات الموسيقية، تماماً مثل ال Composer الذي تحدثنا عنه منذ قليل، وبالتالي فإنه يؤلف الموسيقى أيضاً مع الفرقة في بعض



الأحيان أو يضع تخيلاً لمدى تصاعد الأغنية والأجزاء اللحنية الخاصة بها؛ وفقاً لموضع الكلمات. وفي بعض الأحيان يتولى المنتج الموسيقي تشكيل الرؤية الموسيقية والفنية للفرقة أو المغني، ويساعده على التعبير عن نفسه وفنه بأفضل صورة ممكنة.

ويشبهه شريف الـ Music Producer بالخرج السينمائي؛ فهو يضع الرؤية العامة للعمل الفني بالتعاون مع الفنان، ودوره أن يوحد المواهب والطاقات الفنية كافة في اتجاه محدد، وأن يتتأكد من أن الألحان والتوزيع والتسجيل ومراحل ما بعد التسجيل (المิกساج والماسترنج).. كلها تخدم الرؤية النهائية المتفق عليها؛ لأن كل فنان إذا عمل وفقاً لرؤيته الشخصية دون رؤية واضحة وموحدة، سيحدث كثير من التناحر والتضارب، يضيع معه التماسك الذي يمنح الأغنية أو الألبوم القيمة الفنية التي يريد إيصالها.

وداخل دور المنتج الموسيقي توجد عدة أدوار أخرى.. زادت وتعقدت وتدخلت مع التطور التكنولوجي؛



فأصبح يكتب ويؤلف ويسجل ويوزع، ويقوم بعمليات المiksاج والماسترينج في معظم الأحيان..

والناحية التقنية الخاصة بالتسجيل والمiksاج بها مئات إن لم يكن آلاف الاختبارات التي تؤثر في الناحية الفنية للعمل؛ لأنه هو الذي يتحكم في كيفية خروج الصوت النهائي، ونوعه ودرجات خصائصه، وما الآلات التي ستبرز والآلات التي ستختفت.. كيف يبرز صوت المطرب، كيف يقلل من الضوضاء.. ما درجة الإصداء، الحدة، ما المؤثرات الممكن استخدامها؟.. وطبعاً مع تطور التكنولوجيا وظهور برامج الكمبيوتر أصبح الأمر أكثر أهمية. ومن هنا نفسه أصبح يوجد نموذج مهندس الصوت والمنتج الفني، الذي هو شخص تقني وفنان في الوقت نفسه.

وتزداد صعوبة دور هذا المنتج - بالطبع - حين يتعامل مع فرقة موسيقية بها عدد من الفنانين وليس فناناً واحداً فقط، فليس هناك في الدنيا ما هو أصعب من العمل الفني الجماعي، ولذلك فإن التشبيه الذي يقوله شريف صحيح تماماً، فالعمل في فرقة موسيقية



يشبه تماماً العمل في السينما؛ حيث يتعامل كل شخص باعتباره فناناً وهو محق في ذلك، ويريد أن يخرج ما بداخله من إمكانات وفقاً لرؤيته، ولكن دون قائد يحدث الضياع لا محالة. وإن كان المخرج هو قائد العمل السينمائي بحكم الرؤية والمسؤولية واللقب، إلا أن في الفرقة الموسيقية الأصل هو المساواة، ولذلك فإن تقبل هذه الفكرة يزداد صعوبة، والاختلاف في الرؤية الفنية في كثير من الأحيان يكون هو السبب الرئيسي في تفكك كثير من الفرق، أو مغادرة عضو من أعضائها، فكل موسيقي لديه رؤية ويريد أن يؤلف لحنًا معيناً أو طريقة صوت معينة لرؤيته، ولكن حين تجد أربعة آخرين لديهم إسهاماتهم التي تحتاج لمساحتها هي الأخرى، فمن السهل أن يحدث الصدام.

ويعد هذا النوع من الصدامات أمراً يومياً في أي فرقة، تماماً كالحفلات واللقاءات الصحفية والتصوير مع المعجبين ومواجهة ضغوط احتياجات الحياة اليومية



المصاريف والأكل والشرب.. إنها جزء من المهام الوظيفية لكل عضو.

والتوزيع الموسيقي جانب نغفله كثيراً كمستمعين للموسيقى في مصر؛ لأننا لم نعتد لأن النموذج الشرقي منذ بداياته لم يعتمد كثيراً على هذه الأشكال الموسيقية؛ حيث كانت الكلمات واللحن الأساسي هي المهمة.

في الموسيقى الغربية توجد مفاهيم مثل الهارموني والكاونتربونيت، وهي ببساطة تعني أن تعزف عدة ألحان مختلفة في وقت واحد ويكون بينها تناغم.. هذه الفكرة تعطي غنى كبيراً جدًا للموسيقى، وفرضت تحديات كبيرة في التسجيل والتوزيع، وهي الطريقة المستخدمة اليوم في التأليف الموسيقي في معظم الأعمال الفنية العربية وبالطبع في الفرق الموسيقية.

فأنت في أغنية مثل «نقطة بيضا» مثلاً، تسمع صوت صفارة أمير، هذا لحن (Melody)، وبيانو شريف يعزف لحناً آخر، وعليهم صوت غناء أمير، وجيitar هواري، وإيقاعات تامر.. كلها خطوط لحنية مختلفة ولكنها متناغمة ولا تضائقنا.. بالعكس هذا التداخل والتعقيد هو ما يجعلك تشعر بهذه الشحنة العاطفية القوية.

وقد سألت أمير وشريف مراراً وتكراراً عن فكرة الموسيقي الدارس في عالم موسيقى اليوم، وكيف أن الموهبة وحدها لا تكفي، من وجهة نظري، لأن تصبح فناناً حقيقياً. ويواافقني جزئياً؛ فالحقيقة أن كل كايروكي يدرسون ويذاكرون ويجهدون، ولكنهم في الوقت نفسه، ليسوا على مستوى العلم نفسه الذي يتمتع به مثلاً دارسو الكونسرفتوار. ولكنهم دائمًا ما يجيبونني: «الروح والموهبة هي الأهم، وكم من دارس ليست لديه الروح، ثم كم منهم حقق نجاح كايروكي؟» وهي وجهة نظر سليمة بلا شك.

وحيث درست الفرق في الخارج؛ كي أتأكد ما إن كانت كايروكي عشوائية ونضافة مثل كثير من الفنانين المصريين الذين يمارسون الفن دون علم، وجدت أن هذا هو النهج المتبع حول العالم وأن كلهم يعرفون طبعاً مبادئ الموسيقى ويستطيعون تسمية السالم والنغمات والمصطلحات المستخدمة في الموسيقى، وقليل منهم من يكتب التدوين الموسيقي أو يقرؤه، وإن كانت درجة الاجتهاد والعلم تختلف من فرقة إلى فرقة.. في النهاية الممحصلة أن كايروكي لا تقل كثيراً عن مثيلاتها في العالم، والحقيقة أنها تسبق الكثيرين هنا.

ويخبرني شريف بشجاعة: «نحن لسنا أفضل العازفين أو الفنانين، وبغض النظر عن الأسباب الكثيرة التي تجعل كايروكي ناجحة، فالتسجيل والتكنولوجيا - بطبيعة الحال - هي من أهم الأسباب التي تجعلنا نظهر بصورة جيدة أمام المستمع».

يلعب شريف دور المنتج الموسيقي، والمؤلف والموزع في فرقة كايروكي.

ورغم أن معظم الألحان الأساسية للأغاني تبدأ من عند أمير نظراً لقيامه بتلحين الأغاني أثناء تأليفه للكلمات.. إلا أن هناك تداخلاً كبيراً جدًا في مسألة التلحين والتوزيع بين أعضاء الفرقة الخمسة، فكلهم بشكل أو آخر يقومون بهذا الدور، وإن كان إسهام كل فرد يختلف من أغنية إلى أخرى... ولذلك كان اتفاق الأعضاء مبكراً جدًا على أن يتم منح «كايروكي» لقب ملحن جميع الأغاني؛ لأن الأدوار تتداخل بطبيعة الحال. ولكن كما قلنا من قبل فإن الرؤية العامة لموضوعات الألبومات تنصب عند أمير في الأساس، تتلوها الرؤية الموسيقية التي يضعها شريف بالتعاون مع أمير وبقية أعضاء الفرقة.

كذلك يعمل شريف على توزيع الأغاني بشكل أساسى، وهو ما يعني كتابة ألحان الآلات الأخرى التي لا تعزف داخل الفرقة، و اختيار Mood الأغنية وفقاً لموضوعها، إلى جانب تسجيل وتوجيه بقية الأعضاء عند العزف



وفقاً لرؤيه الأغنية، وعمل المونتاج والمكساج، ثم متابعة عملية Mastering مع مهندسي الصوت سواء داخل مصر أو خارجها.

وهو أيضاً مؤلف موسيقي له أعماله الخاصة التي يتولى تلحينها وتوزيعها بالكامل من البداية، مثل: بعض الأغاني التي قدمها لزاب ثروت وشهيرة كمال، والموسيقى التصويرية لعدد من الإعلانات والمسلسلات التليفزيونية (نلتقي أنا وهو في حبنا الشديد وشغفنا بالموسيقى التصويرية للأفلام، ولكن بالطبع يعترف بأن معرفتي بعالمها ومؤلفيها تفوق معرفته بمراحل!).

وكما جلست بجانب شريف أراقبه وهو يعمل على مونتاج أو ميكساج أغنية أفالجاً من حجم ودقة وتعقيد العملية التي ي العمل عليها، بشكل جعلني أعيد حساباتي وأزيد من تقديرني لكل عمل موسيقي أو أغنية أستمع إليها.. لن يتخيّل أحد المجهود المبذول والمراحل الطويلة والمعقدة التي تمر بها أغنية قد



لا يستغرق الاستماع إليها سوى بضع دقائق لا تتجاوز
أصابع اليد الواحدة.



القسم الثاني

ثمن النجاح

السفر ونزول ألبوم «نقطة بيضا»

أنا في الثانية عشرة..

أعود للقاهرة مع والدي في إجازة الصيف.. وليس لمصر أو شباب عائلتي سوى حديث واحد: Braveheart، الفيلم الذي نزل منذ بضعة أشهر في دور السينما وأصبح الآن متواافقاً على شرائط القيديو.

أصاب الفيلم الجميع بما يشبه الهيستيريا. أصبحت هناك قصص عن الذين شاهدوه ثلاث وخمس وعشرون مرات في السينما.. الفتیات ییکین بدموع حارة قصة الحب التي لم تكتمل.. الجميع مأخوذون بالمعارك الحربية الرائعة، واللهجة الأسكتلندية المميزة، وصدمة وفاة البطل والنهاية الحزينة للفيلم التي لم يعتدتها جمهور السينما حتى تلك اللحظة.

يأتي أبناء خالتى بالقىديو ونجلس جميعنا، أكثر من عشرة أشخاص من ثلاثة أجيال مختلفة ملتفين حول القىديو في شقتنا.

أثناء تأثيري الشديد بأحداث الفيلم ألتفت صدفةً تجاه ابنة خالي التي تكبرني ببعض سنوات، فأصدق بمنظر أشاهده لأول مرة في حياتي.. إنها تبكي بكاءً مرّاً لم أمر مثله من قبل، حتى أنني يصيبني الذعر وأقول لأمي أن الفتاة تبكي لترى ما بها، ولكنها تشرح لي أنها متأثرة بالفيلم، يا إلهي، هل يمكن للفن أن يحدث مثل ذلك التأثير؟

قبل أن يغادروا، أتوسل إلى أولاد خالتى أن يتركوا شريط القىديو ليومين فقط، وأشاهد الفيلم ثلاث مرات خلال هذين اليومين.. أبدأ في حفظ الحوار ومراقبة خلجان الممثلين، الهوس بميبل جيسون وشخصيته ولهجته ونظراته المعبرة، وأستوعب معاني الحب والخيانة والمقاومة وحب الوطن والموت؛ من أجل شيء أنت مؤمن به.. حين يصرخ في نهاية الفيلم بكلمة الحرية بأعلى صوته المبحوح أدرك بعقلٍ



الصغير أن هذه الكلمة تعني كثيراً وكثيراً.. لقد زرع هذا الفيلم - فيلم واحد مدته تقل عن الثلاث ساعات - بداخلي قيمةً ومعاني ستظل تكبر وتنمو بداخلي حتى اليوم، وهي قيم ربما لم أعرفها من المدرسة أو والدي أو حتى مئات الكتب التي كنت قد قرأتها حتى ذلك الوقت.

لأول مرة في حياتي أشاهد شيئاً بهذا الجمال: التمثيل والدراما والأحداث والتصوير وطبعاً.. الموسيقى.

تركني الفيلم في حالة ذهول لن أنساها أبداً.. الشحنة العاطفية والإنسانية التي مررت بها خلاله لا توصف، هي اللحظة التي وقعت فيها في غرام السينما والموسيقى التصويرية.. كان باباً وكأنه قد افتح أمامي، بحراً واسعاً من الموسيقى المختلفة والمؤثرة.. ولأول مرة أتعرف إلى اسم مؤلف موسيقي لا يزال على قيد الحياة.

بعد أيام كنت أسير داخل المحل حينما وجدت أمامي الشريط الأهم الذي سأشتريه في حياتي. كان هناك أمامي يقف ميل جيبسون بردائه الأسكتلندي التقليدي ممسكاً بسيفه وخلفه تصميم رديء به بقع نارية وخيوط.

وطوال شهرين كاملين لم أسمع غيره.. ظلت أقلبه كلما انتهى وجه على الوجه الآخر.. هكذا بشكل متواصل، سواء في الووكمان الخاص بي أو جهاز الكاسيت في المنزل، أو في سيارة أبي.. لقد تغيرت حياتي منذ ذلك اليوم. وبدأت أشتري شرائط الموسيقى التصويرية دون تمييز.. أشتري كل ما أراه أمامي منها.

بدأت أبحث في تراتات كل فيلم أراه عن اسم المؤلف، فلم يكن هناك إنترنت ولا موقع IMDB. ورويداً رويداً بدأت خلايا مخي وجهازي العصبي تربط مئات الأفلام.. مئات الأسماء للمخرجين والمؤلفين الموسيقيين والممثلين.. وربما مدير التصوير في بعض الأحيان، وبدأ هذا المخزون التراكمي في



الازدياد منذ سن الثانية عشرة.. ومع قدوم الإنترنـت زاد هذا المخزون آلاف المرات، حتى أصبحت قدرتي على ذكر أسماء الأفلام التي ألفها هذا الموسيقي أو أخرجها هذا المخرج مذهلةً لكل من حولي.



الفصل الثالث والعشرون

إنجلترا (1)

حين قمنا بزيارة لندن لم يكن هناك أي ضباب في المدينة، بل على العكس.. كان الجو صافياً والشمس مشرقة طوال الوقت.

كان الضباب يرقد فوق قلوبنا جمیعاً.

قمت بحجز تذكرة الطيران، واكتشفت بعد ذلك أنها لن تكون الطائرة نفسها التي سيسافرون عليها في الصباح.. توترت بشدة؛ لأنني أفضل أن أسافر مع أحد أعرفه كي أشاركه رعبى من الطيران، وكنت قد هيأت نفسي أنني سأكون مع هواري الذي يعاني من الرهاب نفسه، وسنظل نتبادل نظرياتنا وتنبؤاتنا بسقوط الطائرة طوال الرحلة.

كذلك حاولت أن أحجز إقامتى في الفندق نفسه الذى سينزلون به، وهو يبعد عن المسرح عشر دقائق سيراً



على الأقدام، إلا أنه كان محجوزاً بالكامل لمدة شهر؛ حيث إن هذا هو موسم سياحة العرب في لندن (الصيف وعيد الفطر)، وإن توافرت به غرفة ستكون أغلى 5 أضعاف من أي غرفة عادية.. وجدت مكاناً يبعد عن الفندق والمسرح حوالي نصف ساعة بالمترو.

سافرنا قبل موعد الحفل الذي سيقام في الأول من يونيو بيومين.

بدأت الفرقة في السفر تباعاً: تامر وشريف وهادي معاً، ثم هواري وأمير وأدم وعاصم السحرتي.. طبعاً كل التقنيين كانوا من إنجلترا، وبالتالي تحتم على الفريق أن يسافر بآلاته ومعداته الشخصية، وهو ما يعني الكثير من الأحمال والارتباك الذي تعودوها بمرور السنوات.

كانت أمينة قد سبقتهم إلى هناك قبلها بمنة، ولم يتمكن سليم من الحصول على التأشيرة.



ركبت الطائرة وتوكلت على الله.. وما هي إلا دقائق بعد الصعود حتى بدأت الاهزازات. كانت طائرة من طراز بوينج 737، وهي أصغر طائرة ركبتها في حياتي، وظلت لمبة حزام المقعد مضاءة طوال الرحلة.. تجربة مروعة بكل المقاييس.

بعد خمس ساعات كاملة وصلت إلى لندن التي أكرهها من كل قلبي، وكما يحدث في كل مرة أزور هذه المدينة البائسة تم توقيفي في المطار.. هناك علم أحمر صغير موضوع على اسمي على شاشة الكمبيوتر، يظهر كلما قاموا بعمل مسح لجواز سفري في مطارات هذه المدينة الحزينة، ويحتاجون في كل مرة أن يراجعوا بعض البيانات؛ لأنهم يشتبهون أنني شخص خطير بشكل ما.

في بعض المرات يتم التحقيق معي عن أسباب زيارتي من أحد ضباط الجوازات.. وفي كل مرة يقال لي إنه سوء تفاهم وأن عالمة الحظر قد أزيلت من على اسمي، ولكن واضح أن البيروقراطية البريطانية التي



تسليلت إلينا كسرطان مستعر منذ أيام الاحتلال لم تزل تعاني كما تعاني البيروقراطية المصرية.

ومثل كل مرة أجلس في المربع الخاص «بالمعزولين» في صالة الوصول بمطار هيثرو ريثما يتم التحقق من أوراقي.

موظفو الجوازات بقمصانهم البيضاء وبناطيلهم الكحلية متوجهون للغاية.. حتى الموظف الهندي الأصل الذي يسير أمام الطوابير يطلب من الواقفين بعجرفة ألا يتخطوا الخط.. كنت أظن أنه سيكون أطفالهم ربما لأنه يشبهنا، ولكن طول المعيشة في كنف الرجل الأبيض يجعلك تتصف بصفاته دون أن تدري.

نصف ساعة تمر بالكامل وأنا أجلس في مربع معزول بكوردون أزرق أنا واثنين من الأفارقة وسيدة هندية أو باكستانية.. الأثير حولي صامت تماماً. الطوابير طويلة طويلة تصل إلى عدة مئات من الأشخاص يصلون جميعهم في الوقت نفسه. ولكن الكل يقف في صمت مقبض.. أفتقد فوضى مطار القاهرة وأنا أنظر



إلى ركاب الطائرة الذين أتوا معي وهم يبتسمون ابتسامات محرجة أمام ضباط الجوازات وكأنهم قد ارتكبوا جرماً ما لمجرد قدومهم من بقعة أقل من العالم.. تنحني ظهورهم قليلاً وتنقوس أكتافهم إلى الداخل ويختفون أصواتهم، يخافون أن يخطئوا أي خطأ يمنعهم من دخول الجنة.. لا يحتاج الأوروبي اليوم إلى أن يمارس عليك أي نوع من ال欺凌 أو السلطة؛ فأنت تبرز له خضوعك لا إرادياً.. مئات السنوات من الاحتلال كفيلة بأن يجعل الخضوع أحد مكونات جيناتك؛ خاصةً إذا كنت ناقماً وكارهاً لبلدك ومؤمناً بالفكرة ذاتها التي زرعوها بداخلك: «أنك أقل».

بعد أن أغادر المطار أستقل المترو لساعة كاملة حتى أصل إلى وجهتي.

لندن مدينة حزينة.. وحزنها يبدو على وجوه مستقلين المترو. فهم متوجهون.. لا ينظرون إليك ولا يتحدثون مع أحد على الإطلاق، إما يطالعون هواتفهم المحمولة،



وهم الأكثريّة.. أو يقرءون الكتب سواء الورقية أو الإلكترونيّة، وكلّهم يضعون سماعات في أذنّهم.

لابد وأن الموسيقى تلعب دوراً هائلاً في زيادة عزلة هؤلاء البؤساء.

أصل إلى وجهتي بالمنطقة الشرقيّة من لندن.. أنظر في ساعتي قبل أن أصعد من تحت الأرض: الحادية عشرة مساءً. ستكون الشوارع ميّتة في هذا التوقيت؛ فهذه المدينة الباردة تنام منذ التاسعة وتبدأ شوارعها في الخلو من السابعة.

كنت قد تعلمت قبلاً ألا أحاول سؤال أي أحد عن الاتجاهات لأن لا أحد يرد هنا.. لندن مدينة ضخمة وشاسعة ومشغولة دائمًا، وهي كبقية المدن القبيحة لا صبر فيها ولا تسامح ولا روح مرحة.. لا أحد على استعداد أن يساعد أو حتى يبتسم في وجهك ماعدا في المحلات الشهيرة التي تنتشر فيها الابتسamas المصطنعة مسبقة التجهيز التي هي جزء من وظيفة الشخص



الموجود لمساعدتك.. ولأنهم يقومون بكل أعمالهم بضمير فالابتسامة تأتي من هذا الضمير العملي وليس من القلب (حين يعود المحدثون من الخارج يظلون يصدعون رأسك بأن الكل يبتسم في وجهك، لا يعرفون أن 90 بالمائة منها «أكل عيش»).

نزلت في المحطة الهدئة وكانت تقريباً الوحيد الذي خرج من المترو.. رسوم الجرافitti والقمامة المختلطة برائحة البول القوية تزيد من شعوري بالوحشة. الصورة المثالية التي نرسمها عن نظافة الشوارع الأوروبية ليست حقيقة تماماً؛ فالسكارى وشباب العصابات العنصرية يغلفون ليلاً بطبقات من الخوف والتوتر.

الليل الموحش هو الذي يخرج الجانب المظلم من هذه المدينة.

خرجت من المحطة الموجودة تحت الأرض بصعوبة عبر السلم الحجرى الضيق.. جاهدت كي أرفع حقيبتي الكبيرة ثلاثة أدوار كاملة، وبعدها سرت في الشارع



المظلوم.. كان المكان المحدد للفندق على الخريطة والذي قمت بحفظه وأنا في مصر غير دقيق، ولا توجد أي عالمة له في الشارع على الإطلاق.. اتصلت بهم وأنهيت نصف ما معي من رصيد حتى وصف لي موظف الاستقبال الكسول الطريق بإنجليزية مدمرة تماماً.

وصلت أخيراً بعد لف ودوران مرهق.. على ناصية الشارع وجدت ملهى ليلى، تقف على بابه فتيات ليلاً كما وصفهن الكتاب: الفساتين القصيرة والشرابات المشبك والصدور العارية والجواكت الجلدية تتسلل منها شراسيب متأكلة.. يأكلن اللبن ويدخن السجائر ويضحكن بصوت مخمور.. بجانبهن مستندًا بظهره على الحائط يقف «القواد» التقليدي بتاتوهات كثيرة وعشرات السلالس حول رقبته ومعصميه ونظرة مفزعه لكل من يتجرأ أن ينظر إليه في عينيه.

حاولت ألا أطيل النظر كثيراً وأنا أمر بجانبهم وفضلت أن أعن اليوم الذي قررت أن أكتب كتاباً يأتي بي إلى هذا المكان.. نظراتهم الفضولية تحرق ظهرى بينما



أصل أخيراً لأجد الرجل الكاميروني نصف النائم الذي كان يحدثني على الهاتف.. رمى لي بالمفاتيح وصعدت في المصعد للدور الأخير، لاكتشف أنه ليس فندقاً ولكنه بيت للطلبة الأجانب الذين يدرسون في الجامعة الملاصقة للمبني.

اكتسبت أكثر وأنا أدخل أضيق غرفة رأيتها في حياتي. ولكن حمدت الله أنها مخصصة لي وحدي، حتى وإن كان الحمام مشتركاً بيبي وبين ست غرف أخرى، على الأقل لدي سريري الخاص (كان آدم قد اقترح على مكاناً رخيصاً، وقبل أن أحجزه اكتشفت أنني سأبيت في الغرفة نفسها مع سبعة أشخاص آخرين على أسرة من ثلاثة أدوار.. ولا معسكرات النازي).

وضعت حاجياتي وارتميت على السرير.. كانت الواحدة صباحاً. في هذه اللحظة أتتني رسالة أن هادي قد أضافني إلى جروب «رحلة لندن» على واتساب، رحب بي وسألني عن حالي.



أخبرتهم باختصار عن بيت الشباب الذي نزلت به وجيراني من بار الدعاارة.. دخل تامر ليخبرني أنه قد صرف كل ما أتي به من نقود في أول يوم وأن الأسعار مخيفة بعد التعويم (الإسراف كارثة يعاني منها تامر).. حاول آدم أن يواسيبني بأن كل الغرف في لندن بهذا الضيق.

نم قتيلاً واستيقظت في السابعة والنصف.. في تمام الثامنة كنت في الشارع.. كانت الشمس قد طلعت والجو به بعض البرودة ولكنه لطيف مقارنة بشتاء لندن القارس.

أصل بعد ساعة إلى فندق الباربيكان، وقبل أن أرسل رسالة للجروب بأني قد وصلت أجد هادي وتامر وأمينة يجلسون أمام الفندق على حافة حوض للزرع يدخنون.. نسلم على بعضنا البعض بحماس شديد. هذه هي المرة الثانية أو الثالثة فقط التي أقابل فيها هادي، والذي سيقود الرحلة بالتنسيق مع أمينة..

شعرت بعاطفة شديدة بعد أن قابلت وجوهاً أعرفها جيداً. إحساس الغربة يقتلني.. أكرهه، وأتعجب من هؤلاء الذين يتحملونه.. لم تكن قد مرت سوى ساعات على وصولي إلى لندن، ولكنني كنت قد بدأت أحن لأهلي وأصدقاء قهوة أم كلثوم وكناكة والمعادي.

اكتشف أن هواري لم يصل بعد رغم أنهم جمیعاً سبقوني في اليوم السابق.. فقد أصابه هلع ما قبل السفر كما توقعوا.. ولدت إيزابيلا قبل أيام مما ضاعف من شعوره بالقلق من السفر، إلى جانب إصابته بالتسنم كما أخبرني فيما بعد.

يقام الحفل غداً، وسيتم الـ Soundcheck في اليوم نفسه صباحاً، وبالتالي لدينا يوم كامل لنتسكيع فيه.

آدم وأمير لا يزالا نائمين وبالتالي سنغادر دونهما.. نتحرك أنا وشريف وهادي وتامر إلى أول أوكسفورد ستريت شارع التسوق الشهير مستقلين الباص، وهو تجربة أكثر إمتاعاً وأقل وحشة من المترو.



نبدأ بمحل لأدوات الجولف، حيث إن هادي وشريف يحملان شغفًا كبيرًا بهذه اللعبة ويمارسانها في مصر وهو ما أراه تشبّهًا إقطاعيًّا غير مقبول بالنسبة لي، وأمارس السخرية عليها بسبب هذا الأمر: «الناس في مصر تأكل من القمامات وأنتما تمارسان الجولف؟ الله يرحم». شريف يوافقني ويسايرني في مزاحي أما هادي الذي لا يعرفني جيدًا فيبدو أنه ينظر لي بتوجس: «من هذا الشاب الشيوعي؟» «إنت حقود كدا ليه؟».

يمر اليوم سريًّا. وكما توقعت لم يظهر أمير على الجروب إلا ليرسل رقم هاتفه البريطاني، ويسأل عن أفضل سعر لتغيير العملة.. لا يزال يصر أن يعزل نفسه عن بقية الفرقة، وينقبض قلبي لهذا الشعور، كيف سيلعبون معًا وهم على هذه المسافة من بعد بين بعضهم البعض؟

في آخر النهار ظهر هواري على الجروب يطلب أن يرسل له أيًّا منا «لوكيشن» الفندق: لقد استجمع شجاعته ووصل إلى لندن.



أخبرتهم أمينة بضرورة عمل اجتماع في المساء لمراجعة سير اليوم الكبير غداً.. اعتذر آدم لأنه ينام مبكراً بعد أن ذهب إلى السينما في المساء مع شريف، ورفض هواري الذي وصل للتو مغادرة غرفته.. لم يرد أمين، أما أنا وتامر وعصام وهادي فقد علقنا في شارع بيكاديلي بعد أن انهمر علينا المطر في ملابسنا الصيفية.

كان كل واحد منهم في وادٍ، لم أر خمستهم مجتمعين ولا مرة في هذه السفريّة سوى قبل أو بعد الحفل.. وحين يفعلون يتبادلون بالكاد بضع كلمات.

اضطررت للمبيت مع هادي؛ نظراً لتأخرنا بالخارج وعدم وجود مواصلات.

في الصباح شرحت لنا أمينة خطة اليوم: يبدأ Soundcheck في العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً.. من الواحدة إلى الثانية ينتظرون في استراحة الفنانين تحسباً لأي مراجعات قد يحتاجها القائمون على المسرح.. ومن الثالثة حتى الخامسة ستعقد



لقاءات مع التليفزيون والصحافة.. في الخامسة.. سيعود الكل إلى غرفته ويرتاح ثم يرتدي ملابسه على أن تكون في المسرح في تمام الثامنة، ويبدأ الحفل في التاسعة والثلث.

أكدت أيضًا أن جميع أعضاء الفرقة سيقومون بطبع كل الأغاني التي ستعزف في الحفل في Soundcheck: «فنحن لن نجازف بالتعرض لأي مخاطر فيما يخص الصوت والأداء».

كان السؤال الذي يدور طوال الوقت عن عدد التذاكر المباعة حتى الآن. في بعض الأحيان كانت أمينة تقول أنها 500، وأحياناً أخرى تقول أكثر.. يتسع المسرح لآلفي شخص، ولكن المساحة المفتوحة للحفل تسع 1500 مشاهد.

قبل أن نغادر إلى المسرح أدون ملاحظة على هاتفي: «عشرة أيام فقط على صدور الألبوم».



الفصل الرابع والعشرون

هل أصبحنا نعيش عصر مстер هايد؟

عن الانحلال الأخلاقي وأمور أخرى

في عام 1885 كتب المؤلف الأسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون روايته الأكثر شهرة « القضية الغربية للدكتور جيكل ومستر هايد»، وسرعان ما أصبحت واحدة من أشهر روايات الغموض والرعب في العالم واحتلت مكانة شديدة التميز مع روايتين آخرتين (فرانكشتاين 1818، ودراكونولا 1897)، لتكسب هذه الكتب الثلاثة مكانة تاريخية مهمة؛ باعتبارها الروايات التي أسست لفن الرعب القوطي الذي صار بعد ذلك أحد أنجح الأشكال الأدبية في العالم على مدار المائة عام التالية (في مصر استطاع القارئ المصري الصغير أن يتعرف إلى هذا النوع من الأدب باستفاضة ولمسة مصرية أصيلة من خلال الكاتب الكبير، الراحل د. أحمد خالد توفيق).

المهم أن راوية «د.جيكل ومستر هايد» تقوم على فكرة بسيطة للغاية وهي التناقض التام داخل النفس البشرية الواحدة.. الصراع بين الخير والشر داخل كل إنسان.. بين رغبتنا الأصيلة كبشر في أن نلتزم بالمثل الإنسانية والدينية العليا ونحسن لمن حولنا، والرغبات والشهوات التي تعصف بنا وتجعلنا نتغاضى عن كثير من القيم التي نؤمن بها.

ولا أريد أن أحرق الرواية؛ لأنها من أجمل ما قرأت في حياتي، وأنصح الجميع بقراءتها حتى لو كانوا يعرفون القصة ومحتوها نظراً لشهرتها الكبيرة، ولكن الفكرة هي أن هذه الازدواجية الشهيرة «د.جيكل ممثلاً للواجهة الخيرة في الإنسان، ومستر هايد رمزاً للشر المطلق داخل الإنسان» أصبحت جزءاً من الثقافة الغربية، حتى أن مصطلح «هذا الشخص بداخله د.جيكل ومستر هايد» أصبح من أدبيات اللغة الإنجليزية؛ حين يريد شخص الإشارة إلى فكرة الازدواجية داخل الإنسان وميله لما أصبح يعرف بعد ذلك بـ«الانحلال الأخلاقي».

والانحلال الأخلاقي (وهو مصطلح معروف يعجبني معناه في اللغة الإنجليزية Moral Decay، حيث إن كلمة Decay تعني التحلل أو التعفن) أمر موجود في كل المجتمعات وعلى مدار التاريخ ولكن بدرجات متفاوتة.

وأذكر أن بداية معرفتي بهذا المصطلح كانت منذ سنوات عديدة من فيلمين رائعين وإن كانا منفردين لي

بشكل رهيب: «Boogie Nights»

و«Summer of Sam»، وقد كان كلا الفيلمين مبالغًا في تصوير مختلف أشكال الانحطاط بشكل رهيب للغاية؛ إذ أراد مبدعا هذين الفيلمين أن يقوما بتشريح المجتمع الأمريكي / الغربي بشكل يكشف سوءاته أمام نفسه كنوع من الانتقاد المجتمعي العنيف؛ أملاً في الإصلاح. وهو ما حاول فيلم أشهر مثل «Fight Club» أن يفعله وربما استطاع أن يوصل رسالته بشكل كبير بسبب جماهيريته الضخمة التي حققها، وإن كان قد ركز أكثر على فكرة الأناركية؛ أي هدم المجتمع الذي نرفض انحلاله تم بناءه من جديد.



وهناك تضاد كبير ما بين الشرق والغرب في هذه المسألة، فقد أصبح العالم الغربي - بشكل أو بآخر - يتقبل الانحلال والشطط كثمن متوقع لحرية الفرد التي تبنتها أوروبا ثم أمريكا في أعقاب ثورة الشباب عام 1968، حين تبنى الجيل الصغير وقتها، جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، أفكار الفيلسوف سارتر الوجودية التي كانت تقول إن الفرد له الحرية المطلقة في أن يفعل ما يحلو له متحرّرًا من قيود أهم سلطتين سيدرتا عليه طوال التاريخ: الدين والمجتمع.

وبالتالي كانت الثورة التي انفجرت في ذلك الوقت وركزت على التحرر من جميع القيم الدينية والاجتماعية أملاً في التخلّي عن الماضي الأليم الذي خلفته الأجيال السابقة. كان الشباب في ذلك الوقت قد كفروا بكلّ ما كان يمثله جيل آبائهم وجذودهم من التحفظ والتکلف والتقسيم الطبقي والمجتمعي والالتزام الظاهر بقيم دينية ومجتمعية أدت إلى فقدان الحرية بشكل أو آخر، إلى جانب انعدام القيم الإنسانية الذي أدى بهذه الأجيال إلى احتلال الدول

الضعيفة ونهب خيراتها والمشاركة في حروب دموية أودت بحياة الملايين.

فقد ذلك الجيل العجوز بكل ما كان يمثله المصداقية التامة لدى الشباب، وحين أتى سارتر والبيتلز والمخدرات المخلقة كانت الثورة أكبر من أن يقف أمامها أي شخص.

وهناك من يرى أن الانحلال ينتشر في الغرب؛ لأنهم قد تخلوا عن سلطة الدين في حكم المجتمع بعد أن تحررت أوروبا من سلطة الكنيسة في القرن السابع عشر، ووضع الإنسان قيمه بنفسه ولنفسه، فأصبحت الجدية في العمل والطموح المادي وإعلاء قيمة حرية الفرد (الحرية الشخصية) وتذويب الفروق بين الطبقات (المساواة) من أهم الأعمدة التي قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة.

ولكن لكل شيء ثمناً. فتلك الحرية المطلقة كان لابد وأن تكون لها تبعات.. كانت أوروبا وأمريكا قد أخرجت مستر هايد الذي ظل مكبوتاً بداخلها طوال



قرون؛ إذ خرج المارد ولم يعد من الممكن إرجاعه مرة أخرى.

وبعد سنوات عنيفة من الانفجار الجنسي واستخدام المخدرات والعنف اللامنطقي، بدأت أمراض مجتمعية أكثر صعوبة في الظهور: تفشت الأمراض النفسية الشاذة والمخيفة، وتصاعدت معدلات الاغتصاب بمختلف أشكاله بشكل وبائي، وأصبحت حوادث القتل المتسلسل الغريبة والوحشية خبراً دائمًا في صفحات الجرائد وعلى شاشات التلفاز والسينما، كذلك زادت معدلات الانتحار والحوادث الناتجة عن السكر سواء حوادث السيارات أو القتل الخطأ أو العنف المنزلي ضد الزوجات والأطفال، والقتل الجماعي من قبل المختلين نفسياً في المدارس والجامعات والنادي الليلي، بعضهم دون الرابعة عشرة. كذلك برع التخبط الروحي بعد اعتناق المادية متمثلةً في العلم ورأس المال، واكتشف الغربيون فجأة بعد أن صاروا في منتصف الطريق أنهم قد فقدوا البوصلة، وأن المادية المفرطة - بشقيها الجسدي والمالي - لم تعد كافية.

كما ازدهرت صناعة البغاء والأفلام الإباحية بكل ما تمثله من استغلال لسذاجة الفتیان والفتیات الصغار الذين يحتاجون للمال ويبحثون عن طرق سهلة وسريعة للشراء، وخداعهم باسم الحرية عبر إقناعهم بأن ما يقومون به هو اختيار شخصي محضر بل وتعزيز لحرি�تهم، ولكنها تنتهي بتدميرهم بالكامل «هذه هي فكرة فيلم Boogie Nights الذي أشرت إليه منذ قليل».

كذلك زادت الاستهلاكية بشكل رهيب حتى كاد العالم ينفجر من فرط التسوق وأصبحت تحكم جميع قواعد الحياة في المجتمع الرأسمالي، فالفكرة أصبحت بساطة أنه يجب أن تنتج وتبيع وتكسب لتشتري؛ كي تستطيع أن تنتج وتبيع وتكسب وتشتري أكثر.. وهكذا. وبالتالي أصبح الإنسان - الفرد العامل - هو وقود هذه الحياة، وكان لابد أن يتم إقناعه بكل وسائل علم النفس والدعایة الحديثة أن سعادته الحقيقة في ذلك الاستهلاك، وأن الخواص الروحي والفكري الذي يشعر به لن يستطيع أن يملأه إلا إذا اشتري أكثر وأكبر



وأغلقى، وبالتالي كان عليه أن ي العمل طوال الليل والنهار؛
كي يحقق جودة حياة أفضل له ولأولاده.

ودخل الجميع في دوامة هذا الوهم الذي لا ينتهي..
وفوجئ الإنسان الغربي الذي استطاع الوصول إلى
أعلى مراتب الإنسانية بالتقدم التكنولوجي والفنى
والحضاري أنه انتهى إلى حيث انتهى إنسان الكهف
الأول: يأكل ويشرب ويغتصب ويقتل ويمارس الحب
ويبحث عن ملابس تغطي عورته، ولم يزد في ذلك عن
الإنسان الأول سوى الهاتف المحمول والسيارة والسفر
إلى مختلف بقاع العالم، وربما ممارسة الجولف وأكل
الكينوا والسوشي.

وكان لابد لكل هذا الجنون الذي يعصف بالنصف
الشمالي والغربي من العالم على مدار النصف الثاني
من القرن العشرين أن ينتقل إلى النصف الشرقي،
والذي كان حتى الآن يعيش في هدوء نسبي، لا يزال
متوقفاً عند فكرة الدين والانغلاق والخصوصية
الثقافية والالتزام وتقديس سلطة المجتمع ورجل
الدين، ويحاول أن يحل مشكلاته الخاصة مع آثار



الاحتلال والاستعمار الذي حافظ على التخلف والاستعباد طوال قرون. ولكن العالم الذي صار قرية صغيرة مزدحمة كان يجب أن يضمنا إليه، وقد رحبنا بهذا الجنون بأذرعٍ مفتوحة وعقول ممسوحة، ولكننا لم ندفع هذا الثمن مقابل حرية ما بل أضفناه عبئاً إلى أعماقنا الكارثية؛ فخلق المجتمع المشوه الذي أصبحنا نعيش فيه الآن.

وحين استيقظنا على الإنترن特 والهواتف المحمولة، وبعدها ببعض سنوات السوشيال ميديا، تغير كل شيء.. كانت بالنسبة لنا متنهجاً رهيباً من الانغلاق الذي كنا نعيشه، وأصبح العالم الافتراضي ممثلاً لكل ما هو جميل ورائع في الحياة، وأصبحت الصور المبهجة هي المخرج الوحيد من عالم رتيب وقبيح ومساحة لادعاء السعادة المصطنعة قدر الإمكان.

وربما كان ذلك الانغلاق الذي نشأنا فيه بشكل أو بآخر مفيداً في حماية هويتنا، فكان جيلنا هو آخر الأجيال التي تربت على مفاهيم الصح والخطأ، والعيب،



والأصول، وغيرها من المفاهيم التي أصبحت اليوم مضحكة بشكل أو باخر.

كنا من الجيل الذي يعرف أن الدين ليس بمظاهره فقط وأن المظاهر في الحقيقة لابد أن يعبر عن الجوهر، ولم نكن نعرف مصطلحات «إطلاق الأحكام والشويفينية والنسوية والLGBT والتحرش» وغيرها.. كانت حياتنا أبسط، وكنا حين نشاهد مشهدًا إباحيًّا في فيلم نسعد به كثيرًا وكان ذلك أقصى طموحاتنا، ولكن كل شيء تغير فجأة بعد السوشيال ميديا، وبدأت الأفكار تروح وتجيء بشكل يومي بل ولحظي وبدأت السجالات تزداد عنـًا، وكان الحل في مثل هذا الموقف هو التطرف الكلاسيكي الذي يلـجـأ إليه الفرد والمجتمع على حد سواء: المحافظ يبالغ في انغلاقه ومحافظته دفاعًـا عن معتقداته، والمنفتح المتتطور الذي يتبني الأفكار القادمة من الخارج يبالغ في صداميته للغير، وأصبح هناك فريق يتبني هذه الأفكار بعنــف ودون تفكير أو فلترة وأصبحت القاعدة هي: إذا كانت هذه

الفكرة قادمة من الغرب فإنها إذا صحيحة، والقاعدة المضادة: إذا كانت قادمة من الغرب فهي فاسدة.

حاول جيلنا وسط تلك الدوامة أن يفهم ما حدث له، وكيف يتعايش معه ويواكبها، ويرقب التغيرات التي تلم به دون وعي أو فهم، وأصبح يواجه المعضلة الأكبر، المعضلة التي أعرف يقينًا أننا إن لم نحلها قريباً فإننا سنفقد مستقبلنا تماماً كما ينساب الحاضر من بين أيدينا: الهوية.

لم ندرك ونحن في خضم هذه المعركة أن المسألة لم تعد محصورة في شرق وغرب.. محافظ ومنفتح.. قديم وحديث.. متخلف ومتقدم، ولكنها أصبحت معركة هوية؛ لأننا في وسط كل هذا كنا نترك اللغة تتلاشى من إدراكتنا دون أن ندرك. وهذه مسألة شديدة الخطورة، ومأساة من مآسٍ جديدة أدت بنا إلى حالة التوهان الأعظم التي نمر بها حتى اليوم.

وكنا نظن أن انفجار بنيامير كان بداية الإجابة عن السؤال الذي حيرنا طوال الربع الأخير من القرن



القديم: من نحن؟.

كم كنا مخطئين!!

الفصل الخامس والعشرون

إنجلترا (2)

أول شيء ي قوله هواري حين ينزل إلى اللوبي هو أن Pedal Board الخاصة به قد انكسرت، ولذلك سيذهب في الاستراحة التي ستكون من الثالثة حتى الخامسة إلى أحد المحال التي يعرفها لصلاحها، يسأله الباقيون إن كان الوقت سيكفي فيجيب بأنه يعرف الشخص الذي سيصلاحها، ولكنه ليس متأكداً إن كان المحل سيكون مفتوحاً أم لا؛ لأن اليوم هو السبت.

يتحدث بأريحية وكان هذا العطل ليس كارثة قبل الحفل الذي سيلعبه بعد بضع ساعات.

ينزل أمير ويحدثنا عن الجولة التي أخذها وحده طوال اليوم بالأمس.. تجول على غير هدى في ضواحي لندن وذهب إلى Abbey Road Studios، استوديو التسجيل الأشهر في العالم؛ حيث سجلت البيتلز وبينك فلويد وألاف الفنانين أهم ألبوماتهم..

قال إنه ظل واقفًا أمامه فترةً من الوقت.. أتخيل ما دار برأسه في هذه اللحظات التي وقف فيها يراقب مبنى الاستوديو العريق: من المؤكد أنه تصور نفسه بخياله الطفولي الخصب يسجل بداخله.

يتكلم أمير بلا حماس، أكاد أرى الفقاعة حوله بوضوح.. هناك حالة من العزلة التامة بين الجميع، وتامر يبدي ضيقه من هذا الأمر طوال الوقت.أشعر بالتفكير أكثر من أي وقت مضى.. هذه صورة مخالفة تماماً للصورة المثالية التي كنت أتخيلها في ذهني لفرقة مصرية تقيم حفلاً على أحد أهم مسارح أوروبا الحديثة.

ماذا يحدث؟ هل هو النجاح؟ هل هي الشهرة؟ هل هي سنوات وسنوات من العمل مع نفس الأشخاص؟ هل بينهم لغة وتفاهم لا أفهمه قاموا بتطويرها مع السنوات؟ أم أن الملل قد تسرب إلى قلوبهم؟ ما ذواتنا وكيف تكبر إلى هذا الحد حتى تعمينا عن حقيقة الأمور من حولنا؟ هل يدرك كل منهم مقدار ما يحمله على عاتقه من مسئولية تجاه ملايين المعجبين



والمستمعين الذين ينتظرون فنهم ويترقبونه بفارغ الصبر؛ ليخفف عنهم كثيراً من وجع الحياة أو يساعدهم حتى على فهمها؟

كذلك هل يدرك كل مسئوليته تجاه بعضهم البعض، احترام وتقدير هذه التجربة التي أعطت لكل منهم قيمة لم تكن لتتوافر دون الأربعة الباقيين؟ هل يعرفون مقدار ما حققوه؟ وكم شخصاً يريد أن يكون مكانهم؟ ويحاول أن يشبههم ويكرر تجربتهم؟ كم من مرة كانت الدنيا قاب قوسين أو أدنى من الانهيار في رحلتهم؟ كم من أزمة مر بها كل منهم وحده ووجد أخاه في ظهره؟ هذا الحب الجارف والرابط المتين بينهم جميعاً، من ذا الذي يمكنه أن يتخلّى عنه؟

وأكثر ما يلفت نظري الآن أن كلهم يخجلون من إظهار مشاعرهم، وبعضهم مثل أمير وشريف يظنون أن التعبير عن المشاعر ضعف، أما آدم وهواري وتامر فمن السهل أن تلحظ ما بداخلكم وشعورهم نحو بعضهم البعض.. إنهم يحتاجون إلى أن يطمئنوا بعضهم البعض.

رغم أنهم يتحدثون بالساعات في اجتماعاتهم، إلا أنهم لا يقولون ما يحتاج حقاً لأن يقال.

ولكن في بعض الأحيان تكون المحن إعادة اكتشاف لقوة العلاقات ومتانتها؛ فالمحن تضع أي علاقة تحت ضغط رهيب... إما أن تنكسر، أو تصبح أقوى مما كانت.

وهو الاختبار الذي سيتعرض له الفريق في غضون أشهر قليلة.

والذي بدأت بذوره ونحن في لندن.

نسير في صمت تام على رصيف واحد طويلاً نحو المسرح في تمام العاشرة والنصف صباحاً. من حولنا البناءات الصماء التي تميزت بها إنجلترا في عقد السبعينيات.. الرصيف العريض بطوله سياج من أوراق الشجر الخضراء تفصل المبني عن الشارع.. صوت العصافير لا يزال يتتردد في المكان والشمس ليست في

قوة سطوع الأمس.. سيارات قليلة تمر بجوارنا دون صوت تقريباً.

يجري هادي حقيبة سفر ثقيلة تحتوي على بيدالز هواري.. أحمل حقيبتي التي أثقلها شريف باللابتوب وكما هائلاً من الكابلات بينما يسير هو حراً، بجواره آدم وتامر واضعاً نظارته في أعلى صدره ويديه في جيوبه، يسبقهم أمير الذي يسير وحده وهواري وراءه يدخن شاخضاً ببصره نحو الأرض.

قبل أن نعبر الشارع للمسرح لمح تامر محلاً للأدوات الموسيقية، فتذكرة أنه نسي ستيفن الدرامز في الطائرة.. دخلنا جميعنا للمحل وأخذنا نتجول فيه.. كان صامتاً وهادئاً ليس به سوى رجل عجوز ربما يكون قد تخطى الثمانين.. حولنا وجدت كتبًا لا حصر لها بها النotas الموسيقية لأهم أعمال العظام: من بيتهوفن وباخ وموزارت، إلى مايكل چاكسون وبرينس وبينك فلويدي.. كل ما له علاقة بالموسيقى هنا: كابلات، إكسسوارات، ميكروفونات، أقلام رصاص وممحوات.. كل ما يمكن أن يحتاجه الموسيقيون على اختلافهم،

من أول عازفي الأوركسترا وصولاً إلى الفرق الإلكترونية الشابة.

Picks اشتري تامر الستيكس واشتري هواري بعض الـ للجيتار وخرجنا.. كلمنا أمينة ووصفت لنا باب الدخول للمسرح.

ندخل من الدور الثاني تحت الأرض.. صعدنا للمستوى صفر. تستقبلنا على باب المسرح سيدة إنجليزية مرحة.. وتصف لنا خريطة المسرح وأماكن الدخول والخروج والطوارئ.. ترينا غرف الاستراحة وركن الأطعمة الخفيفة والمشروبات ودورات المياه.. منحتنا كلمة سر المصعد في حال احتياجنا للخروج للتدخين، ثم سارت بنا إلى مدخل خشبة المسرح.

الفصل السادس والعشرون

شريف

يسكن شريف منذ مولده حتى اليوم في عمارت العبور بجوار نادي الحرس الجمهوري.. كان يخرج وهو طفل للشرفة؛ ليستمع للحفلات التي تقام في النادي المجاور لمنزله في المناسبات مثل شم النسيم والأعياد، وفي حجره كان يضع بيانو لعبة اشتراه له جده، ويظل يسمع النغمات الآتية من بعيد، ويعزفها على آلته الموسيقية البلاستيكية.

فوجئ والداه بهذه الموهبة.. لم يهتم أبوه (كالعادة!) بينما اهتمت أمه كثيراً بتنمية هذه الموهبة. أم شريف ذات أصول أرجنتينية مصرية، بينما أبوه من مدينة المنصورة، وربما يفسر هذا الخلط وسامة شريف التي تصيب الكثير من البنات الصغيرات بالارتباك.

أخذته والدته إلى أحد مراكز تعليم الموسيقى بمصر الجديدة، وبدأ في تعلم الموسيقى الكلاسيكية منذ سن



7 سنوات.. بدأ تعلم قراءة النوتة ولكنه لم يكن لديه الصبر الكافي. قرر أن يغش بأن يطلب من مدرسته أن تلعب المقطوعة أمامه مرة، يحفظها فوراً، ثم يتظاهر وكأنه يقرأها من النوتة الموضوعة أمامه، معتمداً على موهبته الفطرية في اللعب السمعي.

رب بالطبع، ولكنه استفاد من أنه كان قد مَرَّن أذنيه جيداً على التقاط النغمات.

ويذكر الكثير من الفضل لمدرسته، الكولاج دي لاسال بالظاهر، التي اهتمت بتنشئته موسيقياً.

يختلف شريف عن بقية رفاقه في كايروكي الذين اختاروا الموسيقى في فترة متأخرة من حياتهم ولم يمارسوها من الصغر، كما أنه ليس من المعادي وانضم إليهم متأخراً، أضف إلى ذلك صغر سنه بشكل كبير عن بقية أعضاء الفرقة (حوالي 5 سنوات)، لتخيلكم كان صعباً عليه في البداية أن يجد نفسه مرتاحاً وسط كايروكي.. أ تعلم ذلك الإحساس حينما توجد شلة

تكونت سنوات ثم تدخل فيها أنت؟ تشعر أنك مختلف بشكل ما.

تدرب مع مدرس الموسيقى طوال سنته الابتدائية الأولى على لعب الكيبورد- الذي أحبه كثيراً وقرر أنه سيكون آلة المفضلة لبقية حياته- استعداداً لحفل آخر العام، ولكن قبلها بأيام فاجأه المدرس أنه سيلعب الإكسيليفون.. كانت الأغنية التي سيلعبونها «أعطي الناي» لفيراوز.

بعد أن أنهى فقرته في الحفل انتقل مع والديه إلى صفوف المشاهدين، وكانت الفقرة التالية مسرحية تقوم فكرتها على أطفال يتم حبسهم في غرفة الفئران وهي شيء مرعب لكل الأطفال، ولكن ما يحدث هو أنهم يحولونها إلى مكان رائع يمكنهم العيش فيه بسعادة. يخبرني شريف بكثير من التأثر أن هذه اللحظة السحرية أثرت في حياته كلها؛ لأنها غرست بداخله فكرة لم يكن يتوقع أن يدركها في سنه الصغيرة هذه: مهما كانت البيئة التي تحيط بك صعبة



ومخيفة، فإن لديك المقدرة لأن تغيرها إلى مكان أفضل.

وهي فكرة يكررها كثيراً في حديثه عن الفن.

في العام التالي رفض المدرس أن يترك شريف يلعب الكيبورد مرةً أخرى، وهذه المرة أعطاه الأكورديون.. أمسك الطفل ضئيل الحجم بالآلة الضخمة وخف منها، ولكنه حاول التمكّن منها كي يظهر في الحفل.. ومن يومها وقع في حبه.

في الصف الخامس الابتدائي أمسكت به مدرسة اللغة الفرنسية مختبئاً في غرفة الموسيقى يعزف البيانو، فأرسلته إلى مسابقة ينظمها المركز الثقافي الفرنسي. أخيراً جاءته الفرصة ليلعب الكيبورد! ولكن مدرس الموسيقى أصرّ أن يلعب شريف الأكورديون مرةً أخرى.. تدرب على الأغنية وانتابه شعور سعيد بالأهمية حينما وجد نفسه يستقل حافلة المدرسة وحده لتأخذه إلى هناك.. فوجئ أن كل مدرسة تشارك بأعداد من فرق التمثيل والموسيقى أما هو فيقف



منعلاً وحده.. كان دوره الأخير. لعب الأغنية.. كسب الجائزة: كتابين، وعاد لمدرسته بطلاً بعد أن حصل على جائزة على مستوى المدارس الفرنسية في مصر.

مكّنه هذا الانتصار الصغير من أن يلعب الكيبورد أخيراً في المرحلة الإعدادية.. اشتري كيبورد 5 أوكتاف وبدأ يعزف عليه ويتطور نفسه سماعيّاً طوال الوقت. ركز طوال هذه الفترة على الاستماع إلى مختلف أنواع الموسيقى، وكان في هذه المرحلة شديد الشعبية في مدرسته والنادي؛ حيث كان يلعب عدة رياضات مختلفة إلى جانب عزف الموسيقى.

ولكن حدث شيء غريب فجأة مع دخوله مرحلة البلوغ.

يذكر لي شريف أنه حين كان يتلقى دروس تمثيل مع بقية أعضاء الفرقة استعداداً لمشروع آخر لم يتم، كانت مدربة التمثيل تحاول أن تفهم من شريف ماذا حدث له في هذه الفترة، ويقسم بدوره أنه لم يحدث

له أي شيء يجعله يتتحول هكذا... فهو لم يمر بصدمة عاطفية أو نفسية مثلاً، أو لم تتغير علاقته بأهله بشكل درامي مفاجئ.. فقط استيقظ يوماً مفعماً بالكآبة والسوداوية وشعر أن الدنيا كلها لا تساوي شيئاً، وأنه لا يهتم بأي شيء على الإطلاق أو يشعر بأي شيء تجاه أي شيء، مفضلاً الوحدة.. بات يشاهد الأفلام في غرفته لساعات عديدة طوال اليوم... يستمع للموسيقى وحده طوال الوقت... يجلس وحده في الفصل ولا يترك أحداً يجلس بجواره ولا يتحدث مع أحد... يرفض الخروج مع أصدقائه... كل شيء مرفوض بالنسبة له.

وقتها أيضاً كان لاعباً محترفاً للكرة الطائرة وأرادت إحدى الأندية شراءه، ولكن ناديه رفض فأصابه ذلك بمزيد من الإحباط.

وحقيقة لا أعرف ما السبب وراء هذا التحول المفاجئ لشريف، ربما يكون ذلك بسبب التغيرات الهرمونية، ربما يكون بسبب اختلاف في الإدراك... وربما تكون تراكمات يحملها معه من الطفولة، لا أدرى.

ظل شريف في هذه الفترة المظلمة حتى دخوله الجامعة.. وبعد سلسلة من الصدمات العاطفية العنيفة ازداد سوداوية وانغلقاً، وبدأ يتحول رويداً إلى ذلك الشخص الذي نعرفه اليوم، قليل الكلام، بارد المشاعر ظاهرياً، قليل التفاعل وقليل الذوق في أحياناً كثيرة.. يعيش في عالمه طوال الوقت ويتعامل كأنه لا يسمعك ولا يراك حين يختار ذلك.. وتماماً مثل القطط، حين يحتاج إلى الاهتمام أو حكي مخاوفه مع أحد، يأتي إليك ويحدثك بالساعات دون انقطاع، ثم يتركك ويعود دون أن يلقي عليك السلام.

لدى كل أعضاء الفرقة طريقة غريبة في إظهار مشاعرهم والتواصل مع بعضهم البعض ومع العالم الخارجي.. تشعر أنهم دوماً غير مرتاحين لهذا الأمر، والانطوائية كلمة تصفهم جيداً، وهو ما ليس مستغرباً نظراً لطفولتهم المتقلبة ونموذج الأب المزعج الذي رافقهم جميعاً.

يأتي شريف ليكمل سلسلة «آباء وأبناء» في كايروكي؛ فهذه المعاناة التي مر بها كل واحد منهم مع أبيه،



والذي مثل السلطة القمعية بشكل أو باخر وجعلهم يرفضونها حينما كبروا، كانت دافعاً قوياً لإنتاجهم الموسيقي ورسالتهم المستمرة برفض إملاءات الأجيال السابقة، وهي الرسالة التي تطابقت تماماً مع المزاج العام لمصر ما بعد 25 يناير، وهو - أيضاً - ما جعلهم يعبرون بصدق عما مر به أبناء هذا الجيل من المعاناة نفسها مع سلطة الأهالي والأجيال السابقة.

وأعتقد أنك قد بدأت تلحظ أن نموذج الأب يلعب دوراً مهماً في حياة كايروكي كاملة، فلا يوجد عضو واحد من أعضاء الفرقة إلا وكان أبوه بالنسبة له عاملاً من عوامل الضغط والمعاناة بدرجة معينة، ولا يمكن أن تفصل هذا الأمر عن نتاج كايروكي الموسيقي وشخصيتها الموسيقية كل؛ خاصةً فيما يخص تركيزهم الكبير على صراع الأجيال الصغيرة مع تلك التي تكبرها، ورفضهم لفكرة النموذج الأبوى الذي يسيطر على مجتمعنا.

وإذا كانت هناك عدة عناصر يختلف فيها شريف عن بقية أعضاء الفرقة، فإنه يتافق معهم تماماً في هذه



الجزئية.. «نحن أسرة من جزر منعزلة.. أبي لم أتحدث معه كثيراً في حياتي، وكذلك أختي.. ليس هناك بيننا حتى أي نوع من الاحتكاك يمكن أن أحكي عنه».

سأقابل والدي شريف بعد شهور أثناء أول زيارته لهما للمكتب، وكان حديثي مع والدته شديد اللطف، حيث تكلمت معي بلهجة فيها كثير من الاعتذار: «أرجوك اكتب في الكتاب أننا كأهالي نخطئ كثيراً حين لا نلتفت لمواهب أبنائنا منذ الصغر، ونظل مصرین على أن نضعهم على المسار الذي نظنه صحيحاً لمستقبلهم.. كنت أتمنى لو أننا رعينا موهبة شريف مبكراً ولم يحتج إلى خوض الكثير من المعارك كي تتقبل هذا الأمر».

أما والده فدار في الاستوديو الذي يزوره لأول مرة وبدأ ينتقد كل ما يراه: دهان الحوائط.. طريقة رص المقاعد والأدوات الموسيقية.. الأخشاب المتراامية هنا وهناك. وأثناء مروره بأحد الممرات أمام غرفة شريف، انزعج للغاية من وجود مسمار خارج من إحدى



الأَخْشَابِ المستندة إلى الحائط، ورفض أن يغادر حتى يأتي شريف بكمامة ويخرجه.

وحين وقف مستندًا إلى البيانو البني وسط الصالة.. تسأله إن كان يعلم أن ابنه كتب لحناً شديداً العذوبة على هذا البيانو لأنّه كاد يموت رعيًا عليه.

في إجازة الصف الأول الثانوي، اقترح أحد أصدقائه أن يلعبا الموسيقى معاً.. دخل شريف إلى عالم الميتال والروك بقوة، وقام بتصوير كتب تعليم الموسيقى الخاصة بصديقه وبدأ يعلم نفسه بنفسه، وهي عادة سيظل يمارسها بإصرار عجيب حتى اليوم مع اختلاف الوسائل بالطبع؛ فبدلاً من الكتب سيعتمد أكثر على الكورسات الإلكترونية والأفلام الوثائقية واليوتيوب.

تمكن شريف من الكيبورد، وصار أخيراً الطالب الأكبر سنًا وله الأفضلية في اختيار الآلة التي يريد أن يلعبها، وحقق حلمه بلعب الكيبورد في حفل آخر العام بالمرحلة الثانوية.



واصل الاستماع لميتاليكا وGuns N' Roses ومشاهدة حفلاتهم بانبهار.. يذكر جيداً كتاباً أتى به أحد الأصدقاء من أمريكا، كانت به كل النوت الموسيقية لألحان ميتاليكا.. ظل يذاكره بجنون.

في أحد الأيام وهو يشاهدان حفلاً موسيقياً على شريط فيديو أخبره صديقه: ما رأيك أن تكون باند؟ كان ذلك في عام 2004، العام نفسه الذي لعبت فيه كايروكي حفلتها الأولى في ساقية الصاوي.

كان لا يزال أمامه عامان على تخرجه من المدرسة.

كون شريف مع أصدقائه فرقة اسمها Shade، وكانوا يلعبون أغاني مختلفة لعدة فرق. وبدعوا في دخول الاستوديو والتدريب والتسجيل باستمرار، ثم بدعوا يلعبون في الحفلات.

في هذه المرحلة بدأ شريف يدرك معنى الكلمة Production.. أدرك مفاهيم توزيع الألحان على أعضاء الفرقة، وكل فرد ودوره في عمل الأغنية، وببدأ

يفك ويحلل الأغاني الشهيرة التي كانوا يلعبونها ويفهم كيف تم بناؤها.

كان استشكاف شريف للإنتاج الموسيقي منطقياً، فهو وإن لم يكن قد ألف أي مقطوعات بعد، إلا أنه كان يلعب عدة آلات موسيقية كما أنه يستخدم الكيبورد لإخراج أصوات آلات أخرى، وبالتالي رويداً رويداً بات ملماً بفكرة تعددية الأصوات وخواص كل آلة.

في سنته الثانوية الثالثة لعب شريف مع فرقته في حفل تخرج دفعته على مسرح المدرسة لآخر مرة.

ولم يعد إلى المدرسة إلا بعد عشر سنوات ليقدم حفلاً فوق المسرح نفسه، عازفاً للكيبورد في فرقة موسيقية شهيرة.

في عام 2006 دعيت فرقة شريف للعب حفل في إحدى الجامعات الخاصة.. كانت توجد فرقة أخرى من الشباب الصغير اسمها كايروكي ستقدم فقراتها أيضاً.

كانت المرة الأولى التي يراها فيهم شريف.. شعر بالغيرة من المقدمة الطويلة التي قدمتها بهم الفتاة وكأنهم نجوم مشهورون، رغم أن فرقته كانت الأشهر بين الجامعات.

وأكثر ما يذكره من هذا الحفل هو انطباعه الأول عنهم: «المغني بتاعهم صوته وحش أوي».

بعدها واصل استكشاف عالم الإنتاج الموسيقي على الإنترنت، ثم تشجع وقرر أن يلحن ويوزع أغنية البروم الخاصة بمدرسة صديقته التي كانت تشجعه دومًا على لعب الموسيقى، ليصبح بذلك مؤلفه الموسيقي الأول.

يوضح وهو يتذكر رداءة الأغنية. يذكر أنه استخدم برنامج Sony Acid، والذي كان برنامجًا بدائيًا للغاية؛ «طبعًا حينما ظهر بعده برنامج Fruity Loops كانت هذه طفرة هائلة».



برنامِج به آلاف العينات الصوتية **Fruity Loops»** القصيرة **Samples**, كما أن به مؤثرات عديدة ويساعدك على وضع فلاوتر على صوت المغني أو أي آلة موسيقية، ويعد رائداً في فكرة التأليف بالكمبيوتر».

ويخبرني أمير وشريف أن هذا البرنامج لا يزال يستخدم حتى الآن رغم أنه عفا عليه الزمن، ولكن كل أغاني المهرجانات يتم تأليفها به. كانت «عقرية البرنامج في أنه لا تحتاج إلى تعلم الموسيقى أو هندسة الصوت، فأنت لديك آلاف المقاطع والإيقاعات المسجلة مسبقاً كي تستخدمنها؛ مما أدى إلى تشابه الأغاني التي يتم إنتاجها باستخدامه، وأغاني المهرجانات التي تسمعها وتشبه بعضها البعض تبدو كذلك لأنهم يستخدمون الأدوات المحدودة المتاحة بهذا البرنامج».

في عام 2007 دخل شريف الباند الأخير قبل كايروكي: **Karma**. وظل يؤكد لي أنها كانت أكثر شهرة منهم في ذلك الوقت، وأنه حين كان يلعب في



الساقية كان عدد الحضور يزيد عن 600 شخص، بينما عدد الحضور لدى «كايروكي» لم يكن يتخطى الـ 150 مستمماً.

أثناء هذه الفترة كان ثمة سؤال يلح على شريف طوال الوقت: لماذا يهتم المستمعون لفرق الـ Covers بالموسيقى والألحان والصلوحتات دون الكلمات؟ وفقطن إلى أن السبب هو عدم فهمهم لها وللت شبكات والمعاني المقصودة من ورائها عموماً.

وظلت هذه المشكلة تؤرقه، فهو يريد أن يقدم شيئاً ذا معنى وقيمة يصل للناس ويؤثر فيهم، وهو ما لن يتحقق أبداً إذا ظل يلعب أغاني أجنبية.

حتى كان اليوم الذي استدعي فيه لتجارب الأداء في كايروكي.



الفصل السابع والعشرون

إنجلترا (3)

مسرح الباربيكان هو مركز الفنون الأكبر في أوروبا.. يستضيف المسرح الحفلات الموسيقية والفنية الكلاسيكية والحديثة وعروض المسرح والسينما والمعارض الفنية، وهو المقر الرئيسي لأوركسترا البي بي سي العريقة، وفرقة مسرح شكسبير الفرقة الأعرق والأهم للمسرح في العالم. قامت مدينة لندن ببناء المركز كهدية للمملكة المتحدة بتكلفة 161 مليون جنيه إسترليني (أي ما يعادل 480 مليون جنيه إسترليني اليوم) وافتتحته الملكة إليزابيث الثانية عام 1982.

يتكون المبنى من 4 أدوار اثنان منها تحت الأرض. وتم تصميمه على طراز Brutalism المعماري، وهو طراز حديث نشأ في سبعينيات القرن العشرين ويعود انعكاساً بارزاً للثقافة الصناعية التي تفتقر للجماليات وتركز على العملية البحتة، ويتميز كثيراً من المباني



الحكومية والثقافية الأوروبية والإنجليزية على وجه الخصوص.

تظهر ضخامته الحقيقية في أنه مبني بشكل أفقي؛ فهو يحتل شارعاً بأكمله. وبالطبع نظام الصوتيات فيه رائع، خاصةً مع الأسقف شديدة الارتفاع التي تجعلك تشعر وكأنك ضئيل للغاية وسط مساحة مفتوحة من الأركان متراصة الأطراف، تستطيع أن تمتص الصوت وتجرك بشكل ما على احترام المكان الذي تقف فيه وكأنك في حضرة آلاف الأعمال الموسيقية والفنية التي عزفت هنا على مر السنوات الثلاثين الماضية ولا تزال ألحانها عالقة في الهواء دون أن تغادر.

سيظل استيعاب وتقدير الأوروبيين للفنون هو مصدر حقدى عليهم وحسدي لهم حتى أموت.

دخلنا إلى خشبة المسرح مباشرةً.. كانت تمتد أمامنا القاعة الضخمة التي تتسع لألفي شخص، بدرجاتها المختلفة (صالة وبلكون).. هي أصغر من دار الأوبرا

المصرية، وتماثل في الحجم والشكل قاعة مسرح الإسكندرية وإن كانت أكبر قليلاً، تميزها الكراسي الملونة، فكل فئة من المقاعد لها لون: أرجواني، أخضر مزرق، ونبيتي غامق.

التقنيون يروحون ويحيئون بمعدات الصوت والإضاءة ويقومون بترتيب المسرح كما طلبت منهم أمينة.. كانوا خليطاً من الإنجليز والأوروبيين الشرقيين. عصام في مكانه المعتاد في أعلى نقطة من المسرح يجلس خلف معداته الكثيرة، وبجانبه تجلس سيدة جامايكية مسؤولة عن الإضاءة وأمينة.. يتعدد صوته في أرجاء القاعة وهو يجرب الميكروفونات.

في تمام الحادية عشرة وأربعين دقيقة، طلب عصام من تامر أن يصعد إلى المسرح ويبداً في لعب الدراما.. كان كل واحد منهم قد جلس في كرسي بعيد عن الآخر.. جلست بجانب هواري الذي كان يلعب Games على هاتفه المحمول؛ ليتخلص من توتره. انتهى عصام من ضبط صوت تامر، والذي كالعادة يأخذ وقتاً لأنه يلعب الآلة الأعلى صوتاً وبالتالي



تتطلب مزيداً من الوقت لضبطها حتى لا تغطي على بقية الآلات.. طلب تامر من عصام عدة مرات أن يكون صوته جافاً أكثر من هذا، أي لا يحمل الكثير من الصدى الذي كان يتتردد في أرجاء القاعة.. بعدها صعد شريف.

بحلول الساعة الثانية عشرة والنصف، كانوا جميعاً على المسرح.. بدأ أمير بطبع أغنية «حلمي أنا».. وبدأ هواري في ضبط الجيتار والإفيكتس.. أخذ ذلك بعضاً من الوقت فذهب أمير وجلس على الأرض بجانب درامز تامر. تحدث شريف مطولاً مع مايكيل مهندس المونيتور الذي سيكون مسؤولاً عن الصوت الذي يسمعونه في آذانهم.. كان يضبط معه درجات صوت الكيبورد والPlayback الذي سيخرج من اللابتوب.

في هذه الأثناء جلست بجانبي فتاة ذات ملامح هندية ولكنها تتحدث الإنجليزية بل肯ة لندنية واضحة.. تجاذبنا أطراف الحديث، وأبدت تعجبها من تحدي للإنجليزية بطلاقة وملامحى فلم تظن أنى مصرى



بالمرة (وهو أمر اعتدته كلما تواجدت في إنجلترا؛ مما يؤكد نظرية أمي من أنه قد تم تبديلي في المستشفى حينما ولدتني في إحدى ضواحي لندن قبل اثنين وثلاثين عاماً).

عرفت من هادية أنها باكستانية مسلمة، وهي من الجيل الثاني الذي ولد في إنجلترا بعد هجرة والديها إليها.

ودون قصد مني حكت لي عن معاناتها في فقدانها الهوية واضطرارها لدمج هويتين مختلفتين تماماً بداخلها، وصراعها بين والدين يصران على التحدث إليها بالأردية، والمدرسة التي لا تتكلم فيها سوى بالإنجليزية، وكيف تصطدم هاتان الثقافتان بداخلها.

أخبرتني أنها تحلم بزيارة باكستان يوماً ما لتعرف إلى جذورها، وحكت لي عن المضايقات التي واجهتها وهي طفلاً ويستمر بعضها إلى اليوم بسبب لونها وشكلها المختلف، وكيف أنها تجد الجمع بين تربيتها



المنغلقة كمسلمة، والمجتمع المفتوح المتحرر الذي تعيش فيه أمراً شديد الصعوبة.

كانت هادية بالنسبة لي في هذه اللحظة وجهًا آخر لأزمننا ذاتها: نموذج شرقي يحاول الغرب سحقه وتذويبه ودمجه.

كانت أمينة كل فترة ترجو الفرقة أن تبدأ في ال Run through (غناء أغاني الحفل كلها).. كانوا يتتجاهلونها ويحاول كل منهم على حدة أن يضبط صوته مع عصام أو تقني الصوت.. تأملتهم جمیعاً على المسرح، كم هي المسافة قريبة بينهم في الظاهر، وكم هي بعيدة بأميال وأميال في الحقيقة.

بدعوا البروفة الشاملة في الواحدة ظهراً، وهو التوقيت الذي كان المفروض أن يكونوا قد انتهوا فيه.. ولكنهم مصريون بالطبع.

لبعهم سيئ.. التوقيتات غير مضبوطة.. صوت بعضهم يظهر والآخر لا.. يقاطعون بعضهم البعض في العزف.



يتوقف أمير كل فترة ليتحدث مع عصام بانز عاج واضح.. خلقه ضيق وصبره قليل. جميعهم يبدون غاضبين ومحبطين ولكن دون أن يقول أحد them شيئاً.. كانوا يتعاملون باحترافية شديدة: مرغمون على الوقوف على هذا المسرح ولكنهم لا يبدون ذلك لبعضهم البعض أو لأي أحد ممن حولهم.. بدءوا في غناء «إحنا الشعب»، وأخذ الأمر وقتاً طويلاً في ضبط الـ Ques التي طلبتها منهم أمينة.

كانت أمينة تريد منهم أن يقوموا بعمل حركة ما على المسرح في أغنية «إحنا الشعب».. يتقدم آدم وهواري من مكانيهما حيث سيظلم المسرح ويتركز الضوء عليهما في جملة «إحنا الصوت ساعة ما تحبوا الدنيا سكوت».. لم يكن ضبطها سهلاً وبدأ أمير يشتكي.. كانت أمينة مع مهندسة الإضاءة تريد أن تخلق نوعاً من الحركة على المسرح، لم تتعودها بقية الفرقة. ولأن أمير يتحرك بطبيعة الحال، وشريف وتامر لا يستطيعان مغادرة أماكنهما، فلم يكن هناك أحد حر الحركة سوى هواري وآدم، وكلاهما يكره ذلك.. هواري

يريد أن يركز فيما يفعل، وآدم يريد كل حفلة أن ينتهي من المهام المحددة ويغادر بأقل جذب ممكن للأضواء.

وفي أغنية «مطلوب زعيم» هناك حركة أخرى على المسرح: يقف أمير في الظلام الدامس، يبدأ Rythm الخاص بالأغنية، ينفتح الضوء أمامه فيتوجه ناحيته، يقف تحت الضوء أمام المايك ويبدأ الغناء.. بعد ال Verse الأول يخرج آدم وهواري من ورائه إلى الضوء.

كانت أمينة تحاول بكل قوتها أن تحرك الفرقة كما تفعل الفرق الأخرى، ولكن أقدام كايروكي كانت وكأنها مثبتة بالإسمنت في أرضية المسرح.

أرى ترتيبهم على المسرح من مكاني في أول كرسي كالتالي: المونيتور في أقصى اليمين، هواري، بعده في الخلف تامر، أمامه بالضبط أمير، وبعده على الخط نفسه شريف، وفي اليسار على خط تامر يقف آدم.. في أقصى اليسار يقع بيانو ياماها ضخم.. عدة تامر



الموجودة من ماركة DW، ويستخدم شريف كالعادة كيبورد «كرونوس» الخاص به، بينما يلعب هواري بجيتاره الفيندر الأحمر، وأمير بجيتار جيبسون.

تنتهي البروفة الثقيلة في الثانية والنصف.

بعد استراحة تدخين يقومون بعمل حوار مع أحد التليفزيونات العربية. يجري أمير وآدم الحوار: كايروكي لديها فلسفة بـألا يقوم خمستهم بحوارات صحافية أو تليفزيونية معاً؛ حتى لا يتبيه الحوار وسطهم وينتهي الحال بأن نصفهم لم يقل شيئاً تقريباً.

يطلب تامر من هادي بعد البروفة أن يقوم بتقديم سفره ليرحل في الغد.. كان المفترض أن يمكتوا يومين إضافيين على سبيل التغيير، بينما حجزت أنا نهاية الأسبوع وكذلك فعل شريف.. تعجبت حين عرفت ذلك وسألته لماذا؟ حاول أن يخبرني بأنه يحتاج للسفر لأنه سينتقل من منزله إلى سكن جديد، وزوجته تحتاج إليه.. تركته بعض الوقت ثم عدت



أسأله مرة أخرى، لماذا تريد السفر فجأة: «يا مان إنت مش شايف اللي بيحصل؟ فين صاحبي اللي أنا مسافر معاهم؟ كل واحد في حتهة ومحدش بيتكلم مع حد! أنا مش طايق نفسي وكرهت البلد دي ومش قادر أقعد فيها ساعة واحدة».

يتحرك هواري بسرعة مع شريف كي يذهبا إلى محل الموسيقى في دنمارك ستريت لإصلاح البيدال بوردي.. بينما تغادر بقيتنا إلى الدور العلوي الذي يحتوي على مطعم.. نتناول فيه الغداء معًا، وننتظر ريثما يمر الوقت، ونعود للفندق.. أستريح في غرفة هادي، الذي يؤكد في رسالة للجروب أننا سنتقابل جمیعاً في السابعة و45 دقيقة.

يرسل تامر أنه في الأسفل بعد السابعة والنصف بقليل، ويرسل لنا سليم من القاهرة يرجو للجميع حظا طيباً.

أغسل وجهي وأنظر إلى نفسي في المرأة.



رغم أنني لن أخرج إلى المسرح اليوم، إلا أنني أستطيع أنأشعر بكل الضغط الذي يمرون به.. من الواضح أن درجة حساسيتي التي رفعتها لأقصاها منذ أن بدأت هذه الرحلة كي ألتقط كل ما يمرون به وأكتب عنه قد بدأت ترهقني.. لماذا أنا متضايق لحالتهم بهذا الشكل؟ ولماذا ينتابني القلق والتوتر؟ ما الذي حدث للكاتب والباحث الذي قرر أن يتخذ من فرقة موسيقية موضوعاً لدراسته لا أكثر ولا أقل؟

هذه الأجواء: السفر، الغربة، البعد عن الوطن، واللعب أمام جمهور غريب.. كلها تضعف كفنان تحت ضغط رغمًا عنك.. لا علاقة للأمر بكل الحفلات التي قمت بها من قبل ولا بثقتك بنفسك وبموسيقاك، ولكنه يتعلق بإعادة اكتشافك لوجودك وفنك على مسرح بعيد عن موطنك.. هذه الحالة من الغربة تضع فنك في اختبار لا تمر به كل يوم، وهو اختبار أمام الجمهور الذي لا يعرفك جيدًا تماماً كما هو اختبار لنفسك أمام نفسك..

في هذا الفضاء الواسع البارد..



هل تنجح الموسيقى في أن تذيب الفوارق وتدخل إلى قلوب المستمعين؟

وهل ستستطيع بسحرها أن تعيد الروابط المتمزقة؟

الفصل الثامن والعشرون

الشلة والطفولة

يصف هواري شلة أصدقاء الطفولة بأروع ما يمكن:

«لا أدري كيف أصف ذلك الشعور الذي كان ينتابني حين نسير معاً في أي مكان.. كان شعوراً بالتحقق.. كنا نشعر أننا نملك العالم وأننا قوة لا تقهـر.. كنا محترمين ولكن المحترمين لا يحبونـا، وكـنا بـذـيـئـين وـنـحـبـ المشـكـلـاتـ ولكنـ الأـشـقـيـاءـ لمـ يـرـواـ أنـناـ نـتـمـتـعـ بـالـبـذـاءـةـ الكافية».

كان هؤلاء المشردون الذين كـوـنـواـ بـعـضـهـمـ بـعـدـ ذـلـكـ واحدة من أهم وأشهر الفرق الموسيقية في مصر أطفالاً من كل الجهات والخلفيات الثقافية والاجتماعية: «لم نكن جميـعاً من الطبقة الاجتماعية نفسها.. ولم نكن نحصل على المستوى نفسه من التعليم، ولكن كان بينـاـ قـدـرـ هـائـلـ منـ التـنـاغـمـ والتـجـانـسـ.. لا تـمـ تـرـبيـتـناـ بـالطـرـيقـةـ نفسـهاـ بـالـمنـزـلـ،



وطبعاً لم نكن الشخصيات نفسها تماماً.. ولكننا كنا نرتاح لتواجدنا مع بعضنا البعض».

هذا صحيح.. كان هواري طفلاً هادئاً مسالماً لا يحب المشكلات، وكان أمير طفلاً قلقاً مشاغباً ولكن مهذباً في الوقت نفسه.. بينما كان صديقهم يوسف هادئاً هدوء القتلة.. ذلك الهدوء الذي يخفي تحته كثيراً من الجنون. بينما كان تامر عنيفاً ناقماً غاضباً. وكان آدم هادئاً على السطح ومن الداخل.. أما عماشة فكانت طيبته يجعله يتأخر في فهم وإدراك خبث كل من حوله، وعمر يقدر ذكاءه..

وعبد الله شقياً للغاية، أما هيثم فكان سخيفاً ومستفزًا كما يقولون عنه ولكن له ضحكة تدخل القلب وشخصية مرحة آسرة، وكانت معهم عشرات الأسماء الأخرى التي ربما ذكرت لك بعضها من قبل أو سأذكرها فيما بعد.

كان كل هؤلاء يجتمعون إما في النادي أو الشارع أو بيت أحدهم.. كان العالم حولهم لا يزال هادئاً.. ينادون على بعضهم البعض من تحت البيوت.. يلعبون الكرة



في الشارع.. يتلصصون على الفتيات، ويبحثون عن عراكات تافهة يثبتون بها أنهم صاروا كباراً.. كانوا يضربون الكرة في الحاجط ويركلونها لبعضهم البعض، ويستمرون إلى موسيقى غريبة لا تشبه أي شيء يسمعه أهاليهم فيشعرون بحرية مفتقدة، ويجدون في الأغاني والأفلام هروبًا من رقابة متسلطة تحدد لهم حياتهم.. كانوا يعانون من التعليم سواء من كانوا في مدارس خاصة أو حكومية.

كانوا أطفال تسعيينيات مثاليين: يشاهدون النينجا تيرتلز في رمضان ويلعبون الكرة ساعة العصر وي safرون إلى العجمي في الصيف ويفخرون بالحذاء المضيء عند دخول المدارس ويكتشفون طرقًا جديدة للتزويع والهروب من المدرسة ويبحثون عن مشتقات تضيع وقتهم مثل: محلات القيديو جيمز والبلياردو. وحين كبروا بعض الشيء كانوا يريدون استكشاف الشارع كي لا يخدعهم أحد، وأصابهم هوس المراهقة بالرجولة الظاهرة المتمثلة في الجسم الرياضي ونيل إعجاب الفتيات وتدخين السجائر

وقيادة الموتسيكلات والتسكع أمام النوادي على الحقائب الخلفية لسيارات ذويهم.. كانوا يريدون أن يجعلوا أهلهم فخورين بهم ولكن لا يعرفون كيف.. فشل معظمهم في الدراسة ونجح بعضهم.. ولكن لم يكن أحد منهم يهتم بما يفعله أو يملكه غيره.. كانوا يستمعون للموسيقى ويشعرؤن بالخجل من الشوارب التي تخط وجوههم وأصواتهم التي تزداد خشونة فجأة.. كانوا شلة تزيد أن تتعارك مع أي أحد؛ لأن هذا معناه أنهم أصبحوا أقوى وأقسى وبالتالي يكسبون احترام من حولهم وربما قبول آبائهم القساة ذوي المعايير المرتفعة.. كانت لدى كل منهم معركته مع أبيه بشكل أو باخر: الذي يقمع، والذي يغادر، والذي لا يهتم.. كانوا يبحثون لأنفسهم عن صوت وجده في الموسيقى التي تتكرر في آذانهم ليلاً نهار.

كانوا يسعون وراء لفت نظر فتاة.. يسافرون وحدهم بحثاً عن مغامرة.. يدخنون السجائر خلسة أو يعاكسون الناس الغلابة في الهواتف. يشاهدون شريطاً إباحياً ثم يرمونه في اليوم التالي شعوراً منهم بالندم،



ثم يعودون للبحث عنه حين يتملّكهم شبق المراهقة.. كانوا مثلما كنا جمِيعاً: لا يفهمون حاضرهم ولكنهم يعيشونه.. يخافون المستقبل فيحاولون تجاهله ويبحثون عن مكان لهم بعيداً عن سلطة جيل ضائع، كان يمتلك كثيراً من الجبروت وكثيراً كثيراً من الإحباط والإحساس بالفشل.

كانوا يذهبون إلى بيت أمير ويجلسون بالساعات يستمعون للموسيقى والأغاني.. يلعبون الكوتشينة والأتاري والبلايستشن. تتسع عيونهم دهشةً من لعب الكمبيوتر الاستراتيجية التي يشاهدونها لأول مرة مع نهاية التسعينيات.. وتتسع دهشةً أيضاً حين يرون شاكيرا ترقص رقصها المحموم وهي تغني بالإسبانية وتنفجر من حولها النيران على المسرح.

يهذون رؤوسهم مع ميتاليكا وهم لا يستوعبون كيف يحبونها كل هذا الحب.. هذه الفرقة التي تقول ما بداخلهم حتى لو لم يكونوا يفهمونه. ويعزفون موسيقى عنيفة رائعة بأنغام لا تنسى.. تنفس عن



غضبهم مرة، ورومانسية ومتأملة مرة، وفلسفية ونفسية مرات.

يستغربون تلك الحالة الغريبة التي تضعهم فيها بينك فلويد أو أغنية Show Me the Meaning of Being Lonely على الأرض كي ينحنا ويلتقطوها ليشاهدوهن من أسفل الدكة.. كانوا يكتبون الخطابات لمن يحبونهم دون أن يرسلوها، ولو أرسلاها ينتظرون لأيام مستقيظين في انتظار الرد.. وإن لم يأت الرد أو يتأخر تظلم الدنيا وتصبح عذاباً.. يتكلمون لغة الشارع حتى تملأ أفواههم فيصبحون مختلفين عن أهاليهم أو إخوتهم.. كانوا مراهقين يبحثون عن الاختلاف وجذب الانتباه بأي طريقة.. ينامون وهم يحلمون بشجاعة ويلIAM والاس في Braveheart، أو لياقة بروس لي وفاندام وأرنولد في أفلامهم.. يحلمون بما دونا وساندرا وكيت وينسليت وشارون ستون.. يتحملون الواجبات والزيارات العائلية بسخافتها ومللها في انتظار اللحظة التي سينزلون فيها ليتقابلو.



وبعد قليل دخل حياتهم ذلك الكائن الهلامي الهائل الذي قلب حياتهم رأساً على عقب.. كانوا يفتحون عيونهم عن اتساع وهم يشاهدون العالم ينفتح أمامهم كما لم يروه من قبل.. ينهلون من الموسيقى المجانية والمحادثات مع ناس من العالم الآخر.. يقعون في قصص حب عبر الشاشة ويصدمون من فتيات أحبّوهن؛ ليجدوا أن أصدقاءهم يخدعونهم.. كانوا يتعلمون أبجديات هذه التكنولوجيا الجديدة التي ستغير حياتهم كما عرفوها للأبد.. عرفوا كثيراً وكثيراً، وشكلت حياتهم أسماء على طرفي النقيض من الحياة.

ظلت الحياة تسير بهم هكذا دون وجهة ولا وضوح.

كروا قليلاً وخبروا الحياة قليلاً، ورأوا أصدقاء يشربون المخدرات وأخرين لا يغادرون الجامع.. وأخرين يموتون في خناقات الشوارع التي لا يعرف أحد لها سبباً، ورأوا من ترك وقفه الكشك من أجل العمل.. ومن اشتري سيارة وانطلق بها خارج نطاق المعادي وعرف أن هناك عالماً آخر، وغيرهم ممن استقلوا الطائرة ولم يعودوا.

ورويداً رويداً أدركوا أنهم إن لم يجدوا لأنفسهم مكاناً في هذا العالم الجنوبي فسيضيعون.

وكانت الموسيقى رفيقة الدرب منذ الطفولة هي الإجابة.

وعند نقطة ما خارج الزمن...

اقتراح أحدهم أن يكونوا فرقة موسيقية يلعبون بها الأغاني التي تعجبهم.



الفصل التاسع والعشرون

إنجلترا (4)

نتجمع أمام الفندق في الثامنة مساءً.. مجموعة الصباح نفسها بالضبط. الشمس لا تزال ساطعة فهي لا تغرب في لندن في هذا التوقيت قبل التاسعة. نسير المشوار نفسه. حالة صمت تام أكثر من الصباح. يسرون بالترتيب نفسه، وهذه المرة كلهم يرتدون ملابس سوداء، وكلهم أيضاً يرتدون جواكت جلد عاد هواري الذي حافظ على ملابس الصباح، بعد أن عاد من المحل وتمكن من تصليح البيدال بورد في آخر لحظة.. آدم يرتدي تيشيرت سوداء بنجوم لامعة تحت الجاكيت، بينما قام أمير بربط قميص بمربعات حمراء وسوداء حول خصره.

نصل إلى المسرح وندخل إلى غرفة الاستراحة.. خارج الغرفة توجد شاشة تبث الحفل الذي يسبقهم.. يبدو المسرح نصف ممتلىء.



يطلب هواري ال Set List من هادي.

يدخل بعض من أصدقاء المعادي الذين يعيشون في لندن.. بيانو كبير يجلس شريف عليه وسط زحام الغرفة الضيقة ويبدأ في العزف.. يعزف لحناً مرتجلًا شديد الرقة والحساسية. نصمت جمِيعاً وننصل إليه. بعد أن ينتهي يتصل أمير بليلي ويحدثها.. يطلب منها أن تعطي الهاتف لوالدته.. يحدثها على القيديو ولا أستطيع تبين ملامحها.. يحاول أن يسأل عن صحتها، ويخبرها مراراً وتكراراً أنه مسافر ويكرر أنه يحبها عدة مرات أيضاً.. لا ترد.

قبل الحفل بخمس دقائق يدخل شريف وعصام ومعهما هادي إلى المسرح؛ ليتأكدوا من أن التقنيين قد وضعوا الآلات والمعدات في مكانها كما هو متفق عليه.. يخرجون ونقف جمِيعاً على الباب.. يرتدي أفراد الفرقة سماعات Ear In، بينما يعطيهم مدير المسرح بعض التنبيةات والإرشادات.



تبعد القاعة شبه خالية.. الكل استغل فترة الراحة بين الحفلتين كي يأتوا ببعض المشروبات.

ندخل المسرح في تمام التاسعة 349 دقيقة.. أدخل وراءهم ونستقبل تصفيق الجمهور.. المكان مزدحم أكثر مما توقعت.. حوالي 800 شخص أتوا لحضور الحفل.

يظلم المسرح تماماً..

يبدأ الإنترول بموسيقى أثيرية مقبضة، يزيد من ظلاميتها صوت هواري الآتي من بعيد.. يتلو بالإنجليزية كلمات كتبها مستوحاة من ألبوم «نقطة بيضا»: «حر، لقد ولدت حزاً يوماً.. لا أذكر متى.. جميع الذكريات الرائعة اختفت، سوى شعور واحد فقط، الحرية، هل كانت حلمًا؟ هل كانت جزءاً من طفولتي المعزولة؟

لا أدرى حقاً.. لا أستطيع أن أحدد.. حياتي الفانية اللانهائية تنتهي اليوم تلو الآخر، الكربون ينفذ.. الأمور



ليست كما كانت عليه قبلًا، هل هناك طريق للخروج من هنا؟ هل يلاعبني عقلي؟ ما هذه القيود؟ كيف لم أرها من قبل؟ ركز.. اسمع.. شيء ما يحدث هنا.. انتبه لهذه التفاصيل، لا تجعلهم يخدعونك، لا تجعلهم يطعمونك.. لا تتناول هذا السم، هذه القضبان في رأسي، ولكن أين المفاتيح.. أخرجوني... أخرجوني... أخرجوني».

أثناء الإنتروديتكون لوجو الأسد منطلقاً من كشافات البروJECTOR الموجودة بآخر الصالة والمحاجة على الجدار خلف الفرقة.

بعده مباشرةً يبدأ شريف الـ Riff الشهير لـ «آخر أغنية».. يدخل أمير بكلماته النارية.. أشعر أنهم يعزفونها أبطأ من المعتاد. الجمهور كلهم صامت ويتابع.. بتحفظ وكأنه في حفل كلاسيكي بالأوبرا. حتى عندما يصرخ «لو دي آخر أغنية ليّا هفضل أغني عن الحرية.. قولوا معايا بصوت عالي:... «لا يردد الكثيرون كلمة حرية».

هذه بداية غير مبشرة..

تنهي الأغنية بعض التصفيق الباهت.. هناك صرخات قليلة تأتي من هنا أو هناك.. ولكن لا مقارنة بما نشهده في مصر.

أصوات هممات تعلو قبل أن يبدأ هواري Riff أغنية «صوت الحرية».. يغنيها أمير كاملةً بصوته بخلاف كل الحفلات التي حضرتها مع كايروكي.. يدركها كثير من الموجودين.. يصفقون معها. معظم الحضور من العرب ولكن هناك عدداً لا بأس به من الأجانب، والواضح أنهم لا يفهون شيئاً مما يقال ولكن يطالعون كتيب الحفل بين أيديهم باهتمام.

أكثر من 70 كشافاً فوق المسرح وأسفله، واثنين معلقين أمامه يمنحون إضاءة للمكان وللمسرح نفسه بألوان متعددة ما بين البرتقالي والأرجواني والأزرق.

قبل الأغنية الثالثة يسألهم أمير إن كانوا «ميسوطيين» أم لا.. ثم يردف: «وحشتونا من السنة اللي فاتت»..



يبدءون «السكة شمال»، وأرى أن تامر متحمس.. صوته هو وشريف أكثر من ممتاز في الوضوح والقوة، أما صوت أمير لا يخرج بالقوة المطلوبة.. أنا جالس في الصف الأخير كي أراقب المسرح كله وخلفي مباشرة طاقم الصوت والإضاءة، ومعهم أمينة يكاد توترها يملأ المسرح بأكمله.

بعد انتهاء الأغنية يقول أمير: «نشكركم جدًا على حضوركم.. أتمنى إنكوا تتبعطوا، ومش هنمشي من هنا غير لما نتأكد إننا عملنا كل حاجة عشان نبسطكوا.. دي السنة الرابعة اللي نيجي فيها هنا. في واحد من الوكلاء اللي بينظموا حضورنا هنا عشان نتواصل معًاكم اشتغل جامد جدًا على الحفلة دي، ولكن للأسف مقدرش يبقى معانا إنهاردة عشان مخدش الفيزا، ودا شيء مؤسف جدًا وغير مبرر، وبنهديله الأغنية الجایة».. تخرج صيحات متعاطفة من الجمهور بينما يقول أمير مقدمة «إحنا الشعب».

تظلم إضاءة المسرح بينما تكون الأشكال الملونة الجميلة وتتلاشى على الخلفية.. تأخذ إيقاعًا



كإيقاعات الأغنية. ومع هذه الأشكال تتلون إضاءة المسرح.. في بعض الأحيان تتوجه الكشافات فوق الفرقة فتمنحهم تشكيلًا أثيريًّا جميلاً، وفي أحيان أخرى تتوجه نحونا فتفرق القاعة بأكملها في اللون.. يبدو أن أمير يفقد طريقه إلى بعض النotas قبل أن تبدأ الموسيقى في مصاحبه.. أشعر أن هناك شيئاً غير مضبوط في لعبهم؛ إذ كان نطق أمير ليس واضحًا في كلمات الأبنودي الصعبة.. أنظر نحو عاصم متمنياً أن يراني؛ كي أخبره أني

لا أميز ما يقوله. يعزف هواري الصولو الطويل.. الصوت فعلاً لا يساعد هواري في الظهور كما يريد.. هناك توتر ما أشعر به. ورغم ذلك يصفق المتواجدون بحرارة.. ليست كل نotas شريف مضبوطة.. يبدو وكأن الروح تخفت، ومن الواضح أنهم كانوا غير سعداء برد فعل الجمهور البارد.. إنه جمهور محافظ للغاية.. الموضوع كله منمق بتكلف وليس فيه هذه الروح المتحركة المنطلقة في الحفلات.. شريف خرج عن تركيزه وكذلك هواري، وأرى على وجه أمير - الذي

أصبحت أقرؤه الآن جيداً ولو من على بعد - ما يجعلني أعرف أنه يفكر في شيء ما.

تنتهي «إحنا الشعب»، أسوأ أغنيات الحفل على الإطلاق، وتمر لحظة صمت قصيرة.

وأخيراً يحدث شيء.

غير متوقع.

يقلب الموازين تماماً.



الفصل **الثلاثون**

ستنان من الفوضى

2012 - 2013

استيقظت مصر في اليوم التالي للثورة في حالة من الكمال والارتقاء لم تشهدها من قبل.

عبر الثمانية عشر يوماً وما تلاها.. اختفت الأيديولوجيات، والعقائد والانتماءات السياسية والأهواء النفسية والجسدية، والأمراض المجتمعية التي عانيانا منها قبل وبعد هذه الأيام، وصرنا كأننا ملائكة تسير على الأرض.. كان من يحرسون الميدان هم القراء والمعوزون وليس فقط أبناء الطبقة المتوسطة الذين يتهمون دائمًا بأنهم كانوا سبباً في الثورة الملعونة.. اختفت السرقة والتحرش ورأينا ظواهر كفناء السلفيين وحماية المسيحيين للمصلين، وإشعال المسلمين للشروع.

نطف المتظاهرون الميدان قبل مغادرته.. وفتح الباب للأحزاب وانطلقت الحفلات في الشوارع وتركت الحرية للكل.. أصبحنا لا نسكت على الخطأ، وكان المواطنون يقفون لهؤلاء الذين أرادوا استغلال غياب الأمن بالمرصاد.. أذكر في أحد الأيام، أنها رأينا سائق ميكروباص يسير في الاتجاه العكسي بشارع صلاح سالم.. انطلقنا وراءه ومعنا ثلاث عربات أخرى لا نعرفها حتى أجبرناه على السير في الطريق السليم.

كانت فكرة القيم قد أصبحت أكثر وضوحاً الآن.. لم يعد لدينا ذلك الخوف من المجهول.. وأصبح تقبل الآخر سمة أساسية في حياتنا، وكنا نشق في بعضنا البعض بشكل لم يحدث قبل الآن.. كثيرون جداً من المصريين الذين يعيشون خارج مصر أنهوا عقودهم بالخارج وعادوا كي يبنوا المستقبل الأفضل الذي سيعيشه أولادهم.. أخيراً استبدلنا حروف كلمة الألم بالأمل.. كم هو طريق طويل الذي خضناه كي نجعل اللام بعد الميم !!



كانت هذه اللحظة الساحرة في ميدان التحرير هي السبب في كل هذا، ولكنّا للأسف انجرفنا وراء هذه المظاهر الجميلة ولم نتمسّك باللحظة الإنسانية الحقيقة التي كانت وراءها.. ومن هنا كان النسيان، آفة حارتنا كما قال نجيب محفوظ في روايته.. هو اللعنة التي ستُصيبنا.

بعد عام واحد فقط، بدأ أقرب أصدقائي يخبرونني أنهم يبحثون عن فرصة للسفر.. وأولهم صديقي الذي طارد معي يوماً سائق الميكروباص.. كان كل شيء يتغيّر، أو بمعنى أصح يعود، للأسوأ. في شهور قليلة وقعت أحداث ماسبورو، مجلس الوزراء، محمد محمود، مسرح البالون. وبات واضحًا أن تخلّي المجلس عن دوره وإسراجه في إجراء انتخابات صار ضروريًا.

ظهر التيار الإسلامي في هذه الفترة بقوة.. كانت فرصته كي ينقض على الكعكة، ولم تكن مصر ولا المصريون في حسبانهم، تماماً كما لم تكن في حسبان أي قوة أخرى.. كنا نحن بقوتنا التي ظهرت في



الميادين وكأننا ظاهرة صوتية يتلاشى صداها في الفراغ.. لم نكن نشكل أي شيء بالنسبة لمن في السلطة أو للطامحين إليها؛ إذ لم يكن الهدف هو السيطرة على الناس بقدر ما كان تجاهلاً واحتقاراً لهم.

وكما قال عبد الرحمن الأبنودي في قصidته الشهيرة «الأحزان العادية» التي أخذت كايروكي مقاطع منها في «إحنا الشعب» و«صوت الحرية» و«آخر أغنية»: «إحنا ولاد الكلب الشعب».. كنا كذلك بالنسبة لهم طبعاً، وكان تاريخ الديكتاتورية يعيد نفسه حينما تقوم بسرقة الديمقراطية كما حدث في إيران في السبعينيات.

المهم أن الإسلاميين ضلوا الشعب بأن التصويت لاستمرار العمل بدستور 71 هو الطريق للجنة.. أصبحت السياسة جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية. وبدأت ظاهرة جديدة تظهر أن ملايين البشر الذين لم يكونوا يستخدمون السوشIAL ميديا قد بدءوا في الانخراط عليها. وبدأنا لأول مرة نرى المساجلات الإلكترونية.. وسمعنا لأول مرة لفظ اللجان



الإلكترونية.. وببدأ التشويه المتعمد لأي وجه يظهر غير ذلك الذي تريده بعض القوى؛ فأصبح فلان سكيراً، وابنة فلان ترتدي المايوه، وبدأت فكرة الاغتيال المعنوي تعرف طريقها إلينا.

كانت الفوضى التي تنبأ بها الرئيس السابق تحدث. ودخل عام 2012 ليشهد في فبراير وفاة أكثر من 70 شخصاً في ستاد بورسعيد.. وظلت اللجان تعقد دون الوصول للجناة في أي حدث.. وعرفنا الضابط الذي يصطاد العيون. وشهدنا لأول مرة في تاريخنا تحرشات ممنهجة في الميدان الذي كان الآباء يشجعون بناتهم على النزول إليه.

ومرة أخرى لعبت ثقافة الصورة دوراً في تسريح الأمر، فكانت صور تنظيف الميدان والمصلين والغناء ليست إلا صوراً براقة جذابة مغربية حلوة للإعلانات والفيديوهات والكلمات، وأصبت الثورة بالاختزال والتسطح الذي تكلمنا عنه من قبل. ومرة أخرى لعب الإنترن트 دوره في أن يتتحول المصريون إلى حناجر في مكملة برى، وبدأت ظواهر أكثر عنفاً وضحالة



تصيبنا وننجرف وراءها بغباء مطلق: السباب والشائعات، والتفسيرات المعقولة منها واللامعقولة، ورأينا لأول مرة «بلوك» الأخ لأخيه، والصديق لصديقه.. الصديق نفسه الذي نزف معه في الميدان أو تقاسما سيجارة، بل والصديق نفسه الذي تربى معه.. ورأينا الأحكام المطلقة على الآخرين.. والاتهامات المتبادلة بالعمالة والاتهامات المقابلة بخيانة الثورة.. ورأينا التنازلات، ورأينا نجوماً يحترفون الكلام، والمتلونين، وبائي الهوى، ومحترفي الخسفة والنذالة والمتاجرة بالوطن.

ظللت الأمور تتأزم حتى جرت الانتخابات.. وشهدت ما شهدته من انقسام، واستغلال لقلة الثقافة التي كانت معياراً مرجحاً للنتيجة.. الكل في تحليله يذهب إلى فكرة الجهل والزيت والسكر، ولكن الأمر لم يكن جهلاً وفقرًا فقط. فحتى بينما نحن مستخدمو السوشIAL ميديا كان انعدام الثقافة والرؤية يؤدي بنا إلى تحليلات خاطئة وشائعات رهيبة وغلبة الميول الشخصية على الآراء، وأصبح الدفاع باستماتة عن



رأيك أمام رأي غيرك مسألة حياة أو موت لكل واحد منا.

أصبحت الفكرة التي أنتجتها الثورة مجرد فكرة.. لم تعد شيئاً ملموساً. كنا ننجرف وراء تيار من العدمية والغباء والاحتقان يبعذنا، دون أن ندرك أو ندرى، عن ذلك اليوم العظيم الذي انفتح فيه الميدان أمام الجميع.

ولا أدرى إن كان هذا مقصوداً أم لا.. ولا أدرى إن كان هناك ترتيب لأن يحدث كل هذا مثـاً أم لا.. وإن كانت الثورة في تلك الفترة قد سرقت أم لا، ولكن الثابت هو أنها كنا نجرى كلنا في اتجاه واحد: نحو الهاوية.. كان ميراث الجهل والفقر والتسطيح الذي مورس علينا لسنوات قد آتى أكله الآن.

وظننا أن الانتخابات ستأتي لتنقذنا. ولكنها ساهمت في مزيد من الانقسام المتطرف على طرفي النقيض: قطاع من الشعب المصري الأصيل يقول إن أحد رموز النظام القديم فكرة مقبولة ورائعة، وأخرون يقولون إن



ممثل التيار الديني المنظم هو الحل.. وكان التيار الديني ذاته ينقسم إلى كل الفئات من أول الإخوان إلى السلفيين إلى الجهاديين إلى التكفيريين.. هذه الفئات كانت بينها مصانع الحداد واختلافات طائفية وأيديولوجية ولكنها كلها توحدت لهدف سامي.. هو تحقيق حلم الدولة الإسلامية الذي كافحوا من أجله منذ بداية القرن العشرين فكريًا وسياسيًا، ومنذ منتصف السبعينيات عسكريًا.

وأتي الرئيس «الإسلامي» وهتف له الحاضرون في الميدان حين خرج عليهم دون درع واق.. وظل يسكن في البيت الذي ورائي وكنا نراه في الجامع في رمضان دون حراسة. وظننا هذه بشرة خير فالرجل لا يريد جاهًا ولا سلطة، ويريد أن يتبع نموذج الزهاد من الخلفاء الراشدين، وليس هذا عجيباً فهذه هي خلفيته الثقافية التي تربى عليها في الجماعة.. طيب خير.

قرر الرجل بكل ما أotti من قوة أن يرث مصر هو ومن معه.. ولأول مرة يخرج الإعلام ويكون ضد الدولة بوضوح. كانوا يلعبون دوراً «وطنياً» بامتياز..



يهاجمون الإخوان بكل ما أوتوا من قوة، وصار الثوار وكل ما يمثلونه ضيوفاً دائمين على القنوات، وحدث شلل تام في كثير من مؤسسات الدولة.. كان الإخوان وما فعلوه من أفعال فاضحة ومشينة واضحاً، وبات الأوضح أن نهايتهم قد اقتربت؛ لأنهم ليسوا منا بأي شكل من الأشكال.. مارسوا بشناعة الحكم الظاهري على الآخرين والفاشية الدينية.. ولكن في رأيي أن أسوأ ما فعلوه وجعلنا للفظهم بسرعة رهيبة كان أمرين: كرههم للحربيات الشخصية وعدم تمعنهم بروح الدعاية.



الفصل الحادي والثلاثون

إنجلترا (5)

«عايزين نلعب معاكوا لعبه.. إحنا هنغنـي وإنـتو تـغـنـوا معـانا، بـس لـازـم تـبـقـوا حـافـظـين ويـبـقـي صـوتـكـوا عـالـيـ.. مـعـرـفـش ليـه شـكـلـكـوا مـكـسـوـفـين. مـتـعـرـفـوش بـعـضـ؟ فـي مـصـرـ الـحـفـلـاتـ بـيـحـضـرـها شـلـلـ وـكـلـهـ يـعـرـفـ بـعـضـهـ وـمـبـيـتـكـسـفـوـشـ وـبـتـبـقـىـ رـوـحـ حـلـوةـ، فـلـوـ سـمـحـتـوـاـ كـلـ وـاحـدـ يـتـعـرـفـ عـلـىـ الـلـيـ جـنـبـهـ، اـتـعـرـفـوـاـ عـلـىـ بـعـضـ يـالـلاـ.. أـهـلـاـ وـسـهـلـاـ. فـرـصـةـ سـعـيـدةـ. إـحـناـ هـنـغـنـيـ جـزـءـ (يـعـزـفـ كـوـرـدـاتـ عـلـىـ الـجـيـتـارـ)، وإنـتوـاـ هـتـقـولـواـ معـاناـ: كـلـ حـاجـةـ بـتـعـدـيـ، وـهـكـذـاـ.. النـاسـ الـلـيـ وـرـاـ مـكـسـلـةـ؟ تـانـيـ». وـيـبـدـأـ فـورـاـ فيـ غـنـاءـ كـلـمـاتـ الـأـغـنـيةـ، وـفـيـ كـلـ كـوـبـلـيـهـ يـرـدـونـ: كـلـ حـاجـةـ بـتـعـدـيـ».

هذه الكلمات، على بساطتها، كان لها مفعول السحر في الجمهور.. وقفوا كلهم تاركين مقاعدهم، وبدعوا بالغناء كما طلب منهم أمير، وفجأة أياًضا سرى نوع من الدفء في القاعة الباردة.. كانت كلمات الأغنية التي تمس كل

شخص وتبعد عن الهموم السياسية والمجتمعية مفيدة في زيادة هذا التأثير.

سارت الأغنية على ما يرام.. وحين شعر أنهم سيعودون إلى مقاعدهم طلب منهم أن يظلوا واقفين. لاقت هذه الأغنية أكبر تصفيق حتى الآن.. وقبل أن تتوقف بدأت أغنية أخرى حماسية: «اتجنن».

بدأ المسرح في الاشتعال.. الإيقاعات القوية في «اتجنن» ترغمهم على الرقص والقفز.. هذه الـ«حركة» التي قام بها أمير وكأنها قبلة الحياة التي أعطاها للحفل.. فجأة بدأ الجميع يعزفون وكأنها آخر حفلة لهم في الحياة.. لعب هواري الصولو بتمكن هائل، يكاد تامر يجن من كثرة الانفعال وبدأ أنه أكثر المستمتعين بالحفل، وأدم معه يقود الإيقاع والابتسامة تعلو وجهه.. ألقى أمير كلمات زاب بسرعة غريبة حتى أنها لم نفهمها. وما أن قال «مجنوون» حتى كان الكل يقفز صعوداً وهبوطاً.



راقبت وجوههم جمِيعاً أثناء ذرورة الأغنية.. هذه الوجوه التي عاشرتها وراقتها طوال الأشهر الخمسة الماضية، والتي بحثت فيها عن إجابات لأسئلتي. إجابات ربما لم تقلها ألسنتهم.. هذه الوجوه التي أراها دائمًا سعيدة على المسرح.. غاضبة فيما بينها.. محبطة وحدها.. ولكنها دوماً تشع تفاؤلاً ومقاومة.

هذه الوجوه التي بدأ يسري بينها وبين وجوه الحاضرين ذلك الأثير السحري الذي يربطهم ببعضهم البعض: الموسيقى.. أراهم الآن في الأغنية السادسة «مطلوب زعيم» وقد تحولوا إلى قنوات تنقل البهجة والأمل والعناد إلى ملايين يمثلهم هؤلاء الموجودون داخل القاعة الأكبر في غرب لندن.

أرى أمامي وجوه شباب جيلنا الذين فتحوا الباب لتمر منه أجيال قادمة دون رهبة.. دون تردد.. دون خوف.

تأتي أغنية «اثبت مكانك» لتذكر الحاضرين لماذا أتوا ليشاهدوا كايروكي.. ترن كلمة «قلب الوطن انجرح» في قلوب المفتربيين.. يلقي أمير كلمات زاب بهدوء في



البداية مفتقداً لغضب وقوة زاب المعتادة، ولكنه يتضاعد مع تصاعد النهاية، ويرد على نفسه في الأجزاء التي كان يرد فيها على زاب، وتساعده في ذلك مؤثرات الصوت التي وضعها عصام.

مع بدء أغنية «يالميدان» تنفجر الألوان في القاعة كلها، وتتحدد مع الأشكال الكثيرة في الخلفية لتخلق حالة من الانتقال لكل من في القاعة، وكأننا أصبحنا في سفينة فضائية نقلنا بعيداً عن الأرض كلها.. ليست لندن ولا مصر.. ولا حتى الفرقة بأشخاصها، ولكنها الموسيقى.. الفكرة.. المعنى.

«فكرتنا هي قوتنا.. وسلاحنا في وحدتنا» أليس كذلك؟

بعدها جاءت اللحظة التي أنتظرها: أول مرة تلعب فيها «نقطة بيضا» أمام الجمهور.. أعلن أمير أن هذه الأغنية الأولى من الألبوم الجديد.. الأغنية موجودة بالفعل على يوتوب لها قرابة الشهر والنصف؛ لذا فربما يكون بعضهم قد شاهدها.. يبدأ أمير الصغير ولكنه



يخطئ في نغمتها، لحسن الحظ يقاطعه الجمهور بتصفيق وصرخات متباudeة فيصمت ويعيدها من البداية، هذه المرة أفضل قليلاً.. لا تحمل الأغنية أياً من قوتها الحقيقية، إلا بعد الكوبليه الثاني، حين يقوم أمير بغناء الآهات لا يغنىها أحد معه، أو يفعلون ولكن صوتهم لا يظهر.. الأغنية تبدو لوهلة وكأنها أقصر من المعتاد. كالعادة، ورغم أن لعبها ليس الأفضل، أصاب بتلك القشعريرة لدى سماعي إياها.

يتعر شريف في بداية لعب الكيبورد في «السكة شمال في شمال».. يعني أمير بحذر وكأنه يخاف أن يخطئ، ولكن الأغنية بإيقاعاتها الراقصة تدفع الجمهور للحركة والرقص في حماس شديد.. هذه أول مرة يسمعها أي جمهور على الإطلاق. المسرح يشتعل فعلاً.. الكلمات تبدو صادمة في جرأتها.. يبدأ شريف في لعب الوتريات الشعبية على الكيبورد فتخرج مصطنعة. ينسى أمير الكيو في Verse الثاني

فيصمت للحظة.. لا تفتر حماسة **الجماهير**، حتى الأجانب يقومون للرقص.

يخبرهم أمير وهو صادق في تعبيره عما نشعر به جمبيعا: «رفعتكم من روحنا المعنوية جداً».

استغلالاً لحالة الاشتعال يبدأ شريف ب声道 الأكورديون الشعبي بينما يغني أمير موال. «ممكّن تقوموا تقفوا كلّكوا، نوع الدنيا. تعالوا في النص».

يستجيب الجمهور، ويتحركون نحو منتصف القاعة رقصًا على «غريب في بلاد غريبة».

في المنتصف يسكت أمير فجأة ويوجه الميكروفون ناحية الجمهور؛ لأجد إجابة عن السؤال الذي يراودني منذ بدء الحفل: إنهم يحفظون الأغاني.

يصرخ أمير: «أحمد جمهور جمهور لندن». قبل أن يبدأ لزمه الشهيرة: «خذ لما أقولك.. خد لما أقولك» في نهاية الأغنية.



أيًّا كانت مشكلات هذا الحفل، وأيًّا كانت المسافات التي تباعد بين المسرح والواقفين عليه.. فإنه الآن يصل بوضوح إلى بر الأمان.

«خليكوا واقفين.. التقيل لسه مجاش».

يغنى «البكابكا»، وفي نهايتها يؤكد عليهم مرة أخرى أن يظلوا واقفين.. يبدو أنه يدفعهم دفعًا؛ خوفًا من هبوط حماستهم مرة أخرى.

يغنون «مربيوط بأسنك».. تظهر وراءهم صور القطط الشهيرة من القيديو كليب على الخلفية الخشبية المتعرجة فتضفي روحًا لطيفة.

في النهاية يشكر أمير منظمي الحفل ويوجه كلمة أخيرة للجمهور: «أي حد حاجة مزعلاه في حياته يحاول ينساها مدة الأغنية اللي جايه دي ويفتكرها وهو مروح».

يلعبون «غمَض عينك».

وينتهي الحفل أخيراً.

أنا في السادسة عشرة.

أجلس بجانب أبي في طريقنا إلى الزمالك.. الصيف لا يزال في أوله والشمس تسقط بقوة على النافذة ونحن نسير في الشوارع الخالية صباح يوم جمعة.. دقات قلبي تسبق سرعة السيارة.. فالليوم يتحقق حلمي الذي انتظرته كثيراً.

نصل إلى الزمالك التي أراها لأول مرة في حياتي.. تختلف كثيراً عن المدن التي عشت بها.. بأشجارها الكثيفة والصمت الذي يغلف شوارعها المضاءة بقوة.. أنزل أمام مبني كلية التربية الموسيقية واتفق مع أبي على موعد لقائنا بعد ثلاث ساعات.. أدخل وكلی توتر بينما تأتي إلى مسامعي دندنات عود من إحدى القاعات الصغيرة.. كل غرفة أمر بها تخرج منها موسيقى آلة ما: جيتار، بيانو، تررامبیت.. أغلبها يميزها النشاز الواضح وتخبط المبتدئين.

أصل إلى قاعة المحاضرات الكبرى، اليوم يبدأ بمحاضرة نظرية لمدة ساعتين يحضرها كل الطلاب، ثم تأتي بعدها محاضرة عملية لمدة ساعة.. كل في آله.

اخترت آلة الكمان.

هذا برنامج جديد للدراسات الحرة أطلقته كلية التربية الموسيقية بجامعة حلوان، يمنح الفرصة لمحبي الموسيقى مثلـي الذين لم تتح لهم الفرصة أن يدرسوا الموسيقى منذ سن صغيرة أن يحققوا حلمهم بأن يكونوا موسقيين.

أدخل إلى قاعة المحاضرات فأجد أعماراً مختلفة، وأنا أصغرهم.. فأغلب المنضمـين للبرنامج من خريجي الجامعات، أما أنا فسأبدأ عامي الثانوي الثاني بعد شهرين.. تدخل الدكتورة وكلها توتر.. تبدو ككتلة أعصاب تتحرك على قدمـين، وتحدث بطبقة صوت رفيعة تزعجـني.. تبدأ في الشرح وكأنـا نمارس الموسيقى منذ زمن.. بعد أول نصف ساعة أدرك أنـي لا

أفهم حرفًا واحدًا مما تقول. تستخدم مصطلحات غريبة مثل صولفيج وجواب وقرار ودو وري ومي وغيرها دون أن تشرحها.. يعترض البعض فتحاول التبرير بأنها اعتادت تدريس الطلاب المحترفين الذين يمارسون الموسيقى منذ صغرهم، وبالتالي فمستواها متقدم عنا بكثير ولن تستطيع تبسيط المعلومة أكثر من ذلك؛ لذا علينا نحن أن نواكبها.

أصعد إلى غرفة الدكتور مجدي الذي سيدرس لي الكمان، فأجده أبوياً هادئاً مهذباً ويبدو مشجعاً.

ورويتاً رويداً يقنعني على مدار العام الذي قضيته معه أنني لا أملك موهبة العزف أو التلحين، وأنني قد تأخرت كثيراً في تعلم الموسيقى، وكان يجب أن أبدأ في سن أصغر، وأنني ورغم مهارتي في قراءة النوتة إلا أنني مصاب بضمم موسيقي؛ أي إن أذني لا تلتقط النغمات بشكل سمعي وتلقائي.. وبسبب كل هذه العوامل، فإني يجب أن أتوقف عن إضاعة وقتى في محاولة التعلم أكثر من هذا.



على الناحية الأخرى كنت قد بدأت دراسة الثانوية العامة، ولم يكن أحد من أهلي على استعداد أن يشجعني على «إضاعة وقتى» أكثر من ذلك، مفضلين أن أركز في دراستي.

صدقتهم جميعاً.

أواخر المرحلة الثانوية.

كنت لسبب أو لآخر لا أذكره قد داومت على الصلاة في الزاوية الصغيرة المقابلة لمنزلنا.. فرحت أمي بهذا الأمر كما لم تفرح من قبل. بعد بضعة أشهر كنت أصلي في أي مكان ما أن يدخل الوقت.. أضع في محفظتي أذكار الصباح والمساء، وأتلوها بهوس كل يوم في موعدها.. دعاء النوم بالذات أحرص عليه؛ لأنني في كل مرة أدخل أنام أشعر بأنني لن أستيقظ مرة أخرى.

يضايقني المتنمرون في المدرسة؛ بسبب نظارتي الكبيرة وانطواائي الشديدة الناتجة عن تعاملي مع



طلاب مدرسة لأول مرة بعد ست سنوات من الدراسة في المنزل بالسعودية.

في البداية كانت الموسيقى وسيلة هروبي والتنفيس عن غضبي الصامت كلما مر بي موقف يضايقني ولا أعرف كيف أتصرف.. أستمع إليها وأتخيل مواقف بطولية وهمية أنتصر فيها على أعداء ساحة المدرسة... ولكن رويداً رويداً بات المصحف والذكر هما مهربى الحقيقى.

دروس ما بعد الصلاة التي يلقىها علينا مستشار شاب يعمل قاضياً شرعياً لها أثر بالغ في تعريفه بأمور ديني التي كنت أجهلها.. له سطوة أكثر من سطوة شيخ الجامع نفسه الذي عينته الأوقاف. في كل فترة يأتي ضيف مهم ليعطي درساً، أهمهم محاسب يمتلك شركة سياحة تنظم رحلات الحج والعمرة فقط.. يخبرنا بأمور أخرى.

أدخل الجامعة وأواجه بعالم جارف من التغيير يخرجني من دائرة الراحة الخاصة بي ويصيبني بمزيد



من الارتباك.. مهرب الوحيد هو أذكاري وصلاتي. بعد قليل أبدأ استبدال شرائط ميتاليكا وبرامز بالمصحف المرتل بصوت الحصري (الذي أعشقه حتى اليوم) ودروس عمرو خالد المؤثرة، والتي يتبادلها وينسخها كل من حولي في الجامعة بجنون.. «الشيخ» المستشار في الجامع أخبرني أن الموسيقى ليست حراماً، ولكن كل وقت أضيعه في الاستماع إليها يمكن أن أكسب فيه ثواباً باستماعي للقرآن أو الدروس المفيدة.

في أحد الأيام نركب سيارة أبي.. أمي بجواره وأنا وخالي في المقعد الخلفي.. يقوم بتشغيل فايزة أحمد التي يحبها كثيراً، أصبح بغضب: «حول على إذاعة القرآن الكريم، لا فائدة من إضاعة وقت المشوار في سماع هذا الغناء الذي لا يفيد».

يومها قرر أبي الذي لم يتدخل في اختياراتي قط من قبل أو من بعد أن يمنعني من الذهاب للجامع مرة أخرى إلا لصلاة الجمعة.



أنقذني.



الفصل الثاني والثلاثون

هواري (2)

كان هواري طفلاً هادئاً للغاية.. حين أخذ أول حقنة في حياته لم يبك.

وكما تقول التقارير المدرسية عنه.. كان طالباً متوسطاً، هادئاً، لا ينبع عن ذكاء باهر أو قرب محبب لمدرسيه، وفي الوقت نفسه لم يكن مثيراً للمشكلات أو متعيناً.

ولد هواري في 2 مارس 1985 في بيئة متقدمة إلى حد ما لوالدين يحبانه كثيراً ولكن كل بطريقته، فكلاهما طرف في النقىض: أمه التي يقدرها كثيراً شديدة العطاء والتعبير عن تشجيعها ومشاعرها.. حاولت في البداية أن تربيه بشكل ممنهج، وسرعان ما أدركت أن هذا لن يفلح معه، فتركته حرّاً مكتفيّةً بأن توجهه من بعيد.



أما والده فهو شخص منظم للغاية وربما يكون مهوساً بذلك الأمر، فكل شيء عنده يتم بميعاد وتحضير، ولا يحب المفاجآت أو الأشياء غير المتوقعة. ويذكر هواري - ببعض الحنين - طريقة أبيه في تربيته، وهي طريقة أسمها بالـ«الحب السلبي»، ولا يتحدث هواري عن نفسه أو طفولته إلا ويتحدث عن أبيه بخلط من التقدير والمرارة معاً، فقد وصلاليوم إلى حالة من السلام بشكل ما مع أبيه وطريقته؛ خاصةً عندما أخبره الأب أخيراً أنه يشعر بالفخر بما يفعله، وإن أتى هذا الاعتراف متأخراً (فأول حفل يحضره لكايروكى كان منذ أعوام قليلة).

كانت شخصية أبيه الصارمة واحدة من الصراعات الأساسية التي واجهها هواري لسنوات طويلة، وكما يصفه «صلب للغاية من الخارج شديد الرقة والعطف من الداخل».

كان الأب يقسو عليه كثيراً، ولديه لسان لاذع يحمل دائمًا قدرًا من السخرية والتهكم، وهو نموذج أبوى شديد الانتشار؛ إذ إن هذا الأب عادةً ما يكون لديه قلق



شديد حيال مستقبل ابنه، ومعاير مرتفعة للغاية يريد أن يتحققها هذا الابن جبًا فيه، وبالتالي فإنه يشعره دائمًا بخيبة الأمل معتقدًًا أنه بذلك يدفعه للأمام، وهذا النموذج يستحيل إرضاؤه، ومهما فعلت سيظل يشعرك أن ما تفعله

لا شيء، فتخيل أن يكون أبوك هكذا وتقرر أن تلعب الموسيقى بقية حياتك.. لابد أنه أصبح بخيبة أمل كبيرة.

ولكنه في الوقت ذاته زرع بداخله مبادئ مهمة، فقد علمه منذ سن صغيرة فكرة التسامح وأن لا فرق بين إنسان وآخر، كما أراده شجاعًا منذ البداية: «كنت أخاف من الكلاب، فظل يستفزني بهذا الأمر، يتعمد أن يتحدىني بأن يشير مثلاً إلى فتاة تسير مع كلب ويقول: «أترى، فتاة ولا تخاف منهم».

اليوم يمتلك هواري ثلاثة كلاب.

هذه الطريقة لابد وأنها كانت ذات تأثير نفسي كبير على طفل رقيق المشاعر مثله، ويعكس انغلاقه على

نفسه تلك الحساسية المفرطة التي تظهر في فنه.

«أبي هو من دفعني لأصبح نفسي.. بالطبع تشجيع أمي هو الذي جعلني أشعر أنني أستطيع أن أحقق شيئاً في الحياة، ولكن أبي هو الذي كان يدفعني بسلبيته، وحتى اليوم السلبية هي التي تحركني أكثر من الإيجابية.. لقد وضعني في الركن دائمًا كي أتحدى نفسي وأثبت له أنني لست كما يظن».

والأسى عند هواري مكون أساسي من مكونات الحياة.

«مشاعر الحزن والألم أقوى بكثير في الموسيقى؛ لأنها تؤثر فيك أكثر وتظل معك فترات أطول فالفرحه والسعادة مشاعر مؤقتة، ولكن الحزن هو الشعور الملائم لك أغلب حياتك، وبالتالي فأنت تستجيب دائمًا للأفلام والأغاني الحزينة والمتدفقه العاطفة أقوى بكثير من تلك المضحكة أو المفرحة.. يتذكر الناس سعادة اللحظة التي ولد فيها ابنهم، ربما مرة في العام أو حينما ينفتح الموضوع ولكن إذا فقدوا هذا

الابن، سينظرون يشعرون بذلك الألم طوال حياتهم كل يوم وكل لحظة».

لا يشعر هواري بالفرحة بقدر ما يشعر بالحزن.. حينما يحضر فرح صديق له ويحاط بمشاعر الفرحة في المكان، فإنه يشعر أنه لا يحتاج أن يمارس أو يعبر عن هذه المشاعر مع الآخرين لأنها متحققة بالفعل، ولكن إذا حضر عزاء فإنه يشعر دائمًا وكأن هذا الميت يخصه، وكأن من حوله يحتاجون إلى هذه الطاقة من الحزن التي تمر به؛ كي يتشاركون معهم، فهو دائمًا ما يحمل عبء تعاطفه الدائم مع البشر وإحساسه بهم.

ولا يشعر بالخجل أبدًا من أن تخرج دموعه أو يعبر عن حساسيته المفرطة، ويحافظ على ذلك الشعور الكئيب دائمًا؛ لأنه السبب في عمل موسيقى جيدة كما يقول.

وكأي مبدع حقيقي يشعر هواري دائمًا أن هناك شيئاً ينقصه.. لا تسأله في أي وقت وتجد أنه يشعر بالرضا.. وبخلاف آدم الذي تظهر عليه علامات الرضا والهدوء الدائمين، فإن قلق هواري الفني باد للعيان.. هناك دائمًا



شعور لديه بأنه يريد أن يكون أفضل، ويدرس أكثر، ويحقق شيئاً، شعور الولد الصغير نفسه، الذي يحتاج أن يثبت شيئاً لأبيه.

صارع هواري الاكتئاب لفترة.. وحينما كان في السادسة عشرة من عمره، حدثت نقطة تحول في حياته كتلك التي أصابت شريف في فترة مماثلة.

كان الضغط الذي يمر به من طفولته قد انفجر بداخله، وأصبحت عزلته وكتمانه ثقلاً لم يعد يتحمله، فسقط في صمت وعزلة سلبية رهيبة.. بدأت تظهر عليه أعراض جسدية غريبة، فذهب للأطباء، يشكو من نظره وسمعه وألام متفرقة في جسده، وأخبروه أنه سليم.. دفعته أمه للذهاب إلى طبيب نفسي، وبعد تغيير الطبيب مرتين أدرك في الثالثة أن مشكلته هي أنه لا يتكلم، لا يفضفض.. مشاعره كلها تتجه نحو الداخل، وكان الحل الذي اقترحته الطبية لكل مشكلات هواري أن يخرج ما بداخله.. حينما بدأ يفعل ذلك شعر براحة

كبيرة، وحتى اليوم يحافظ على عادة بأن يكتب كل موقف وكل فكرة وكل شيء يشعر به.. يخرجه على الورق فيشعر بالراحة.. طبعاً لم يصل إلى التوازن الكامل، وهو ما يتضح بقوة في سلوكه الإدماني في اللعب الإلكترونية وتجنبه لأي قدر من المواجهة ومحاولته تقليل التواصل قدر الإمكان مع من حوله.

في الفترة التي كان هواري يعالج فيها من الاكتئاب، اقترح أمير أمام محل العصير في المعادي مساء أحد أيام عام 2003 أن يؤسسوا فرقة موسيقية.. واختار هواري دون تردد الجيتار.

وهنا أسأله السؤال المتكرر: كيف قررتם أن تصبحوا موسقيين؟ هل يمكن أن يكون ذلك قراراً؟ وفي سن كبيرة؟! فيجيب ببساطة: «طبعاً.. 95% من البشر يمكنهم أن يلعبوا الموسيقى.. الموهبة - بالطبع - لابد وأن تكون موجودة، ولكن الأغلب اجتهاد؛ فأنت تستطيع أن تتعلم وتلعب وتصبح ماهراً، ولكن أن تبدع هذا شيء آخر».



حينما بدأ هواري يتعلم الجيتار.. بدأ يكتب الأغاني مثل أمير، ولكن كان له اتجاه مختلف عن صديق طفولته.. كتب أمير أغنية «غريبة» لأولى أغاني الفرقة، بينما كتب هواري أغنية تقول «كان ياما كان، إنسان غاوي إدمان، هبطل، دنيا فانية، تغدر بيك في ثانية».. وقد عزف لي هواري الأغنية فوجدها حالمه وهادئة وجميلة.

بمرور الوقت وجد هواري أن اتجاه أمير في الكتابة به قبول أكثر، كما أنه كان أجرأ في عدم خجله من صوته.. بينما لم يثق هواري في أنه يستطيع أن يغني، ولحظتها أخذ قراراً مهماً ستكون له توابعه التي تستمر سنوات وسنوات حتى اليوم: أن يكون هو الرجل الثاني بعد أمير، أو كما قالها آل «Wing Man».. ولكنه قرر أيضاً أنه لن يكتفي بذلك، بل سيصبح أفضل جناح في العالم. وقرر هواري أن يتم ذلك بتركيزه على موسيقاه، وأن تكون له إضافاته المهمة والمؤثرة على ما يكتبه أمير، ووجد أنه يستطيع أن يقول بالجيتار ما لن يقوله بالكلمات.



في هذه اللحظة من جلستنا دق جرس الباب وقام ليفتحه.. بعد بعض خطوات وصل إلى الباب واستند إليه، وقال لي إنه يشعر بالدوار الشديد ويريد أن يذهب للمنزل.. أتيت له بكوب من الماء.. شربه وأخبرني أنه لا يأكل ولا ينام جيداً. خرج شريف من غرفته بالصدفة ووجده على هذه الحال فطلب له سيارة لتقله إلى المنزل.. اعتذر لي هواري وغادر.. وهكذا في أقل من دقيقة من آخر جملة قالها لي كان قد ذهب.

وهكذا هو هواري!

الفصل الثالث والثلاثون

إنجلترا (6)

خرجنا جمِيعاً من المسرح في حالة حماسة شديدة وسعادة طاغية تبدو على الكل.. تامر في نشوة غريبة.. وهواري يبدو مرتاحاً جدًا.. أمينة تبدو مرتاحه من هم ثقيل، وعاصام كذلك.. يحافظ شريف على هدوئه، بينما يسألنا أمير عن رأينا في ما قام به، ويسيير متقدماً كطفل صغير فخور بنفسه على حركة صعبة أداها للتو.

انقلبوا خمسة غير الذين دخلوا المسرح الشهير منذ بضع ساعات.

الكل يتحدث عن رعبه في بداية الحفل.. يسألني شريف عن رأيي فأخبره بصراحة كما تعودنا.. ثم أتوجه إلى عاصام بسؤال فيه قدر من الاستهجان لم يلتقطه: «هل أعجبك صوت الحفل؟» يخبرني أنه جيد جدًا مقارنةً بالوقت الضيق الذي أتيح لهم لعمل

الـ Soundcheck، كما أنه لا يعتاد المسرح ولا صوتياته. والعبرة في النهاية باستمتاع الجماهير. لا أقتنع.

كأن غيمة ثقيلة قد ارتفعت عن كاهم جمِيعاً.. وكأن كل ما كانوا يمرُّون به قد نسوه فجأة.. لقد قرر الجميع أن يخرج سعيداً من هذه التجربة.

يسيرون وسط مجموعة كبيرة من أصدقائهم ومحبِّيهم.. يعبرون شارع لندن الباردة وكأنهم أصبحوا يملكون العالم.

الشارع ساكن تماماً ونصف مظلم.. خمستهم الآن أمامي يتلقون التهاني ويطلقون النكات ويضحكون ملء أفواههم ويصرخون طلباً للسجائر.. الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف.. نملاً الشارع ضجيجاً وتامر يعبر بشدة عن ندمه لحجز طائرة الصباح غداً: «لم أكن أتوقع أن تنقلب الأمور بهذا الشكل»، كالعادة تغلبه مشاعره الانفعالية والمتقلبة.. أشعر أن كل شيء عاد



إلى طبيعته في لحظات. أمير فعلاً مختلف. ولكن هل يستمر هذا؟ نسأل أين سننهر في هذا الوقت المتأخر من الليل.. لابد من الاحتفال.. غالباً سنعود إلى الفندق ونجلس فيه بعض الوقت.

ونحن نعبر الميدان نقف ريثما تفتح الإشارة.. أمينة على يميني تتحدث في الهاتف تطمئن محدثها أن الحفل مرّ على خير وعلى يسارِي أمير وتامر.. أسرح في تفكيري.. مرّ يومان علىٰ بعيداً عن حقائي.. يا إلهي هل كتب علىِ المبيت خارج مسكنِي في مصر وهنا أيضاً؟ بيني وبين نفسي أقرر أن أعود إلى فندقي مهما كان الثمن لأنني لابد وأن أغير ملابسي وأنام مرتاحاً.. أقرر ألاأشغل بالي كثيراً بهذا الآن وأستمتع بالليلة.. تنفتح الإشارة ونبداً في العبور.

فجأة.. نسمع إلى صراخ أمينة.. نستدير. لا تزال في مكانها لم تعبّر.. أمامها دراجة بخارية لا تتحرك.. فوق الدراجة شخصان يرتديان خوذتين سوداويَن، ينظران أمامهما للأشيء.. نسألهما عما بها.. ترتعش بكمال



جسدها، وأزعق فيها مرة أخرى بصوت عالٍ حتى تفيق.

تصرخ: «الموبايل».

في هذه اللحظة تكون الدراجة البخارية قد بدأت في الاستدارة.. يجري أمير نحوهما بسرعة وأتبعه.. نرى هاتفها يطير في الهواء بينما يفران هاربين. يواصل أمير ركضه وراءهما بسرعة غريبة ثم يتوقف حينما يدرك استحالة لحاقه بهما.

يأتي لنا أحد المارة الذين وقفوا متسمرين يراقبون المشهد بالهاتف الذي انكسرت شاشته بالكامل.. ولكنه على الأقل معنا.. عبرنا إلى أمينة وجئنا بها وهي لا تزال ترتعش.. من الواضح أن السارقين كانوا مخمورين وخافا حينما صرخت، ولو كانت قد قالت شيئاً بسرعة لكننا قد لحقنا بهما.. ولكنها أخذت لحظات لتفيق من الصدمة.

دخلنا سوبر ماركت واشترينا لها زجاجة مياه وأخذنا نهدئ من روعها.. واصلنا المسير حتى الفندق ووقفنا تحته لساعة أو اثنتين حتى نسينا حادثة الهاتف تماماً.

ضحكنا وتحدثنا جمِيعاً كما لم يحدث من قبل.. كانت ليلة رائعة على الرصيف وسط البرودة التي تدفئها المشاعر الحقيقية التي ربطتنا جمِيعاً.. صعد شريف وأمير للنوم، وأخذت حاجياتي من غرفة تامر الذي كان يستعد للسفر في الصباح مع هواري.. نزلت وأخذت أتناول كيساً من الشيبسي مع هواري أمام مدخل الفندق. وصل ميكروباص به حوالي سبع فتيات إنجليزيات مخمورات بالكامل، وكلهن يرتدين الفستان نفسه، من الواضح أنهن إشبينات عروس عائدات للتو من حفل الزفاف.. وما أن نزلن حتى ركضن نحوه بشكل أصابني بالذعر.. وضعن أيديهن في كيس البطاطس مرة واحدة وأخذن يشكرنني على حسن كرمي.

قبلتني إحداهن على وجنتي وصعدن لأعلى فجأة كما ظهرن فجأة.. نظرت في الكيس الفارغ مذهولاً ونظرت



إلى هواري وصديقه ووجدتهما يضحكان بشدة.

يغلبني النوم فأسقط من التعب في غرفة شريف..
 اليوم الثالث سيدخل دون أن أعود إلى غرفتي الضيقة
 الحبيبة.. نمت كما الأطفال وكل عضلة في جسدي تئن
 من الألم والتعب.

لم يكن أي منا يتوقع الدراما التي سنقابلها غداً.



الفصل الرابع والثلاثون

«السكة شمال»

كتب الألبوم بكامله في عهد الإخوان المظلم.

كان ذلك الوقت هو قمة تخبّط الرؤية والاستقطاب والشعور بانزلاق مصر نحو هاوية جديدة لا يفهمها أحد.. ولأول مرة تقدم كايروكي ألبوماً كتب بالكامل في وقت الأحداث التي يرصدها. وصعدت الفرقة من حدة انتقاداتها وجراة كلماتها إلى مستويات لم تصل إليها من قبل؛ فلم يكن ذلك الوقت وقت المواقف المائعة أو المحايدة.. كانت الأنظار متوجهة نحو الفرقة التي تغنت بالثورة وروح الميدان كي تقول كلمتها في الجنون المطلق الذي كان يحدث أيامها، وكان الاختبار صعباً: فالسؤال كان هل ستظل موجة كايروكي مضبوطة على إحساس الشباب بعيد عن الاستقطابات والأجندة السياسية ويعاني من فقدان البوصلة والتخبّط تماماً كما استطاعوا التقاط إحساس الجموع وقت الثورة؟ أم أنهم سيترددون ويسعون إلى



تحقيق توازن ما؛ خوفاً من هجوم فريق أو آخر كما كانت العادة وقتها؟

وقت الثورة كانت الأمور أسهل لأن الأغلبية كانت مجمعة على هدف واحد، يجمعها شعور واحد متصل وأمال إنسانية بدائية لا يختلف عليها سوى أصحاب المصالح، ولكن الآن بعد أن ذهبت نشوة الانتصار صار وقت الجماعات والاستقطابات والألاعيب واقتناص الفرص. فأين صوت من لا مصلحة لهم ولا يزالون يتمسكون بالحلم الذي خرجوا من أجله في الشوارع؟

فكرة الألبوم هي أن «السكة الشمال» هي التي تنتصر في النهاية.. الوجوه والأفكار نفسها تعود مرة أخرى. ولأول مرة من بعد الثورة يعود إحساس الضياع في أغاني كايروكي.. الأمل وسحر البدائيات يختفيان بالتدريج، ونبأ في دخول النفق المظلم الذي لا نعرف متى ينتهي.. تعد هذه هي نقطة الارتباط الحقيقة بين الجيل الجديد وكايروكي، جيل ما بعد الثورة الذي كبر ووعي للدنيا في ظل إحباط الثورة، فوجد أن



كايروكي، كعادتها دائمًا، بسرعة التقطت الخيط، وعكسـت بسرعة ذلك الإحباط في أعمالها.

اللهجة في «السكة شمال» أكثر حدة وجرأة.. تلعب على لغة الشارع كما هو واضح في عنوان الألبوم، وهو الاتجاه الذي سيستمر طوال الألبومات القادمة ويصل إلى ذروته في «نقطة بيضا».

على الناحية الموسيقية، كانت الفكرة هي التحرر من نوع موسيقي محدد، واستكشاف أشكال موسيقية مختلفة، كالشعبي والهاردروك والفالس، وتحقيق صوت الفرقة واستخدام آلات أكثر تنوعاً؛ خاصةً الآلات الشرقية والبحث عن موضوعات وأفكار جديدة. هذا أول ألبوم تقوم الفرقة بالعمل على أغانيه بهدف نزولها معاً، عكس الألبومين السابقين اللذين كانا في أغلبهم تجميقاً لأغانٍ صدرت بالفعل أو كانت قد كتبت منذ فترة طويلة.

تم تأليف وتوزيع نصف الألبوم في بيت أمير وليلي بعد زواجهما بشهرين تقريباً في شارع 9 عام 2013،



أما النصف الثاني فكان في مقر الاستديو الأول لـ كايروكي.. استمر العمل على الألبوم طوال عام 2013 وصدر في فبراير 2014.

«إعادة نظر»

في عام 2012 سافر أمير في منحة للدراسة بالولايات المتحدة لمدة شهرين.. وكانت فترة شديدة الغنى في حياته، حيث اطلع عن قرب على الثقافة الأمريكية المتنوعة من الداخل وزار ولايات مختلفة عن بعضها البعض، من نيوأورليانز (معقل الجاز في العالم) إلى نيويورك (معقل المال والأعمال). وفي إحدى الرحلات الطويلة على الطريق حين كان ينظر متأنلاً حوله في المساحات المترامية الشاسعة من الصحراء والغابات الخضراء أتته فكرة الأغنية.

كان ينظر إلى نفسه وإلى كل ما هو مرتبط بكيانه وسط هذا المحيط الغريب الذي يبعد آلاف الأميال عن موطنها، ففوجيء أنه لا يختلف عنهم كثيراً من حيث



المظهر والذوق والثقافة والموسيقى التي يلعبها مع أصدقائه.. الكل بمن فيهم هو يحاول أن يكون، أو أصبح رغمًا عنه أو برضاه، أمريكيًا.

وإذا اختارت أغنية واحدة تلخص أزمة الهوية وتضاربها لدى أي شخص وفنان مصري، فلابد أن تكون هذه الأغنية التي تلخص كلماتها أزمة جيل كامل. وتزيد المفارقة- والشجاعة الحقيقية - حين تأتي هذه الكلمات من شخص اختار الموسيقى الغربية ليعبر بها عن نفسه.

تبدأ «إعادة نظر» بكوردات جيتار هادئة.. يدخل هواري بجيتاره الكهربائي يعزف اللحن نفسه. وتأتي كلمات أمير المؤلمة عن إعادة النظر التي تحتاجها جميعًا في مرحلة ما من حياتنا. يقول كلمته المأثورة لدى: «مفيش تاريخ.. مفيش هوية.. أنا نسخة مش أصلية». ويكمel: «زي علامي وزي نص كلامي، زي الجيتار اللي قدامي»؛ ليمثل الجيتار برمزيته الثقافة الغربية وفنونها. ثم: «كل شيء شايفاه عنيا، مش مني ومش لي». هذه الكلمات القليلة تلخص في عذوبة



مأساة جيل بأكمله.. فنحن نرتدي ملابس ليست ملابسنا. ونتكلم بغير لغتنا، بل وأهملنا لغتنا حتى قتلناها تماماً.

وكانه يحاول البحث عن الهوية الضائعة، يغني على استحياء: «يا ليل يا عين».

ويعزي ذلك إلى التعليم الذي جعله هكذا. ثم يؤكد: «حتى شكري بقى تقليد، والتقليد بقى تجديد». ويعود مرة أخرى للتعليم الذي يعتمد على الحفظ مقابل الفهم.. ويتكلم عن الاغتراب: «علموني أبعد بعيد».

وإمعاناً في المفارقة تحافظ الأغنية على غريبتها الشديدة وتنتهي بعد الصولو ببيانو شريف.

وحين سألت أمير عن الاتهامات الموجهة لهم من النقاد بأن موسيقاهم غريبة ذكرني بكلمات هذه الأغنية: «لأننا فعلًا لسنا مصريين أصلاء! ما الذي يجعلك مصرئياً؟ ماذا في حياتنا اليومية يمت لمصر بصلة؟ لقد



نشأتنا في هذه الازدواجية حتى تهنا.. هذه الكلمات تعبّر عنّي أكثر مما تعبّر عن أي شيء آخر، إنّها أغنية تنتهي لفئة النقد الذاتي لأقصى درجة.. مكاشفة ومحاسبة لكل شيء جعلنا كذلك».

«الخط دا خطّي»

تبدأ «الخط دا خطّي» بلحن منفرد جميل من هواري الذي يذكرني بالألحان اليونانية الشعبية، أو ربما بتراث دول البحر المتوسط التي تنتهي إليها فلسطين موضوع الأغنية. بعدها تدخل في إيقاع رقصة هادئة وعدبة تصاحبها أصوات الدف، إحدى الآلات المستخدمة في التراث الموسيقي الفلسطيني.. يدخل الجيتار الأكوستيك مع صوت أمير وهو يغني مرثية أحمد فؤاد نجم لفلسطين، ويصاحبهم القانون على استحياء.. من المرات الأولى التي نسمع فيها الآلات الشرقية بهذا الوضوح في أغاني كايروكي.

والقضية الفلسطينية من أهم محددات جيلنا؛ فقد كانت تتصرّد الأخبار والهم المصري طوال فترة نشأتنا



قبل أن تأتي أحداث سبتمبر السوداء في 2001؛ لتنضم العراق وأفغانستان ثم بقية الدول إلى الآلام العربية. بعدها سيبدأ الاقتتال الفلسطيني الداخلي ثم الربيع العربي لتنتهي القضية وتصبح تراثًا جانبيًا في شرائط الأخبار وإدراك الجموع المنشغلة. كثيرون من محبي كايروكي اليوم ولدوا ونشئوا في عالم لا توجد فيه فلسطين في الذاكرة الجمعية، وعندما يقوم أمير بناء هذه الأغنية في الحفلات أشعر وكأنها أغنية عفا عليها الزمن.. فقد ابتعدنا عن فلسطين أكثر وأكثر بعد الثورة وأصبح الهم الداخلي والصراع من أجل البقاء هو السائد في وعينا، واستشهاد محمد الدرة واقتحام شارون للأقصى وياسر عرفات.. أصبحت كلها تراثًا لا يذكره سوى أمثالنا.

«أجمل ما عندي»

في مساء أحد الأيام كانت الكهرباء قد انقطعت عن منزل أمير.. هذا أمر متكرر في مصر في تلك الفترة. كان هو وشريف يجلسان في غرفة الاستوديو، وكان العمل على الأغنية قد استمر مدة طويلة دون نتيجة



مرضية لهما. بعد أن انقطع النور دخل أمير ليستلقي على السرير وقت قرب الفجر، تاركاً شريف يعبث بالأكورديون. بينما يرقد أمير في الظلام جاءته من الغرفة الأخرى نغمات جملة رائعة.. ركض نحو شريف وطلب منه أن يعيد عزفها دون توقف.. بدأ يعزف الجيتار معه.. وكانت الأغنية. يحكي شريف كيف أنه كان قد كتب هذه الجملة قبلًا لأغنية لم تتم، وكان قد نسيها تماماً، وفي لحظة وسط الظلام الدامس، ففزت إلى ذهنه فقرر أن يجربها، وصارت هذه هي البصمة الشهيرة لمطلع الأغنية.

بعد بضعة أشهر شعروا بأن الأغنية تحتاج إلى صوت آخر يغني مع أمير، كتبوا جميع الأسماء المقترحة، وكانت سعاد ماسي الاختيار الأول.. راسلوها ووافقت، سجلت الجزء الخاص بها في فرنسا وأرسلته لهم.

«غريب في بلاد غريبة» (النسخة الشعبية)

في عام 2012 قامت الفرقة بعمل أكبر حفل ساوندكلاش لها.. وفي هذه الحفلة حدث أمران مهمان:



اكتشاف عبد الرحمن رشدي وتقديمه للجمهور، والتوزيع الشعبي لأغنية «غريب في بلاد غريبة».

كان أمير بكل ذكاء قد تمكن من تحويل الكوبليه الأول من الأغنية التي كتبها في عام 2004 إلى موال شعبي، وعند تسجيلها للألبوم تم اختيار أجمل الأصوات الشعبية في رأيي ليؤديها: عبد الباسط حمودة.

ما بدأ مجرد فقرة في حفل ترعاه شركة مشروبات طاقة، انتهى بأن أصبح البذرة التي خرج منها عديد من الأغاني الشعبية لـ«كايروكي» لتصبح هذه الأغنية والنجاح الرهيب الذي حققه، تحقيقاً لحلم أمير القديم بأن يغني أغاني شعبية يبحث خلالها عن جذوره، وفي الوقت نفسه يصل إلى عدد أكبر من الجماهير.

وحتى اليوم، تعتبر أغنية «غريب في بلاد غريبة» من أنجح الأغاني في الحفلات. ويعود ذلك - في جزء كبير منه - إلى التوزيع الذي ارتدى ثوب الموسيقى



الشعبية الجديدة (التي بدأت بموسيقى تعتمد على أصوات الكيبورد الغربية وتبتعد عن المقامات الشرقية الواضحة وانتهى بالمهرجانات اليوم). لم يضف شريف أيّاً من خلفيته الكلاسيكية على الأغنية، وأخذها في منحى شعبي بحت، اللهم إلا من بعض الإسهام الراقص من جيتار هواري.. ولن يتكرر ذلك مرة أخرى، وستظل كل أغنية شعبية لـ«كايروكي» بعد ذلك تحمل الطابع الخاص بالفرقة بوضوح.

ومصطلح «التعبير الموسيقي» يتجلّى هنا بوضوح؛ ففي التوزيع الموجود في ألبوم «مطلوب زعيم» - وهو توزيع غربي صريح - لا تشعر بقوة الكلام ولا تأثيره كما تشعر به في توزيعها الشعبي. لقد استطاعوا هنا، ومع صوت عبد الباسط حمودة بالأخص، أن يضيفوا هذه المسحة من الشجن المصري الأصيل على الأغنية فيخرج مكنونها بشكل لمس الناس كما لم يمسه التوزيع الأصلي، وهو ما يفسر انقضاء كل تلك السنوات حتى تحقق تلك الأغنية الشعبية الحقيقية؛ لأن الموسيقى في التوزيع الجديد خدمت الكلمات

ووضعتها في نطاقها الصحيح، وهو ما يعطي درساً في مدى أهمية أن يطوع أي فنان أدواته؛ كي يعبر عن المعنى الذي يريد توصيله، وليس العكس.

وأعتقد أن كايروكي أصابتهم صدمة فجائية من نجاح هذه الأغنية؛ فهي التي أخبرتهم بأنهم يحتاجون - بشكل أو بآخر - إلى أن يكونوا أقرب إلى الناس ليس فقط في كلماتهم ولكن أيضاً في الموسيقى.

«ياما في الحبس مظالم»

«ياما في الحبس مظالم» من الأغاني التي أحبها جدًا.. تبدأ بلحن شرقي من الأكورديون (بطل هذا الألبوم بلا منازع)، ويعود الدف مرة أخرى، يبدأ أمير الغناء بطبقة منخفضة وهدوء كبير؛ فهو يلقي هذه المرثية الحزينة عن الغابة التي نعيش فيها اليوم ويصاحبه Riff بيانو قصير ومتكرر، يعطي إيحاءً بالخطر والتوتر.. وهي من النغمات التي لا تفارق ذهني أبداً.

في هذه الأغنية توجد كلمة من أشهر كلمات أمير وأكثرها تداولاً وتعبيرًا عن المرض الذي ينهش في جسد مصر طوال العقود الماضية، والذي لم تفلح الثورة وتوابعها حتى الآن من القضاء عليه: الفساد. «عمرك شفت حوت في حوض السمك محظوظ؟». ومرة أخرى، يمارس أمير هوايته في نحت جمل تبقى في الذاكرة وكأنها أمثال أو حكم شعبية قديمة: «يا تموت وإنْتَ واقف

يا تعيش وإنْتَ راكع، الرقم سبعة ممكِن يبقى تمانية لو بصيت عليه من الناحية الثانية، هدوم غالبة وناس رخيصة، السكة شمال..» وغيرها.

بعد ال Chorus الثاني يبدأ هواري في واحد من أقوى وأعلى وأجمل صولوهاته، والذي تبرزه انتفاضات من الوتريات تضرب بقوة لتدفعه إلى الأمام. وهو صولو أكثر من رائع، يأخذك إلى آفاق بعيدة عن تلك الأرض الحزينة.. وأن تشاهد هواري يعزف هذا الصولو في الحفلات متعدة لا مثيل لها بكل المقاييس؛ فهو يعزفه كل مرة بشكل مختلف، ويحمله كثيراً من الألم



والمشاعر المؤلمة. ويكون عادةً في كل الحفلات أطول وأكثر أثيرية.. رأيت أكثر من مرة الشباب يصرخون إعجاباً به، ولا يضاهيه في الروعة سوى صولو «إحنا الشعب».

«أنا مش قادر»

أصدر الكاتب الكبير بهاء طاهر كتاباً رائعاً بعنوان «أبناء رفاعة»، والذي لم يأخذ حقه وأراه جديراً بالتدريس في مدارسنا، وناقش عبر صفحاته قضية التعليم ودورها في التنوير والتطوير في مصر على مدى مائة عام بشكل أكثر من مبهر. من المرعب إلا نلتفت لمثل هذه الدرر التي ستجعلنا نفهم كثيراً وكثيراً مما يدور حولنا بشكل مبسط وواضح.

كلام هذه الأغنية الرائع يمسك قضية التعليم ويفصلها بوضوح.. يمكنك الآن بعد أن قرأت معي تجارب الفرقة في التعليم أن تدرك أنهم يحملون بداخلهم مراة واضحة - باستثناء شريف - من التعليم ككل.. وتأتي الأغنية لتلخص كل هذا، ولذلك فهي مكتوبة



بأسلوب كأنه هتاف في الشارع، يريد الناس كلها أن تغنى وراءه هذه الكلمات؛ فالتعليم - كما قال لي أمير وتأمر في معرض أحاديثهما - هو اللبننة الأولى في نهضة أمة أو دمارها وخضوعها للظلم والقهر.. هذه الأغنية تحاول أن تلفت نظرنا إلى هذا.

في النهاية يختتم هواري بصولو غريب مكتوم يعبر عن هذه الضغطة والكتمان، لنتذكر جميعًا هتاف الجميع مع بينك فلويد ضد نظام التعليم الفاسد في: No More Education Verse المتنالية؛ ليتحدث عن الحق الضائع في قصير. وربما تعاني الأغنية من بعض الازدحام في الأصوات والآلات، وأشعر في بعض الأحيان أنها تفتقد شخصية قوية واضحة ونافذة، ولكنها مهمة لا شك.

«يا ترى فاكر»

هذه الأغنية التي تعد من أقدم أغاني الفرقة تعود بك فعلًا إلى ذكريات وأنت تسأل من أمامك إن كان يذكر ما بينكمًا.. كتبها أمير المتالم لوالده، يسأله بعد سنوات



من الهجران إن كان يذكر كل الوعود التي أعطاها إياها أم لا وإن كان سيعود يوماً ما.

كثيرون يظنون أنها تتكلم عن علاقة انتهت بين اثنين من المحبين، وربما تتفق أيضاً مع هذا التفسير، ولكن حين أسمعها الآن وأدرك أنها رسالة ابن لأبيه أتألم كثيراً.. ستمر أكثر من عشر سنوات؛ كي يكمل هذه الأغنية بأخرى لأمه أكثر أياماً وحزناً، وكأن على هذا الشاب البائس أن يفقد والديه مرتين في كل مرة: هجران أبيه وهو صغير، ثم وفاته وهو كبير، ثم نسيان أمه لكل ما حولها، فيشعر وكأنها ماتت بالفعل وإن لم تمت.

اللحن الرئيسي للأغنية الذي يقوده جيتار هواري شديد العذوبة والت الألم.. كذلك يظهر العود هنا بوضوح؛ ليضفي مزيداً من الدفع على الأغنية. ثم يتسلّم منه الجيتار بصوت نظيف دون Distortion ليواصل تلك النعومة؛ حتى يعود ال Distortion مرة أخرى معبراً عن خشونة ووجع فقدان.

أيامي مع كايروكي - الفصل الرابع والثلاثون



الفصل الخامس والثلاثون

إنجلترا (7)

2 و 3 يوليو

غادر آدم وهواري وتامر وعاصام في اليوم التالي للحفل إلى القاهرة.. وبالطبع لم يحدث ذلك ببساطة، فهواري اختفى منذ الصباح الباكر ولا يرد على هاتفه ولا على باب غرفته (تشاءمت أمينة حينما عرفت أن رقمها 1313).. ظهر متأخراً بعد أن ارتعينا.. كان يقوم بالتسوق.

وهكذا تبقى من العصابة أمير وشريف وهادي وأمينة وأنا.. سوف يغادر ثلاثة منهم غداً، وأبقى أنا وشريف لمدة يومين.. كان شريف قد أخبرني بسخافته المعهودة أنه يريد أن يقضيدهما وحده في لندن كإجازة، فأخبرته ألا يقلق لأن لي صديقاً، أتي مع فريق موسيقي آخر شارك في المهرجان، وسأقضى معه هذا

اليوم الإضافي ولن أزعجه.. حاولنا جاهدين أن نجد له مكاناً يبيت فيه هذين اليومين.

قضى الصباح في التجوال في شوارع لندن وسوهو المشمسة.. الكل تخلص من التوتر وحان وقت الترفيه.

ذهبنا إلى دنمارك ستريت، الشارع الأشهر في العالم للآلات الموسيقية.. كان شريف وأمير كطفلين صغيرين في محل كبير للألعاب.. مضت ساعات وساعات قبل أن نغادره ليعود هادي إلى هوايته المفضلة في التسوق من أوكسفورد، وبعدها قابلنا بعضاً من أصدقائهم وتناولنا الغداء.

في الثامنة والنصف قام مدحت من القاهرة بتنزيل البيان القصير الذي كان أمير يكتبه ويعيد كتابته عشرات المرات طوال وجودنا هنا، والذي تعلن فيه الفرقة عن نزول الألبوم على الإنترن特 وملابسات هذا القرار.

«رفضت الهيئة العامة للرقابة على المصنفات الفنية شوية أغاني من ألبوم كايروكي القادم «نقطة بيضا».. الخبر الوحش إن ألبومنا لأول مرة مش هينزل في الأسواق بشكله الحقيقي، وغالباً في الإذاعة والتلفزيون كمان. مش مهم.. الخبر الحلو إننا مكملين وهتفضل أغانيينا حرة وه تكون متوافرة على الإنترن特 والديجيتال ستورز، مش بس كده، جميع أغاني الألبوم ه تكون مصورة».

بعدها بساعة كنت مع أمير نتوجه للقاء صديق مقرب له في مطعم بشارع متفرع من أوكسفورد.. وصلنا إلى المطعم الأنيدق وشعرنا فور دخولنا بأننا لا نرتدي ما يليق بهذا المكان الفخم، خاصةً أنا بملابسي التي أرتدتها لمدة ثلاثة أيام.

بحلول نهاية العشاء كانت الأخبار تصل من مصر في تدفق مخيف.. يخبرنا هادي كل عدة دقائق بخبر ما.

انقلبت الدنيا بعد نزول البيان. طبعاً جمهور كايروكي يعبر عن تضامنه ودعمه للفرقة بشكل جارف، عدد



المشاركات وصل عشرات الآلاف في دقائق. بدأت مواقع الصحف الإلكترونية في نشر البيان ورأى المناصرون لـ«كايروكي» في عدم إجازة بعض أغاني الألبوم صورةً من صور تقييد حرية التعبير، بينما الرقابة وممثلوها ومناصروها من «الفنانين» فقد هبوا للدفاع عن القرار. الأمر شديد الغرابة بالنسبة لـ هو Screenshots تأتينا من القاهرة لحظة بلحظة بعد أقل من ساعة ونصف من نزول البيان.

علم الصديق بما حدث، وبدأ سجال طويل وعنيف بينه وبين أمير في شوارع المدينة الباردة.

أنهينا العشاء وقطعنا نصف لندن سيراً على الأقدام بينما أمير وصديقه ما زالا يواصلان المناقشة الحامية.

كان رأي الصديق أن ما قام به أمير تهور وجنون مطلق، واتهمه بأنه يبحث عن بطولات واهية، وأنه يجب أن «يمشي أموره» ولا يصطدم مع أحد، وأن



تغيير كلمات الأغاني أو عدم تنزيل أغانٍ معينة ليس عيباً في مقابل أن تحافظ الفرقة على قدرتها في الاستمرار.

سأله إن كان سيكون سعيداً لو كان هذا آخر ألبوم لهم، وظل يكرر اتهامه لأمير بالتسريع والصدامية غير المبررة.

- ما المشكلة في أن تطرح الألبوم من «شّكات» على الإنترنـت، لماذا كان يجب أن تهاجمهم وتحرجهم؟

- لم أهاجم أحداً، لقد فعلت ما كان يجب فعله منذ أن أخبرونـا بقرار عدم الإجازة من مارس.

- لماذا تريد أن تكون بطلاً؟ متى تتخلـى عن هذه الأوهام التي في رأسك؟

- لا أريد أن أكون بطلاً.. أنا لم أقل شيئاً ولم أهاجم أحداً، كل ما في الأمر أننا أعلـنا للناس بوضوح أن الألبوم لم يحصل على إجازة بالكامل وسينزل على الإنترنـت مجانـاً، ما المشكلة؟ لقد أضرـنا ذلك التـعـنت



مادياً ومعنوياً، ووضعنا في حسابات معقدة. ما المشكلة في الذي قلته؟

- المشكلة أنك تحرجهم، وهو ما قد يجعلهم يبحثون عن كل وسيلة لمضايقتكم، أنت تدرك ذلك ولكنك تريد أن تكون شهيداً وتفتعل معركة وهمية؛ لتصبح أنت المدافع الوحيد عن الحرية، وأنت لست كذلك وليس مطلوباً منك أن تكون ذلك الشخص.. لا أحد سيدفع الثمن معك إلا كل من تحب.. أنت غبي.

- ما الخطأ في أنني أريد أن التزم بالعقد الذي أبرمته مع جمهورنا من أول يوم؟ لا نتراجع عن تسمية الأشياء بسمياتها، وأن يكون موقفنا واضحًا ونكون صوتهم، كيف تريدينني أن أدعى أنني أدافع عن الحرية وأقول ما لا يجرؤ أحد أن يقوله ثم أبدو متخاذلاً وأخفي عليهم ما حدث معنا؟

- هذا هو عين الغباء، أنت لا تدرك مدى تأزم الأمر.. أنت غير مدرك أبداً ما فعلته، لو تفاقم الأمر ووضعتم في خانة معينة ستواجه اختيارات لا تقدر عليها، إما



أن تضحي بحرি�تك المزعومة بشكل فعلي أو تهرب تماماً للخارج، هل هذا ما تريده؟

- ولكننا لم نفعل شيئاً.. نحن نغنى، نحن شباب صغير يعني.. ليس لدينا موقف سياسي ولا ننتمي لحزب أو اتجاه، والكل يعرف عنا ذلك.. ليس لدينا ما نخفيه أو نخجل منه.. وليس لدينا غرض، من حقنا كمصريين أن ننتقد لأننا نريد بلدنا أفضل، هل هذا يعني أننا ضد أحد؟

- إنت مجنون يا أمير؟ يجب أن تتعلم التورية، وأن تقول ما تريده، دون أن تقوله بهذا الوضوح الفج.. هذه المباشرة هي التي ستجلب عليكم المتاعب، يجب أن تقول ما تريده دون أن تكون صدامياً.. لا أحد يطلب منك أن تكذب أو تนาقض، ولكن لا تكون صدامياً بهذا الشكل، إذا طلبوا تغيير كوبليه أو تعديل كلمة أو حذف جملة، فلتفعل.. لا تتردد في ذلك.

- إنهم لم يطلبو أصلاً، لقد رفضوا كل أغنية بالكامل دون إبداء ملاحظات على بيت أو جملة.



- كيف تخيلت أنكم ستتصدرون هذا الألبوم دون أن يعترض أحد؟

- أنا لا أحاول أن أكون شهيداً أو زعيماً أو أي شيء من هذا القبيل.. فقط أريد أن أمارس فني دون ضغوط أو تدخلات وأريد أن يصل صوتي للناس.. لقد حاربنا سنوات حتى نصل إلى تلك اللحظة. ما المشكلة في نجاحنا؟ هذا فني وهذه طريقتني التي جعلت الملايين يؤمنون بنا وبما قوله ويتحققون بنا.. لن نتراجع عن موقفنا لأننا لا نضمر السوء لأي أحد.

- أنت موهوم تماماً.

- لن يسامحنا التاريخ إذا قمنا بتغيير كلماتنا.. هذا هو الـDNA الخاص بنا، إننا فرقة صاحبة موقف وكلمة حرة، وإذا ما غيرنا حرفاً واحداً ينهار كل ما نمثله.. إنهار حقيقتنا.. كيف سيسمعوننا بعد ذلك؟!

- إذاً كن مستعداً لدفع الثمن...

- وهل يجب أن يكون هناك ثمن للنجاح؟



كان شريف يراقب الحوار في قلق واضح.. يتدخل بين الحين والآخر يحاول أن يوفق بينهما، ولكن العناد كان قد تمكن من كليهما، ولم يسمعا لأي أحد وسط هذا السجال الذي استمر أكثر من أربع ساعات دون انقطاع.

كانت هذه أول مرة أسمع فيها هذه الأفكار تتردد بوضوح وكأنها احتمال ممكّن، وهو ما لم أتوقعه أو يخطر بيالي أبداً.. وظلت عند رأيي أن هناك مبالغة في تقدير الموقف.

عدنا إلى الفندق في الثانية صباحاً.. وعزمت بكل قوتي وإصراري على العودة إلى فندي مهما كان الثمن.. أخذت حاجياتي التي اشتريتها طوال الأيام الماضية من غرفة أمير وشريف، وطلبت سيارة (أغلى رحلة في التاريخ) ووصلت إلى غرفتي الحبية بعد ثلاثة أيام من الغياب.



الفصل السادس والثلاثون

حكاية «نقطة بيضا»

ما هذا الكابوس الذي نعيشه؟ لماذا أصبحت الأيام ثقيلة إلى حد الجنون؟ تقف أمام المرأة فلا تعرف نفسك.. ذلك الوجه الذي تراه ويراك كل يوم يطالعك الآن ويضحك.. يضحك عليك. تستدير لتجد نفسك تقف وراءك تبكي.. تبكي ذلك الشخص الذي أصبحت أنت عليه.. تلتفت يسارك فتجد نفسك الثالثة تنظر لك وهي لا تفهم كيف أصبحت هكذا.. صوت بداخلك يناديك من بعيد، ولكنك تحاول ألا تستمع إليه.. لا تريد أن تكون ذلك الساذج البريء الذي يضحك عليه الناس. تظن أنه أنت الأقوى، ولا تدرك أنه في سجن، وأنك أنت السجان، وأن المفتاح في يدك، ولكنك جبان.. أنت السبب في كل ما وصلت إليه ولكنك لا تزال تسؤال، لماذا العالم بهذا القبح!! هذا العالم هو أنت وهو وأنا.. كلنا. نقتل بعضنا البعض، نقتل أنفسنا.. مهما حاولنا أن نجري أو نهرب.. بداخلنا اثنان: الطيب



والقبيح، وأنت الثالث تقف لترتج. يدور الصراع بينهما وأنت لا تتحرك.. تشعر بالذنب لما أصبحت عليه ولكنك لا تتحرك؛ عقلك يرفض الاستجابة. تقف أمام المرأة التي تحول الآن إلى نافذة ترى منها العالم يتحرك ويتحرك معه الزمن، تنزل لتسير وسط الزحام دونما إرادة ولا قدرة، تبيع نفسك لمن حولك.. ترتدي وجههم وتحاول الهروب؛ فتجد نفسك، تلك التي كانت تبكي عليك، تعاني.. أنت القبيح وأنت الطيب وأنت الحرب التي بداخلك وتقتلك.. تتعجب من الزمن الذي نسيك وأنت في هذا التيه.. ولكنك تعرف أنك تستحق ما جرى لك؛ لأنك صدقته.. حاولت أن تسبقه وتحقق كل ما تريد، وفي منتصف الركض واللهاث نسيت نفسك الطيبة.. نظرت وراءك لتجدها بعيدة.. بعيدة جدًا، وأنك تقف وحيدًا أمام مرآتك.. لا تعرف من أنت.

تعود إلى سريرك حيث كنت.. ترقد في جمود تام.. تدور في رأسك الأفكار.



إلى متى تعيش في تلك الهدنة الزائفة؟ آن الأوان لأن تحارب كي تشعر بالسلام.. الاستسلام لم ينفع ولا الإنكار.. هذا القبيح بداخلك، إلى متى تتركه يتحكم فيك، إلى متى تستسلم له، من السبب في ذلك.. من حولك؟ من قاموا بتربيتك؟ إلى متى تظل تعلق عليهم إخفاقاتك، وقبحك الذي يستتر بداخلك. في كل أغنية تسمعها هناك إيقاع.. يخاف المغني أن يسبقه أو يتأخر عنه حتى

لا تفسد الأغنية.. وهكذا أنت تسير جنباً إلى جنب مع قبحك وتترك نفسك دون أن تخالف ذلك الإيقاع أبداً.. جسدك تنحبس بداخله، تقرر أن تستسلم لهم تماماً متصنعاً السلام الخارجي؛ لتجد أنه وضع سجنك في سجن أكبر.. تظل تنتظر منكسرًا، تخاف أن تبعد عنهم وتقرب من نفسك.. تظل هكذا جامداً، متخشبًا، عاجزاً.. تحرك رأسك بصعوبة تنظر حولك.. تراقب هذا المجتمع متناقض المبادئ.. تكفر بكل شيء. الأسئلة تزيد كل يوم وتريد أن تبتعد عن الكل.. إيمانك فقط هو الذي يبقيك على قيد الحياة.. من بعيد يأتيك صوت نفسك كترومبيت تحاول أن توقظك من النوم.

تدق بداخلك أجراس الخطر فجأة، إنك تضيع.. الكل أصبحوا قطبيعاً من الخراف تحوطه كلاب تنبح بالكراهية، إلا قلة قليلة من الأحرار تحاول الصراخ وتحطيم القيود.. الأفكار تلاحقك كالمطر الذي ينزل ليغسلك من كل ما علق بك من هموم الواقع.. تتحطم القيود شيئاً فشيئاً وأنت تقوم من سباتك المستيقظ.. تعلن الحرب على هذا المجتمع المريض الجبان.. لقد آن الأوان أن تضغط على الزناد وتقتل كل سلبية تشده إلى أسفل.. آن الأوان أن تستيقظ.

تستمع إلى صوت خطوات متثاقلة خارج الغرفة.. إنها أمك المريضة بمرض النسيان.

تعود إلى أرض الواقع.. يعتصر قلبك الألم وأنت تتذكر صمتها الحزين. تلوم نفسك. كنت تظن أن الوقت لا يزال مبكراً.. إنك ستترك نفسك في ذلك السبات العميق حتى ينتهي يوماً ما، وساعتها ستخرج لتجدها كما هي.. تنتظرك لترتمي بين ذراعيها وتشكو لها همومك، ولكنك الآن تنظر إلى عينيها فتجد فراغاً ضائعاً، تحاول أن تتحدث إليها.. تشكو إليها ألمك.

ولكن كلامك لا يصل إليها.. وકأن بينكما فاصلًا زجاجيًّا لا تراه.. تكتشف أن الفراق يأتي فجأة، دونما ميعاد.. يجري كلامها في دمك لا تنساه أبدًا.. تحاول أن تخبرها أنك ستنتظرها طوال العمر؛ حتى تلتقيا مرة أخرى.. تضحك في وجهك تلك الضحكة التي تذكرها جيدًا.. تتذكر كيف كانت تفخر بك أمام الكل.. تتذكر كم كافحت ودميت من أجلك.. تتذكر كيف أوصلتك إلى بدر الأمان، وحين اطمأنت عليك، تركتك للأيام تفعل بك ما يحلو لها.. ليتها ظلت بذاكرتها وإدراكتها؛ لتشاهدك الآن وأنت تقرر أن تحارب كل ما حولك ل تستعيد نفسك.. ولكنك تقرر أن تكمل مهما كنت تتالم تماماً كما علمتك.. يصرخ الجيتار بكل الألم الذي في داخلك.. يصرخ الجيتار بكل افتقادك لها.. يصرخ الجيتار باحتياجك المميت لأن تعود ولو للحظات.

تبداً أولى خيوط الفجر في البزوغ.. تخرج إلى شرفتك.. تتنفس الهواء النقي بملء رئتيك وتبتسم.. تنظر للسماء فترى فيها انعكاساً لضحكتك تلك.. تشعر بالرضا والسلام حولك فجأة.. سلام حقيقي وليس ذلك



الذي تخدع به نفسك.. يمر أصدقاؤك أمامك ولحظات الضحك الصافية.. تنظر لتجد آخر نجوم الليل تختفي بعد أن حاولت أن تهديك.. تشعر بقلبك مفعماً بالحب والأمان.. حتى هؤلاء الذين فارقتهم تحاول نسيان ألم فراقهم. تدرك أن المك إنساني تماماً وتقابله لحظات من الهناء والغناء الصافي من القلب.. مرة أخرى يتتصاعد من الجيتار صوت ضحكتك المفتضبة الحزينة الراضية، تلك الضحكة التي تسرقها من الزمن القاسي.. رغم كل الألم تبتسم.. أنت الآن تفهم.. إنه الرضا.

يدق جرس هاتفك.. إنها حبيبتك. التي يشبهه اسمها الليل الدائم الذي تعيشه.. في ذلك الليل كنت تعشقها، وتفكر فيها، وكذلك هذا الليل هو الذي كنت تصارع فيه نفسك وأوجاعك. ترد عليها وتخبرها أنها السبب؛ الذي من أجله تستطيع أن تكمل.. وأنك تحبها كلما رأيتها أكثر من الأول.. وأنك لن تنسى أبداً ارتباطها بك ودعمها لك منذ أن كنتما أطفالاً.. تخبرها كيف أنها بسذاجتها وبراءتها استطاعت أن تغلب هذا العالم المخيف، وتخبرها أنكما ستكملان الحكاية معاً.. تماماً



كما بدأتما إياها معاً.. تظل تردد اسمها حتى يطلع النهار.

في النهار تأخذ جيتارك على كتفك وتنزل إلى الشارع.. تتحرك بضع خطوات فترى كما من العبث لا تفهمه.. تشعر بالتوتر وتتمتع الآن بحس من السخرية المريرة لم يكن لديك قبلًا.. هي سلاحك الوحيد لمواجهة هذا الجنون. مع كل خطوة تموت قطعة في قلبك.. تتطلع في وجوه البشر فتراهم يتحركون ك أجساد ميتة كالزومبي.. تشعر أن أي شيء أصبح وارداً في هذا البلد المليء بالعجباء، لو رأيت ديناصوراً أو بطريقاً يقف على ناصية الشارع يبتاع المخدرات فلن تستغرب.. تهرب من الواقع المهلوس الذي تراه عين خيالك وتركض عائداً إلى رمز التاريخ.. تحاول أن تفهم منه ماذا يحدث، فيجييك بألفاظ نابية وغضب عنيف يعبر عن حسرته مما يراه في هذا البلد العجيب.. يطردك ويخبرك أنه يشعر بالعار منك أنت وأمثالك.. تعود للسير في الشارع وتشاهد الأعاجيب في ذلك السيرك السوريالي.. كلاب تنبح بالملل والغباء

نفسه.. الاتهامات نفسها التي يلقوها لك بعدم الانتماء وهم يأتون بفظائع أفظع في تلك البلد التي لم يعد لديك فيها مكان.

ترك الشارع المجنون وتدخل إلى حارتكم الشعبية القديمة.. ترى حكيمًا يجلس وسط مستمعيه يحذرهم أن الطريق ازداد اليوم التواءً أكثر من ذي قبل.. جميع الأحوال أصبحت معكوسة، كل ما هو رخيص صار له الآن ثمن.. ليس لأن سعره زاد ولكن لأن قيمتك أنت انخفضت وسارت في الحضيض.. تخرج جيتارك الذي يلازمك لتعزف به لحناً ساخراً وسط هذه الرقصة الهيستيرية، التي تحتفي بفشل رهيب في كل شيء ومن بعيد يأتي نعيق الغربان بصوتها القبيح تزن وتزن على الخراب.

تبعد عن الجمع المجنون وتواصل سيرك إلى حيث كنت تجلس مع أصدقاء الزمن القديم.. تمر على أحدهم وقد جلس مهترئ الثياب مقطع الشعر تبدو عليه علامات اللواثة.. ينظر إليك في عينيك بذهول ولا يعرفك.. يخاطب نفسه في موال حزين ينعي حظه



ويعلن المخدرات التي ظن أنها مهربه من كل ما هو مؤلم وضاغط في حياته.. أغرتة في البداية ثم اختفت وتركته وحيداً بعد أن انفض عنه كل من حوله. يحكي كيف أن الأمر بدأ بسيجارة، ثم مخدر، ثم آخر.. ومن يومها لم يعد كما كان، الناس كلها تحركت في الحياة صعوباً وهبوطاً وهو كما هو ملقي في إهمال يشعر بالمذلة.. يطلب من الزمن أن يحنو عليه ويعيده كما كان.. ولكن هيئات.. فات الأوان فات.

تركه وأنت تترحم على حاله.. تسير في الشارع هائماً على وجهك لا تعلم إلى أين تسير. حتى تشاهد رجلاً طيباً يمشي على الأرض هوناً.. نموذجاً لذك النقاء والرضا الذي تتمناه يوماً. يسير حاملاً جريدة تحت إبطه وفي يده طبق صغير يحوي بعضاً من الجبن وبضعة أرغفة من الخبز.. تقف لتكلم معه وتتبرك به. تسمع منه كل الخير الذي تتمناه في الدنيا، ويخبرك أن لديه 6 أبناء.. وأنه يعمل منذ 35 عاماً دونما يشتكي أو يشعر بالغبن.. لا يطلب من الله سوى الستر والصحة.. تنظر إلى وجهه فتجد فيه مليون خط



بمليون طيف من الألوان.. يحكى لك عن محن مرت به ولم يجد سوى أهل حنته وكل من يشبهونه يقفون بجانبه بها.. يلقي إليك بنكتة عن غرابة الدنيا ويبيّن لك الأمور ويخبرك أن تتركها على الله. يستأذنك؛ لأنك يريد أن يلحق مباراة فريقه المفضل قبل أن تبدأ.. يغادرك وقد ذكرك دونما يقصد بشعور تعرفه جيداً ولكنك تنساه: الرضا.

تعود من طريق غير الذي جئت منه.. تتسلق جبلًا وتخرج جيتارك وتغني.. تنصب منك الكلمات والحكمة التي تعلمتها من رحلتك تلك: ما بداخل نفسك وما حولك لا يفترقان. تريد أن تحكي حكاياتك وتوضح للناس الأمور التي لا يرونها؛ لأنهم يسيرون معصوبين الأعين ومغلقي العقول.. الآن حان الوقت لتخبرهم جميعاً بحقيقة الأمر.. حتى لو كانت هذه آخر أغنية تغنيها، فسوف تقول كل شيء، وستظل تغني عن الحرية مهما حاولوا إسكاتك.. تطلب منهم أن يرددوا وراءك الكلمة المقدسة وتخبرهم بكل شيء: عاهات كثيرة وتقاليد

لمجتمع اجتماع ضد التجديد. فكر الناس مريض.. من المستفيد؟

تدرك الآن أن هؤلاء الذين يتحكمون بك بالخوف يجعلونك تخاف حتى تصبح نفسك هي السجن.. المجتمع يحارب الحرية؛ لأن الرجعية هي المسموعة.. لقد تربينا على الخوف وأن نصمت لأن الحيطان لها ودان، فالآن دعهم يسمعون صوتك وأنت تصرخ: حرية.. الحرية في تفكير والتعبير وحقك في الاختيار.. ولكنهم يريدونك أن تسير على خط سيرهم، ذلك الخط الذي ساروا عليه في الماضي.. هؤلاء الذين لا يريدون أن تقود أنت الدفة وأن تظل حبيس الماضي.. لو كانت هذه آخر أغنية سأظل أغني عن الحرية.. سيقولون عنك جبان.. وهم الجبناء.. والشجعان هم من يذهبون ضحايا.. وستظل كلمتي حرة مهما كان.. سيظل الحلم مستيقظاً، وستظل الكلمة حرة.. وسيظل صوتنا مرتفعاً مهما كانت الدنيا صامتة.. سنكمض المشوار.. وإن حاولوا دفونا فإننا فكرة ستطرح غيرنا.. لن نبيع حلمنا ولا الذين ماتوا من

أجله.. الرجال هم من في السجن والجبناء في الخارج.. لن نتوقف عن الغناء عن الحرية؛ حتى يسمع من لا يريد أن يسمع، ويريد أن يكمم الأفواه؛ لأنه لا يستطيع أن يسد أذنيه ويفضل الإرهاب حلاً.. لقد توقفت عن الخضوع والخنوع والجمود وانتصرت على نفسي وعلى أحزاني من فقدان من أحبهم.. ونزلت إلى الشارع وعرفت ما فيه من جنون وضياع ولن أقبل بهذا بعد الآن.

الفصل السابع والثلاثون

إنجلترا (8)

4 يوليو

أمضيت اليوم مع صديقي.. غادر أمير وهادي وأمينة قلقين من التوتر الذي ينتظرون في مصر.. كان بقية أعضاء الفرقة ينتظرون عودتهم؛ ليعقدوا اجتماعاً عاجلاً يناقشون فيه الوضع.. بدأت الأمور في التأزم ولم يبق سوى ستة أيام على نزول الألبوم.

بدأت الأخبار تصدر على الإنترنت ردّاً على البيان بأن الأغاني لم تمنع بشكل بات ونهائي.. ولكن كانت هناك فرصة للاستئناف والمناقشة ولكن كايروكي لم توافق على مواصلة الحوار.. لم يكن هذا حقيقة.

تحدث محامي الفرقة مع الرقابة الذين أبدوا استياءهم من البيان، وأكدوا له أنهم لم يكونوا يريدون افتعال معركة وأن الأمر برمته سوء تفاهم.. ورغم أن



هذه ليست المرة الأولى التي تمنع فيها أغاني «كايروكي»، إلا أن الأمر في كل مرة كان يتم تداركه من خلال النقاشات الممتدة مع الرقابة.

ظهر حواران صحفيان لفنانيْن: أحدهما عضو في مجلس إدارة النقابة الذي صرَّح بأن كايروكي من «نفایات أحداث ينایر».. طبعاً لن أعلق على لفظ «نفایات»، ولكن «أحداث»؟ أما الآخر الذي اشتهر بمحاجمة الفنانين وإثارة الجدل أكثر من شهرة أعماله التي لا يعرفها أحد فقال إن هذه الفرقة تهدف هدم مؤسسات الدولة، وتساءل من أين لهم التمويل تصوير 11 أغنية فيديو كليب خارج مصر (وماذا عن الناموس الذي أكل وجوهنا في المريوطية؟).. أثارت هذه المقالات غثيانِي وتواتَت آراء أخرى تحمل التشنيع نفسه غير المبرر.

حملت هذه الحوارات دلالات كان قد تكلم عنها الصديق وأمير من قبل، وهي أن هناك حملة تشويه واغتيالٍ معنويٍّ، قد تبدأ بشكل مؤذٍ للغاية، والناس في مصر تصدق بسهولة.. كان هذا هو الرعب الأكبر: أن



تستيقظ الفرقة فتجد نفسها محاطة بشائعات وتهم جزافية تقضي عليها دون فرصة للرد.

مراليوم بسرعة مع صديقي الذي كان يزور لندن لأول مرة، فقمت بدور المرشد السياحي وأخذته إلى أهم المعالم اللندنية: بيج بن وداوننج ستريت والمتحف البريطاني.. تفرجنا على لوحة لدافينشي ولوحات رمbrandt وقان جوخ وغيرهم من العظماء.. ثم قمنا بزيارة مقر إقامة شارلوك هولمز في بيكر ستريت.

تركته في العاشرة والنصف مساءً.. وقبل أن أتوجه للمترو كي أعود للفندق، وجدت شريف يرسل لي رسالة على الهاتف: «أين أنت؟.. أريد أن أراك».

حاولت أن أتهرب منه وأطلب منه أن نؤجلها للغد ولكنه أصر.. كنا نتكلم عن طريق الـVoice Notes، بدا من صوته أنه قلق ويريد أن يتكلم.. يصعب أن تستشف شيئاً من صوته العميق ذي الوتيرة الواحدة والخالي من التعبير.. حتى وأنت تجلس معه لا



تستطيع أن تستشف شيئاً من تعبيرات وجهه الساهمة طوال الوقت ولكن إحقاقاً للحق؛ فمن السهل أن تعرف ما يفكر به لأنه ي قوله بوضوح دون موادية، ولكن تبلغ الصعوبة الحقيقية في أن تعرف ما يشعر به.

استقلت المترو إلى حيث يقيم في شارع مليء بالعرب شرق لندن.. بعد بعض التوهان التقينا وتوجهنا لتناول الطعام والتمشية في الشوارع الهدئة.

«هناك أسئلة عديدة في رأسي.. لا أعرف لها إجابة. سأجن».

كان في قمة القلق كما لم أره أبداً من قبل.

- هل يجب أن نواجه هذا العنف؟ هل يمكن أن ندفع الثمن فعلاً بأن نسجن مثلاً؟ هل لو سجنت سأكون سعيداً أو متقبلاً لهذا الأمر؟ وكيف سنغير الأوضاع التي نرفضها إذا سجنا؟ هل السفر والعمل من الخارج

جبن؟ وهل سنقبل أن يتم تشويهنا ويقال إننا مأجورون وممولون وهذا الكلام الفارغ؟

- ألا ترى أنكم بالغون؟ أنتم لم تخرجوا في مظاهرات ولم تنتقدوا شخصاً بعينه أو حتى تصرحوا بأي شيء سياسي.. لقد قمتم بعمل أغاني تنتقد أوضاعاً مجتمعية لا أكثر ولا أقل.

- إنت بتهزز؟ نحن نحقق ما هو أخطر من ذلك.. التأثير.. إن ما نقوله يصل إلى ملايين الناس، وإذا دفعهم هذا للتفكير والانتقاد فأنت قد حفقت بذلك الجريمة الأكبر التي لا تغتفر في نظر البعض.

- هل توافق صديق أمير في ما قاله بالأمس؟ أشعر أنه يبالغ وينظر للأمر من وجهة نظر عملية وقلقة فقط.. ربما هي واقعية، ولكنه لا يدرك معانٍ قيمة الفن والمسؤولية وصدق التعبير تجاه الجمهور.. لماذا يتوقع أن يتم منعكم والتحفظ على أموالكم وربما إخضاعكم للتحقيق؟ هذا أمر مبالغ فيه من وجهة نظري، الأمور ليست بهذا الإظلم؛ خاصةً أنكم لا تحملون أي نوايا



سيئة وأي جهة ستجلس معكم ستدرك ذلك من أول وهلة.

- إنه محق في أن أمير يفعل ذلك من أجل إرضاء غروره الشخصي، طبعاً هو مؤمن بما يقوم به.. ولكن هذه الصدامية هي صدامية خناقات الشوارع زمان.. «محدث يعلم علياً»، أمير يريد أن يتخانق مع كل من قام بعمل تصريح في التلفاز أو الجرائد، ويريد أن يؤلب عليهم الشارع ويتصدى للتشويه المعنوي الذي بدعوه.. الصديق بالطبع لا يضع وزناً لفكرة الضمير الفني، ولا تستطيع أن تلومه فهو ليس فناناً وبالتالي ليس مطالباً أن يؤمن بالأفكار نفسها.. في النهاية هو تهمه مصلحتنا، والبحث عن مصلحتك ليس أمراً سيئاً.. من قال إننا يجب أن ندفع الثمن نيابةً عن آخرين؟

- أتذكر ما كان تامر يقوله في أول يوم لي في المكتب.. «آخرنا هاشتاج ومحدث هي عملنا حاجة». كان يقولها ضاحكاً ساعتها، ولم يخطر في بال أي منهم



أن يشعر بتهديد حقيقي بأن هذا قد يصبح أمراً واقعاً في أي لحظة.

- مشكلتي أنني أشعر أنه لا توجد معركة لخوضها.. لقد حسمت بالفعل. نحن أقل وأضعف من أن ندخل حرباً لا نريد أن ندخلها أصلاً، والطرف الآخر إذا قرر أن يقضي علينا فسيفعل ذلك في لحظة.

- لازلت أظن أن الأمور ليست بهذا التأزم.

- لا أريد أن أشعر بأني غبي وبأن الأمر لم يكن يستحق.. هل يستحق؟ سأجن لأعرف الإجابة.. هل البلد والناس يستحقون؟ هل إيمانهم بنا يستحق؟ أمير يرى ذلك، ولكنني إنسان لا أريد أن أعيش خارج السجن بضمير يؤنبني أنني لم أقم بالدور الذي كان يجب أن أقوم به وأدافع عن المبدأ الذي أؤمن به، أو أدافع وأسجن وأظلم نفسي ومن حولي.

- الاختيار صعب.. أواافقك. الفكرة الرومانسية التي تقول بأنك تموت من أجل مبادئك فكرة رائعة في



الأفلام والروايات، ولكن في الحقيقة هي ليست كذلك.. دعنا نضع الأمور في نصابها الحقيقي: أنتم لستم مناضلين، وليس لديكم معركة مع أي طرف.. مجرد اختلافات في وجهات النظر، أو بمعنى أصح أنتم تتكلمون بلسان حال الكثيرين الذين يعانون اقتصادياً واجتماعياً من أوضاع يدركها الجميع، وكل الجهات تحاول صادقةً أن تغير هذه الأوضاع.. ولكن الرؤية تختلف من جهة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر، إنه اختلاف منطقي وطبيعي في الحياة. المسألة قريبة، ليست صعبة.. وأنتم حتى لا تعلنون مواقفكم السياسية على الملأ، ولا تشحذون الناس، وليس منكم من يهتم بالسياسة حقاً.. أنتم فقط تكتبون أغاني، فما المشكلة؟

- هل تظن أن أي فنان في العالم يحدث التأثير الحقيقي الذي يستحق سجنه؟

- كل كلمة مهمة، وساهمت بقدر ما في رفعوعي الناس؛ بدليل أن بعد مرور 40 عاماً غنى الناس أغاني



أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام في الميادين، هذا يعني أنها كانت في الوجдан كل تلك الفترة.

- وهل هذا يستحق؟ ماذا لو كانا قد قالا ما يريدانه ولكن بشكل مستتر ودون أن يضطروا إلى هذه التضحية؟ أو ماذا لو لم يقولا شيئاً؟ ماذا لو بدلاً من أن يكتبوا 20 أغنية وسجنا سنوات وخرجنا مكسورين، كانوا قد كتبوا 100 أغنية واستمررا أطول ومررا رسائلهما دون مبشرة؟

- وهل كانت النتيجة ستكون مماثلة؟

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن هذا يرتبط بشكل مباشر برؤيتك لدورك كفنان.. الأغنية لا تصلاح الطرق ولا تعالج المرضى.. ولا تقضى على الفساد أو تضبط الأسعار وتنظم الشوارع، ولكن الأغنية تحلق وتعيش في كل شخص يسمعها فتترك شيئاً من النور.. من التأثير.. من الحكمة أو من الشجاعة والإدراك داخل كل منا؛ فنصبح - ولو بقدر



ضئيل - أفضل.. أفضل في اختياراتنا وحياتنا وإدراكنا لما حولنا وما بداخلنا، هذا هو دور الأغنية والفن عموماً، لحظة بلحظة ومرة بمرة يؤصل الفن إنسانيتك ويذكرك بها.. تكوين الوعي. ليس مطلوبًا منك أكثر من ذلك.

عاد شريف ليصمت مرةً أخرى ناظرًا أمامه في الفراغ.. كانت قد مضت أكثر من ساعة ونحن جالسين على محطة الحافلات، أمرر الحافلة تلو الأخرى دون أن أستقلها.. نستمع إلى أصوات السارينات القادمة من بعيد التي لا تتوقف أبدًا هنا.. كانت الساعة قد تخطت الواحدة بقليل.. في لندن، يعد هذا ضرباً من الجنون.

- إذا واصلنا العمل من الخارج سنتمتع بالحرية ولكن س يتم تشويهنا، وبالتالي فقد مصداقيتنا، وإذا قمنا بالعمل من هنا سنصمت ولن نقول شيئاً، وهذه جريمة أخرى.. السجن والكرامة، أم الحرية وقلة الكرامة.

- «يا تموت وأنت واقف يا تعيش وأنت راكع».



- بالضبط.. ولكن بداخلي خوفاً شديداً من الندم في الحالتين.. أريد أن أقف أمام نفسي في المرأة ولا أندم على تراجعي.. وأخاف أن أندم إن لم أتراجع وأضحي تضحية أكبر مني.

- ساعتها ستصبح بطلاً.

- وهل كل من يكون بطلاً لا يندم؟ الكل ينتابه الندم.. في بعض الأحيان أحاول أن أتخيل نيلسون مانديلا، هل حين خرج من السجن الذي استمر 27 عاماً، وجلس في كرسي الرئاسة وبدأ في بناء بلاده، ألم تأت عليه لحظة واحدة، ولو لحظة، يقول لنفسه فيها: أكان يستحق الأمر كل هذا العناء؟

يذكرني هذا برواية «الإغواء الأخير للمسيح» للكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس، والتي يفترض فيها الكاتب افتراضاً مخيّفاً: ماذا لو كان المسيح قد تساءل على الصليب إن كان الأمر يستحق؟. ماذا لو سقط أمام الإغراءات هو الآخر؟ المادية والجسدية والشك



والتردد؟ كانت هذه رسالة الرواية المثيرة للجدل: «كل نفس قابلة للشك في مبادئها مهما كانت قوة إيمانها».

- ماذا سيحدث الآن؟

- أعتقد أن هناك تصعيداً سيحدث، ولن يتوقف الأمر عند الرقابة.. المشكلة أن «الديناصور» ستنزل بعد بضعة أسابيع من نزول الألبوم، وساعتها ستفتح جميع أبواب الجحيم.. لقد كتب كلماتها وأثناء التسجيل كان شعور بالغضب يعتريه فغيّر كلمات الكوبليه الأخير وفقاً للأحداث.. سألني عن رأيي فأخبرته أن يأخذ القرار وأنا معه، وسجلناها ونحن نعرف بداخل كل واحد منها أنها لن تمر بسلام.

- الأمر يتطلب كثيراً من الحكمة منكم.. الوضع دقيق بالفعل.

- ماذا ستفعل في الكتاب؟ قد لا تستطيع أن تنشره.

- هل تظن ذلك؟

- لن تستطع أن تقول كل ما تريده، ولو تم توقيفنا لن ننشر الكتاب ما حبيت.

- يا إلهي.. إذا سأسقط في المعضلة نفسها التي تقعون فيها الآن.

صدمتني الجملة الأخيرة.. كانت المفارقة مضحكة: هم يتساءلون إن كانوا سيقولون دون مواربة أو يدفعون الثمن وأنا أدون صراعهم هذا.. فأسقط في صراعي الخاص إن كنت سأدون صراعهم فعلاً دون مواربة أو أدفع الثمن أنا الآخر.

ولأول مرة أشعر أن مشروع كتاب عن الجيل الذي فجر الثورة والفرقة الموسيقية التي تعبّر عنه قد يكون مهدداً بـلا يرى النور.

ولم يكن أمامنا إلا أن ننتظر حتى نعود إلى مصر ونكون في قلب الأحداث ونرى ماذا سيحدث.. على كل ذلك يكون مجرد أوهام نتوهّمها.

الفصل الثامن والثلاثون

نزول ألبوم «نقطة بيضا»

بعد العودة

في الأيام التي تلت عودتي إلى مصر كانت الأجواء مشحونة في المكتب.. الناقاشات لا تتوقف حول ما حدث وماذا سيتم في أغنية «ديناصور» التي ستنزل بعد الألبوم بقليل.. كان معظم الكلام تكراراً للحوار نفسه، الذي دار بيني وبين شريف.. كلهم لديهم الهم والقلق نفسه. هواري وأدم لا يظهران كثيراً.. أمير لا يزال عند موقفه أنه لن يتولى القيادة في أي شيء. وتأمر يسعى لترتيب نزول الألبوم بالعمل عن قرب مع سليم وفريق من الشباب الصغير لإدارة السوشيال ميديا الخاصة بالفريق، إحدى الأدوات التي كان يسيطر عليها أمير ويديرها بنفسه وتخلى عنها في عصيانه الأخير.

أما شريف فلا يزال يعمل على أغنية «الديناصور»، والتي تم إسناد مهمة إخراج فيديو كليب لها لسليم بعد نجاحه في اختبار تصوير الـ 11 أغنية.. عرض عليهم تصور مبدئي للفيديو الذي لن تظهر فيه الفرقة وواافقوا عليه، وأعطى آدم الميزانية المطلوبة التي كانت ضعف الميزانية الموضوعة لتصوير الـ 11 فيديو مجمّعين..

حتى كان مساء صدور الألبوم.

مساء 11 يوليو 2017

اليوم هو اليوم المشهود.. انتهيت من عملي وعدت سريعاً إلى المكتب. توقعت أن أجد الجميع في المكتب، ولكنني لم أجد سوى أمير وشريف ومعهما جلال وعبد الرحمن رشدي ومدحت.. كانوا كلهم محبوسين في غرفة جلال.

يجلس الجميع في الظلام.. نور الشاشة الخارج من الكمبيوتر هو الضوء الوحيد في الغرفة. جلال أمام



الشاشة وخلفه أمير على الكتبة وبجواره مدحت على الابتوب، بينما يجلس شريف على كرسي في الجانب.. الكل ينظر في هاتفه في صمت مشحون.

تكاد الغرفة تنفجر من التوتر.

انتهى سليم لتوه من رفع القيديوهات من مكتبه قبل منتصف الليل بقليل.

الآن صار ألبوم «نقطة بيضا» ومجهود العامين الماضيين بكل تحدياتها وصراعاتها على مرأى ومسمع الملايين حول العالم.

بسرعة بدأ الجميع يقوم بعمل شير للأغاني وسط دقات قلوبنا التي تتسارع بشدة.

بعد لحظات بدأ أمير شكواه من مجموعة السوشIAL ميديا التي اختفت منذ الصباح ولا يردون على الهاتف.. يتحدث بعصبية شديدة.. يتساءل هل ستنشر القيديوهات على الفيسبوك أيضًا أم على يوتيوب فقط. وماذا عن تويتر؟ هناك أكثر من مليون ونصف



المليون متابع على هذه المنصة المهمة، فهل اهتم أحد بنشر شيء عبرها؟ يخرج النوطة وقلمه ويبدأ في كتابة ملاحظاته القلقة.

يشغل جلال أغنية «نقطة بيضا» على يوتوب.. شريف يشغل أغنية أخرى على هاتفه، وكذلك أنا، نريد التأكد من جودة الأغاني.. يشغل عبد الرحمن «نقطة بيضا» السريعة؛ ليطمئن أن صوته يظهر فيها بوضوح، فقد كان مرعوباً من تكرار تجربة «نقطة بيضا» الهدئة التي اشت肯ى الجميع من عدم فهمهم لما ي قوله فيها (أخبرني شريف أن هذا كان مقصوداً؛ لأنه أراد أن يستخدم صوته كآلة تعطي بعداً أثيرياً للأغنية أكثر منه مغنٍ يقول كلمات بوضوح).

وهكذا نستمع إلى 5 أغاني مختلفة من الألبوم الجديد مرة واحدة.. نسكت جميعاً حين يرفع جلال الصوت. نغلق القيديوهات من على هواتفنا مع دخول ليلي بروحها المرحة. يخف توتر أمير قليلاً.. يترك جلال الأغاني تلعب الواحدة تلو الأخرى.. نستمع إلى الألبوم كاملاً وكأننا لا ندرى أى شيء عما يحدث في هذا



العالم خارج حدود الغرفة الضيقة، مكتفين بمحاولة استيعاب أنه أصبح الآن يعبر الأثير ويقف العالم.

تضاءقت لأن جميع أعضاء الفرقة ليسوا هنا؛ ليشهدوا هذه اللحظة معاً. استغربت كثيراً لذلك.. كانت لحظة عاطفية بالنسبة لي. ربما لأنني أراقب وأسجل كل الانفعالات التي تمر بالفرقة منذ أن أتيت، أشعر أن نزول الألبوم كاملاً هو انتصار كبير.. انتصار على الظروف الشخصية والمادية الصعبة التي مر بها أعضاء الفريق.. انتصار على أنفسهم في قدرتهم على كسر غرورهم الشخصي والتركيز على خلق فن جميل.. وانتصار لكل المستمعين الذين سيسمعون كلاماً يحتاجون إلى سماعه في هذه الفترة.. وانتصار للموسيقى بقوتها الدافعة الساحرة التي دفعت كل هذه المنظومة في النهاية؛ كي تصل إلى مستمعيها.. انتصار لفرقة قررت أن تسبح ضد التيار ونجحت حتى الآن في الصمود.

نسي أمير للحظة ما يخبيه القدر له وللفرقة.. وكان شريف - الذي كان قبل عدة أيام يتكلم معه في قلق



على محطة الأوتوبس في لندن - لا يأبه لشيء، فقط استيعاب لحظة الإنجاز تلك هي كل ما يشغل بالهما.. بدأت الرسائل تتوارد على الهواتف تهنئهم بصدور الألبوم.. يتذكر أمير حين كان أقصى طموحه أن تأتي أغنية «ساكتين» بآلف مشاهدة على يوتيوب، وحين وصلت إلى 27 ألف مشاهدة قبل الثورة مباشرةً أصيب بالذهول، بعدها حققت «صوت الحرية» ثمانين ألف مشاهدة في يومين، واعتقد وقتها أنه قد حقق كل ما يريد من الحياة.

وصل عدد المشاهدات الآن إلى 20 ألف مشاهدة في أول ساعتين.

كان أمير قد هدأ تماماً الآن... تذكرت شعوري حينما أمسكت بكتابي لأول مرة وطللت أبحث عن الأخطاء به لمدة ساعة كاملة، ثم هدأت قليلاً وبدأت أستوعب أنه قد خرج إلى النور بالفعل.

دخلت علينا زوجة تامر وهي في غاية السعادة.. اختفت ثم ظهرت آتياً من الخارج. أرسلت رسالتي



لهواري.. كنت أشعر بنوع من السلام والسعادة
لا أدرى من أين تأتى.

استطاعت الأغاني أن تناول إعجاب المستمعين على اختلافهم، وبات واضحًا من اللحظات الأولى أن هذا الألبوم علامة فارقة في تاريخ الفرقة.

انتصار لفرقة كانت تحتاج إلى أن تؤكد لجمهورها أنها لا تزال ثابتة على موقفها، ولا تزال تشعر بهم، وتستمع إلى همومهم الفردية والجماعية.. انتصار لفرقة كادت أن تنهار بعد سنتين من الصراع من أجل البقاء، ولكنها خرجت منه أقوى وأكثر متنانة.

وأدى النجاح رائعاً.. كان رد فعل الجمهور مخيفاً.. الكل أحب الأغاني. كانت هناك حالة حراك فعلي على السوشIAL ميديا تشهد بذلك (تمكن الألبوم من تحقيق حاجز المائة مليون مشاهد في أقل من ثلاثة أشهر على صدوره).



الفصل التاسع والثلاثون

أسئلة حول الأخلاق، الراب، اللغة، وأشياء أخرى

حين خلق الله المبدع أعطاه نفحةً من روحه. فالله يخلق البشر والكون ويسيّر الأشياء جميعها. والمبدع أيضاً يخلق. ورغم تحفظ البعض على لفظ «خلق».. إلا أن المبدع بالفعل يخلق شيئاً من العدم، كحكاية أو شخصية أو لوحة أو موسيقى.. في النهاية هي - بالطبع - محاولة لمحاكاة الواقع في تفصيلة صغيرة، ولكنها تظل أقرب الصفات الإنسانية إلى صفة الخلق الإلهية. وفي ذلك، فإن الإبداع هو في الأصل محاولة للتواصل مع الله.. وكل إبداع

لا يهدف في النهاية التقرب من أصل الخلق فإنه ليس بإبداع. ولا أقصد هنا الطابع الديني أو الصوفي، ولكن أي إبداع أياً يكن، طالما أنه أصيل، فإنه في النهاية يستمد ذلك من الصفات التي منحها الله لمن اختارهم من البشر لأنه في النهاية يحاول الوصول إلى الحقيقة.



والأساس في الإبداع هو الحرية.

الحرية هي التي كفلها الله للبشر جميعاً كي يبدعوا في كل أرجاء الأرض.. أما كيف يستغلون هذه الحرية وهل هناك حساب عليها في النهاية؛ فهذا أمر لا يشغلني ولا يجب أن يشغل أحداً، لأن الله الذي خلق كل هذا هو الذي يرثه.. وما نحن إلا كائنات مؤقتة صغيرة جدًا في هذا الكون الشاسع تحاول أن تترك شيئاً ما قبل أن ترحل. وأنت عزيزي القارئ أو المستمع أو المشاهد، لك حرية أن تتلقى ما تريد كيفما تريد، ولكن يجب أن تظل تتذكر هذا: الفن الحقيقي الأصيل يخبرنا شيئاً عن أنفسنا وعن الكون من حولنا لم نكن نعرفه، أو كنا نشعر به بداخلنا ولكن لم نستطع التعبير عنه.. فالفن كالكشاف الذي نسير به في الظلام، ومن الضوء الخارج منه نستكشف كل الجوانب المخفية عنا.. إذا تحقق ذلك وأنت تستمع إلى ألبوم أو تقرأ كتاباً أو تشاهد لوحةً أو فيلماً، فأنت بهذا قد أصبحت من المحظوظين الذين عاشوا تجربة فنية حقيقة،



وذلك الفنان الذي تشارك معك هذه التجربة من روحه هو مبدع أصيل.

وتقول كثير من النظريات إن الأمراض المجتمعية والتردي تفرز نوعين من الفنون التي تظهر كأعراض لهذه الأمراض: الفنون المنحطة والمتردية، والتي توأكب وتعكس الحالة نفسها من الانحلال، وفنون المقاومة وهي تلك التي تحاول فرز وتحليل ومقاومة هذا التردي في محاولة لحضور المتلقين على محاربته.. فمثلاً هناك أفلام عن الراقصات والبلطجية.. فإن هناك أفلاماً فنية لمخرجين كبار، كذلك مثلاً توجد أغاني رديئة اللحن والمعنى؛ فهناك أعمال فنية مختلفة وذات قيمة.

في إحدى الأمسيات يقودنا الحديث إلى فن الراب..

يحمل أمير تقديرًا خاصًا للراب، وقد حدثني عشرات المرات عن أهم فنانيه ليومين متتاليين عن ناز وجاي

زي وحروبها، وتوباك ونوتوريوس بيج، وكثير من المعاصرين الذين يحبهم مثل كندريك لامار وغيرهم.

ويعود حبه الأساسي إلى هذا الفن أولاً إلى سيطرة الكلمة عليه أكثر من الموسيقى.. إلى جانب قوة الإيقاع (Beat) وإلى جانب ثقافة الشارع والقسوة - بالطبع - التي تسيطر على هذا الشكل الموسيقي.. حاول أمير عدة مرات أن يسمعني هذه الأغاني، وطبعاً لم يلق مني أي تعاطف أو إعجاب.

الراب هو نتاج ثقافي واضح ظهر بسبب معاناة السود في المجتمع الأمريكي المعاصر، تماماً كما كان البلوز والجاز منذ حوالي مائة عام.. ولكن لا يمكن أن اعتبره موسيقى حقيقة، ولا أن أفهم لماذا يوجد رابرز في مصر يغنون بهذه الطريقة ويرتدون مثلهم في بعض الأحيان.. ليس فقط لأنها بعيدة عنا، ولكن لأنه ليس لها أي نوع من أنواع الأصول عندنا.. ولا أريد أن أبدو متحيزاً ولكنني لم أقبل هذه الطريقة إلا من كايروكي في أغاني مثل «آخر أغنية» و«هدنة»، ربما لأنها لم تكن راب صريحاً، ولأن الخط الموسيقى والإسهام من



بقية الفرقة كان واضحاً.. يرى أمير أن ميزة هذه الطريقة أنها تجعلك تقول كثيراً من الكلام في وقت قصير، وأنها مباشرة وقاطعة وتثير نوعاً من التحدي أو الاستفزاز للمستمع بما تحمله من .(Aggressiveness)

الاستثناء بالنسبة لي أغنية إيمينيم (Lose Yourself) وهي من أحب الأغاني إلى قلبي فهي أغنية ملحامية تماماً وقوية وعنيفة وغاضبة وممحة ورائعة بكل معاني الكلمة، وستظل في رأيي على قمة هرم الراب على مر العصور؛ إذ كان لها الفضل في أن تعرف قطاعاً عريضاً من الجمهور بموسيقى الراب.. وللسخرية أتت من فتي أبيض واحتفت بها أمريكا؛ لأنها كانت دليلاً على انصراف ثقافتين متصارعتين بداخلها طوال عقود.

فازت الأغنية بـأوسكار أحسن أغنية عام 2003 عن فيلم (8 mile) الذي قام إيمينيم ببطولته، وسيظل موضوعها وتأثيرها أقوى مائة مرة من آلاف محاضرات التنمية البشرية التي تلقى حول العالم كل



يوم، وكل ذلك في 5 دقائق فقط، نتحدث عن قوة الموسيقى.

يشرح أمير: «حين ظهر الراب هاجمه المتذللون في أمريكا وقالوا إن هذه عالمة على انحطاط الفن وكان ذلك الهجوم آتيا من البيض الأغنياء.. كان الأمر عنصرياً بالدرجة الأولى وطبقياً إلى أقصى حد، ولكن الحقيقة كانت أن فن الراب استطاع التعبير عن فئة من الشباب الأسود المهمش الذي يعاني اقتصادياً وإنسانياً، ومن يؤلفون أغاني الراب الجيدة كتبوا كلمات لا يستطيع أيّاً من هؤلاء المترفعين أن يكتب مثلها.. وسرعان ما أصبح الراب محاكيًا ومعبراً عن المهمشين فئاتهم وأشكالهم كافة في الولايات المتحدة ثم العالم كله؛ لذلك لا تستغرب حين تجد شاباً مصرياً أو آسيوياً يرتدي الملابس الفضفاضة والكاب المقلوب، لقد وجد في هذا الفن الآتي من بلاد بعيدة ما يعبر عنه أكثر من فنون بلاده التي كانت تفتقد للابتكار وتركز فقط على النواحي العاطفية المستهلكة، وما أغاني المهرجانات سوى امتداد لهذه الفكرة.. اليوم يحصل



فنانو الراب على أعلى الجوائز والاحترام، وحين ظهر إيمنيم كان أول نجم راب أبيض، ليحقق بذلك هدفين مهمين: أن الراب أصبح لكل الناس، وأن هموم الفقر والاحتياج والظلم المجتمعي والسياسي لا تفرق بين أسود وأبيض، وقريباً سيتم الاحتفاء بالمهرجانات بالطريقة نفسها، كل ما يحتاجه هؤلاء الشباب هو أن يطوروا من كلماتهم وينوعوا من ألحانهم، حتى تعلو قيمتها الفنية وقدرتهم على التعبير عن الشباب باختلافه، أما من يقول غير ذلك فهو متحذلق واهم.. كل فن جديد سيجد من يناديه.. هذه سنة الحياة».

ويؤكد لي: «هناك شخص ما سيأتي ويحدث ثورة في هذه المهرجانات، فتصبح شكلًا موسيقيًا معترفًا به.. قد يأخذ الأمر أعواماً، ولكنه سيحدث.. شاهد الهيب هوب حين بدأ.. شاهد البلوز حين بدأت، قال النقاد وقتها إنها موسيقى الشيطان وإنها موسيقى عبيد بدائية.. تفتقر إلى كل جمال، ثم أصبحت صاحبة التأثير الأضخم على فن القرن العشرين كله، وأصبح الجاز ابن عم البلوز، هو الفن الأصعب موسيقياً على



الإطلاق، وأصبح لا يفقهه سوى الدارسين، وتم تحطيم أصنام الـTiming كافة، والنوتة المدرورة، والقوالب الكلاسيكية الجامدة، وأصبح التجريب والمغامرة هي الأساس».

وبالنسبة لي فالمعيار في أي فن هو القيمة، ومدى اجتهاد الفنان في خلق هذه القيمة في أعماله: التفكير الكثير والقراءة والبحث والاطلاع.. وطبعاً الصدق.

ولكنهما يختلفان معي: «الهدف هو الإمتاع.. ليس هناك ما هو أهم من الإمتاع. لماذا قام إنسان الكهف بالرسم؟ لأنه كان يشعر بالملل. لماذا اخترع الرياضة؟ لأنه أراد أن يبحث عما يمتعه، وبالتالي هذا هو الفن.. حياتنا فيها ما يكفي من الملل والمعاناة. الكمال بالنسبة لي هو الأفلام الممتعة التي تحدث على التفكير والتأمل وتلمس مشاعرك وتتركك مختلفاً بعد مشاهدتها، بما كنت عليه قبل أن تشاهدتها».. هذا هو رأي كليهما الذي يكرر أنه على دائماً.

ويبدعم شريف الفكرة نفسها: «قدرة هذه الأغاني على تحريك الناس ودفعهم للرقص هو قيمة في حد ذاته.. افتح اليوتيوب وشاهد الحفلات التي يحببها شباب المهرجانات في إنجلترا وأوروبا وأمريكا نفسها.. مهما اختلفت اللغة وكانت المعاني مغرقة في المحلية ففي النهاية استطاعت هذه الموسيقى أن تنفذ إلى قلوب المستمعين وتحركهم.. ولا أحد في هذه الحفلات يفكر أن يتوقف ويقول: «هذه الموسيقى رخيصة». ليس هناك شكل واحد جامد لفرق الموسيقية اليوم، وكايروكي معروفة بقدرتها ورغبتها الدائمة في التجريب، واستيعاب ما حولها من تجارب وهضمها والخروج بشيء يحمل بصمتها الخاصة سواء في الفكرة أو اللون الموسيقي.. هذا هو ما يبقينا أحياء، وبالتالي نريد أن ندخل هذه المنطقة، ولكن بلمستنا الخاصة وكلمات أمير، واستخدام الهارمونيز والجيتار الكهربائي مثلاً، وجود لحن يذكره الناس وليس فقط Beat والGroove الشهير.. وهكذا نساهم في أن يصل هذا الشكل إلى قطاع عريض».



هناك مأساة في جيلنا والجيل الآتي بعدها وهي الغباء المطلق.. أعتذر عن استخدام هذا التعبير العنيف.. ولكن لماذا نستسلم للسوشيوال ميديا بهذا الشكل الجنوني؟ ولماذا نشارك أخبارا دون أن نعلم صحتها؟ ولماذا نظن حتى اليوم أن من يرتدي زيا دينيا هو الأقرب للله؟ ولماذا نحاول أن نبدو نسحا من غيرنا ونحن لسنا كذلك؟ لماذا نأخذ من الناحية الأخرى من العالم دون أن نعطي؟ لماذا نأخذ الأمور بهذه الخفة والاستهانة؟ لماذا لا يهم بالنسبة لنا أن نكتب أي شيء بلغة صحيحة؟ أو حتى إن كتبنا بالعامية لا نراعي أخطاءنا الإملائية؟ لماذا لا يهمنا ذلك؟ ولماذا نكره الالتزام ونفضل الشكوى؟ ولماذا نجد مبررات دائئما لفشلنا؟

الكل يعزي الانهيار إلى التعليم الرديء.. وتعليمنا رديء لا شك. ولكن هناك آلاف النماذج الناجحة من جيلنا تلقت التعليم نفسه الذي تلقيناه وربما أسوأ.. الفكرة الآن أنها يجب أن نخرج من الخندق الضيق للمبررات،

ونبدأ فيأخذ زمام الأمور بأيديينا.. هذا هو الحل الوحيد للخروج من أزماتنا.. يجب أن نقرر أننا اليوم والآن، سوف نصنع مستقبلنا بأيدينا بغض النظر عن المعوقات.

تعامل مع المعركة اليومية التي تعيشها كلما استيقظت من النوم على أنها أمر مسلم به: إما أن تخوض هذه المعركة أو تهرب.

تهرب خارج مصر أو داخل بيتك وتعيش في عزلة تتفرج على مسلسلات وتدخن الحشيش هذا اختيارك.. ولكن إن قررت أن تخوض المعركة فخضها دون شكوى. أكره التنمية البشرية والتفاؤل المطلق والتحفيز الفارغ.. أكرهه بكل ما بداخلي من قوة. ولكني أؤمن أيضًا بعدم وجود مبررات.. لا يمكن أن تقول كل يوم إن تعليمي سيئ، فلن أقرأ. وإن الفيسبوك محبط، فلن أدرس شيئاً جديداً. وأن ليس معي أي مبلغ من المال، فلن أستحم.. هذه ليست أسباباً منطقية.. في الحقيقة أنا لا يبهرني فوز عالم مصرى بنobel وهو يعيش في أمريكا، بقدر ما يبهرنى

الطالب المعاقد الذي يذهب إلى مدرسته كل يوم في محافظة نائية ليس بها مواصلات ولا طرق ممهدة.

المقاومة اليومية هي التي تعني شيئاً في النهاية.

وكل شيء يرتبط في النهاية ب مدى استعدادنا لأن نمارس مفهوماً شديداً الخطورة وهو الثقافة.

ما معنى هذه الكلمة الثقيلة: الثقافة؟

حين تعرف شيئاً عن كل شيء حولك فإنك تبدأ في التفكير والتحليل والاستيعاب. ومن هنا تتكون لديك «ثقافة» معينة.. وحين تصبح مثقفاً تتمكن من أخذ القرارات الصحيحة؛ لأنك تكون وعيًا لديك. ولن تستطع أن تعرف أي شيء عن أي شيء إلا حين تحب المعرفة، وتستقيها من كل مصدر تجده أمامك: الكتب والأفلام الوثائقية والحوارات البناءة المثيرة للجدل التي تحضك على التفكير.. وهكذا.

والوعي يدفعك دفعاً لأن تقدر أن أقدس قيمة في الحياة هي العمل.. والعمل الذي أقصده لا يعني



الوظيفة.. العمل يعني أن تعمل على تطوير نفسك وفهمها واحترام عقلك الذي وهبك الله إياه.. العمل يعني الاشتغال بما تحبه وتبدع فيه.

علاقة اللغة بصياغة الأفكار هي علاقة أزلية قتلتها الفلسفة بحثاً. والموضوع بساطة أنه لا تستطيع أن تصيغ أفكارك بوضوح إلا حينما تتمكن من التعبير عنها بوضوح.. ولا يمكن أن تعبر عنها بوضوح إلا حينما تملك الأداة التي تتمكن من ذلك، وهذه الأداة هي لغتك.. اللغة هوية وحضارة ومعرفة وتراث.. اللغة هي كل شيء. اللغة العربية صعبة لا شك في ذلك. ولكن في يدنا أن نسهلها.. أنت قرأت هذا الكتاب بالكامل حتى الآن بالعربية أليس كذلك؟ هل صعب عليك أن تكتب باللغة البسيطة نفسها، التي كتبت بها أنا هذا الكتاب؟ اللغة هي قيمتك الحقيقية.. هي التي تجعل من أمامك يحترمك. في الخارج لا يحترمون إلا لغتهم ولا يتكلمون غيرها ويفخرون بذلك.. أنت من يجب أن تتعلم لغتهم كي تتعامل معهم.. هل هذا لأنهم الثقافة

الأقوى والأفضل؟ أم لأنهم متخلفوْن جهلاً كما نظن؟
إذا وجدت شخصاً من العالم الثالث لا يتحدث الإنجليزية ستعتبره متخلفاً جاهلاً. أما إذا قابلت ألمانيّاً لا يتحدث الإنجليزية فإنك ستحترم احترامه لثقافته.. لماذا هذه المعايير المزدوجة؟ لماذا نفخر بأننا «نطّجن» في الكلام، ولا نحسن الحديث بالعربية؟ ولا كتابتها؟ لماذا نكره من نحن إلى هذا الحد؟ هل يؤدي بنا هذا إلى أي تقدم أو رفعه أو وجاهة أو نجاح؟ هل نمط الحياة الذي تعيشه أنت الآن يدفع بالمجتمع إلى أي نوع من الإنجاز؟ هل تعلم أن قيمتك الحقيقية في الحياة هي ما تنجزه في هذه الحياة؟ سواء كان هذا الإنجاز فرديّاً أم جماعيّاً أم مجتمعيّاً؟ هل تدرك أنك غير موجود على خريطة التاريخ كله إلا بما تنجزه؟
ماذا قدمت للبشرية والمجتمع والعالم؟ ماذا سيقول عنك التاريخ؟ مجرد فرد عادي وسط ملايين يأتون ويذهبون!! هل هذه حقيقتك؟ قيمتك؟ حياتك؟

هل صدق نبيته عندنا كما صدق في الخارج؟ إن الخير والإنسانية لا يرتبطان بالله؛ لأنه غير موجود؟ لماذا أصبح موجوداً الآن فقط حين نذكر القتل؟ سواء قتل إيزابيلا للمسلمين أو قتل المتطرفين للمسالمين أو قتل أمريكا لل العراقيين وإسرائيل للفلسطينيين؟ لماذا أصبح القتل الوجه الآخر الوحيد للدين أيّاً كان هذا الدين؟ فكرة أن الإسلام هو المرتبط بالقتل الآن ليست إلا مسألة مؤقتة، مرتبطة بالمرحلة التاريخية التي نعيشها الآن ليس أكثر.. سوف يتغير الدين ويستمر القتل كما هو في أوقات أخرى. ولكن متى يتوقف؟ حينما يتوقف الناقض ونتعلم التقبل.. وحين نتصالح ونعرف ماذا نريده، ونبداً في طريق النهضة الحقيقة.. تلك النهضة التي سبقتنا فيها أوروبا فاستطاعت أن تكتشف الصناعة والفن وقارتين جديدين؟ متى نستطيع الخروج من هذا النفق المظلم؟ متى نفهم أن التراشق على الإنترت ليس انتصاراً بأي شكل من الأشكال؟ متى ندرك أن الفناء وشيك للبشرية كلها إذا استمررنا على هذا المنوال؟ متى ندرك أن الشرق إن لم يساهم إسهاماً حقيقياً في التراث البشري سيتحول



إلى حفنة من القرود كما تنبأ لنا المرحوم مصطفى محمود بذلك؟ لماذا نتلقى ونتلقى ولا نعطي؟

إلى متى يظل الصراع الذي تحدثت عنه كايروكي في «نقطة بيضا» و«إعادة نظر» وغيرها من الأغاني مستمراً؟

هل سنتظر من يحسنه لنا؟ هل سنتظر من يخبرنا بالإجابة؟ هل سنتظر إلى أن تأتي الساعة لأنها هي الحل؟ إلى متى نفهم أن الله ليس موجوداً في دعاء على فيسبوك، ولكن في احترامنا لعملنا وقيامنا بواجبتنا واتساقنا مع أنفسنا؟ وأن الله لن يتجلى لنا إلا عندما نرحم الأيتام والفقراء والمرضى والحيوانات والنساء وكل المستضعفين في الأرض؟ وأنه لن يرضي عنا إلا إذا كان لنا إسهام في الاختراعات الحقيقية وليس الوهمية، التي تدفع الإنسانية لمزيد من الرخاء والكتب التي تعلي مزيداً من التسامح؟ متى نفهم أن الله لن يفتح لنا أبواب رحمته إلا حينما نفهم بأي لغة نتكلم؟، ونتمكّن من فهم أنفسنا والتعبير عنها بوضوح،



وأن نسهم في تقدم الإنسانية ككل؟ متى نفهم أننا لن
نراه إلا حينما نرى أنفسنا بصدق؟

متى؟

الفصل الأربعون

ما بعد صدور الألبوم

ترتيب البيت من الداخل

كانت ردود الأفعال شديدة الإيجابية على الألبوم تشهد بأن هذا سيكون أنجح ألبومات كايروكي على الإطلاق.. جرأة الكلمات والألحان الجديدة والتصوير المتميز للأغاني جعلتها حدثاً تناقلته جميع وسائل الإعلام. أصبحت أغنية «الكيف» تلعب في كل مصر من شرقها إلى غربها، سواء على التكاثك أو في السيارات الفارهة على طريق مصر الإسكندرية، أو في النوادي الليلية وكافيهات الساحل والمحافظات.. كذلك كان لأغنية «السكة شمال في شمال» نصيب ضخم من النجاح بطابعها الشعبي.. واحتفى المستمعون بالطابع الطربي لأغنية «عم غريب» وأثنى الجميع على وائل الفشنى الذي كانت هذه الأغنية بمثابة تأكيد لشهرته الجديدة التي بدأت مع تتر مسلسل «واحة الغروب».. كذلك أعادت «الكيف» طارق الشيخ إلى الأضواء مرة



أخرى كما فعلت الفرقة من قبل مع عايدة الأيوبي، أما جمهور كايروكي الأصيل فقد لمسته أغاني «نقطة بيضا» و«هدنة» بلعها على الوتر الحساس للصراع الداخلي للإنسان.

وبقي تساؤل المستمعين عن «ديناصور» كيف ستكون، وبدا الجمهور متربقاً وسعيداً بوجود مفاجأة أخرى تنتظره.. الثابت هو أن كل الفئات التي استهدفتها كايروكي بألبومها المتنوع قد حققت كل أهدافها التي وضعت منذ عامين: صار الناس يعرفون الفرقة أكثر.. زادت الرقعة العريضة لجمهور كايروكي بضم فئات لم تكن تستمع إليهم بكثافة من قبل، وزاد احترام الفنانين والفرق المنافسة لهم بعد تعميقهم للجانب الفني في أعمالهم وظهور صوت أكثر نضجاً وتماسكاً، كما استطاعت الفرقة أن تحافظ على صدقها الفني وعهدها مع الجمهور.

سرعان ما تصدر الألبوم مختلف التطبيقات في الشرق الأوسط: آبل ميوزيك وأنغامي وسبوتيفاي ويوتيوب. وبنهاية العام أعلنت جوجل أن أغنية «الكيف» كانت



الأكثر بحثاً على المحرك الشهير، وعند كسر حاجز المائة مليون مشاهدة في ثلاثة أشهر كانت الفرقة لا تصدق أن ما يحدث حقيقي فهم يعيشون نجاحاً يفوق ما تخيلوه، فوجئ الشباب بما حدث، ولم يتصوروا أبداً أن يكون الأمر بهذا الحجم.. أتذكر حين قال باسل إن حاجز الـ 10 ملايين هو أقصى الطموحات.. كانت نقلة جديدة.

ولكن بطبيعتهم القلق والجاد، لم يفرحوا بالأمر كثيراً، كان عليهم أن يستفيقوا بسرعة من نشوة النجاح تلك وأن يحاولوا استيعابه بسرعة شديدة حتى لا ينجرفوا وراءه، وهو ما ليس بجديد عليهم فقد واجهوا الموقف نفسه، ولكن بأضعاف حجمه عند انطلاقتهم الأولى حينما جرفتهم موجة الثورة.

ردَّ أمير أنه يفكر بالفعل في الألبوم القادم، وبدأ في الكتابة والتوزيع بشكل مبدئي مع نفسه (أول أغنية سمعتها حين كان يناقشها أمير وشريف يوم 31 يوليو؛ أي بعد عشرين يوماً بالضبط من صدور ألبوم «نقطة بيضا» وأربعة أيام فقط من نزول أغنية «ديناصور»)،



بينما كان آدم يحسب كيف يمكن أن يتم وضع خطة للحفلات والإعلانات ومراجعة التكاليف والمصاريف والأجور.. تامر كانت لديه مشكلات عديدة أراد أن يتكلم فيها.. أما شريف فكان لا يزال يتعافي من المجهود الرهيب الذي بذله في أواخر الأيام قبل نزول الألبوم.

في السابع وعشرين من يوليو صدرت أغنية «الديناصور» إذ تم تسريب الأغنية قبل صدورها الرسمي ببضعة أيام؛ إذ بسبب خطأ ما أرسلت الأغنية لشركة الاتصالات مع بقية الأغاني قبل صدور الألبوم، رغم أن العمل عليها لم يكن قد انتهى بعد.. وما هي إلا أيام حتى بدأت تظهر الأغنية على العلن.

المشكلة أن النسخة المسربة كانت النسخة الكاملة للأغنية وليس المشوهة (في خطوة غير مفهومة بالنسبة لي كان الهدف منها هو عدم استفزاز الرقابة أكثر من ذلك؛ حيث اتفق الشباب بعد عودتهم من إنجلترا على وضع فلتر على كوبليهات معينة). ومن هنا كان القرار بالإسراع بنزول الكليب قبل موعده



ومحاولة استبدال الأغنية الأصلية التي تم تسريبها بالنسخة ذات الفلتر.. حققت الأغنية نجاحاً ساحقاً.

قبل نزول الأغنية بأيام شاهدت النسخة المبدئية للقديريو كليب، ولم يعجبني بالمرة.. كنت مصدوماً الحقيقة من تكرار مشاهده وفنيته الزائدة، لم يعجب أياً من أعضاء الفريق به وكان مثار سخط من معظمهم، ولكن النسخة النهائية كانت أفضل بعض الشيء، وعلمت بعد ذلك أن مشكلة حدثت في التصوير وأن الحل كان عمل تصور مختلف تفادياً لفقدان المزيد من المال والوقت، وهو ما شعرت معه الفرقة بأنها قد أصبحت أمام أمر واقع وليس هناك أمامها اختيار آخر.. كان الكليب بلغة السوق قد «خيّش» بعد التكلفة غير القليلة التي تكلفتها، ولكن لم يكن أمامهم بديل خاصٌّ بعد التسريب.

بالغ الجمهور في عمل تحليلات للقديريو ورموزه، بعضها صحيح وبعضها مجرد تصورات وأوهام ليس لها أساس من الصحة أو مقصودة؛ في النهاية كانت كل العناصر البصرية تجمع ما بين السيرينالية



والعشوائية الشديدة التي تحكي عنها الأغنية، والرسائل الضمنية التي تعطي بعدها مختلفاً للكلمات.

عقد اجتماع في اليوم نفسه كان الهدف منه هو مراجعة ما تم، ووضع الأمور في نصابها فيما يخص كل الأمور المعلقة بينهم، هذه هي المرة الأولى التي يتحدثون فيها بوضوح شديد مع بعضهم البعض منذ أزمة رمضان.

بدأ هواري، بصفته الشخص الذي يتولى زمام الأمور حتى الآن، بالحديث عن الموضوع الدائر الآن في المكتب، وهو إيجاد صورة بصرية Theme محددة للحفلات.. ت يريد الفرقة أن تخرج على جمهورها بشكل جديد ومتميز من الناحية البصرية؛ لتحقيق مزيد من الإبهار في الحفلات التي تلي إطلاق الألبوم.. كان السيناريو المثالي أن يتم ذلك مع أول حفل لصدور الألبوم.. ولكن بسبب الانشغال بتفاصيل أخرى لم يتم العمل على هذا الأمر بالجدية الكافية.



كانت هذه بداية مناقشة فكرة تنظيم كairoوكى حفل خاص بها، دون الاستعانة بمنظم من الخارج؛ حتى تستطيع إخراجه بشروطها وطموحاتها وبشكل يستوعب جمهورها الضخم.. فقد تعبت الفرقة من فكرة الحفلات التي لا تستوعب أكثر من ثلاثة آلاف متفرج وفي أماكن ضيقة، وإمكانيات ضئيلة وحسابات مكسب وخسارة.. إنهم يريدون أن يسطروا تاريخاً جديداً يقول إن الفرق لم تعد فرقاً صغيرة مستقلة لا تقارن بنجوم الساحة، بل إنه يمكنهم إدارة شؤونهم وإقامة حفلات تضاهيها ضخامة بل وتتفوق عليها أيضاً.

هذه الفكرة هي هوس تامر الأكبر منذ سنوات.. وهو القوة الدافعة وراءها برغبته العارمة في تنفيذها وطموحه الذي لا يعرف حدوداً.

عند هذه النقطة من الحوار تدخل تامر واشتكي بقوه من شعوره بالتهميش في فكرة تنظيم ووضع الرؤية الخاصة بحفلات الفرقه. وتحدث عن الاختلاف بين الان والماضي منذ سنوات مضت حين كان مسؤولاً عن

إدارة هذه الأمور؛ حتى تم نقلها بالكامل إلى هادي.. رغم أن هذا شغف شخصي بالنسبة له ويشعر أنه لم يعُد له دور حقيقي سوى في ال Store الذي يعمل عليه وحقق نجاحاً كبيراً: «لقد كنت أنا من عَيْن هادي وعلمه، واستعنت بمايكل وكنت أضع معه أفكار الحفلات ورؤيتها وكنت أتابع مختلف الاتفاques الخاصة بالفرقة، وفجأة تم توزيع هذه الأدوار على هادي وباسل ولم أعد مسؤولاً عن هذه الأمور. والآن تريدون الاستعانة بأمينة وسليم لتنظيم الحفلات ووضع رؤيتها، فماذا تبقى لي لأفعله؟ لقد أمضيت سنوات مسؤولاً عن هذه الأمور ولكن يتم الآن تهميسي، وحتى الموسيقى نحن نعلم أنني لم يعد لي فيها الدور الذي كان موجوداً سابقاً.. أنا أريد أن أتولى مسؤولية هذه الأمور مرةً أخرى.. لابد أن نقوم بإعادة توزيع الأدوار مرةً أخرى.. أنا محبط إحباطاً شديداً.. أخطاء مثل تسريب الأغنية أو تصويرها السيئ أو عدم الانتهاء من عديد من الأشياء في مواعيدها يجب ألا تتكرر مرةً أخرى.. يجب أن تكون هناك Ownership من داخل الفرقة، شخص يتولى متابعة



هؤلاء الأفراد والتأكد من أنهم يحققون ما نريده ومحاسبتهم على التقصير والتأخير.. لن نستطيع أن نقوم بعمل حفلات بشكل محترف كما نريد دون أن يتولى أحد المسؤولية.. اتركوني لأفعل ذلك».

كذلك ناقش أمير القلق الذي يساوره من الناحية المادية والعملية والاعتراضات التي جعلته يبتعد خلال الفترة الماضية.. كان يتحدث لأول مرة بوضوح منذ رمضان.

«لقد تعبت من فكرة المحايلة على الجميع كي يعملوا ويسهموا بشكل فعال في الأغاني.. لا يوجد سوى أنا وشريف من نقوم بالانتحار في كل ألبوم.. الكل منكم منشغل بأمور أخرى سواء الأمور الشخصية أو مغامرات فنية جانبية. وبالتالي فإن دوري في الفترة القادمة سينحصر في كتابة الأغاني.. سيبقى هواري أو شريف رؤية الألبوم، سيشرحان لي تصورهما ثم أقوم بكتابه أغاني تتفق مع هذه الرؤية.. فيما غير ذلك فسأقوم بعمل مشاريعي الخاصة أنا الآخر. هل يجب أن أضيع عمري في الجري وراءكم؟ الكل يفكر في



نفسه فقط.. أي أحد في مكانه كان سيستغل الفرص التي تأتيه أضعافاً مضاعفة، أنتم تعرفون كم من فرصة وعرض رفضت من أجل الفرقة، ولكنني نفسيًا لا أستطيع أن أتحمل الضغوط المستمرة بهذا الشكل طوال الوقت. في يوم من الأيام قد لا نغنى أو يتوقف إبداعنا أو يحدث أي شيء فأجد نفسي وحدي دون أي سند.. وأنا

لا أحاسب أي أحد على ما يقوم به من مغامرات فنية وكلنا نشجع بعضنا البعض في هذه المسألة، فلماذا أنا المشكلة؟ كما أنها قد اتفقنا على مسألة النسب المسددة والإعلانات عدة مرات ولكن لا يلتزم الكل بهذا طوال الوقت،

ولا أريد أن أخوض المزيد من التفاصيل، ولكنني تعبت من الأمر برمته».

وهنا رد آدم:

«دعنا نفرق بين أمرين: جهد كل فرد داخل الفرقة وهي قضية يجب أن نناقشها حتى لا يشعر أحد أنه يبذل مجهدًا أكثر من الآخر أو العكس، والأمر الآخر



هو قيام البعض بأعمال فنية أخرى خارج الفرقة. هناك أمور لا تضر، لأننا اتفقنا من قبل أن أي شيء فني فردي مقبول طالما أنه لا يتعارض مع مصلحة الباقيين.. إذا عمل هواري على ألبوم أو قام تامر بالتمثيل فهذا تنوع لا يضر، ولكن فكرة ظهورك في إعلانات مثلًا إذا تمت بشكل فردي.. فإنها ستتشجع المعلنين على عدم اعتبارنا كفرقة، ولا يصح ذلك».

«ولكنني ملتزم بتسديد النسبة المتفق عليها (هناك اتفاق أن كل فرد في الفرقة إذا قام بعمل أي شيء فردي يدر عليه دخلاً فإنه يدفع منه نسبة إلى الفرقة) ولم أقل لك أن نقوم بتغيير هذه القاعدة.. ولكن ليس من حق أحد منعي عن قبول أي عروض تأتيني».

«لا، هذه النسبة في الجزئيات البسيطة مثل حفل صولو أو تمثيل أحدنا في فيلم أو وضع موسيقى لإعلان، ولكن الظهور بنفسك في إعلان أو عمل أغنية فردية أمر غير مقبول».



عاد أمير لي رد مرة أخرى على هذه الجزئية بأن كلاً منهما يؤدي إلى الآخر، والمحصلة في النهاية هي استمرار الضغط والجهد المبذولين من قبل شريف وأمير، وشعوره بالظلم من فكرة تقييده هو بالذات وتأثير ذلك عليه من الناحية المادية.

بعد قليل من الصمت المتواتر دون الوصول لنتيجة، تحدث هواري عن عدم رضاه هو الآخر عن نظام التقييم السنوي، والذي يتم بموجبه تقييم مجهود كل فرد من الأعضاء الخمسة ومدى إسهامهم في الفرقة طوال العام.. وبناءً عليه يتحدد نسبته التي سيتلقاها من توزيع حصة الأرباح نهاية العام، فهو الآخر يشعر أنه مظلوم.

المشكلة هنا أنهم هم من يقيمون أنفسهم وبعضهم البعض، لذا فحساسية الأمور تتضاعف في هذه النقطة بالذات؛ خاصةً مع محاولة كل فرد منهم خلق المزيد من المساحات لنفسه داخل الفرقة.

أربعة من الخمسة كانت لديهم شكاوى ضخمة في هذا الاجتماع.. توثر الجو وارتقت حدة النقاش لبعض الوقت.

ظل آدم بهدوئه وحكمته يدفع الحوار بصر شديد نحو الحل.. كانت لديه قدرة على الجدال الطويل ولكنه في الوقت نفسه كان قادرًا على امتصاص توثر من يحدثه ووضع الأمور في نصابها الصحيح.. كذلك نجح في أن يضع نفسه مكان كل واحد منهم ويرى الأمور بمنظوره.. ورويداً رويداً خفت الحدة وبدأ بعض الاطمئنان في الظهور.

بعد التصويت وعديد من النقاشات التي استمرت أكثر من ثلاث ساعات ونصف.. تم الاتفاق على إعادة توزيع الأدوار من جديد وبشكل واضح يقلل من التداخل بينها قدر الإمكان، على أن يتم وضع معايير جديدة وواضحة للتقييم السنوي.. يتافق عليها الجميع ولا تخضع لوجهات النظر الشخصية.

اتفقوا على عودة الرؤية الفنية والخطيط لأمير، والصوت والجودة لشريف، المالية والقانونية مع آدم بطبيعة الحال.. بينما يتولى هواري العلاقات الدولية والمحلية من تعاقدات حفلات وغيره، إلى جانب إدماجه بشكل أساسي في الرؤية الفنية مع أمير وشريف.. بينما يتولى تامر متابعة الإدارات والأطراف الخارجية والداخلية الأخرى، ويصاحب ذلك تقليل أدوار ونسب الأطراف الخارجية التي لم تثبت جدارتها في تجربة «نقطة بيضا».. والتي حصلت على أكثر مما تستحق من وجهة نظرهم.

بحلول نهاية الاجتماع تم تحديد موعد أول حفل بعد نزول الألبوم في 12 أغسطس بمكتبة الإسكندرية، تعقبه حفلتان في الساقية.

أما مشكلة الإعلانات الفردية وشعور أمير بعدم الأمان فقد استمرت لبعض الوقت.. حين كنت مسافراً للغردقة لمدة طويلة لكتابة المسودة الأولى من الكتاب في سبتمبر، اتصل بي آدم وأخبرني أنه قد وجد الحل المناسب؛ لتسكين هواجس أمير: عهد بیننا نحن



الخمسة بأن أي شخص يصاب بأي مكروه أو تقدير مادي لأي سبب، يتکفل الأربعة الباقيون به وبأهلها، بمعنى آخر وكأن كل ممتلكاتهم مشاع بين بعضهم البعض، وسيتم التکفل بكل شيء، بحيث لا يصبح القلق من هذه الناحية أمراً ينفص عليهم التعاون معاً.. وأن يرى الجميع أن أي دخل جماعي للفرقة، حتى وإن كان يتم توزيعه وفقاً لحصص متفاوتة بينهم، فإنه في الآخر يعد بالكامل مسخراً لكل فرد من الفرقة.. أخبرني آدم أن أمير اقتنع بهذه الفكرة وأن الكل أثروا عليها وأكدوا العهد بما لا يقبل الجدال فيما بينهم، وطمأنني أن هناك جواً كبيراً من السلام يشبع في المكان الآن وباتت الحماسة مرتفعة للعمل على الألبوم الجديد بكل طاقتهم.

أما الصراعات الفنية، وأن يجد كل منهم نفسه وصوته ودوره داخل الفرقة، فهي مسألة متغيرة، وبات في حكم المعلوم بينهم أن تقبلها كما هي والتعامل معها هو الحل الوحيد، وفي أوقات ستسير بشكل جيد



وإيجابي ومرضى للجميع، وفي أوقات أخرى ستنشب الخلافات.

حتى مشكلات هواري وهي الأكبر من وجهة نظري.. فإن الأيام كانت كفيلة بأن تحلها.

وكان الحل الذي طرحته الأيام المقبلة غريباً وعجبياً.



الفصل الحادي والأربعون

«ناس وناس»

ألبوم «ناس وناس» هو أنجح ألبومات كايروكي حتى صدور «نقطة بيضا» لأن كل أغنية لها شخصيتها الخاصة، وبه قدر كبير من الصدق، كما أنه يتناول مختلف جوانب الحياة بشقيها الإنساني والاجتماعي فيجمع ما بين هموم الفرد وهموم المجتمع. ورغم أن بعض أعضاء الفرقة يرون أن الألبوم يفتقد للتجلانس والرؤية الموحدة، إلا أن كل أغنية تعد علامة قائمة بذاتها، وهناك قدر كبير جدًا من الجرأة في تجربة أشكال موسيقية جديدة وصادمة لجمهور الروك بشكل عام. وبالنسبة لي، فإنه أول ألبوم تبدأ فيه هوية كايروكي الشرقية وبصمتها الخاصة في الظهور بوضوح شديد، حيث أكملوا فيه الخطوة التي بدأت في ألبوم «السكة شمال» بوضع بصمتهم الموسيقية الخاصة والتخلص من فكرة فرقة الروك بصوتها الغربي الصرف وشكلها التقليدي.



«والله ما عايز»

«والله ما عايز» من أكثر أغاني كايروكي عذوبةً، بها كثير من الهدوء والروقان الذي يذكرني بنظام الحياة الهدئ الذي عشنا أوآخره في أوائل التسعينيات.. كتبها الشاعر محمود رضوان.. يغنى أمير من مقام أعلى قليلاً من الذي تعوده ويسسيطر عليه إحساس أحلام اليقظة.. لا يوجد أي نوع من «الفذلقة» الموسيقية هنا.. هناك هدوء وراحة بال في الموسيقى، تلك الراحة التي يبحث عنها الموظف الغلبان المجهد الذي يطلب من الدنيا بعضاً من السلام والهدوء، وكأنها حلم بحياة لم تعد موجودة.. أخيراً بعد كل القلق والتوتر في أغاني كايروكي التي تتحدث عن مجتمع متعب، هنا بعض السلام الهدئ وكأنه هدنة من حرب الحياة الطويلة.. يحكي عن طلباته البسيطة والمشروعة.

تذكري كلمات الأغنية بمونولوج رائع على لسان البطل في فيلم «الإرهاب والكباب»: «أنا ماليش مطالب... أنا طول عمري بسمع كلام الحكومة... بروح شغلي محشور وبرجع منه محسشور، بركب الأتوبليس ببقى



فرحان... الأسعار نار؟ وما له.. ما العالم كله نار...
 معنديش ولاد كتير... هما ولد وبنت... متفوقين. أينعم
 الفصل فيه 84 تلميذ... والعياں بيجوا مفرهدين
 مدروخين... ووشهم أصفر من الكتمة والهوا الفاسد
 اللي بيسموه... مفيش حاجة معذباني غير رغيف
 العيش... بتتعذب لغاية ما بلاقيه وبتعذب وأنا باكله...
 أنا زي زيك بالظبط، ماشي جنب الحيط راضي
 وقانع.. أنا مش طالب غير إنسانيتي، مش عايز أتهان..
 مش عايز أتهان في البيت، ولا في شغلي ولا في
 الشارع، متهيألي دي مطالب لا يمكن أتعاقب عليها، ولا
 أوبخ، ولا ألام».

«قبل الوصول»

هذه أغنية هواري بامتياز.. أول مرة نسمعه يلحن
 ويغني أغنية كاملة. ومرة أخرى يطل علينا المؤلف
 الموسيقي الإيطالي الذي اشتهر بتأليف أهم أعمال
 موسيقى أفلام الغرب الأمريكي إنيو موريكوني..
 وحتى اختيار الكلمات الغربية هو هواري بكل ما
 تحمله الكلمة من معنى.. أغنية سيرالية عن حوار

أخير بينه وبين حبيبته، يسرد ما قالته له.. كل ما في الأغنية غير تقليدي: «قصيدة، حاجة من حاجاتك، صورة فوق حيطان البيت، ساعة بتدق في ساعاتك، تعالجك من الاكتئاب».. الإيقاعات القوية والصوت الخشن الذي يحمل وحشية الغربة في وسط الصحراء القاحلة.. صورة رمادية تخيم على الأجواء. رقصات جيتار هواري المتداخلة مع الصولو والتحقيق المترالي، يدخل الصوت النسائي في الخلدية (Wailers) لمدة قصيرة ونسمعه لأول مرة في كايروكي. صوت هواري هادئ جدًا، وحين تتم مضاعفته يزيد من سيراليّة اللوحة.. كلما استمعت إليها وتذكرت كلامي مع هواري لا أستطيع أن أمنع نفسي من محاولة تخيل كيف سيكون ألبوم «كايروكي» لو قام هواري بتأليفه وغنائه كاملاً؟

«جيني الدنيا في لفة»

من أهم أسباب نجاح كايروكي هو صدقها الشديد ومبادرتها، ولأنني عاشق للمباشرة في الفن.. فإني أحب كايروكي الآن.. كثيرون يكرهون هذه المباشرة

ويظنونها ضعفًا فنيًّا، ولكن بالنسبة لي، كانت الفكرة هي في كيفية تناولك لهذه الموضوعات؟ هناك فنون متخفية ومعقدة وتعبيرية وألاف الأشكال الأخرى. وكما يقول أمير: الفن المباشر الواضح الصادق هو شكل من الأشكال، ولا يمكن أن تتجاهله؛ لأنك تريد أن تخلق فنًّا لا يفهمه أحد.

أخيرًا تدق الفلسفة أبواب كايروكي. وبمزيج رائع من لحن العود الذي لن تنساه بسهولة، والبيانو الرقيق يطرح المغني أسئلة مهمة عن الزمن وعلاقتنا به. وجودنا، ومفاهيم الحياة والموت والطموح. وكيف يتغير الزمن ولا يزال الإنسان في توهانه ونسيانه نفسه.

«جينا الدنيا في لفة وماشيين منها في لفة وبين اللفتين بنارد لفة».

أغنية جميلة وتأملية والموسيقى تناسب كلماتها بأمتياز: «في ناس دنيا وفي ناس دين، وناس من نص



العصاية ماسكين. والزمن بيع بأرخص تمن وفي عز جبروتك يديك بالقلم»، هل هناك ما هو موجع وواضح وصريح مثل هذه الكلمات؟ إن هذه الأغنية تجبرك على التفكير كثيراً.

تحول الأغنية في مقطعاها الأخير إلى الجيتار والإيقاع الخفيف السريع.. ثم يتوقف ذلك فجأة بالبيانو الهدئ الذي يصاحب صوت أمير وحده حتى يختتم الأغنية.

«كل حاجة بتتعدي»

بعد زواجهما ببضعة شهور، قررت ليلى السفر إلى الفيوم ليلاً مع بعض من أصدقائها.. كان الجو عاصفاً، وحاول أمير إثناءها عن هذا الأمر وإقناعها بالسفر في الصباح، ولكنها بعنادها المعروف أصرت على السفر.. وقبل وصولها للمدينة بقليل وقع حادث عنيف مع سيارة أخرى.

هرع أمير إلى هناك وكانت ليلة طويلة وصعبة ما بين المستشفى وقسم الشرطة.. وأخيراً عاد الجميع إلى المنزل.

ظل أمير طوال الوقت يطمئن ليلى بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وحاول أن يخفف صدمتها بجملة ظل يكررها كثيراً: «كل حاجة بتتعدي».

وقبل أن يطلع الصباح بدأ في كتابة الكلمات وتلحين الأغنية على الجيتار.. استيقظت شهيرة، صديقة ليلى والتي كانت معها في السيارة عند وقوع الحادث، وبدأت في مصاحبة أمير بالغناء.

الأغنية شديدة التفاؤل والسلاسة بها تدفق رائع للكلمات المبهجة والمريحة، صوت شهيرة الكارتوني يدفعني للابتسام، وإن كانت تضايقني الكسرة العنيفة التي تنهي بها كلمة (كل) المتكررة كثيراً في الأغنية.

«كل الناس بتخاف من بكره وييجي بكره ولسه خايفين، بكره دا مش يوم بكره دا فكرة»، كلمة جميلة



ورائعة وتأملية، فإلى متى يظل الخوف يسجنا؟ والخوف «تيمة» مهمة في كلمات أمير.

إيقاع الأغنية الخفيف يمنحها ذلك الشعور الراقص، ونسمع آلات النفح بوضوح وهي من أولى المرات التي يستخدمها شريف، ومن الأغاني المحبوبة لدى الجمهور في الحفلات.

«نعدى الشارع سوا»

أحب هذه النوعية من الأغاني أكثر من الأغاني المتفائلة الأخرى للفرقة.

«نعدى الشارع سوا»، بها كثير وكثير من البراءة.. مرة أخرى تتفوق كايروكي في فكرة التعبير الموسيقي عن الكلمات.. من أول كوردات الجيتار وأنت تشعر رغمًا عنك بهذه البراءة، وتبدو الكلمات وكأنها تأتي من شاب صغير في أول قصة حب له.. الأورجن الكهربائي والعود والجيتار كلهم يدعونا للحنين.. في هذه الصورة الصيفية الجميلة لطفلين بريئين يقعان في



الحب ويعبران الطريق معاً.. أول مسكة يد، وأول فيلم في السينما، وعراك في الشارع ينتصر فيه أمام حبيبته، وحتى لو كانت هذه العركة من محض خياله وأضافها من عنده وهو يحكي لنا عن هذه القصة الجميلة، فأنت تصدقها لأنك تريده ذلك. رغمًا عنني أشعر بحزن شديد؛ لأنني لا أظن أن أحدًا يحب اليوم كما كنا نحب ونحن في تلك السن. وحتى صغار اليوم هل هم بالبراءة والسذاجة نفسها؟ تدخل الدراما لتعلي من الأغنية كلها وتحملها إلى بعد جديد بعدها تخبره الفتاة بقبولها له وأنها ستتقابله غداً في الوقت نفسه.. ويعبر المغني عن سعادته بهذا في براءته نفسها. ما أجمل السذاجة!!

تتبع الأغنية في طريقة كتابتها طريقة حكي القصة، وهي الطريقة نفسها التي كتبت بها الأغنية التالية.

«مربوط بأستك»

الأغنية القنبلة.. المغامرة الجريئة التي أخذت جمهور كايروكي بعاصفة.. تلك الأغنية والفيديو الخاص بها



هي التي غيرت كثيراً في شكل كايروكي، وكانت اختباراً رائعًا للجمهور تماماً للأغنية الأخرى نقليضتها تماماً «غريب في بلاد غريبة».

ويخبرني شريف كم كانوا متخوفين من هذه المغامرة باستكشاف صوت جديد وحديث.

ودعوني أقف عند «مربوط بأستك» قليلاً:

أدت فكرة الأغنية لأمير حين كان مسافراً مع ليلى في الجونة، وذهبا إلى أحد النوادي الليلية هناك، وحين دخلوا لفت نظره كيف أن ليلى لا ترتدي أي ثياب ملفتة أو تزين بمكياج صارخ، حتى أنها ربطت شعرها بـ«أستك» بسيط.. كان شكلها مختلفاً تماماً عن كل من حولهم.. يكرهه أمير هذه الأجواء عموماً تماماً كما يكرهها شريف وأدم وهواري، وأنا بالطبع.

هذه الأغنية هي أوضح أغاني كايروكي في انتقادها لمرض الادعاء، فهي تتحدث عن موقف يحدث في أحد النوادي الليلية، وتصف المشهد بدقة: الراوي



جالس وسط مجموعة من الحاضرين، كلهم ينتفخون من الغرور والادعاء والذكورية المفرطة.. ويعبّرون بالطبع عن هذه القوة الكاذبة بتعاطي المخدرات والشراب والتكتل حول فتاة جميلة تدخل المكان. ويعبّر القيديو الرائع عن مضمون الأغنية، فالرجال كلهم ذئاب والفتاة قطة (إحدى الكنيات التي يطلقها الشباب على الفتيات)، وتنتهي بمفاجأة ذكية وهي أن الراوي الذي كان يظن أنه مختلف عنهم ينتهي به الأمر أن يكتشف أنه ليس مختلفاً كثيراً، حتى ولو كان إعجابه بالفتاة هو إعجاب حقيقي وليس سطحياً.

«هدوم غالية وناس رخيصة وكله هايص أكيد في الهيبة».

واحدة من الظواهر الاجتماعية التي انتشرت انتشاراً مخيّفاً في مجتمع ما بعد الثورة هو الطبقية المفرطة والاهتمام بالمظاهر، وإن كان هذا مرضًا عاماً على مر الأجيال في مجتمعنا، إلا أنه استفحَل في السنوات الماضية.

وهو مرض شديد الغرابة؛ لأننا كجيل نحاول دائمًا الفكاك من كل ما يزرعه أهالينا بداخلنا من قيم مجتمعية بالية، ولكننا في هذه الظاهرة بالذات قد ارتضينا أن نتوارثها ونسقطها على كل من حولنا بالتزام شديد.

«ناس بلاستيك وكله عامل فيها مستر بومباستك».

تضخم الذات الرهيب الذي نعاني منه اليوم تشحنه وتحفظه وتدعمه السوشIAL ميديا.. هذا التضخم يعبر عن مأساة واحدة نتشاركها جمیعاً: الخواء التام.

الفراغ الذي يملأ أنفسنا جمیعاً، وحياتنا، وسعينا المجنون نحو الرضا عن النفس وطلب الاهتمام من الآخرين، أملاً في الهروب من وحدتنا القاتلة التي تحاصرنا في كل لحظة، هو ما يدفعنا بهوس إلى هذه الهاوية.

ولهذه الظاهرة عدة أسباب، أولها: هو التفكير الطبقي الحاكم لمجتمعنا فنحن نقيم كل من حولنا تقييماً



طبقاً بالدرجة الأولى، وكلما امتلكت تذكرة مرور من طبقة إلى أخرى كان هذا مخرجك الوحيد كي يتم تقبلك من الآخرين. ولأن الارتقاء في السلم الاجتماعي يحتاج إلى كثير من المجهود والعمل الجاد، فإننا «نستسهل» بأن نقوم بالأمر في الظاهر فقط، من الخارج؛ فالمحاكاة دائمًا أسهل من الفعل الحقيقي.

أتذكر جملة مهمة من أغنية «إعادة نظر» «أنا نسخة مش أصلية والتقليد بقى تجديد».. إن فكرة الـ Fakeness هي مشكلة مسيطرة علينا بدرجة كبيرة جدًا

فلا تحتاج لأن تكون ناجحًا في الحياة، يكفي أن تصدر هذه الصورة عبر الفيسبروك أو صور Cool على إنستجرام. ولا تحتاج لأن تكون ميسورًا عن حق، فقط ارتد الملابس التي يرتديها هؤلاء.. وكلما غلا ثمن الـ «براند»، غلا ثمنك أنت أيضًا. وكذلك سيارتكم - سلسلة مفاتيحكم من أهم الدلالات على شخصيتكم - وأيضًا أن تسافر في الصيف والشتاء وغيرها من الفصول إلى أماكن خلابة وبراقة.. كل ما تفعله له



هدف واحد: أن يضعك في أعلى درجة ممكناًة أمام كل هؤلاء الذين يراقبون حياتك لحظة فلحظة على شاشات هواتفهم.

وتذكرني «مربوط بأستك» بإحدى الأغاني المفضلة لي وهي Beautiful Creed.. تتكلم هذه الأغنية عن نموذج يسمى حديثاً بالAttention Whores، وهي تعني هؤلاء الفتيات - أو الفتياً أيضاً - الذين تتمحور حياتهم حول استجداء إعجاب من حولهم، عبر استخدام كل الأسلحة المصطنعة التي يمتلكونها: الجنس، الحب، الجمال، وغيرها.. إن هذا الإعجاب الرخيص الناتج عن تهافت من حولك يعبر عن الجوع والنهم الموجود نفسه لدى الطرفين الذي عبرت عنه «مربوط بأستك».

وبهذه الأغنية تواصل كايروكي محاولاتها بدفع مستمعيها إلى الخروج عن النص، وكتابة نص جديد، والتخفف من أعباء هذه الأحمال التي توارثناها ونكررها كل يوم دون أن نشعر.

«البَكَا بَكَا»

«البكابورت» هو الاسم الأصلي للأغنية الذي اعترضت عليه الرقابة وأصبح «البَكَا بَكَا».. يعترض أمير على وصف البعض للأغنية بأنها شعبية فهو دائمًا ما يسميها أغنية شعبية للمثقفين.

في هذه الأغنية يقوم أمير بممارسة ألاعيب التورية في الكلمات بذكاء، وهي هواية يحب ممارستها كل فترة إمعانًا منه في التوحد مع لغة الشارع والاحتفاء بإحدى مركبات اللغة المصرية الأصيلة: الإيحاءات.. الكل يفهم مغزاه حين يقول «خدت الشهادة يا عزيزي وحطيتها في أرابيزى»، أو «فرتك الترنك» في «ديناصور»، أو «لولا دماغي اللي ساحت ومناخيري اللي راحت كنت سمعتك صوت جديد» في الأغنية نفسها، و«كله ماشي بالتعريض» في «نفسي أفجر».

«ناس وناس»

الأغنية الرئيسية التي يحمل الألبوم اسمها من تأليف طبيب مصري كان مقیماً بالسعودية اسمه محمود رضوان (غير الشاعر محمود رضوان مؤلف «والله ما عايز» و«قبل الوصول»). قرأها أمير على الإنترنط وأعجب بها كثيراً وأرسل إلى صاحب الصفحة يطلب منه الإذن في عمل الأغنية.. لم يأته رد لمدة طويلة.. في هذه الفترة حاول أمير بكل جهده أن يصل إليه، حتى أنه أرسل لكل أصدقاء الطبيب الذين يكتبون تعليقات على صفحته: «كانت صورة البروفايل الخاصة به عبارة عن صورة سوداء مكتوب عليها حداد، فظنت أنّه مات لأنّه لا يرد، وكدت أجّن. بعد شهور طويلة رد الدكتور محمود وكان متوجّباً جدّاً من رغبتي في تحويل الكلمات لأغنية؛ لأنّه شاعر غير محترف».

«ناس وناس» شرقية بامتياز.. الرق والعود هما أساس اللحن. وصوت أمير من مقام حزين يغنى كلمات مؤلمة عن جرح الوطن في موال طويل تصحبه غرب شرقية (ربع تون) حزينة.



هناك أصوات كورال باكية وكأننا في جنازة نشيع فيها الوطن الذي ضحى من أجله ناس وينهش في لحمه ناس.. كلمات مثل التطبيع والسلام الشامل والجبهة يجعلها أغنية تنتهي إلى جيلنا الذي شاخ مبكراً بامتياز، فهي تتكلم عن آلام عشناها ونحن نكبر ولم تعد الذاكرة الحديثة الصغيرة تعيها.. الإيقاعات والأصوات في الخلفية شديدة الخشونة والإيلام.. تتوقف للحظة لا نسمع سوى لمسات جيتار بسيطة، ثم تعود الإيقاعات العنيفة الرتيبة مع كلمات الأغنية: «من الشهدا في عبور الجيش إلى الشهدا في طابور العيش. خلتنا نعيش في عصر ما هيش بلدي وأنا مالي».

«التليفزيون»

الإعلام الذي أكرهه بشدة يستحق هذه الأغنية من كايروكي، ولبيتهم قالوا أكثر من ذلك.. الأغنية العنيفة التي تنتهي إلى نوع الهايد روك تصرخ في وجه التلفاز الذي دمر البيوت وخرب العقول وكان تأثيره علينا في صغernَا كتأثير الإنترنٌت، وكلا الاثنان تكالبا علينا بعد الثورة كي يغتصبا عقولنا الضعيفة.



«التليفزيون هو اللي سايق، ياخدك بعيد ويجييك ويخللي عقلك غايب». والأورغان الكهربائي ساخرًا: «قال إيه 25 مكانتش ثورة».. هذه أغنية أتمنى أن تلعبها كايروكي أكثر في الحفلات.. الكل يحتاج إلى أن يستمع إلى كلماتها الزاعقة الصارخة.. تتخلى كايروكي عن كل تحفظها وصوتها الهدئ وألحانها، التي يصعب نسيانها لتدخل بكل أسلحتها إلى نطاق الروك العنيف.

الفصل الثاني والأربعون

أشياء تتشكل

في سنته الأولى بالجامعة كان أمير قد بدأ يدرك أن حبه للموسيقى الذي استمر معه منذ صغره.. أصبح يفوق رغبته في أن يكون مستمئلاً لها فقط.

كانت أسرة أمير من الأسر القليلة المحظوظة التي استقبلت اختراع الدش في منازلها (أحد آخر مظاهر الرفاهية التي وفرها الأب لهم قبل رحيله). وعلى الدش كانت قناة غيرت شكل صناعة الموسيقى في العالم وهي MTV.. كانت هذه القناة هي التي أنتجت Video Clips، وأحدثت ثورة في عالم الموسيقى حين نقلتها من مجرد فن مسموع إلى فن مرئي قبل أن يكون مسموعاً.

وهنا بدأ حبه هو وأخيه المبكر لموسيقى الروك خاصةً الحفلات، وكانت حفلة 1994 (Pulse) لبينك فلويد نقطة تحول مهمة في تعلقه بها (حين أقرأ الكتب التي



كتبت عن بينك فلويد أفالجأ بكم التشابهات الكبير بين أعضائها وكايروكي، خاصةً في مراحل الطفولة والنجومية)، وحکى كريم له أن كتبتها الفرقة (Shine on you Crazy Diamond) لمغنية السابق Syd Barrett الذي ذهب المخدرات الكيميائية LSD بعقله.. كان لهذه القصة أبلغ الأثر في إثارة فضول الطفل الصغير.

بعدها بدأت منافسات بينهما فيمن يعرف فرقاً ومغنيين ويحفظ الأغاني أكثر.

في هذه الفترة، اشتري كريم جيتاراً، وحاول اللعب عليه بعض الوقت ثم تركه.. بدأ أمير يمسكه ويتخيل ألحاناً، يلعب ويجرب.. ظل الجيتار في غرفة أمير أكثر من غرفة كريم.. كان يشتري شرائط ويسمع أغاني شعبية في الشارع.. يذكر منها شريطًا بلون أخضر مميز اسمه «لحد إمتي» لمطرب اسمه طارق الشيخ.

وقصة أمير وكريم قصة تقليدية جدًا عن علاقة الشد والجذب Love/Hate بين أخوين من الذكور.. دائمًا ما يحكي لي أمير عن قصص مختلفة تماماً عن مغامراته مع أخيه.. في إحدى المرات كسر ذراعه، ومرة أخرى انقطع صباع كريم وسقط منها على السجادة وظلا يبحثان عنه لبعض الوقت.. وحين وجداه ركضا إلى المستشفى وقام الطبيب بخياطته. عانت أمهما من هذه الشقاوة المبالغ بها؛ لتضاف إلى أعياها كأم وحيدة ترعى طفلين مجنونين.

كانت أم أمير تحتضن «أمير وكريم» كما تفعل أي أم مصرية مخلصة.. كما أنه بسبب عدم وجود أب مزعج في المنزل، صار منزل السيدة ابتسام مفتوحًا لكل أصدقاء أمير، فقد كان دائمًا هناك طفل أو أكثر في المنزل.. يلعبون.. يذاكرون.. يأكلون (أخبرني آدم أن المنيو لم تتغير أبدًا في منزل أم أمير: مكرونة سجاجيتي، بطاطس محممة، فراخ بانيه، وملوخية) ويقضون أسعد أوقاتهم هناك. ويتعجب أمير كيف كان الأكل حاضرًا بهذه الكثرة طوال الوقت؛ خاصةً مع



الأزمات المادية التي مروا بها بعد رحيل أبيه.. كانت تعمل بمهنتين: مدرسة رسم في مدرسة فيكتوريا نهاراً، وفي مجال العقارات مساءً.. كانت كملاليين الأمهات المعيلات في مصر، لا تدخل وسعاً أو طاقة كي تكفل حياة كريمة لأولادها.

على مدار رحلتي مع كايروكي سأقابل عشرات الأصدقاء من فترة الطفولة تلك، وسيحكون لي - دون ترتيب ودون أن أسأل، وبكم من العاطفة والود- عن السيدة ابتسام وعن ذكرياتهم في منزل أمير.. منهم من كان يتعارك مع والديه فيقضي شهوراً هناك.. ومنهم من يهرب من منزله ولا يريد أن يعود.. ومنهم من يعاني من مشكلة مع حب فاشل، فيذهب ليحكى لوالدة أمير.. كانت أمهم كلهم.

وحين بدءوا في لعب الموسيقى في مرحلة متقدمة، كانت تبطئ الحيطان بكراتين البيض لتعزل الصوت.. كانت تسمع الأغاني وتخبرهم برأيها. كان مفتاح الشقة متروكاً في علبة الكهرباء بالخارج، وبالتالي كان في إمكان أي صديق من الأصدقاء أن يمر في أى وقت



ويفتح الباب ويدخل ويفتح الثلاجة ويأكل، ثم ينام قليلاً حتى يظهر أحد من أصحاب البيت.. وهكذا.

وحين قرر أمير أن يحتل غرفة الطعام ويحولها إلى استديو كامل لم تمانع، وظلت هي بالصلابة ذاتها والحنان ذاته تماماً كما كانت حين حاربت كي تجد له مدرسة يدخلها في كل مرة كان يطرد فيها من مدرسته، وحين أخبرته أن ينزل يوم 25 يناير كي يأتي بحقه من هؤلاء الذين تعدوا عليه.. باختصار كانت أمّا قوية، مكافحة، داعمة، وقادرة على فعل المستحيل من أجل أولادها.. بعد شهور من جلستنا تلك سأقابل أم أمير لأجد فيها هذه القوة الجارفة، حتى مع مرضها الذي أذهب وجودها من الوجود.

كان أمير وهو صغير يزور أباه زيارات متقطعة في أحد المطاعم التي كان شريكًا بها، وهناك كان يجد أحمد عدوية وعبد الباسط حمودة ومختلف المغنيين الشعبيين يقدمون فقرات موسيقية، وهنا بدأت علاقة غريبة تنشأ داخل عقل الشاب الصغير بين الموسيقى الشعبية التي يهواها والموسيقى الغربية التي يحبها،



وسيظل أمير يحمل هذه الأزدواجية الموسيقية بداخله حتى اليوم.

في فترات بداية المراهقة أيضاً أصابت أمير لعنة شرب السجائر.. يصاحب البنات، يترك قلبه يؤلمه، يعود ليقوى.. يتألم مرة أخرى، وبالتوازي مع كل هذا مثلنا جمیعاً، كانت هناك الموسيقى التصويرية لحياته، بدءاً من فرق أخيه المفضلة مثل: بينك فلويد، داير ستريتس، سوبر ترamp، ثم بدأ يكبر و شيئاً فشيئاً كون شخصيته الموسيقية المختلطة كما قلنا، ومثل كثير منا كانت ميتالكا هي وجهته التي وجد فيها ضالته وعبرت عن الغضب المكتوم الذي كان يعتريه.

وفي يوم كان هواري وأمير يقفان في الشارع، كانوا على علاقة (صحوبية) بصديقتين وكانا ينتظرانهما، حين قال أمير لهواري فجأة دون مقدمات: «ما رأيك لو نكون فرقة؟ أريد أن أكتب الأغاني وألحن»، وقال هواري بتلقائية شديدة دون تردد: «وأنا أريد أن أصبح عازف جيتار».

كان هذا في صيف 2003.

قبل ثمانية سنوات كاملة من اندلاع ثورة 2011.

في آخر حفلة لعبها شريف مع كارما بالساقية وصل عدد الحضور إلى 800 شخص.. كان في ذلك الوقت قد انضم شريف بالفعل إلى كايروكي وكان يلعب معهم على المسرح نفسه، ولكن بعد حضور 200 شخص على أقصى تقدير.. كان ذلك يشعره بالإحباط، ولكنه كان متحمّساً لأنّه لأول مرة في حياته يلعب أغاني حقيقة تم تأليفها وليس أغاني آخرين.

كان أحد أصدقاء شريف محباً للفرقة التي اسمها كايروكي.. وكان أحد القلائل الذين يتبعونهم باستمرار. وبالطبع كان يعرف تامر، شبكة العلاقات المتحركة، من بعيد.. في هذا الوقت كان كريس صديق كايروكي والكيبوردست قد ترك الـband. وكانت الفرقة قد قررت أن تأخذ الأمور بجدية كبيرة في هذه الفترة، واستعنوا بهاني عادل (وسط البلد) صديقهم

من المعادي كي يصبح المنتج الموسيقي **الخاص** بهم ويخرج منهم أفضل طاقاتهم.. بدأت رحلة البحث عن كيبوردست، وكان هيتم كذلك قد ترك الفرقة ولم يعد هناك لاعب بيز جيتار.

في سبتمبر 2007، أخبره صديقه عن هذه الفرصة. ورأها شريف فكرة جيدة أن ينضم إليهم ويكتب أغانيه ويشعر لأول مرة أنه فعلاً سيؤثر بشكل ما من خلال أغاني سيستمع إليها الناس فعلاً وليس الموسيقى فقط.. كان يرى أن المستقبل لهذا الأمر أفضل بكثير من حفلات الهواة ولعب الـ *Covers*.

أرسل صديقه رقم تامر إليه، وأخبره أن يكلمه لأنهم يعرفونه ويريدونه بالاسم.. ظل شريف متربداً لثلاثة أشهر تقريباً حتى تشجع واتصل.. سأله تامر: هل أنت شريف قسيس؟ فأخبره لا.. شريف مصطفى.. ارتبك تامر قليلاً ثم أخبره أن الأمر برمته مع أمير وأعطاه رقمه. اتصل شريف بأمير. وكان سؤال أمير الأول: أنت شريف قسيس؟ ارتبك شريف أكثر.. واضح أن هناك سوء تفahم وأنه ليس هو المقصود. في النهاية أخبره

أمير أن يأتي ليؤدي اختباراً، وقبل أن ينهي المكالمة قال له أمير: إذا كنت تريد أن تنضم إلينا من أجل الفتيات أو الأموال، فنحن لسنا من هذا النوع.

استفزت الجملة شريف للغاية، إذ لم يخطر ذلك على باله أبداً.

ذهب شريف إلى وسط البلد.. كان يظن أنه ذاهب للعب معهم بأريحية ولكنه فوجئ بأنهم وضعوه في اختبار غريب وشعر بتعالٍ كبير منهم.. بدأ يصيبه الذعر. وكانت طريقة في مواجهة ذلك هي أن يتعامل بالطريقة نفسها: «التناكة» المطلقة. ويشكو لي تامر وأدم من شريف في هذه المقابلة. «كان يتعامل بتعالٍ غريب، ولم نكن نفهم من أين تأتيه كل هذه الثقة»، وكان هذا هو بالضبط انطباعه عنهم.. إنهم لا يريدون أن يشعروه بالترحاب بأي شكل. ويسألونه أسئلة غريبة مثل: هل لعبت حفلات من قبل؟

بعد أن تركوه لأكثر من ساعة ينتظر، لعب معهم أول أغنية يعزفونها معاً: «غريب في بلاد غريبة».



تم قبوله في الفرقة وبدأ يلعب معهم تقريرًا كل يوم، ويخرجون بأغانٍ جديدة كل فترة. أرسل أمير الأغاني شريف؛ كي يبدأ في تحضيرها لأن لديهم حفلاً بعد أسبوعين في الساقية.. ظل يستمع للأغاني دون حماس حتى توقف عند أغنية اسمها «حلمي أنا».

وفجأة صار كل شيء واضحًا.

وجد أن هذه الأغنية تمثل كل ما كان يبحث عنه: موسيقى جيدة، كلمات مؤثرة، رسالة، وتأكد أنه يريد أن يكون جزءاً من شيء مؤثر يمكن أن يغير الناس بشكل ما.. أراد أن يقوم بعمل أغانٍ كثيرة بهذه الأغنية.

في هذه الفترة اشتري شريف الكيبورد الضخم من ماركة كورج، وهو الكيبورد الذي يستخدمه حتى الآن.

لuboوا أغنية جديدة اسمها «الشمس»، واقتراح عليه أمير أن يلعب صولو بيانو في الأغنية، فقام بارتجال



مقدمة بالبيانو في الحفل، ووجد أن الكل بمن **فيهم** أعضاء الفرقة تأثروا كثيراً بهذا.

كان حفل الساقية الأول ورقة اعتماد جديدة له في الفرقة التي انضم إليها مؤخراً.. كانت هذه الحفلة هي أيضاً الحفلة الأولى لآدم التي يلعب فيها البيز.. وهكذا أصبحت كايروكي مكتملة الأعضاء، وهم نفس الأعضاء الذين أكملوا المشوار حتى اليوم.

مع الوقت بدأ شريف يلاحظ أشياء غريبة: من الواضح أن أعضاء الفرقة أصدقاء منذ زمن بعيد وأنهم منغلقون على أنفسهم جدًا، وكلما سُئل عن معلومة يقولون له: «هترىء بعدين».. يخبره أمير أحياناً: في يوم ما إذا أصبحنا أصدقاء سأخبرك بكندا وكذا.. كان بادياً له أنهم غير اجتماعيين بالمرة، وأنهم فقط يرتحون مع بعضهم البعض.. هذا الترابط القوي بينهم جعله يشعر أنه دخيل عليهم؛ لأنهم لا يشركونه في أي شيء، يتخذون القرارات ثم يخبرونه بها، دائمًا آخر من يعلم، فقد يتغير ميعاد بروفة ولا يخبرونه بالموعد الجديد.. كانت كلها علامات استفهام جعلته يشعر



بعدم الارتياح؛ خاصةً أنه هو أيضًا كان في قوquetه الكئيبة.

بات واضحًا أن هؤلاء الشباب الضائع الذين يبحثون عن صوتهم، ليسوا إلا مجموعة من الفاشلين اجتماعيًّا بشكل أو باخر، أو كما يقال عليهم بالإنجليزية *Misfits*.

بعدها بشهر اتصل به أمير وأخبره أن يأتي للمنزل.. كانت هذه خطوة جديدة من القبول؛ فالفرقة والأصدقاء هم فقط من يذهبون إلى بيت أمير.. وكانت دعوة أمير إلى شريف بهدف أن يذهب معهم للعمل على أغاني جديدة.

وجد شريف أن الحل الوحيد كي يستطيع اختراق هذا الحصن المتنين هو أن يسهم موسيقىًّا بقوة في الأغاني الجديدة، ولكن حتى هذا بالطبع كان صعبًا فقد كانوا يرفضون ما يقوم به ويطلبون منه أن يغيره أو يفرضون عليه شيئاً معيناً.. قرر بعدها أن يمضي أول عامين في الإنصات لهم وتحجيم مساهمته، وأن يتطور



نفسه بشكل عام ويحاول أن يعمل خارج نطاق كايروكي طالما أنهم لا يحتضنونه.

كانت من أوائل الشرائط الموسيقية التي استمع إليها هواري في صغره هي موسيقى أفلام الإسباجيتي ويسترن التي كان يشاهدها مع والده وهو طفل، وهي أفلام الغرب الأمريكي التي ظهرت في السبعينيات (سميت كذلك لأنها صورت في إيطاليا بمخرج وطاقم عمل ومؤلف موسيقي من هناك)، وكان نجمها المؤلف الموسيقي الشهير إنيو موريكوني.. وأحب من خلالها الموسيقى كثيراً كما أحب السينما.. وبعد شهور سأستمع إلى ألبوم هواري الشخصي؛ لأجد تأثيره بهذه الموسيقى واضحًا بقوة، وهو اختيار غريب بالنسبة لعازف جيتار يعزف الروك، ولكنها تمنح أغانياته مذاقاً خاصّاً وغريباً.

«كان ذوقي في الموسيقى من البداية يتمحور حول الإحساس، وليس منهج أو نوع موسيقي محدد.. أي



موسيقى تخاطب وجداًني أستمع إليها، من أول ما يكل
چاكسون Backstreet Boys حتى الروك
والموسيقى التصويرية».

بعدها عرف الرأي من والدته، ثم فرق الثمانينيات مثل Styx وبينك فلويد من خاله، بعد قليل حينما كبر استمع لما يكل جاكسون كثيراً وحفظ أغانيه، ثم اتبعه بوب مارلي، ودخلت MTV في حياته فتعرف إلى Backstreet Boys وSYNC. وفي أحد الأيام وهو صغير كان يتكلم مع صديق له يستمع لاغنية قديمة، فسألها هواري كيف يستمع لاغنية قديمة بهذا الشكل، ليجيب الصديق ببساطة: وما المشكلة؟ وهنا أدرك المراهق الصغير أن هناك كنزاً من الموسيقى يريد أن يكتشفه.. كانت مواقع تنزيل الأغاني مثل نابستر قد بدأت في الظهور، فبدأ ينهل من هذا النبع الذي لا ينتهي واستمع إلى كل شيء.

بدأ هواري مع الوقت ينتقي ويختار.. ومن يعجبونه يحفظهم ويحفظ أغانيهم. وظل في مرحلة



الاستكشاف هذه حتى بدأ في عزف الموسيقى. لم يكن هواري يتوقع أو يشعر أبداً أنه يريد أن يلعب موسيقى.. وكان له ابن حالة يلعب الجيتار.. كان يجلس ليتفرج عليه مذهولاً دون أن يخطر بباله أن يقلده. ولكن حين اشتري أخوه جيتاراً، قرر أن يتعلم عليه بعد إلحاح من أمير.

فجأة شعر هواري أن طاقة من السعادة قد انفتحت أمامه.. في هذه الفترة سافر أهله وجلس هو وأمير في المنزل ثلاثة أيام يلعبان الموسيقى ويجربان ويتعلمان.. كانوا كالمسخورين، وفقدا الاهتمام بكل شيء آخر في هذا العالم، وظلت فكرة المعسكرات هذه مستمرة مدة.. في هذه الفترة تعلموا لعب الأغاني الأجنبية التي يحبونها.

«في أحد الأيام كنا جالسين أمام قهوة الشادر وأخذت أعبث بالكوردات حتى خرجت نغمة، ووجدت نفسي أقول كلمة «غريبة».. وظللت أعيدها بصوتي. وأعتقد أن هذه اللحظة كانت نقطة تحول بالنسبة لأمير؛ فقد



أخذها وكتب كلاماً يبدأ بكلمة غريبة.. كانت أول مرة يكتب».

بعد ستة أشهر قررا أنهما مستعدان لعمل حفل.. أعطاهم أبو أمير الفرصة بحفل في أحد المطاعم المطلة على النيل.. قاموا بتوزيع الفلايرات ولصقها على الأشجار مستخدمين سياراتهم ومنها سيارة هواري الجولف.

يذكر هواري بفخر شديد كم كان أداؤهم سيئاً في حفلهم الأول.. كان يلعب خارج مفتاح الأغنية، وفي أغنية Clocks لكولد بلاي لم يستطع تامر أن يضبط إيقاعها السريع فاختل إيقاعه أيضاً، وأخبرهم أحد أصدقائهم أنهم نجحوا في أن يدمروا إحدى أغانيه المفضلة.. ما يذكره هواري جيداً أن أكثر أغنية لاقت قبولاً من الجمهور.. سواء كانوا مصريين أو أجانب.. كانت الأغنية العربية الوحيدة التي لعبوها: «غريبة».

جاءت الحفلة الثانية في نادي المعادي مع فرقة «وسط البلد» وكان ذلك بالنسبة لهم إنجازاً، ففي هذه



الفترة كانت «وسط البلد» فرقة معروفة بين أوساط المعادي وخارجها أيضاً، وكانت أول فرقة مستقلة تصيب قدرًا من النجاح خارج إطار الجمهور المستقل أو المصغر.

يذكر هواري جيداً هدوء «وسط البلد» في العزف وسط جمهور لم يكن مهتماً كثيراً.. كذلك كان العدد قليلاً، ولكنهم ظلوا يلعبون باحترافية لأنهم يلعبون أمام جمهور ضخم. ولاحظ أن السيدة ابتسام والدة أمير كانت حاضرة للحفل وأعجبت بـ«وسط البلد» كثيراً، ومنذ ذلك اليوم أصبحت تحضر كل حفلاتهم كلما استطاعت.

«بالنسبة لي كان ذلك درساً أنك تستطيع أن تكسب ولو فرداً واحداً وسط الحاضرين فيظل وفيما لك مدى الحياة، وبالتالي مهما كانت ظروف الحفل أو حجمك كفنان.. فليس هناك مبرر لأن تلعب بإهمال أو عدم تقدير للحاضرين».



ومنذ هذه السنوات المبكرة كانت الشخصية القيادية والاستراتيجية لأمير واضحة.. كان يشغل نفسه دائمًا بالفرقة والخطوات القادمة والطموح، وكان يشاركه في ذلك تامر الذي يذكر هواري أنه لديه إصرار كبير على أن تظل الفرقة متصلة، وكان يجمعها كلما هددت بالافتراء.. كان هواري، وهو ما يناسب شخصيته تماماً، يركز فقط في موسيقاه وفي الاستمتاع بعزف الموسيقى مع أصدقائه سواء نجحوا أم لا، أو كانت الأغاني سيئة أم لا.. كان سيلعب فقط، أما فكرة السيطرة والإدارة فإنها لم تكن تهمه كثيراً وقتها.

وفي هذه الفترة وبالتحديد في صيف السنة الأولى من الجامعة.. كان أمير يلعب موسيقى في العجمي، حين أتته مكالمة من أخيه يخبره فيها أن أباهما مريض.

كانت قد مررت مدة طويلة للغاية من القطيعة بين الاثنين.. نزل إلى القاهرة وهرع إلى المستشفى فوجده



يرقد على السرير مصاباً بجلطة عنيفة.. وفي هذه اللحظة بدأت إعادة استكشاف أمير لعلاقته بأبيه من جديد.

كان الوضع بينهما مربكاً.. لا يعرفان بعضهما البعض كثيراً، هناك تحفظ وارتباك في الحوار.. ستظل العلاقة هكذا لبعض سنوات أخرى، قرب وبعد مستمران، ولكن أمير يواصل رعايته لأبيه كلما مرض أو احتاج له.. ورويداً رويداً زادت علاقتها قوة وصار كلاً منها راضياً ومتصالحاً عما فات.

اكتشف أمير أن أباه شخصية جميلة وأن الانفصال في النهاية أتى رغمَ عن الطرفين، ومن الواضح أن أمير في هذه اللحظة قد بدأ يصل إلى مرحلة تصالح.. ليس مع أبيه فقط، ولكن مع ما تركه هذا الانفصال على حياته.. كانا يشاهدان معاً مباريات الكرة ويسافران للفسحة ويشتري له أمير كل ما يحتاجه أو يتمناه، ولقي منه كثيراً من الحنان والتقدير لما وصل إليه.. يذكر أمير هذه الفترة القصيرة مع أبيه بكل جارف من الحنين والرضا.

أكد لي أنه لم يكن يوماً ضحية أو يعامل أبيه بـ**بكراء**ية تجاهه كونه السبب في ما وصل إليه.. ولكنني كنت أستطيع أن أرى بوضوح أنه فعلاً عانى، مثل ملايين الأطفال والشباب من هذا الانفصال وذلك الفراغ الذي تركه والده حين حمل حقيبته يوماً ورحل.

وفي الحفلات التي حضرها بعد العودة، كان والده يقابل السيدة ابتسام - ولسبب أو لآخر - عادت الأمور إلى مجاريها بشكل ما وانتقل للإقامة معها بشقة ميدان الاتحاد من جديد بعد أكثر من عشرين عاماً من الانقطاع، ولكن لم تمر سوى شهور حتى بدأت أعراض **الزهايمير** تظهر على الأم ويتوفى الأب، وكان الزمن رفض بشكل ما أن تصلح هذه الأسرة ما كسره.

إن غياب نموذج الأب في مجتمعنا لا يحدث بالضرورة في شكل الطلاق، بل يمكن أن يحدث داخل الأسرة الواحدة والتي قد تبدو في ظاهرها متربطة، والأمثلة على ذلك كثيرة حين يكون الأب مسافراً معظم حياته في الخارج، وتنحصر علاقته بأبنائه في شكل الأوامر



وصراعات على المصاريف.. هناك الأب الموجود الذي يعيش مع الأسرة ولكنه بتجبره وتحجره وعدم قدرته على إظهار العاطفة، أو مبالغته في إيصال شعور بخيبة الأمل لأولاده، يصبح هو الآخر غير موجود. وهناك الآباء الصامتون الذين لا يظهرون أي مشاعر لا بالسلب والإيجاب.. لا تشجيع للابن ولا لوم، هم فقط كيان عابر في المنزل موجود بجسده دون روحه.. دون إسهام حقيقي في بناء وتكوين وجودك كابن يبحث عن بوصلة ترشدك في طريق الحياة. وكلها نماذج عاش معها أبناء الفرقة.. هكذا هم الآباء، وهكذا هي علاقة جيلنا بهم وليس أبناء كايروكي استثناءً.

كان الوحيد الذي يواكب على زيارة أمير والعمل معه على الأغاني بالدأب الهدائى ذاته هو شريف.. كان شغف كليهما بعمل أغانٍ يفوق فكرة النجاح أو التحقق.. كان حبّاً خالصاً للموسيقى وللفكرة.

وكانت هذه المرحلة الثانية من تطور علاقة شريف وأمير.

يقول شريف: «كانت هذه هي بداية الأخوة الحقيقية بيني وبين أمير».. «كنا نركب الدراجة البخارية ونحوب أنحاء المعادي ليلاً، وعرفني إلى أصدقائه، وكنا نسافر أيضاً، طوال الوقت نعمل على أغاني، وكان العالم كله في انتظارها».

في هذه الفترة الخامدة تقرب شريف أيضاً من هواري، وكانا يلعبان الموسيقى مع «مو» من شارموفرز، إلى جانب مغامراتهما الصبيانية في وسط البلد والمعادي، عاشا معاً ما يسمونه في كايروكي المرحلة الشيوعية (يطلقون هذه الكلمة على كل ما له علاقة بالاتجاهات المغرقة في الغرابة والاستقلالية ومغايرة السائد بشكل مبالغ فيه.. يتتحول إلى نمط هو الآخر كما هو الحال مع ثقافة وحياة وسط البلد.)

كذلك وجد شريف في الكلام مع آدم كثيراً من الراحة بعقلانيته وتحليله المنطقي للأمور؛ إذ كان يستمع



كثيراً لشريف وكان الأخير يحتاج إلى من يستمع إليه، ففي هذه الفترة في الجامعة، كان قد بدأت تربيته المحافظة والمهذبة في بيت هادئ ومدارس للأولاد فقط تختبر الآن مع بداية معرفته بالفتيات. وعلى مستويات عدة كان الأمر مربكاً لشريف خاصةً مع تخصصه في الاختيارات الخاطئة التي «سحلته» سنوات في حياته، وانتهت بالاختيار الصحيح الوحيد في حياته: زوجته عبير.

يتبقى تامر: كان شريف يعاني من صعوبة في التعامل مع تامر.. «كان تامر طويل اللسان، شديد العصبية، ويعاني من نوبات غضب لا تتوقف.. الآن هو أهداً كثيراً، ولكنك لن تخيل كيف كان قبلًا، وكنت أنا هادئاً جدًا وحتى لا أشتتم، فكان التعامل بيننا صعباً جدًا».

حادثة صغيرة تشير إلى مدى الشر الذي تعاملوا به مع شريف في البداية، وحساسيته المفرطة في الوقت ذاته: كان قد كتب كلمات لأغنية وقت الإعداد للبرنامج الذي عملوا عليه مدة طويلة ولم ير النور... وضعها في



حقيبته... فتح تامر الحقيبة وأخرج الورقة وبدأ يقرأ الكلمات وظلوا يسخرون جمیعاً منه.

من يومها خاف شريف أن يكتب أي كلمات مرة أخرى.

إلا أنه وقت الجامعة أراد أن يثير إعجاب الفتيات فكان يذهب للجيم.. وبالطبع كان تامر هو الصديق المناسب لذلك، وهكذا انطلقت علاقتها وتغيرت شيئاً ما.. واليوم أجد علاقة كليهما ببعضهما الأكثر سلاماً.

كان شريف قد قرر بشكل غير مقصود أن يقترب منهم كلهم، كل على حدة كوسيلة منه كي يشعر بالقبول، وبما أنهم يتكتلون عليه و«يكتشنوا» عليه طوال الوقت، فالحل أن يخترقهم بشكل فردي. ولا يعني ذلك أنه لم يكن صادقاً بالطبع، ولكنه كان حسبما اعتقاده أحбهم ووجد شعوراً بالأمان وأراد أن يصبحوا أصدقاء له، خاصةً أنه كان شاباً منطويًا ومنزوئياً كما حكينا من قبل.

وقد احتضنوه بالفعل رغم أن الموضوع أخذ وقتاً فهناك دائمًا شعور العصابة التي «تحامي» لبعضها البعض داخل كايروكي، فهم لديهم ذلك الإيمان المطلق بأنهم عائلة واحدة، ولا أستغرب كثيراً من انبهار أمير وبقائهم بمسلسلات مثل *Narcos* و*Breaking Bad* و*Peaky Blinders* وغيرها؛ فجميعها أعمال درامية تدور في عالم العصابات التي تقدس قيم العائلة والصداقة، وفكرة أن الكل يدعم الفرد والفرد يدعم الكل والاستعداد للتضحية من أجل المقربين لك.. هذه قناعات حقيقية داخل كل فرد منهم أحدث تاتوهات أمير أعلى صدره يقول: إل فاميليا إس تودو/ العائلة تأتي أولاً من مسلسل *Breaking Bad*، وحين كان يريني إيات لأول مرة قال: «المقصود بهذا الوشم كايروكي، هذه عائلتي».

وتتفق هذه الفكرة الطفولية بعض الشيء مع روح طفولتهم ومراهقتهم التي كان بها كثير من التكاثف بين الـ«شلل» وتضخم القيم الذكورية لديها، وهي قيم



يتأثرون بها من المسلسلات والأفلام وال Persona التي يرسمها مغني Rap في أمريكا والتي بشكل ما اتفقت مع ثقافة الشارع الشعبي في مصر.. ثقافة الشارع/الغابة التي سيطرت على شريحة كبيرة من جيلنا، وجعلته بشكل أو بآخر يرتبط بموسيقى الراب التي أخذت طابعاً مختلفاً عندنا وتطورت حتى ظهرت في صورة أغاني المهرجانات.

وأدت زوجات الأعضاء ليدخلن حياطهم ويعززن من هذا المفهوم، ويقدمن أيضاً قدرًا كبيرًا من الارتياح والطمأنينة لهؤلاء الفنانين ذوي الظروف والأمزجة المتقلبة.. ولا توجد في العالم علاقة أصعب من علاقة الزوجة بزوجها الفنان.

لكل منهن شخصيتها القوية المستقلة تماماً عن زوجها، كما أن كلهن بلا استثناء يقدمن دعمًا هائلاً لأزواجهن طوال الوقت. وبهرتني فكرة زواج معظمهم في سن صغيرة نسبياً.. كلهم تزوجوا قبل الثلاثين ماعدا تامر وهواري على ما



أعتقد. وهم بذلك ينفذون وصية فرانسيس كويولا أحد أهم مخرجي السينما في العالم الذي أجاب حين سُئل عن نصيحته الوحيدة لأي فنان: تزوج مبكراً.

وحيث أسائل أيّاً من أهالي الزوجات: كيف زوجتم بناتكم لشباب «سطحى تافه بلا مستقبل يلعب الموسيقى؟»، تأتيني الإجابة أبعد ما تكون عن التقليدية: «طالما أنه رجل يتحمل المسئولية، والبنت تريده وستتحمل معه المسئولية ومؤمنة به، فما دورنا نحن؟ هذا هو الأساس السليم للزواج وليس مطلوبًا من الشباب الصغير غير ذلك».

لو أن كل فنان مبتدئ يجد أهل زوجة بهذه البساطة..
كانت مصر
ستتفجر فنًا.



الفصل الثالث والأربعون

التعبير الموسيقي في «نقطة بيضا»

منذ اللحظات الأولى لـ«نقطة بيضا»، وبالتحديد مع الصافرة المميزة التي تأتي متمازجة مع Arpeggio الجيتار والموسيقي الأثيرية التي تصاحبها، تدرك أنك الآن قد انتقلت إلى عالم مختلف.. يغنى أمير من طبة حزينة للغاية لا يخفف منها سوى جمال الموسيقى.. بخفوت تستمع إلى صوت شريف وهواري يعبران عن الصوتين الدائرين داخل المغني. ثم يتاؤه أمير، ونتاؤه جمیعاً لنخرج صرختنا التي تقطع فيما ثم يدخل الإيقاع العقري.. هذا الإيقاع الذي حينما سمعته لأول مرة وجدت كل خلية في جسدي تريد أن تهرب.. هذا هو التصاعد الثاني الذي يأخذنا في درجة أعلى من درجات المعركة الوشيكة، يأتي بعدها الجيتار ليخبرنا أنها نركض.. لابد أن نركض. وتعود التأوهات لتنتلاحم مع الأصوات المتداخلة والجيتار والإيقاع الذي يصبح أكثر رقصًا الآن.. تأتي الوتريات لتدفع كل هذه الكتلة



من الصراع الداخلي للأمام، ويظهر صوت عبد الرحمن الآتي من بعيد وغير الواضح ليكون هو النقطة البيضاء التي لا نريد أن نستمع إليها.

وكان أول انطباع لدى هو أن الأغنية قصيرة للغاية، كانت «نقطة بيضا» من الأغاني القليلة التي تمنيت أن تستمر مدة أطول؛ فالبناء الدرامي فيها رائع ولحظة الانفجار فيها هائلة وكنت أتمنى أن تدوم طويلاً.. إنها من الأغنيات التي لا تريده لها أن تنتهي أبداً.

كأغنية لـ«Lose Yourself» لإيمينيم، تبدأ أغنية «هدنة» بخروفة جهاز الجرامافون القديم إشارة إلى السلام الموجود والمفقود في آن واحد.. يأتي Riff البيانو تصاحبه الوتريات بشكل كلاسيكي جداً.. ثم يدخل الإيقاع وتحتفي الوتريات، بينما يظل الإيقاع، ويدخل غناء أمير بكلماته النارية..

الغريب في «هدنة» أن أمير ليس عدوانياً في غناه كما أن إيقاع الأغنية ليس سريعاً، ومع ذلك تستطيع أن توصل لك هذا الإحساس بالغليان.. ويأتي



الـChorus ليحمل بعضاً من الغناء فيريحنا قليلاً من غضب المحارب، خاصةً مع أصوات النساء الملائكية التي تأخذنا في بعد آخر بعيداً عن هذا الواقع المؤلم، وبعدها نستمع لـDrop حيث تعود الوتريات.. يدخل أمير في الـVerse الثاني ويبدو هذه المرة أكثر عدائية في بعض الأحيان وهو يشرح أمراض المجتمع، تدخل في آخر هذا الـVerse جملة من الآباء تعطيك إحساساً بالطيران، تلوين موسيقي جميل نخرج منه إلى الـChorus مرة أخرى، ثم يأتي الترامبيت الذي يرفعنا عن الأرض في أثيريته، وكأنها نغمة موسيقية ترثي للنبل الذي لابد وسيعود.. ولذلك فهي نغمة بنهائية مفتوحة، كصلة للسماء لا نهاية لها يمكن أن تستمر هكذا للأبد.. تحتها الجيتار يؤكد لنا أن الصراع مستمر، ولكن الترامبيت لابد وأنه سينتصر. يقول أمير كلماته الأخيرة بأعلى درجات العنف في الأغنية، درجة أخرى من درجات التصاعد، وحوله يصرخ الجيتار والترامبيت والبيانو والجيتار الكلاسيكي والوتريات كلها مع بعضها البعض.. ويأتي الـChorus الثالث

بتلوين موسيقي مختلف حتى يتوقف الإيقاع لأول مرة في الأغنية، وتنتهي.

وأظن أن هواري يتمنى حين يقول إنه لم يسهم بالشكل الكافي في «نقطة بيضا»؛ إذ إنه لو لم يفعل شيئاً سوى أن يضيف الترامبيت لصوت كايروكي لكان هذا يكفيه. وأن تشاهده على المسرح يبدل بين الجيتار والترامبيت في أغنيتين من أجمل أغاني الألبوم («هدنة» و«كنت فاكر») فإنك بالطبع لابد وأن تحترم وتقدر هذا الموسيقي الموهوب، الذي يخبرك بشتى الطرق أنه موجود وأنك لن تنساه.

مرة أخرى لا يتركنا الترامبيت.. وفي مرثية حزينة ونبيلة أيضاً، وعلى نغماته يعزف الجيتار ليهيننا للألم الذي سينقله أمير لنا بعد لحظات.. لا أستطيع أن أستمع إلى «كنت فاكر» دون أن يقشعر جسدي وتنتابني رغبة في البكاء، وكأنني أرثي فقداني لأمي الذي سيحدث يوماً ما وكأنه حداد مسبق، ولا أستطيع أن أسمع هذه الكلمات دون أن أفكر أنها لي ولأمي لتحدث حالة رائعة من التوحد بيننا وبين المغني.. هذه



الحالة التي يحافظ على حساسيتها الجيتار المستمر في عزفه حتى ال Chorus، والترامبيت في بكتائيته الجميلة.. نتوقف للحظة كي نتنفس وتواصل الكلمات تدفقها؛ لتفاجئنا بعد ذلك واحدة من اللحظات المخيفة التي لم يشهدها تراثنا الغنائي ككل: انفجار هائل من المشاعر يبدأ من حشرجة الجيتار التي تبدو وكأنها تأتي من أسفل القلب.. يصاحبها البيانو بضربات منتظمة والإيقاع بدقائق تعلو الواحدة تلو الأخرى، ثم ترفعنا مدفوعةً بالوتريات والإيقاعات التي يتعالى ضربها منذرة بما سيحدث الآن، وينطلق الجيتار ليعبر بجملة الترامبيت نفسها، ولكن هذه المرة بألم لا يطاق ويفتح لنا الإيقاع الرؤية بشكل أوسع يصاحبها البيانو.. وكما رفعنا من أسفل يعود بنا هواري سالمين إلى أرض الواقع؛ لنجد أمير ينتظرنَا ويلقي بكلمته الأخيرة محاولاً تذكيرنا ألا نخدع في الزمن مرةً أخرى.

تأتي «اضحك» لتكمل سلسلة «أغاني الفالس» من كايروكي.. بنعومة راقصة وعلى إيقاع الفالس تشعر بأن الدنيا تضحك فعلاً، ولكن صوت أمير يبدو منه أنه



«يطبطب» وهو يعني.. وهناك حساسية ورقة في غنائه لا تكرر كثيراً، صوته مفتوح بشكل ما والجيتار مصاحب له طوال الوقت، ليأتي في الصولو وتشعر منه بهذه الضحكة التي نسرقها وعيننا تدمع؛ ففي آخره تشعر أن قلباً يعتصر من الألم ولكنه يصر على المواصلة.. هذا هو أفضل تعبير أجده لصولو هواري: ضحكة وسط الدموع.

«ليلى» تعبر بكل ما فيها عن الفرحة ولمسة شريف فيها بالأكورديون المفضل له واضحة، والترامبinet يعطيها شعوراً جميلاً بالانطلاق.

وإذا كانت «السكة شمال في شمال» تحمل سخرية، فإن الـDrop الموسيقي الموجود بأغنية «الديناصور» لا أستطيع أن أصفه سوى بكلمات تقفز في رأسي فور أن أسمعها: سيريالية، عبئية، مهزلة، هيستيريا.. إيقاع الأغنية السريع وتتابع المستويات الصوتية فيها والأصوات المتنوعة يجعلك تشعر أنك تسير في حلم فعلاً، وبالتالي فكل ما يقوله أمير تستطيع أن تراه أمام عينيك بفضل هذه الموسيقى.. الموسيقى الإلكترونية



المجنونة مع الربابة التي تبدو وكأنها مشحونة بمئات الفولتات الكهربائية تجعلك تعيش جنون المشهد.. في المقطع الأخير من الأغنية هناك صوت غريب يغنى وراء أمير وهناك لمحات من جيتار هواري، وإيقاعات الدرامز والآلات الإيقاعية، التي تتواتى لتجد نفسك تنتهي إلى لا شيء من الجنون.

مع «السكة شمال في شمال» تظهر الإيقاعات الشرقية الراقصة.. طبلة وصاجات وغيرها، يغنى أمير ساخراً، ثم نفاجأ بالوتريات وهي تأتي مضيفةً بعدًا دراميًا - وكلاسيكيًا - للأغنية. وكما يقول شريف فهذه شخصيته التي لا يريد أن يتخلى عنها، وهذه اللمسات من الوتريات وبعدها الجيتار يجعل الأغنية هي كايروكي ولكن بطابع شعبي، دون أن تكون أغنية شعبية. كذلك أصوات الفتيات اللاتي يغنين بخلاعة ليؤكدن رداءة الأوضاع (لاحظ الفرق هنا بين شخصية الفتيات وشخصية الفتيات في «مريوط بأستك»)، كيف يمكن لصوت كورال في الخلدية أن يعبر بشكل مختلف تماماً



عن طابع الأغنية).. بعدها يأتي فاصل موسيقى بموسيقى أثيرية وريثم إلكتروني واضح؛ ليخرجنا من المزاج الشعبي ويجعلنا نفكر قليلاً، ثم ينتهي بأخر كلمات أمير وصدى صوته يتعدد في الفضاء.

«الكيف» بكل ما تحمله من إغراء في تراث الأغنية الشعبية المصرية؛ خاصةً مع صوت طارق الشيخ وأورج شريف المبالغ فيه، فإنها تحمل ملامح كلاسيكية غربية: الوتريات التي تسير بعيداً هناك في الخلفية، تقول إنها موجودة، وجملة قصيرة من العود، والأكورديون الذي يطوعه شريف هنا ليخدم الطابع الشرقي كأكورديون حسن أبو السعود. وتاماً مثل «السكة شمال في شمال» تتبع «الكيف» البناء نفسه وتحفت الموسيقى قبل النهاية؛ لنستمع إلى فاصل موسيقى يعبر بوضوح عن أزمة المدمن، فلحن البيانو يأتي معكوساً، ثم يلعب نغمة قصيرة تكرارية تشعرنا بالترقب، تصاحبه الوتريات التي تجعلنا نشعر وكأننا نقع في بئر عميق من الضياع، ومن البئر ينادينا صدى بعيد لطارق الشيخ وهو يقول «يا ليل».. محاولاً أن



يرجونا ألا ننساه.. حيث تعود الأغنية ل الكامل طاقتها حتى تنتهي.

واحتفاءً بالموسيقى الشرقية الطربية، تأتي «عم غريب»، وهي ليست أغنية شعبية صرفاً.. حيث إنها لا تتعتمد الرقص وليس بها أصوات الكيبورد الغربية الموجودة في الموسيقى الشعبية الدارجة، كما أن بها الكثير من العود والقانون وصوت وائل الفشنبي المعجون بالمصرية. في النصف الثاني منها فقط، يظهر الكيبورد والأكورديون ولكن هذه المرة بشكل فيه احتفالية أكثر من كونها سخرية ورفضاً للواقع، فهي أغنية تتصالح قليلاً مع الجانب الطيب الضئيل الباقي فيها، تماماً كـ«عم غريب» الذي لا يخفى اسمه من الدلالة.

دقّات خطر تدق.. إيقاع قصير يظهر ويختفي كالفلash.. صوت عنيف.. جيتار أكوسيك كأنه يدخل معركة، ثم جرس وبعده Riff أيضاً تنذر بالخطر.. كل شيء في «آخر أغنية» مشحون التوتر. وكلمات أمير تدعونا لأن نتكلل وراءه ونتحرك.. وحين يتحركون



تأتينا أصوات الدرامز التي تحمل سخرية ما لتجتمع كل الأصوات على قول كلمة حرية.

يؤكد لي شريف أن هذا غير مقصود، وأن صوت تصاعد الدرامز هنا كان المقصود به التعبير عن حركة الجماهير التي تسير وراء المغني الذي يدعوهم لتردد كلماته.. يتوالى الإيقاع مع الجيتار حتى يأتي فاصل موسيقي به هممات تصاحب الصولو ثم هدوء «فنحن الصوت ساعة ما يريدون الدنيا سكوت»، والبيانو يلعب في الخلفية، ويحمل كل هذا الأجزاء ليربطها بعضها البعض.. تعود الهممات ويوافق أمير كلماته؛ ليوحد كل هذا مرة واحدة في صوت واحد وصرخة واحدة تصرخها وراءه كل الجموع: «حرية».. يذهب هواري إلى أقصى درجات السلم الموسيقي وأكثرها حدة؛ ليصبح قاطعاً حاداً كالسكين، فلا مكان هنا للمشاعر والرق.

الفصل الرابع والأربعون

معارك جانبية

٩ أغسطس، قبل حفل إطلاق الألبوم بثلاثة أيام

الثانية والنصف صباحاً

يجلس أمير إلى البيانو ويُلْعِب أغنية *Imagine*، وخلفه يغنى عبد الرحمن غناءه المميز بنوع من التهريج.. لا أحد يشيع جو البهجة في المكتب مثل عبد الرحمن.. يبدو أمير في مزاج رائق ويهرج مع الجميع. يطلب من عماد كبدة ومخ من أحد الأماكن، نطلب جميعنا ونجمّع الفلوس ونعطيها لعماد ليشتري لنا.. كالعادة أمير ليس معه مال لأنّه يكره أن يحمل محفظته ويكره التعامل بالنقود.

البقية يلعبون «الكلب الحيران» بكرة صوفية طرية.. إن طارت لا تكسر شيئاً في المكتب.



من غرفة شريف تأتينا «نقطة بيضا» يعيد توزيعها للحفلة التي ستلعب قريباً.. البروفات تتم الآن على قدم وساق على الأغاني الجديدة في غرفة تامر التي تحولت إلى غرفة بروفات متكاملة.. فجأة يدخل كلبه العنيد «كمبور» ويختطف الكرة ويركض بها بعيداً منهيًا اللعبة.

نرتمي على الكتبة بينما يبدأ أمير حديثاً جديداً عن كرة القدم التي يتقاسم هوسها مع هواري.

جلس جميعاً في الصالة؛ لأن أمير قد قام بإعادة تنظيم غرفته وقام بقسمتها إلى قسمين: قسم للتسجيل والعزلة، وقسم آخر للجلوس؛ فهو يريد أن يسجل أفكاره الموسيقية وأغانيه التي يعمل عليها على الكمبيوتر في غرفته دون الحاجة إلى الانتقال إلى غرفة جلال أو شريف.. يعاني أمير من حالة دائمة من القلق وعدم الاستقرار حين يكون واقعاً تحت كثير من الضغط خاصةً وقت الكتابة.

وتحكي لي ليلى وبقية الأعضاء كيف أنه يثير جنونهم بإعادة تقسيم كل المساحات التي يعيش أو يعمل بها؛ فقد قام بعمل استديو له في منزل والدته واحتل نصف مساحة الصالة.. ثم في شقته هو وليلي بشارع ٩.. وفي المكتب القديم ظل يعيد تشكيل المكتب.. والآن ها هو يفعل ذلك في غرفته.

هذه واحدة من مظاهر القلق لدى أمير الذي يريد دائمًا السيطرة على المكان الذي يجلس به، ويشعر بعدم الراحة والاستقرار، ويقرر أن يسقط هذا القلق الدائم على أنه عدم ارتياح للمكان الذي يجلس به، وعدم ملائمة هذا المكان للحالة المزاجية والإبداعية التي يعمل بها.

ويصل ذلك القلق الفني به عادةً إلى اتباع سلوكيات تكاد تشبه التدمير الذاتي.. حين كان يعمل على أغنية «نقطة بيضا» قرر أن وزنه زاد عن الحد، فقام بأخذ إجراءات عنيفة في هذا الأمر كما أنه كان يقوم أيضًا بال العراق مع كل من حوله، ويشعر بالألم متفرقة في جسده. وأنا أفعل الشيء ذاته بالضبط.. فأنا أسعى



بكل طاقتني لتدمير نفسي وجعل حياة من حولي جحيمًا هروبًا من مواجهة نفسي كي أبدع شيئاً.. ويصيبني المرض دائمًا.. هناك دائمًا ذلك الغليان الذي يفور بداخلك وأنت تعمل على شيء، تشعر بأنك لا تطيق التواصل مع أي أحد حتى لا يكسر عليك فقاعتك التي تعزل نفسك بداخلها.. رغم رغبتك الرهيبة في مشاركة ما تقوم به مع أحد، وأن تتحدث معه لساعات حول ما تفكر فيه وتحاول القيام به.. إلا أنك في الوقت نفسه تكون داخل رأسك بشكل يجعلك لا تدرك ماهية العالم من حولك. وحکى لي هواري أنه يمر بالأمر نفسه.. كلنا دائمًا في حالة هروب من شيء ما مجهول غير مفهوم.. حتى شريف في انغمامه الرهيب في العمل، فإنه يهرب من شيء ما.. ربما هروبـه هو الأكثر صحة وإنـتجـية ولكـنه هـروبـ. تامر يخرج طوال الوقت ويـسـهر ويـرـفضـ الجلوـسـ فيـ الـبيـتـ ويـخـافـ منـ الـوـحدـةـ بشـكـلـ مـفـرـطـ.. أماـ آـدـمـ فيـحـتـمـيـ بـمـنـزـلـهـ عـنـ الـعـالـمـ الـذـيـ يـعـدـهـ كـرـيـهـاـ وـمـخـيـفـاـ وـلاـ يـسـتـحقـ مـنـهـ سـوـىـ التـهـكمـ.

10 أغسطس

قبل حفل إطلاق الألبوم بيومين

في اليوم التالي نستيقظ على خبر غريب: أبلغهم محامي الفرقة أنه بحكم القانون ممنوع أن يلعبوا الأغاني التي لم تصرح بها الرقابة في الحفل القادم، وإنما ستتعرض الفرقة للمساءلة القانونية.

نزل هذا الخبر كالصاعقة على الجميع.. ماذا يعني هذا؟ كل هذه التدريبات والاستعدادات والحفل المقام خصيصاً لإطلاق ألبوم، لن يعزف نصفه؟ «هدنة»، «ديناصور»، «السكة شمال في شمال»، «آخر أغنية».. كل قسم من أقسام الألبوم به أغنية ناقصة.

كانت المعضلة هي أن هناك وسطاء استطاعوا تهدئة الأمور مع الرقابة، التي أظهرت في بادرة طيبة منها استعدادها لاستئناف الحوار حول الألبوم، وهو ما أسعد الفرقة للغاية، فقد كانت لديهم رغبة صادقة في



تسوية الأمور والالتزام بالقانون، ولكن في الوقت نفسه الفرقة ملتزمة بالاستجابة لرغبات الجمهور الذي من المؤكد سيطالب بسماع الأغاني الجديدة، فهذه هي الحكمة الأساسية من لعب حفلات إطلاق الألبوم في الأساس.

في النهاية تم الاستقرار على لعب الأغاني في حال ألح الجمهور على ذلك، مع مراعاة عدم استفزاز أي أحد حتى يحين موعد فتح باب النقاش مع الرقابة مرةً أخرى.

الفصل الخامس والأربعون

سنوات الاختبار الصعب

2016 - 2013

أدت الموجة الثانية من الثورة ونزلت مع من نزلوا..
ويومها كتبت على الفيسبوك: «أشارك وأنا خائف مما
سيحدث.. أشعر أنني جزء من حدث تاريخي، ولكن
الدم المراق لن يتوقف لسنوات».

وقد كان..

رحل الطغاة ونزل الجيش للمرة الثانية مساندًا
لإرادتنا.. وبعدها تطورت الأمور كما نعرفها جميعًا،
ومررنا بفترة انتقالية متوترة ثم اختارت الأغلبية
الكارسحة من الناخبين الرئيس الجديد.

ولكن الكارثة الحقيقة كانت في الإرهاب الذي عاد
يطل بوجهه القبيح من جديد؛ عقابًا لنا على الموجة
الثانية من الثورة.



ورغم عدم إجماع كل الفئات على كل ما تم اتخاذه من قرارات، إلا أن الكل اتحد في مواجهة الإرهاب البشع، وبكينا الذين ضحوا بأرواحهم في مواجهته، ولكن استمرت الجهود دون توقف لتحقيق الاستقرار والبناء واستعادة السيطرة على الحركة الاقتصادية والتنمية. وطبعاً هناك طموح وأمل ورغبة صادقة في بناء البلد وسط شرق أوسط ينهر بأكمله؛ إذ تمر مصر بمرحلة من بناء البنية التحتية وفرض النظام بشكل لم تشهده من قبل.. ولكن عديداً من الأصوات اختفت. وأصبحت المعارضة أمراً مرفوضاً من الكثيرين.. وارتقت نغمة المؤامرة حتى سادت المجتمع بأكمله.

وباندفاع شديد أصبح كل من شارك في الثورة عميلاً.. وبدأت تسريبات لا أحد يعلم مدى صحتها تظهر لمن تصدروا مشهد الثورة الأولى؛ لتحاول إثبات فساد نيتهم فأصبنا بحالة من التخبط وعدم الفهم وفقدان الثقة.. واختفى إعلاميون عدة من على الشاشات.. كان الثابت أن النية هي البناء ومنع كل تعطيل، ولكن هل يتعارض البناء مع الحرية؟



وتزايد الكلام في الإعلام حول ما إذا كانت ثورة 25 يناير نعمة أم نكبة، وهل نزل الشعب إيماناً منه بالحرية أم أنه كان مضلاً؟ ومن استفاد أكثر من الثورة: النظام السابق أم الإخوان أم المخربون؟ وظل الكره يتزايد، والسم يبث عبر كل قناة ممكنة.. وببدأ التجريف المجتمعي الكامل لكل من يمثل هذه الثورة حتى أنها لم تعد تذكر على الأفواه.. ليس لأنها ممنوعة ولكن لأن الاستقطاب الذي صار مريعاً استمر لسنوات بدءاً من اليوم التالي لـ 11 فبراير حتى نسيناها.

شاهدت فيلماً تليفزيونياً بريطانياً وأنا في سن الحادية عشرة اسمه ميرلن.. يتحدث عن شخصية ساحر أسطوري كان يعيش في العصور الوسطي بإنجلترا، وهي شخصية معروفة في التراث الأدبي البريطاني منذ زمن بعيد.

المهم أن ميرلن في هذا الفيلم كان ساحراً طيباً يحارب ساحرة شريرة، وحاول بكل ما أوتي من قوة هو والجماهير أن يتغلبوا على هذه الساحرة، ولكنها كانت تنتصر عليهم دائمًا بقوتها الشريرة.. إلى أن كان اليوم



الذي استطاعوا فيه أن يقموا بمواجهتها.. وبعد كلمة طويلة ومؤثرة عن انتصار الخير على الشر، أجابتهم أنها لا تزال في أوج قوتها وأنهم مهما حاربواها فستنتصر عليهم لأنها تملك من الحيل والقوة ما لا يطيقونه.. فأجابها ميرلن بكل بساطة: «لن نفعل شيئاً.. فقط سننسال».».

وأدروا جمِيعاً ظهورهم لها وبدعوا في السير بعيداً عنها.. ظلت تنادي عليهم في ذعر دون أن يلتفت إليها أحد، إلى أن بدأت تصرخ في هيستيريا وهي تحترق حتى تلاشت تماماً.

كان هذا هو الحل إذا لقتل أي شيء.. نسيانه، فذاكرة البشر والتاريخ أقسى من أي سلاح.. لم أنس هذا الدرس الذي تعلنته من هذا المشهد طوال حياتي.

وبات الكل ينتظر بعد 30 يونيو أن ينصلح كثير من الأمور في يوم وليلة.. من تعليم وصحة وشفافية ومحاربة الفساد. وتأخر ذلك وزادت الضغوط الاقتصادية بشكل لا يحتمل؛ أملاً في غد أفضل لا



يزال يداعب مخيلتنا. وهانحن الجيل الضائع الذي عان قبل 2011 نعاني في صمت لا نزال فقد كبرنا وتزوج معظمها وكون أسرًا.. بينما يريد البعض الآخر أن يبني لنفسه حياةً ويكون أسرةً.. وكلا الفريقين يرذح تحت ضغوط اقتصادية رهيبة. وسواء كانت هذه الفترة ستطول أم لا، فنحن على الأقل لا نزال نكافح من أجل لقمة العيش والتحقق... ونصبر.

وهذا ما سيذكر به هذا الجيل.. إنه الجيل المحارب.. الجيل الذي أيقظ مصر من سبات طويل استمر لعقود وعقود.. والجيل الذي حارب حتى أطاح بالفساد ثم طغيان الدين واستعاد مصر ممن حاولوا سرقتها.. والجيل الذي يحارب الآن كي لا يموت فقرًا وحزنًا.. لقد كتب علينا قبل الخلق ألا نرتاح أبدًا.

وسط كل هذه الأجواء المحبطة عملت الفرقة على ألبوم «ناس وناس» طوال عام 2014 ونزل في مارس 2015. وكتب كله في فترة شديدة التخبط بعد 30

يونيو.. كان الاستقطاب قد وصل إلى أقصاه حين أصدرت الفرقة أغاني سينجل «هي ناس بتترقص وناس بتموت» في فبراير 2014 و«آخر أغنية» في مارس 2016.

ومن منتصف عام 2015 حتى منتصف 2017 عملوا على ألبومهم الخامس.. و تستطيع أن ترى أن وتيرة تنزيل الأغاني قلت بشدة مع ازدياد الصراعات حول التوجهات الفنية داخل الفرقة وازدياد المناخ الضاغط خارجها.

حتى صدر ألبوم «نقطة بيضا» في يوليو 2017: ليخرجوا من النفق المظلم..

مؤقتًا.



الفصل السادس والأربعون

«نقطة بيضا» مع الجمهور

حفلات الإسكندرية والساقيية

أغسطس 2017

هناك شيء ما يخبرني أن هذه الحفلة لن تكون كمثيلاتها.

الفرقة تأتي مستعدة بكل أسلحتها.. أغاني جديدة، معدات جديدة.. تدريبات كثيرة تسبق الحفلة، ومعنويات مرتفعة في السماء.. أنا لا أدرى حتى الآن كيف مرت الفترة الماضية. حاولت بكل جهدي أن أسجل كل لحظة مرت على الفرقة وصولاً إلى هذه اللحظة التي يلعبون فيها أغانيهم للجمهور.. لن يتخيّل أحد، مهما كان، كم المجهود والمعاناة والتحديات التي مرّوا بها؛ حتى يتمكّنوا من الوقف على المسرح



والقيام بما يقومون به جيداً: الغناء مع الجمهور بما يدور في نفس كل منهم.

يصل الجميع للمكتبة في الرابعة.

في الخامسة إلا الربع.. أتوجه مع هواري إلى المسرح المفتوح.. يلحقنا تامر وجلال.. هناك تركيز كبير مع تامر لأنّه يستخدم Pad رولاند جديدة يعزف عليها بعض الإيقاعات الشرقية إلى جانب الدراما.

أجلس خلف المعدات.. أعد السماعات فأجد أنها حوالي 15 سماعة.. من الجهة المقابلة لنا التي ستكون في ظهر الجمهور، توجد وحدة الإضاءة والصوت ويجلس عليها عصام السحرتي ومايكل.

أرى عبد الرحمن، والذي يبدو عليه الرعب.. هذه ليست أول مرة له على المسرح بالطبع، ولكنه يشعر برعب رهيب في كل مرة.. وطبعاً ستكون هذه هي المرة الأولى له التي يغنى فيها «نقطة بيضا» أمام الجمهور.



في الخامسة والنصف تركنا المسرح وتوجهنا عائدين إلى الغرف.. كان واضحًا أن أمير قد بدأ يتأمله التعب، لتنكرر عادة من عادات حفلة الإسكندرية التي لا تنتهي. وأمراض أمير غريبة، لا ندري هل لها علاقة بضعفه العام أم أنها نزلات برد عادلة.. حاولت أن أعطيه دواءً للبرد، أكياس تذاب في مياه ساخنة، كنت قد اشتريتها من لندن ولكنه رفض أن يكملها بسبب طعمها البشع.

تناولنا جميعنا غداءً بشغفًا من سمك وأرز، بينما لم يأكل أمير شيئاً.. رقد فجأة على الأرض في منتصف الغرفة واضغط ذراعيه على عينيه.. بدأنا جميعًا في الدوران حوله لنسأله بم يشعر ولكنه لا يرد، أو يرد بهمهمة غير واضحة. استدعينا آدم الطبيب الرسمي لأمير، الذي وضع عدداً من المخدات تحت قدميه وظل يسأله باللحاح مما يشعر.. أجاب أمير أنه يشعر بدوار صعب وهبوط وأنه مصاب بالبرد.

تركناه لينام بناءً على طلبه، خرجت إلى الشرفة وجلست أراقب الحضور.. الساعة تقارب السادسة..



عدد من الجماهير بدأ بالتوافد على بوابة الدخول وأغلبهم من الفتيات حتى الآن.

في السادسة نتوجه جماعنا عدا أمير الذي نتركه نائماً إلى المسرح للمرة الثانية ليتم عمل Soundcheck كامل وأخير.. فور وصولنا يتضح أن التوتر قد بدأ يجد طريقه إلى المكان.. هناك عدد كبير من المتطوعين الذين يقفون في حالة انتباه شديدة، تصرخ فيهم مسئولة المسرح بتوجيهات مستمرة.

أعود لأخذ حقيبتي من الغرفة.. أطل على أمير فأجد ليلى جالسة وحدها، أسأله إن كان أمير يشعر بتحسن فتخبرني أنها تبحث عنه.. أنظر في الغرفة الثانية فأجده هناك. واقفا بصعوبة وفي يده علبة عصير.. أسأله إن كان يشعر بتحسن في يومئ بضعف.. نتحرك أنا وهو وأدم وليلي نحو المسرح. يسير أمير بصعوبة، مستندًا إلى كتف ليلى.. تكلمه ولا يرد عليها.. وجهه أبيض كالثلج، تماماً كأول مرة رأيته فيها.. عظام جسده تبدو أكثر بروزاً الآن وقد تحول لونه إلى الأبيض الباهت. في تى شيرت وبنطال سوداويين يبدو



أمير كزومبي آت من العالم الآخر.. ينزل على السلم ببطء شديد.. نقطع المسافة إلى المسرح في وقت أطول من المعتاد.. يصعد السلم ببطء، ونجد تامر يصرخ في المساعدين لأن هناك صفّاً من الجمهور يقف ملاصقاً للمسرح يصورون بهواتفهم المحمولة، ويتساءل إن كان الجمهور قد دخل.. يخبرونه أن هؤلاء يخضون المكتبة (أقرباء وأولاد العاملين أو شيء من هذا القبيل) يواصل تامر اعتراضه.. وبسرعة يتحرك الكل ويجبرون الجمهور الصغير على التراجع.

ما أن أصل إلى حيث سأجلس يصلني صوت أمير يصدح في المكان.. أستدير لأجده هناك واقفاً يلعب الجيتار ويغني ويسأل فني المونيتور أن يضبط صوت الموسيقي في سماعته. تتواصل الأغاني.. الأغنية تلو الأخرى وهو يغني هناك بثبات شديد ويواصل التحرك على المسرح جيئةً وذهاباً.. كلما اقتربت من المسرح لاحظت التعب يغاليه، يضع يده في وسطه وكأنه يسند نفسه ليجبر جسده على الوقوف، يعتصر عينيه، وهو يصارع ليخرج صوته عبر السماعات.. ولكنه كما هو، لا



يتغير عن الصورة التي ينتظرها الجمهور الذي سيملأ عتبات المسرح بعد دقائق.

مع مرور الوقت.. تسارع دقات قلوب الجميع.

نتحرك في التاسعة إلا الربع نحو المسرح.. أحاول تخيل الحاضرين.. نقترب لنجد رجال الأمن في حالة فزع. ونحن لا نزال بعد داخل خيمة، يمكننا سماع تنفس الأعداد الغفيرة بالخارج.. أسأل أحد رجال الأمن مجازاً إن كان هناك كثيرون قد حضروا، فيخبرني أن العدد لا يقل عن 4 آلاف شخص وهو العدد الأكبر الذي يراه منذ عمل بالمكتبة.

يقرر هواري أنهم لن يصعدوا معاً.. يختار شريف ليصعد في البداية، وراءه هواري وتامر وآدم.. وأخيراً أمير. مع ظهور شريف يتعالى الصراخ بالهتاف الشهير.. يتواتي صعودهم. أقف بجانب أمير، الذي انحنى وأمسك بركتبتيه من التعب على سلم المسرح.. ينظر إليَّ فأشير إليه بعلامة النصر.. يغمز لي، ويصعد.



في هذه الأثناء يكون بقية الأعضاء قد بدعوا لعباً هادئاً يقوده شريف بموسيقى أثيرية صادرة من الكيبورد. ومع بدء النotas الأولى من «نقطة بيضا» السريعة، يتعالى الصراخ ويصل إلى مرحلة الهيستيريا مع صعود أمير.

تتوالى بعدها الأغاني: «غريب في بلاد غريبة»، «إحنا الشعب»، وغيرها.

يغازل أمير الجمهور ويخبرهم أن كايروكي تجده شرفاً لها أن يتم إطلاق سلسلة حفلات الألبوم من الإسكندرية، وبعدها تنطلق أغنية «ليلي»، والتي تقف معنا خلف المسرح.. يغنيها الجمهور بسلاسة شديدة وكأنهم حفظوها لسنوات.

بعدها يغنون «مربوط بأستك»، ليشتعل المسرح أكثر وأكثر.. ثم «غمض عينك».. الطاقة تزداد، وعلى المسرح يبدو جميعهم في حالة من الراحة والاستمتاع.. يصرخ مهندسو الصوت عبر اللاسلكي



بعضهم البعض ليتأكدوا من ضبط صوت كل آلة لحظة بلحظة.

تتحرك الإضاءة بسرعة جائمةً وذهاباً بألوان متعددة.. وكما أخبرني عصام من قبل.. يتم اختيار كل لون وحركة إضاءة وفقاً لحالة وإيقاع الأغنية. تامر كالعادة يخرج كل ما لديه، يلعب بكامل جوارحه، يبتسم ويضحك.. أمير وتامر يضحكان.. أمير يخبره بشيء وتامر يهز رأسه رافضاً هذا الشيء بعنف، بعد لحظة ينقل أمير الكرة إلى تامر كي يقوم بطبع صولو وحده، وهو ما يكرهه كما أخبرني سابقاً.. يفعل ذلك للحظات قصيرة؛ حتى تعود الأغنية تواصل صعودها السريع مرةً أخرى.

يمسك هواري بالترامبيت، ويبدا في عزف النotas الأولى من «كنت فاكر».. لا تخرج بالحدة والوضوح نفسه، الذي توقعته، ولكن ما أن يميزها الجمهور حتى يتعالى صراغه. يغني أمير بالإحساس المؤلم نفسه في التسجيل.. مرة أخرى يغني الجمهور.. يخرجون هوائفهم المحمولة ويضيفون الفلاشات؛ لظهور أمير



بنظرتها الزائفة أمام مخيلتي.. تلك النظرة التي ظلت أتساءل عما تحمل وراءها من ذكريات يحملها لها خمستهم الذين يقفون على المسرح الآن يهدونها هذه المرثية الحزينة.

تحول الإضاءة إلى الأزرق والأصفر الدافئ ويلعب شريف وهواري (الذي عاد ليمسك بالجيتار) بإيقاع منتظم للغاية.. إحساسهم جمياً يحزنني للغاية. وتأتي اللحظة المرعبة لهواري ليلاعب الصولو الصعب، يطير بالجميع وشريف يصاحبه بالكيبورد.. تظهر صعوبة الصولو في نصفه الثاني.. يبدو أمير متاثراً للغاية بكل لحظة.

بعدها أقرر أن أفعل المستحيل وأنقل ناحية الجماهير.. أخترقهم جميعاً الواحد تلو الآخر.. أريد أن أصل إلى آخر مكان في الواقفين.. كلما مررت نحو الخلف أخترق الوجوه المتمحمسة والصارخة.. لا يقل الحماس بل كان يزيد في بعض المناطق.. بسهولة تستطيع أن تشعر أن كلهم يعيشون في مكان واحد..



هناك نوع من الوحدة والانتماء إلى بعضهم البعض يستشري بينهم.

يظهر وائل الفشنى.. أراه لأول مرة، ويغنى موala طويلاً، صوته قوي وحضوره جيد على المسرح.. تتلوه أغنية «عم غريب»، الأغنية الأولى التي أستمع إليها وسط الجمهور.. هذه الدرجة من التوحد حول كايروكي والأغاني والموسيقى يجعلهم يشعرون بانتمائهم إلى بعضهم البعض، تماماً كجماهير الكراية.. يغنون أغنية «اتجنبن»، يتعالى الصراخ مع ظهور زاب، خاصةً من الفتيات، ويتأكد لي الآن أنهن أكثرية الحضور، ويقفز الجميع حين يأمرهم بقوة الكلمة والنغمة أن يطلقوا العنوان لجنونهم.. بعدها تأتي «اثبت مكانك»، والتي يغنونها كلمة كامل.. أجلس على الأرض بين الأقدام المتلاصقة لأكتب هذه الكلمات.. يبدأ أمير أغنية «البكا بورت» أو «البكا بكا».

تتراوح مشاعر المستمعين أمامي ما بين الفرحة، الحماسة، الرغبة في الرقص والذوبان في جمع يشعرون معه بالأمان، والبحث عن مساحة حتى لو



كانت المساحة الصغيرة لمسرح المكتبة الخارجي، يعبرون فيها عن صوتهم وأنفسهم وأحلامهم وطموحاتهم التي يهربون من فشلها ولو لساعة واحدة.. البعض يتحدثون مع من بجوارهم.. البعض الآخر يرقص، ومنهم من أخذ ركناً وجلس مع نفسه وحيداً.. هناك أطفال، شباب، سيدات ورجال كبار، ويجمعهم جميعاً شيء واحد: أنهم يغنون... بملء قلوبهم وأفواههم.. يغنون.

أطالع القائمة التي معي.. بالطبع لم يغنوا بالترتيب، ولكنني أجد أن الأغاني الباقية من الألبوم الجديد هي الأكثر إثارة واشتعالاً.. أبدأ رحلة الرجوع للمسرح، وتبدأ النotas الأولى من «السكة شمال في شمال»، فيتحول الواقفون إلى هيستيريا.. هي بلا منازع الأغنية الأفضل عزفًا اليوم، مقارنة بأغاني الألبوم الجديد.

وراءها تأتي «الديناصور».. تتسع دقات قلبي مرة أخرى وأنا أنتظر آخرها لأرى ماذا سيحدث.. الـ Chorus الذي أبدع شريف في تأليف موسيقاه



الغرائبية التي تقودها الربابة أكثر من رائعة في العزف الحي، تحمل كل السخرية والاستغراب الذي كانت تحمله في التسجيل الأصلي وربما أكثر.

تلتها أغنية «الكيف».. وبينما الجميع يرقصون بحماس شديد، يخرج أمير في الفاصل الموسيقي للأغنية هاتفه المحمول ويصورهم جمیعاً.. الكل يرفع ذراعيه ويتقافزون في أماكنهم.

ينتهي الحفل بالصراخ المعتاد باسم الفرقة.. يحيون الجمهور ويغادرون المسرح.

ولكن فقط للحظات.. يعودون بعدها لتببدأ «نقطة بيضا»، البطيئة هذه المرة لتنهي الحفل في حالة مختلفة تماماً.. فجأة تتغير الأجواء 180 درجة ويأخذ أمير وبقية الفرقة الجمهور إلى الصراع الداخلي المدمر والمذهل لـ«نقطة بيضا». يلعب الـRiff وسط الموسيقى الأثيرية لشريف؛ ليتعامل كل مستمع من الواقفين مع صراعه الداخلي وهو يردد كلمات



الأغنية.. حتى الآهات الخافتة التي يطلقها أمير يرددونها وراءه.

يدخل إيقاع تامر القوي ليقود هذه المعركة.. «هو أنا وأنا هو هو حرب دايره جوا»... يخوض أمير من طبقة صوته كثيراً لتنسحب أرواحهم جميعها بداخل أنفسهم.

تصل اللحظة التي يصعد فيها عبد الرحمن للمسرح، فيتصاعد الصراخ أكثر وأكثر، ويبدأ في الغناء.. يخترق صوته الأثير وتظهر إمكاناته الحقيقية هنا أكثر مما أسمعها في المكتب.. بسرعة ننتقل جميعنا، أعضاء الفرقة الخمسة، مساعدوهم والفنيون الذين يزيد عددهم عن الأربعين، والأربعة آلاف مستمع إلى مكان آخر خارج هذا الكوكب.. يتواافق صوته مع الموسيقى الصادرة من خمستهم مع الأجراء الأثيرية والإضاءة ونبضات القلوب لتحدث حالة التوحد الرائعة التي قلما تتكرر في هذا العالم.

نخرج بسرعة إلى السيارات، ونعود إلى القاهرة أجساماً هامدة ساكنة.



بعد أيام قليلة تكرر المشهد في الساقية.. كانت حفلات الساقية السبت هي ذروة النجاح الحقيقي لكايلوكى.. كل الضجة التي أثارها نزول الألبوم وعاركه وأعداد المشاهدات الرهيبة تتلاشى أمام هذا الكم من الزخم الرهيب من الحضور في حفلات الساقية.. بدأ الاستعداد لثلاث حفلات، ثم صاروا أربعاً، وأخيراً ست حفلات على مدار ثلاثة أيام متتالية في أمر غير مسبوق.

كل حفل يحضره 3 آلاف شخص.

يظهر الجمهور قبل موعد الحفل بخمس ساعات كاملة.. الاستعدادات في الساقية غير مسبوقة، فريق من الهلال الأحمر يزيد عن 10 مسعفين متواجدين وسط الجمهور وحول المسرح.. قوات دفاع مدني، وكل موظفي الساقية على أتم الاستعداد.

ما أن يبدأ الحفل حتى تبدأ حالات إغماء عديدة بين الجمهور، يتعاون الجميع لإخراج الشاب أو الفتاة إلى



ضفة النهر ويبدعون في إفاقته.. كانت الشحنة والصراخ والغناء والحماس لتلقي الأغاني الجديدة أمراً مخيفاً وجارفاً، تماماً كجميع حفلات الساقية، وكان لعب الشباب أفضل كثيراً.. وبالطبع كانت الأغنيات الجريئة التي يتم لعبها تحدث أثراً رائعاً على الجميع.

لا يزالون في سذاجة اللحظة الراهنة.

وبانتهاء الحفلات الست.. كان الأوّان قد حان ليرتاح الكل ويطمئنوا إلى نجاحهم بعد أن لمسوه وجهًا لوجه في الحفلات.. كنا نشعر أن الأيام الثلاثة كأنها يوم واحد. انطلقنا عائدين في المركب وشعرت بأن مرحلة من حياتي قد انتهت.. وأنني قد شهدت نهاية الكتاب بانتهاء هذه الحفلات الست ووصول الألبوم لمستمعيه.

أو هكذا كنت أظن.



القسم الثالث

الأشهر الأخيرة

الجيل يعلن الهزيمة، كايروكي في النفس الآخرين،

والجسر يمتد: رحلة الكاتب

والفرقة تشرف على نهايتها

أنا في الرابعة والعشرين.

أعمل موظفاً في بنك.. أعمل في التخصص الصناعي والترجمة بقسم التسويق ولكنني أكره كل لحظة.. مرت عامان على وجودي هنا ولا أستطيع أن أجد نفسي في هذا المكان.. لا أشبه أحداً ولا أحد يشبهني.. الأضواء النيون البيضاء والموكيت الأخضر والبيئة المعزولة في التكييف يجعلني أموت كل لحظة.. أرتدي البذلة كل يوم وأعمل 14 ساعة في اليوم دون أن أرى أي قيمة في ما أفعله.. أساعد مكاناً يكسب المال على كسب المزيد من المال دون أي نفع أو قيمة حقيقية للبشر..

يتعارض هذا مع كل ما أؤمن به والفنان الذي يحاول الخروج من داخلي، ولكنه يظل مقموعاً بالقيود الاجتماعية التي تقول إني يجب أن أحصل على شهادة محترمة وأعمل في وظيفة محترمة وأتزوج زوجة محترمة.. ولا شيء من هذا يمكن تحقيقه إذا كنت فناناً.

أستيقظ كل يوم في السادسة صباحاً.. أنزل في الشتاء القارس وأنا أقود سيارتي الأولى (128 بيضاء موديل 90) مع خيوط الشروق الأولى.. العالم كله لا يزال نائماً والشعور بالوحدة مغرق في الصمت الذي حولي.

على الأدخنة الزرقاء للسيجار الصغير الذي تعرفت إليه مؤخراً أستمع لمزيج من ألبومي كولدبلاي Parachutes وY&X، وبأغانيهما الكئيبة يتعمق شعوري بالوحدة التي لا رفيق لي فيها سوى هذا الألبوم وصوت كريس مارتن، خاصةً مع أغاني Spies وYellow Trouble التي تنقلني إلى حالة مختلفة،



وأسأل الله أن يعينني على من سأقابلهم وأقضى معهم يومي.

ومع الـ Riffs السماوية لاغنية Fix You يغلبني الحزن وتنهر دموعي لتشوش على رؤيتي للطريق.



الفصل السابع والأربعون

هدنة

أغسطس - ديسمبر 2017

بعد حفلات إطلاق الألبوم وتأكد صدارته لمختلف قوائم المبيعات والمشاهدات الإلكترونية، سرت حالة من الهدوء والاطمئنان في الاستوديو.

وصلت يوماً وكان شريف في غرفته كالعادة، بينما وجدت أمير وجلال يلعبان البلاي ستيشن. تقابل كلاهما في الصالة بعد قليل وجلسا يتحدثان عن كتاب بدأ قراءته من تأليف أحد الضباط الأحرار.. أمير وشريف لديهما شغف كبير بكل من أحداث وأسرار ثورة يوليو 52 وال الحرب العالمية الثانية.. عشرات المرات يجلسان ويتحدثان معي عن الأفلام التي شاهداها، والتي تحكي ما حدث في معسكرات النازي ومغامرات تشرشل، ويستشهدان بكم كبير من الأفلام الوثائقية والرواية والكتب التي يعرفانها جيداً.

فجأة يغنى أمير مقطعاً من «الأطلال» أو «القلب يعشق كل جميل» لأم كلثوم.. إنه يكرر المطلع ربما خمس أو ست مرات في اليوم وبالتزامن تمام على مدار عام كامل بلا انقطاع.. هذا الهوس المعلن والواضح بأم كلثوم هو أكثر نقاط الاتفاق موسيقياً بيني وبين أمير.. أتعجب دائمًا من دراسته المستفيضة لأعمال أم كلثوم، ولعبته المفضلة هي الترتيب المتحرك والمتغير الذي يرتبه للملحنين المفضلين له الذين لحنوا لها: السنباطي (دائمًا ما يحافظ على المرتبة الأولى)، زكرياً أحمد، بليغ حمدي.

طوال الوقت لا يتوقف حديث أمير بحماس شديد عن رياض السنباطي وأغانيه.. يشغلها ويبدأ في تحليلها، ولا يمل أبداً من الحديث عن قدرة الملحن العظيم في التعبير الموسيقي عن الكلمات و מגامراته في نقل المقامات وإخضاع صوت أم كلثوم لأقصى الاختبارات الإعجازية، ويفتح لي على يوتيوب تسجيلات نادرة وهو يحفظ المطربة الأسطورية الأغاني أو لقاء تليفزيوني له.. وحين أخبره أنني أجد ألحان عبد



الوهاب وبليغ حمدي أسهل في التناول وأقرب لي، يخبرني أن هذا سببه قدرتهما على صياغة جمل لحنية سهلة الحفظ وشديدة الوضوح ولكن قدرات السنباطي «في حلة تانية».

أما شريف فأظهر الجانب البشري بداخله حين سيطر عليه لفترة من الفترات - حينما اشتدت برودة الشتاء- هوس بالشموع والزيوت العطرية.. يسير وراءنا يجمع ولاعاتنا؛ كي يضئ ما لا يقل عن 10 شمعات بروائح مختلفة على طاولة الصالة في وقت واحد، ويخفض الإضاءة تماماً، ويتركنا جالسين في الظلام (حتى تهدأ أعصابنا) على حد قوله.

وتمكن تامر من أن ينهي الجدل الدائر حول أفضل لاعبي الفيفا في الفرقـة، والذي فاز به عن جدارة بعد تقييمات عديدة قمت بها، بأن يشتري طاولة بنج بونج؛ ل تستقر في منتصف المكتب بالضبط مع حلول الصيف وتنتهي موضة البلاي ستيشن في المكتب؛ ليتحول إلى مركز شباب المعادي تقطـقـق فيه كرات البنج بونج ذهاباً وإياباً طوال الوقت. يتـفـوق فيها تامر أيضاً، ولو لا



منافسه اللدود جلال كان سيحتل مرتبة أسطورية في هاتين اللعبتين.

مزاج أمير في هذه الفترة رائع.. وبعد مشاحنات لندن وما بعدها، ثم نزول الألبوم والنجاح المدوي له والمجتمع المحوري الذي أعادوا فيه تقسيم الأدوار والماليات، جاء النجاح ليرأب الصدع بعض الشيء.. رزق هواري بإيزابيلا قبل يومين من سفرنا لإنجلترا وصار مشغولاً بها معظم الوقت، وأبدى بوضوح صعوبة أن يقود رؤية الفرقة في الفترة القادمة بعد كل الفترة التي مضت تحت رؤية أمير؛ خاصةً بعد نجاح «نقطة بيضا»؛ مما سيزيد من صعوبة حدوث تحول مفاجئ في الألبوم الذي يليه إذا ما وضع أساسه هواري. أمير في الوقت نفسه، قد بدأ يعود رويداً رويداً إلى طبيعته المرحة والمتفاعلة مع كل ما يدور، وربما تكون معركة البيان الذي صدر قد أعطته الفرصة لبعض من المناوشات التي يخرج فيها طاقته وتشعره بأنه لا يزال على قيد الحياة، وكان قد بدأ بالفعل في كتابة أغاني جديدة والتفكير في الألبوم الجديد بعد



أسابيع من نزول «نقطة بيضا».. كانت الأمور تعود تلقائياً إلى عهدها الدائم.

في إحدى الليالي تلقيت هاتفًا من أحمد مدحت يخبرني أن هناك فتاة هربت من منزلها في إحدى المحافظات، وأن والدها أتى إلى الاستوديو؛ لأنه يعلم أن ابنته مهووسة بالفرقة، كما أن خاصية تتبع الهاتف أظهرت أنها كانت في المعادي قبل أن تغلقها.. عدت للمكتب بسرعة وأنا أقرأ البواستات التي قامت الفرقة بعملها على صفحتها الرسمية بحثاً عن الفتاة، وحثّا كل من يجدها أو يراها بأن يرسل لهم.. كذلك نزل أمير ومدحت وشريف وتمام مع والد الفتاة وأخذوا يجوبون المعادي شارعاً شارعاً حتى الثالثة فجرًا بحثا عنها.. انضمت أنا وجلال إلى فريق البحث بسيارته وظللنا ننظر لصورتها طوال الوقت ونحن نبحث في الشوارع المظلمة.

وفي اليوم التالي استيقظ أحد أعضاء شارموفرز، الذين يحتلون الاستوديو القديم لكايروكي، ليجد الشابة الصغيرة نائمة أمام المكتب؛ ظنّا منها أنه لا يزال مقرهم.. عاد بها للاستوديو وتحدث معها تامر ليعيدها إلى صوابها بعض الشيء حتى أتى والدها وسلمها في أمان.. كانت مغامرة عجيبة بحق.

افتتاح معرض فني

3 نوفمبر 2017

دعتنا ليلى لحضور افتتاح لمعرض فني.. شددت على أهمية حضور أعضاء الفرقة أو بعضهم؛ لأن الفنان قد رسم لوحة أو اثنتين عن الفرقة. كان للأمر درجة أخرى من الأهمية والحساسية: فهو شاب صغير لم يتخط الستة عشر عاماً ومصاب بالسرطان، ولم تتبق أمامه سوى شهور معدودة، وهو موهوب للغاية.. كان يمضي ساعات علاجه ووقته في الرسم الذي لم

يتعلمه بشكل محترف أبداً.. والمعرض بمثابة أمنية أخيرة له، وزيارة الفرقة له ستسعده لأنه من معجبيها.

دهشت من مدى جمال اللوحات حين دخلت إلى المعرض.. كانت تتمتع بألوان زاهية وقدر كبير من التفاؤل وحب الحياة الطفولي، وهو ما زاد من وجع قلبي حينما شاهدت الولد الصغير والنحيف يقف وسط المهنئين وهو بالكاد يستطيع أن يصلب طوله.. عرفت أن نقله من المستشفى للمعرض كان مغامرةً كبرى.. أنار وجهه الأصفر بالسعادة حين رأى أمير، والذي سلم عليه بحماس شديد وقال له بعض كلمات مشجعة.

كان أمير طوال الوقت يتوجه له بكلمة «حضرتك» رغم أنه يصغره بنصف عمره تقريباً.. هذا التهذيب المبالغ فيه طالما استرعى انتباхи وأنا مع أفراد الفرقة. كلما ذهبنا إلى أي مكان يتوجهون للندال والبائعين قائلين «من فضلك» و«بعد إذن حضرتك».. حتى الجمهور الذي يوقفهم في الشارع كل بعض خطوات طالبين صورة أو كلمة يكون رد فعلهم شديد اللطف.. كنت في البداية لا أصدق هذا الأمر وأعتقد



نوعاً من التكلف أو التواضع المصطنع، ولكن مع الوقت اكتشفت أنه أمر حقيقي وأصيل.

توفي الفنان الصغير بعد إقامة المعرض بشهرين.



الفصل الثامن والأربعون

مستر هايد يرتدي الجلباب ويقود التوك توك

«عن العدالة، والشهرة، والجنس»

سافرت في إجازة قصيرة إلى أحد منتجعات سيناء مع بعض الأصدقاء.. كانت هذه المرة الأولى لي التي أرى فيها البحر منذ أن حبس نفسي في الغردقة كي أكتب الكتاب منذ ستة أشهر.

عند وصولي فوجئت بالمجتمع الذي يحيط بي.. كانوا وكأنهم من عالم آخر.. يعيشون في حالة هدوء وسلام Kite Surfing أغبطهم عليها.. يمارسون رياضة الـ واليوغا في الصباح، ويستمتعون بحفلات ساحرة من الشرب والرقص طوال الليل.. الشكوى من عدم وجود ثلج أو نقص الكينوا في السلطة الأورجانية هي أكثر ما يمكن أن يشغل بال المصطافين هنا.. الملابس والنظارات والهواتف المحمولة من أغلى ما يمكن، وبالطبع الإنجليزية هي اللغة الرسمية.

فوجئنا في اليوم الأول بأن إطار السيارة قد فرغ هواؤه فنزلنا إلى سوق البلد؛ كي نذهب إلى ورشة لصلاحها لنتمكّن من العودة إلى القاهرة في اليوم التالي. ما أن دخلنا السوق الذي يبعد بضعة كيلومترات قليلة عن المنتجع الفاره حتى انتقلنا إلى عالم مختلف تماماً.. القدارة تنتشر بالشوارع الغارقة في مياه الصرف الصحي.. الأطفال يركضون عراة ومتتسخين، والورشة الحزينة بها مئات المعدات والعدد المحطمة، والشاب المغطى بالشحم يصرخ في صبيه الذي لم يتجاوز التاسعة طوال الوقت لاعنا إيه بالأب والأم.. رائحة البانجو القوية تهب علينا مختلطة برائحة الفراح من الفرارجي المجاور، وحرارة الجو الخانقة تزداد سطوةً بالذباب اللزج الذي يلتتصق بي في كل لحظة.

أخبرني صديقي قلقاً: «بملابس البحر تلك سيظنينا من فاحشي الثراء.. سيطلب مبلغًا خرافياً نظير لحام العجلة».. أجبته بأننا في الصحراء وندرة الخدمة لابد لها من ثمن، أيًّا كان ما سيطلبه سندفعه كي نعود إلى



القاهرة. وفي قراره نفسي كان شعور الذنب يقتلني مهما كان الذي سيطلبه، هل سيكون أغلى من الساندوتش الذي أكلته لتوه، والذي يفوق ثمن نظيره في القاهرة بثلاثة أضعاف؟

بعد أن أنهى الحرف النشط عمله طلب منا بكل ثقة 20 جنيهاً نظير لحام الكاوتش وتركيبه.

أعتقد أن هذه اللحظة هي التي أعلن فيها الاشتراكي بداخلي عن نفسه بوضوح وبغير رجعة، وأن إيماني بالعدالة الاجتماعية يزداد اليوم تلو الآخر؛ حتى بدأ يستقر كيقين لن يتغير.

كدت أصرخ من البون الواسع بين المكانين رغم مسافتهما الجغرافية الضئيلة.

أرجوك لا تفهمني خطأ.. أنا لا أحكم على أي أحد ولا ألوم أحداً على نمط الحياة الذي يعيشها.. أنا في النهاية ابن للطبقة المتوسطة التي لا تستطيع أن تدعى أنها تعاني من شظف العيش.. وحين تأتيني



الفرصة أصبح دون أن أشعر جزءاً منها. ولكن هل يجب أن نعيش تلك الرفاهية بهذه المغالاة؟ وطوال الوقت؟ نعيشها حتى يصبح إحساسنا بمن هم أقل حظاً معدوماً، ونعمل قدر إمكاننا على بناء فاصل بيننا وبينهم فلا نراهم ولا نسمعهم؟

إلى متى نظل ندور في هذه الدوائر المغلقة؟

منذ أكثر من 15 عاماً، كنت أتمشى مع والدي في أحد المراكز التجارية.. وأثناء وقوفنا أمام محل أحذية كان يبدو أنه قد تم افتتاحه للتو، وجدت ممثلاً كوميدياً شهيراً للغاية جالساً وفي يده زجاجة مياه غازية، يحتسيها في شroud كبير وهو ينظر للأشيء.. كان منظره يقطع القلب، بشroudه وشعره المنكوش وجسده الممتليء.. كان واضحاً أن الزمن قد أساء معاملته، أو أنه قد أساء تقدير سطوة الزمن بشكل ما.

وحين أشرت إلى والدي نحو النجم الكوميدي المحبوب بفرح، أجابني بتلقائية: «أه.. إنه هو، لابد أن

أصحاب المحل قد أتوا به ليحدث بعض الضجة والجلبة في الافتتاح نظير مبلغ من المال، إنهم عادةً ما يفعلون ذلك مع النجوم القدامى».

وأصابني شعور بالحزن الجارف نحوه حين قال أبي هذا.. معقولة يحدث هذا للنجم المحبوب الذي كان يملأ الدنيا ضجيجاً وضحاً وكانت شهرته ملء السمع والأبصار؟ كان ذلك بداية تساؤلي عن مفهوم الشهرة ومعناها.

فوجئت - حينما أجبرني أصدقائي على عمل حساب على إنستجرام - بمن يسمون الـInfluencers، وهو مفهوم بذيء (هكذا أصفه مهما اعترض صديقي العزيز)؛ فوجدت عارضة الأزياء التي تلتقط عشر صور في اليوم وهي نائمة على الشيزلونج قبالة شاطئ ما، أو وهي تحتسي القهوة في الصباح مرتديةً نظاراتها الشمسية الغالية، أو أثناء تلقينها العلاج في أحد مراكز

التجميل الحديثة التي تنهي جميع مشكلاتك بالليزر في ثوان معدودة.

رويداً رويداً نجحت هذه النماذج من اجتذاب الملايين من المتابعين. ولم يكن رأس المال التجاري ليقف ساكناً أمام هذه الظاهرة دون أن يفكر في استغلالها.. وبفضل السيدة الفاضلة كيم كارديشيان سامحها الله، ترسخت الفكرة الجهنمية: لماذا لا تستغل شهرة هؤلاء في الدعاية لمنتجاتنا؟

وفي البداية لم يعلن الأمر على أنه إعلان.. بل كانت الفتاة الحسناء أو الشاب الرياضي الذي يقوم بعمل فيديوهات كوميدية يقوم بالتقاط صورة له وهو يرتدي زي نادٍ رياضي معين.. أو يشرب نوعاً من الزبادي.. أو يأكل في مطعم، أو تضع هي ميك أب معين، ويعتقد المتابعون أن هذا يتم بشكل تلقائي، بنية صافية ومن غير قصد. ولكن بالطبع هذا ليس حقيقياً؛ فالحقيقة أن هذا الشخص يتتقاضى مبلغاً من المال مقابل هذه الصورة، ومقابل أن يذكرها بشكل عابر وكأنها غير مقصودة، فيزيد بذلك من درجة



الإيهام التي تجعل المتلقي - ولو من خلال عقله الباطن - يربط السلعة بنجمة المفضل.. وهذه هي بداية عصر الشهرة من أجل الشهرة دون تحقيق منجز حقيقي.

حين أشاهد الشباب يأتون في الشارع؛ ليلتقطوا صوراً مع أعضاء الفرقة، أستغرب ذلك الهوس بالتصوير مع المشاهير. ولكن الأهم هو ذلك السؤال: هل يأتي تقدير الناس للشخص المشهور تقديرًا لما يقدمه؟ أي تقديرًا لكونه مختلفاً عنهم بميزة تميزه وهي موهبته مثلاً فيما يفعله؟ أم أنه تقدير لفكرة الشهرة في حد ذاتها مجردًا من أي تقدير حقيقي؟.. ليس الكل سواسية، هناك كم من الحب الجارف الذي أراه من الناس للفرقة مثلاً، وهناك آخرون تشعرهم يتصورون بدافع الواجب أو الطفافة لمجرد أن يضعها على صفحته ليقول للناس: «ها أنا أقابل مشهورين وألتقط صوراً معهم لأنني مميز».

استطاعت السوشيال ميديا أن تنقذ الفنانين، خاصةً الموسيقيين، من رعب القرصنة الذي كاد أن يدمر الصناعة بالكامل ولكنها أيضًا فتحت الباب لأي شخص أن يقوم بابتذال نفسه بأي شكل من الأشكال، ومع كل كليك، توضع بعض السترات في حسابه. وتظل العملية تدور، و«الساعة بخمسة جنيهه والحسابات بتحسب» كما يقول عنتر في فيلم «عنتر شايل سيفه»، إلى أن تنتهي الموضة أو يمل المشاهدون منك ويتقلون إلى (النجم) القادم.

تنضم هذه الظواهر إلى غيرها لتعبر عن الحزن الدفين والعبثية المطلقة التي أصبحنا نعيشها اليوم؛ فلم يعد منطقيًا ولا مقبولاً بأي شكل من الأشكال أن نظل نقبل الحياة على هذا الوضع المجنون. هذه الثقافة من السطحية والتسطح التي جعلتنا نصنع من هؤلاء قادةرأي ونتركهم كي يؤثروا على قراراتنا و اختياراتنا في الحياة، هي أكبر دليل على هوسنا بكل ما هو مادي وسطحي ويمثل مهرباً من أزماتنا النفسية والاجتماعية.



وتماماً كعادل إمام في فيلم «عنتر شايل سيفه» الذي اقتبست منه عبارة منذ قليل، والذي كان يمثل المصري الساعي وراء الربح السهل والسريع.. تحولنا نحن أيضاً.. نريد الشهرة السريعة، السهلة، التي تدر علينا أموالاً كثيرة دون أن نبذل أي قدر من المجهود.. أصبحنا نقيس نجاحنا في الحياة بعدد الLikes والشير التي نحصل عليها. وإذا أصبح لرأينا أهمية، وناقشه الناس واعتراضوا عليه، أصبح ذلك سبيلاً أسرع وأفضل.. أصبحت كلمة المحتوى Content هي التي تتحكم في حياتنا دون أن نشعر. الأمر هنا يتخطى مجرد خداع الآخرين وإخفاء حقيقتك، ولكن الأمر بات جزءاً من حياتنا اليومية وطموحنا، ورغبتنا في أن نتخلى عن النموذج القديم الذي كان يقول إننا يجب أن نعمل، من الصباح حتى المساء، طوال أيام الأسبوع، دون راحة أو تقاعس، حتى تصل إلى هدفك.. مجرد فيديو واحد، بأفيفهات جيدة أو نصائح

مبتكرة للموضة.. يكفي لأن تصل إلى ما لم يتحققه غيرك في عشرات الأعوام.

وتماماً كما انتهى الحال بعنتر ممثلاً للأفلام الإباحية في إيطاليا دون أن يدرى.. انتهى بنا الحال إلى أن نصبح عاهرين إلكترونيين دون أن ندرى.

كيف أصبحنا هكذا؟



الفصل التاسع والأربعون

كايروكي إمبابر

الثقب الأسود و 3 أشهر من الموات

ديسمبر 2017 - فبراير 2018

في سبتمبر بدأ الكلام يدور في المكتب عن فكرة تحضير حفل كبير في نهاية العام.

كثيراً ما فكرت الفرقة في أن تقوم بعمل حفل خاص بها على غرار الفرق العالمية.. طوال مسيرتها ترك كايروكي فكرة تنظيم الحفلات لغيرها، كالساقية أو الشركات الراعية والمنظمة للحفلات.

وقد شرحنا قبلًا كيفية قيام هذه الجهات بتنظيم الحفل والجزئية التي تتدخل فيها كايروكي فيما يخص الصوت والإضاءة. تقوم الفكرة هذه المرة على أن كايروكي تريد أن تعلن أنها أصبحت فرقة كبيرة قادرة على تنظيم حفلاتها بالكامل، وبالتالي تستفيد



من العائد بالكامل لحسابها، كما أن هذه الخطوة من شأنها أن تقوم بعمل مختلف يضعها في مقدمة الكيانات الفنية الكبيرة التي تنظم حفلات ضخمة وحدها دون مشاركة المسرح مع فرق أخرى وتسمح لهم بالمخاطرة بحجز مسرح كبير يستوعب معجبيهم بدلاً من الحصار الذي يواجهونه في المسارح الصغيرة التي تستوعب بالكاد ثلاثة آلاف متفرج.

طموح كايروكي إلى عمل حفل ضخم من تنظيمهم كبير جدًا؛ فهم يريدون أن ينظموا حفلاً كبيراً به كثير من الإضاءة والمؤثرات الصوتية، تكون حفلة ممتعة غنية بصريًا مثل الحفلات المبهجة التي تقام في الخارج.

ويشرح لي شريف فكرة الحفل الاستعراضي للفرق بالخارج: يتخطى الأمر في الخارج مجرد مجرد مغنى يخرج إلى المسرح ويغني؛ فالمطلوب هو أن تتمتع الحاضرين بعرض لا ينسى. وتحتاج هذه العروض إلى تكامل كبير في الموسيقي، الإضاءة، الشاشات وعرض الفيديوهات، وغيرها. وأبرز النماذج هي حفلات أو تسمى في هذه



الحالة عروض Show مايكل جاكسون وبريتني سبيرز
وليدي جاجا وبيونسيه وغيرهم.. وهم جميعاً ينتمون
إلى نوع موسيقى

الPop، ويصاحب الفنان راقصون يقدمون عروضاً
استعراضية. «ولكن في الروك هذه الاختيار ليس
متاحاً؛ لأننا خمسة على المسرح، ونوع موسيقاناً ليس
ممكناً فيه هذه العروض الراقصة»، فالحل هنا هو
الإبهار البصري عموماً كما فعلت بينك فلويد في
حفلاتها مثل حفلة The Wall وحفلة Pulse، وهم
أول من فكر في هذا الـConcept وقد أتت الحاجة
إلى ذلك؛ لأنهم لم يكونوا عارفين بكيفية التعامل مع
الجمهور بسبب شخصياتهم الانطوانية وموسيقاهم
الأثيرية، فقرروا أن يصبح الجانب البصري غنياً، ومن
بعدهم أتت الحفلات والفرق وصار ذلك تقليداً بين
فرق الروك، وأبرع من يقوم بذلك اليوم والأقرب
للنموذج الذي تبحث عنه كايروكي هم كولدبلاني.

حضرت عديداً من الاجتماعات الخاصة بهذا الحفل،
وأكتشف مع كل اجتماع كم التفاصيل الضخمة التي



يتطلبها هذا الأمر.. وتم الإعلان عن موعد الحفل بالفعل في ديسمبر. وطوال شهر نوفمبر حتى قبل الحفل بيومين.. لم يكن أحد ينام أو يغادر المكتب، وتشتعل تامر شعلة من النشاط والكهرباء المستمرة، يدير فريق عمل ضخماً بمعاونة أحمد مدحت.. ربما لا يقل قدره عن 50 شخصاً، وهو مجهد يحتاج إلى شركات متخصصة للقيام به، وتم ضخ مبالغ كبيرة للغاية؛ لتأجير الأرض وبناء المسرح والدعائية. وكلما كان آدم يصرخ من المصروفات كان تامر يعقد اتفاقات رعاية جديدة للحفل لسد الفجوة، ودخل الرعاة بكل ثقلهم في أكبر حفل سيتم في تاريخ الفرق المستقلة في مصر، وربما واحدة من أكبر الحفلات على الإطلاق بحضور 20 ألف متفرج.. كان الحفل هو مثار حديث الفنانين المستقلين والفرق وألاف الشباب في مصر كلها، الذين أتوا من كل محافظة ومدينة ليشتروا التذاكر ويحضروا حفل فرقتهم المفضلة.

كان التوتر والحماس والخوف من القادم ضخماً لدرجة لا تصدق.. وكان التساؤل الأهم إن كان سيفي الجمهور



بوعده ويشتري أكثر من 20 ألف تذكرة بالفعل، وهو التحدي الذي ظل المجال كله يجلس متربقاً إياه.. ولكن الكل كان يشعر بسعادة غامرة على هذه الخطوة الهائلة التي اتخذوها نحو المستقبل الذي يطمحون إليه.

نفت تذاكر الحفل في أقل من عشرة أيام.

ولكن في السادس من ديسمبر، وقبل الحفل بيومين، تم تأجيله.

ثم تم تنظيم حفل آخر بعدها بأسبوعين. وتم تأجيله.

ثم بعدها بشهر في الساقية. وتم تأجيله.

وفي أعقاب ما حدث واجهوا قدرًا رهيباً من الضغوط والاتهامات والتنكيل والتجاهل والضغط من الجماهير لفهم أسباب التأجيل. وفي ظل غياب الرد، كان الهجوم يزداد عنقاً اليوم تلو الآخر. وبدأت العثرات المادية تزداد صعوبة سواء بسبب الخسائر التي تكبدوها، أو بسبب تجميد عقود الرعاية والإعلانات. كما ظهرت

الرغبة في استغلال الموقف من عديد من الأطراف، وتصارعت عليهم مختلف المعسكرات يريد كل منها أن يجذبهم ناحيته.. كانوا قد عملوا لشهرين على أغنية فيلم، ولكن الفيلم نزل دونها. توقف كثيرون عن الرد على الهاتف، وازدادت حروب وشتائم السوشيال ميديا خسفة ونذالة.

وسقطوا جمِيعاً، وأنا معهم، في حالة نفسية شديدة السوء.

بات المكتب خاليًا.. وحينما نذهب تسيطر علينا حالة من الصمت والبُؤس.. كانت الشعلة الهائلة من النشاط والتفاؤل وحب الحياة والموسيقى قد انطفأت وحل محلها صمت مطبق وشعور بالضياع وفقدان البوصلة والهوية، والإحساس بالعجز وعدم القدرة على التصرف.. شعروا جمِيعاً بأن كل ما كانوا يؤمنون به ينهار فجأة، وأن النفق المظلم بات أكثر من مجرد ممر تخرج منه إلى ناحية أخرى مضيئة، ولكنه أمسى ثقيلاً أسود يبتلي كل ما يحملون من أحلام عملوا من أجلها سنوات طويلة.. كانت نقاشاتهم في تلك الأيام مريضة،



وعنيفة، تخطت حواجز المقبول في بعض الأحيان.. كان عليهم كفرقة أن يتمتعوا بصلابة تمكّنهم من استيعاب الضربات الواحدة تلو الأخرى دون شكوى أو رد، فصار كل واحد منهم هو كيس الرمل الذي يسد نحوه الآخر لكتمه الغاضبة كما يفعل الملاكم المقهور الذي لا حول له ولا قوة.

باختصار... عاشت الفرقة ثلاثة أشهر من الموات.



الفصل الخمسون

أمواج العودة المتدفقة

فبراير - إبريل 2018

كان واضحًا أن لعب الأغاني غير المصرح بها في الحفلات السابقة لم يكن خطوة حكيمة وأدى إلى كثير من الضرر.. بالطبع كانت الفرقة حسنة النية في رغبتها أن تستجيب لإرادة الجمهور الذي طلب الاستماع لها، ولكنه في الوقت نفسه كان دفعًا للأمور خارج الحدود المقبولة.. كان درسًا قاسيًا ولكنهم استوعبواه جيدًا، وأظهرت الرقابة ليًّا واستعدادًا للنقاش والتفهم. وباتت الأولوية الآن لتوضيح الصورة للجهات كافة، والعودة مرة أخرى لعمل الأغاني والتواصل مع الجمهور ومواصلة النشاط.

وبالفعل في الثاني من فبراير 2018 كانت الفرقة تستعد للعب أولى حفلاتها الكبرى منذ حفلات الساقية الست في أغسطس؛ حيث سيتوجهون للإمارات



لإحياء حفل هناك ضمن فعاليات أحد المهرجانات الموسيقية.. ستة أشهر كاملة مرت دون أن يصدوا إلى مسرح أمام جمهور حقيقي، وكم كان اشتياقهم للعب فقد واصلوا التدريبات على الحفل في حماس شديد، وبدأت المعنويات الحذرة في الارتفاع رويداً.

كنا نجلس قبل موعد الحفل بيومين ويتناقض كل منهم عن موعد سفره.. كانوا سيسافرون على دفعات وفقاً لحجوزات الطيران.. وجدت أمامي التذاكر ونظرت فيها بداعف الفضول، بعد برهة سألت تامر بتلقائية: «هل جهزت حقيبتك؟»؟.

أجابني وهو يشعل سيجارة: «لا.. سأحضرها في الغد.. لا داعي للاستعجال».

«غد إيه يا تامر.. أنت مسافر كمان أربع ساعات!».

كانوا رغم سفرياتهم العديدة لم يحسنوا قراءة التذاكر، وظنوا بسبب تغير التوقيت والتاريخ بعد منتصف



الليل أن تامر سيسافر في الثانية عشرة من منتصف الليل التالي.

أصابه الذعر، أخبرته أن يصعد حالاً ليجهز حقبيته وسآخذه للمطار «وإن شاء الله نلحق».

وتمكنـت ببعض الجنون المطلق أن أصل به قبل موعد رحلته بساعة ونصف.

ليلة الحفل أرسلت لهم رسالة متمنياً لهم التوفيق، ولم أطمئن إلا عندما رأيت صور الحفل قد بدأت تظهر على حسابهم على إنستجرام.

بدأ الأمل يعود.. رويداً رويداً.

بعد عودتهم من دبي.. فاجأني هواري بخبر مبهج.. كنت أحتاج إلى الاستماع إليه بعد هذه الفترة الحزينة.. لقد قرر أن ينزل بألبومه الخاص مع كايروكي.

حكى لي هواري أن قراره جاء بعد مراجعة متأنية لنفسه طوال فترة التوقف.. جعلته الأزمة يدرك أنهم يحتاجون إلى القرب من بعضهم البعض الآن أكثر من أي وقت مضى، وأن رد الفعل التلقائي من كل واحد منهم كان زيادة التمسك بالباقيين وبحلهم المشترك دون تردد.

«وأنا كذلك فكرت بالطريقة نفسها ووجدت أن الأمور قبل التوقف كانت تحتمل بعض الأنانية أو الفردية، ولكن اليوم لم يعد الأمر كذلك.. أدركت أنني لن أكون سعيداً لو نزل الألبوم وعليه اسمي فقط.. أريد أن أشاركه معهم، بالطبع هناك جانب براجماتي في هذه الخطوة، فوجود اسم كايروكي على الألبوم سيضمن له انتشاراً أكبر، ولكن الهدف الحقيقي هو أنني لا أريد أن أغرس بعيداً عن السرب الآن، ليس في هذه الظروف.. مهما كان ما شعرت به طوال الفترة الماضية، فإن أكثر شعور يتملكني الآن هو أننا يجب أن نكون معاً».

في البداية ظنت أن هواري قد منحني دون أن يدرى الإجابة السحرية عن سؤال دائمًا ما كنت أدونه في



دفاترٍ: هل يعود هواري إلى كنف أصدقائه ويغلق دائرة المراارة التي عبر لي عنها طوال الشهور الماضية؟ وهل يكتمل بنیان الفرقة بعمودها الخامس بعد أن يتصالح مع نفسه ومع صراعات الماضي؟

وقد كان.. حتى لو لم ينفذ ذلك على أرض الواقع في الألبوم القادم، إلا أن كثيراً وكثيراً من المكاسب قد تحققت على كل المستويات.. لقد تصالح الجميع من داخلهم مع عديد من الحساسيات التي كانت تؤرقهم الفترة الماضية، وستكون لهواري أدوار عديدة في الشهور القادمة تظهر أنه قد قرر أن يتولى زمام نفسه ويغامر ويتحمل مخاطر المواجهة حتى تتفق رؤيته مع رؤية الآخرين. فعلى مدار الشهور التالية بدأ يظهر في المكتب كل يوم، وبدأ يعمل على كم هائل من الأغاني دون أي حسابات وعمل بسرعة وجدية يحسد عليهما على إنهاء أغاني ألبومه إلى جانب العمل على أغاني جديدة، والمساهمة بصبر واهتمام كبير في الألبوم الجديد، والدخول في نقاشات طويلة مع أمير وشريف حول المفهوم والرؤية للعمل الجديد وكيفية



مشاركته به.. في أول مايو - وخلال أسبوع واحد - سيقول لي كل من أمير وشريف وهواري الجملة نفسها دون اتفاق: إن ما يفعله هواري الآن هو ما كان الكل يتمناه، بأن يفرض وجوده بالإسهام المستمر والجاد والإنتاجية المتدفقة والعمل المستمر بشكل ثابت.. لابد وأنه سينتتج شيئاً في النهاية.

وهو ما بدأت بوادره في التتحقق في إبريل.

حفلات الساقية

الأربعاء 28 فبراير والخميس 1 مارس

يوم أن تم الإعلان عن حفلتي الساقية، اللتين ستقامان في الأربعاء 28 فبراير والخميس الأول من مارس، كادت قلوبنا جمیعاً تتوقف عن الدق.

كانت كوابيس التأجیلات الثلاثة السابقة وأغنية الفیلم التي لم تر النور، والعقود التي تم تجمیدها، والأزمات

المالية العديدة لا تزال تحوم فوق رؤوسنا أينما ذهبنا.

لم نكن نريد أن نصدق أن الأمور ستسير إلى الأفضل.. كما أن الأسئلة البشعة والمريرة حول الثمن الذي سيدفع سواء الآن أو في المستقبل مقابل الاستثمار كانت تطاردهم خاصةً أمير وشريف، وأنا أيضًا.. كانت أزمة أراها تأكلهم من الداخل في كل يوم أكثر من سابقه.

أن تقيم حفلًا وتمتنع عن غناء أغاني معينة أم لا تقيم حفلًا على الإطلاق؟ أن تجلس لكتب البوماً وأنك خائف من أن يتحول الرقيب من موظف حكومي إلى روح ثقيلة تقع بداخلك، أتكتب ساعتها بيد مرتعشة تبحث عن مخرج أم

لا تفعل بالمرة؟ من تصبح أنت أمام نفسك كفنان ومبدع؟ حين تنظر إلى المرأة.. ماذا ترى؟

أهو توازن للاستثمار أم تنازل عن كل ما كنته وعبرت عنه وصدقك فيه الناس؟



توازن أم تنازل؟

ويظل السؤال معلقاً علَّ الزمن يكفل إجابته...

أما الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الشك فهي أن الفرقـة وجمهورها والكاتب الذي قرر أن يحكي حكاية الاثنين كانوا يعيشـون لحظـات سعادـة فوق السـحاب.. يوم أن التـقوا في سـاقـية الصـاوي بعد شـهـور من الغـيـاب.

كانت الزمالك شـبه مـغلـقة بالـكـامل مـنـذ الـواحدـة ظـهـراً.. كان الوصول إلـيـها كـابـوسـا بـكـل المقـايـيس. فـعـدـ الحـاضـرـين كان رـهـيـبا، وـبـيعـت التـذاـكرـ في وقت قـيـاسي لم يتـعدـ الـيـومـيـن.. أربع حـفـلاتـ باـثـنيـ عشرـ ألفـاـ منـ الحـضـورـ (كـالـعـادـةـ تـمـتـ زـيـادـةـ الـحـفـلاتـ بـعـدـ نـفـادـ التـذاـكرـ فيـوقـتـ قـصـيرـ). ظـهـرتـ قـوـاتـ الـحـمـاـيـةـ وـالـأـمـنـ الـمـدـنـيـ تحـيطـ بـالـسـاقـيـةـ منـ كـلـ مـكـانـ.. حينـ وـصـلتـ فيـ الثـالـثـةـ كـنـتـ قدـ أـمـضـيـتـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـةـ وـنـصـ دـاخـلـ الزـمـالـكـ أحـاـولـ الـوصـولـ إـلـىـ السـاقـيـةـ.. أماـ حـفـلـ الـمـسـاءـ فـكـانـ مـكـتـظـاـ عـنـ آـخـرـهـ.. وبـحلـولـ يـوـمـ الـخـمـيـسـ بـاتـ شـكـيـ



قوياً أن الساقية قد باعت تذاكر أكثر من المساحة الموجودة؛ لأن الجمهور كان يحمل تذاكر ولم يستطع الدخول، ومنهم أصدقائي الذين ظلوا يصرخون من الخارج. بينما وقف آخرون يرقصون على كوبري 15 مايو، والكورنيش، وفوق المراكب التي تمر وتوقف على ضفاف المسرح، وفي السيارات والشوارع والجراجات.

كانت مصر وكأنها تحتفل برجوع الفرقة بكل ما مثله هذا من انتصار لكل شيء، ولكل فرد منهم قبل أي شيء.

كان في أجواء الحفل المعتادة نشعر بحماس مرعب، وتوتر مخيف، وغير مصدقين لما يحدث.. كان أمير وهواري قد وضع قائمة أغاني الحفل وقاما بمراجعتها عدة مرات لآخر لحظة.. كان عصام ومايكل وهادي في قمة سعادتهم رغم العمل في ظروف شديدة الصعوبة. ورغم اعتدال الجو يومها إلا أن اكتظاظآلاف الشباب المتحمس في هذه المساحة الضيقة كان يعلى من الرطوبة والساخونة بشكل خانق، حتى أن أفراد الهلال



الأحمر كانوا موجودين أكثر من حفلات أغسطس..
وبالطبع وقعت إغماءات كما المرات الأولى.

حين خرجوا إلى المسرح، وبدأت النوتات الأولى لـ«نقطة بيضا» العالية تخرج من جيتار آدم صار الصراخ هيستيريًّا كما لم أسمعه أبداً من قبل.. كانت موجات من الصراخ تأتي من الخلف إلى الأمام ثم ترتد للخلف مرةً أخرى كأمواج متتالية من بحر هادر.. صراخ عشرات الآلاف من البشر وليس ثلاثة آلاف فقط.

ما أشهده الآن ليس احتفاء جمهور بفرقته، وإنما هو احتفاء كل واحد منهم سلب منه صوته وظن أنه سيكون مخروساً للأبد حتى عاد إليه مرةً أخرى.

لعبوا «نقطة بيضا» العالية، ثم «التليفزيون» التي يسمعها الجمهور لأول مرة منذ سنوات في حفل.



تتصاعد الأبخرة لتشغل ظلالها بالإضاءات الزرقاء والصفراء والبنفسجية التي تنطلق من الكشافات ذات الرؤوس المتحركة التي تدور في كل الاتجاهات، منعكسة على المسرح تارة وعلى الجمهور تارة أخرى.

هناك كثير من المشاعر المختلطة التي تمر، ما بين سعادة مفرطة يشعر بها الجميع سواء الجمهور أو الفرقة إلا أمير.. والذي أشعر تماما بما يشعر به لأننا نتقاسم الحرفة نفسها: ماذا بعد الحفلات؟ حين يجلس إلى مكتبه، ممسكاً بالنوتة والقلم، أو الآيباد ذي القلم كما يحلو له أن يفعل في بعض الأحيان، ماذا سيكتب؟ وكيف؟ هل سيكون صوته هو فقط، صوت الإلهام ذات القوة الخفية التي نستسلم لها جميرا، أم ستكون هناك أصوات أخرى تتنافس عليه؟

بعدها يلعبون «أنا مش منهم».. وبسرعة تدخل وراءها «اثبت مكانك»، ثم «مكملين».. واضح أنهم يدمجون الأغاني وراء بعضها البعض دون فاصل؛ حتى لا يتمنى للجمهور أن يهتف مطالبًا بأغنية أو أخرى.



ثم أتت «هدنة».

هذه أول مرة تعزف «هدنة» أمام الجمهور.. الأغنية تتضاعف شحنتها العاطفية حين يرددتها الجمهور، خصوصاً بعد المقدمة الطويلة نسبياً التي يعزفها شريف على الكيبورد قبل أن يدخل في النغمة الأساسية التي كتبها، يوم أن كان أبوه بين الحياة والموت منذ عدة سنوات.

الحفل الثاني.. الأطقم المعاونة تبذل مجهوداً خرافياً؛ كي لا تخرج عن السيطرة.. عشرات الخناقات والعراكات الجانبية.. الشباب يتدققون من كل الجوانب.. فوق الأسوار المطلة منها على النيل وتلك المطلة على 26 يوليو، وتزداد كثافة الأنفاس والروائح مع مرور كل لحظة.

وصل زاب من الإسكندرية متاخراً بعد بدء الحفل بثلاث أغانيات، حيث كان يصور فيديو كليب لآخر أغانيه منذ الصباح.. يدخل من الباب الخلفي مسرعاً



قبل «أنا مش منهم»، وبعد أقل من ثلاث دقائق يظهر زاب على المسرح.

يقسم لي بعد أن ينهي فقرته أن كل العاملين تعاطفوا وتكلتفوا كي يتمكن من الانتهاء من دوره في التصوير بسرعة، وأن السائق قطع الطريق الصحراوي في ساعة واحدة فقط؛ كي يتمكن من الوصول إلى الحفل: «الكل كان يشعر بأنه من واجبه أن يساعدني على المشاركة في أول حفل لـ«كايروكي» بعد التوقف».

الكل يشعر أنه انتصاره هو.

القلب اشتكتى، كايروكي إمبائر، والألبوم الجديد

بعد عشرة أيام من الحفل اجتمعت الفرقة في الصباح بالحديقة؛ لمناقشة خطة عودة كايروكي إمبائر مرة أخرى.

كان اختبار الساقية قد نجح، وكالعادة كان حماس تامر الذي لا يعرف اليأس هو الدافع للدخول في المغامرة لثالث مرة دون خوف، وتم تحديد موعد 11 مايو 2018 موعداً للحفل.

في 11 مارس صدرت أغنية «القلب اشتكت» التي قاما بعملها لإحدى منتجات الشوكولاتة، وحققت نجاحاً جيداً للغاية واستطاعت أن تطمئن الجمهور أن الفرقة لا تزال متواجدة وتنتج.

في 18 مارس سافرت الفرقة لإحياء حفلات في كندا (وضعت راندا زوجة آدم مولودهما «أمير» ليلاً الحفل، مسببةً ارتباكاً كبيراً، ولكنه بالطبع أضفى بهجة وسعادة عليهم وهم يلعبون في جو كندا شديد البرودة).

بعد عودتهم تم تحديد شهر سبتمبر كموعد مبدئي لنزول ألبوم هواري مع الفرقة، وهو ما يعني أنهم يجب أن يعملا عليه جميعاً بسرعة بعد إمبائر ليساعدوا هواري على إنهائه والنزول في الوقت المحدد.



كان الحماس قد بدأ يعود.. ورويداً رويداً بدأت السحابة الثقيلة تنقشع، وصار في إمكاننا التنفس بقليل من الارتياح.

ما عاد صغيراً

15 إبريل 2018

صدم الشباب المصري بوفاة الدكتور أحمد خالد توفيق المفاجئة في مساء الثاني من إبريل.. لقد أثار مותו موجة عارمة من المشاعر بانت آثارها على السوشيال ميديا، وارتباك الإعلام في تعامله مع الموقف، محاولاً في البداية التقليل من شأن الرجل وتأثيره على الشباب، وكانت محاولة يائسة ومبتدلة أظهرت جهلاً فادحاً.. وما هي إلا أيام حتى اعترف مكرهاً بحجم إسهام الكاتب الكبير في تربية أجيال لم تكن لتقرأ لولاه.

في اليوم التالي لوفاته أرسلت لي زوجة هواري رسالة على الهاتف: نريد أن نقوم بمراجعة وتصحيح تشكيل كلمات أغنية (أمي) التي كتبها الأديب الراحل.. وتذكرت من فوري أنه كان قد أسمعني إياها في حفل الإسكندرية في إبريل الماضي؛ أي منذ عام بالضبط.. يريد هواري أن ينزلها فوراً تحيّةً للدكتور خالد في أسرع وقت.

أخبرتها أن ترسلها لي وسأقوم بتصحيحها بنفسي.. فعلت ذلك وقمت بتشكيلها بدقة.. بعدها عرفت أنه سيسجلها في فجر اليوم نفسه مع ساري هاني في المهندسين، ولم أتمكن من حضور التسجيل فسجلت القراءة المشكلة بصوتي مرتين وأرسلتها له ولأمير.

في اليوم التالي أتى هواري وأسمعني إياها، وأخبرته ما أن سمعتها: هناك كوارث في التشكيل.. لماذا لم تلتزم بما أرسلته لك؟ فأخبرني أنه يعرف ذلك ولكنه تصرف بحرية تناسب الموسيقى، أما أمير فأخبرني أنه قد التزم بما أرسلت في ال Chorus الذي كان يغنيه،



وحاول أن يقنع هواري بالشيء نفسه ولكنه لم يستمع.

كنت قلقاً جدًا، وقلت له إن الأمر لن يمر بسهولة؛ لأن من سيستمع للأغنية هم جمهور الكاتب وهم من القراء الذين يتذوقون اللغة العربية جيداً وسيتضايقون منها.. وللأمانة.. كنت قد أخطأت في تشكيل كلمة أو اثنتين، ولكنني فعلت ذلك عن عمد أيضاً لأنها كانت تبدو ملائمة أكثر للواقع الموسيقي.. أما هواري فقد بالغ في تجاهل تصحيحاتي.

بعد أيام تم تصوير الأغنية في استوديو ساري، وأخرج هواري التصوير كاملاً من زوايا وأفكار حتى الملابس، وكانت الفرقة تفعل كل ما يطلبه منها دون نقاش.. كانت سارة معه في كل خطوة، وكان يبدى هدوئاً ورزانة في التعامل مع الأمر كله، وكأنه ينتظر هذه اللحظة منذ زمن ولم يكن ليضيعها.

وفي منتصف التصوير طلب منا أن نقترح عنواناً للأغنية.. اقترح الجميع عناوين عديدة، بينما فتحتها



على هاتفي وقرأتها عدة مرات قبل أن أخبرهم: ما رأيكم في «ما عاد صغيراً»؟ كنت أشعر أن هذه الجملة لها وقع موسيقي جيد وتلخص معناها كما أنها الأكثر تكراراً بها وتحمل تلك المسحة من الكآبة التي حملتها كلمات القصيدة.

وعلى الفور.. وافق الجميع.

وفي الثامنة والنصف من مساء الخامس عشر من إبريل نزلت الأغنية.. استمعت إليها في سيارتي وأنا في الطريق للاستوديو وكنت سعيداً بها للغاية، مع تحفظي على التشكيل بالطبع، ولكنها كانت بالنسبة لي ذات دلالات عديدة.. كنت سعيداً جداً برأوية هواري يغني ويحتل المقدمة، ووجهه وصوته أمام الملايين الآن.

وبهذا، أعتقد أن هواري قد أغلق دائرة الشك للأبد بظهوره في القيديو في المقدمة، ومع ردود الفعل الرائعة استطاع بذكائه وصبره أن يفرض نفسه ويحقق



ما كان يريد من البداية؛ لتصبح مقدمة تهيئة للناس الاستماع له في الألبوم القادم وتقديمه إليهم مطرباً.

وأدت ردود الأفعال ممتازة على الموسيقى والتوزيع والصوت الجديد الذي لم يتعوده الجمهور من كايروكي.. ربما كانت التجربة السابقة في أغنية «قبل الوصول» شاهداً على هذا الصوت، ولكنه كان أكثر وضوحاً ونضجاً هنا.. كان هواري في كل تفصيلة في الأغنية: التوزيع، اللحن، التصوير، الأداء.. كان هو ببرته الحزينة وكآبته وصوته العميق المتأمل.

إلا أن هواري أصيب باكتئاب شديد بسبب التعليقات على اللغة وظل لأيام لا يريد أن يحتفل بالإنجاز وهو يتبع التعليقات على السوشIAL ميديا، حتى أتى بعد نزول الأغنية بيومين وسألني أنه يفكر في أن يعيد تسجيل الأغنية مرةً أخرى وأن يضعها على الفيديو دون أي إشارة إلى أنها قد تغيرت، أو أن يرفعها من على يوتيوب رغم عدد المشاهدات الضخم الذي حققه واقترب من الربع مليون مشاهدة، وإنزال واحدة جديدة مع الاعتذار للجماهير.. وكنت مع الرأي



الثاني بالطبع: «ويجب أن تقول في هذه الكلمة أنكم تقدرون ما قاله الجمهور وتعليقاتهم وأنكم تستمعون إليهم وتريدون تقديم الأفضل؛ تقديرًا لهم وللكاتب الراحل.. سوف يزيد احترامهم لكم بشكل لن تخيله». وقد كان.

وهذه المرة أصررت على أن يأتي هواري بمصحح لغوي محترف؛ حتى لا يكون هناك مجال للخطأ ولو واحد في المائة.. نزلت الأغنية في التاسع عشر من مارس؛ لتحقق الصدى الذي توقعناه.

الفصل الحادي والخمسون

رحلة مفاجئة بالسيارة

قبل كل الأحداث العاصفة التي حدثت في أواخر 2017، اشتري أمير سيارة جديدة في سبتمبر.. كان قد يأس من أن يجد شقة ليشتريها فقرر أن يسعد نفسه بشراء سيارة كان يحلم بها، كما أن الشقة التي ولد وتربى بها لا تزال موجودة ويمكّنه العودة إليها في أي وقت.

لم أكن قد زرت ميدان الاتحاد حتى الآن.. كان دائئًا مشوارًا مؤجلًا، وكنت عازمًا على أن أذهب إلى هناك وحدي يومًا ما بالنهر وأتجول في الشوارع وأراقبها بهدوء لأدون ملاحظاتي وأربط ما أراه بما كان يحكى لي طوال الوقت، ولكنني لسبب ما لم أكن قد قمت بهذه الزيارة بعد.

في إحدى الأمسيات تأخرنا في المكتب، وحين كنت أستعد للذهاب.. أخبرني أمير أنه قرر أن يقل شريف



إلى منزله بمصر الجديدة وسألني إن كنت أريد أن أنضم.. كان سعيداً بالسيارة الجديدة ويريد أن يجربها في الشوارع الخالية.

عدنا إلى المعادي بعد أن أوصلنا شريف.. أخذنا أنا وهو نتحدث مطولاً عن عديد من الأشياء، وأهمها الأسئلة التي كانت تلح علىي حول اختيارهم لعمل أغاني شعبية.

يجيبني أمير وهو ينظر أمامه بينما يقود بنا سيارته في الشوارع الخالية: «لأن الأغاني الشعبية في دمي. ولأنني أحب عنصر المفاجأة».

إن أحد عناصر النجاح بالنسبة له هي عدم توقع ما هو قادم. والجمهور كلما تفاجأ، كان في هذا عنصر من الإثارة يجدد من دماء الفريق.. كان سبب سؤالي المتكرر أسئلة أصدقائي الذين يستغربون هذا الأمان، كما أني قد قرأت مقالاً فور صدور «نقطة بيضا» يتساءل فيه الكاتب إن كان الهدف من الأغاني الشعبية هو ادعاء التواصل مع التراث، وأن تكسب كايروكي فئة جديدة من الجمهور، في المناطق الشعبية



والطبقات الأقل دخلاً، أم أنه توجه فني أصيل و حقيقي.

في السيارة أخبرني أمير - بكل سعادة - أن أغنية «الكيف» قد حفقت حتى الآن 9 ملايين مشاهدة على يوتيوب؛ قال بفخر شديد: «لقد سيطرنا». كان الذي ذكرنا بالأغنية هو تلقي أمير لرسالة صوتية من أحد أصدقائه يخبره فيها، وصوت أغنية «السكة شمال في شمال» في الخلفية، أن أغاني الألبوم تطارده في كل مكان.

قادنا الحوار إلى أحمد عدوية.. قام أمير بتشغيل قائمة طويلة جدًا من أغاني عدوية من على هاتفه المحمول، وأوصلها إلى سماعات السيارة وهو يتكلم:

«إن عقريبة عدوية كانت في أنه أول من قدم تحليلًا مجتمعيًا في أغانيه مستخدماً لغة الشارع البسيطة، كانت مصر حتى ذلك الوقت قد أمضت سنوات طويلة محصورة في أغاني الحب والأغاني الوطنية التي يغنيها عبد الحليم وأم كلثوم وغيرهما.. ربما لم يكن



لدينا تراث من النقد المجتمعي في الأغاني، أي أغانٍ تناقش مختلف جوانب الحياة من النواحية الاجتماعية والإنسانية، إلا أغاني سيد درويش ومونولوجات إسماعيل يس وهي الطريقة نفسها التي أتبعها في كتابة الكلمات.. الرئيس بيرة الذي كان يكتب كلمات عدوية عقري بالنسبة لي».

يقوم أمير بتشغيل أغنية «بنج بنج».

«استمع إلى الكلمات.. إنها تتحدث عن الشاب المرفه الذي لا يعمل ويعيش على ممتلكات أهله، هذا موضوع نادر جدًا أن يفكر أحد فيه في ذلك الوقت.. حين أتينا كان هدفنا أن نقدم شيئاً مختلفاً؛ لذلك فحين نتكلّم عن الكلمات والموضوعات تكون الأغاني الشعبية وأغاني الراب من أهم العوامل المؤثرة علينا، وكلاهما نابعان من ثقافة الشارع التي أؤمن بها للغاية.. أما من ناحية الموسيقى فبالطبع، تأثرنا بالروك واضح، ولكن شيئاً فشيئاً عادت جذوري الشعبية لتطغى على تفكيري.. لا أتمنى أن تكون كايروكي فرقة انتقائية



تسمعها مجموعة أو فئة من الناس بأي شكل من الأشكال، الفن للجميع، ورغم أننا نجحنا في التواصل مع الشباب صغير السن سواء من جيلنا أو الأجيال التي تلتنا.. إلا أنني أفكر دائمًا في الشاب الذي يقود التوك توك، والرجل العجوز، والسيدة المسنة.. كل هؤلاء لابد أن نغني لهم».

وأسأله مرةً أخرى: هل تقدمون الأغاني الشعبية؛ كي تكسبوا أرضًا جديدة وجمهورًا جديداً؟ ألا يأتي ذلك على حساب هويتكم الموسيقية وشكلكم المعروف؟ هل هو تخلٌ عن الجمهور الذي سمعكم من البداية في شكل معين؟

«إن هذا نوع من الجمود، ليس عيباً أن نريد أن نحقق التواصل مع مختلف الفئات.. طالما أننا نفعل ذلك بأصالة ودون ادعاء، وبالحافظ على هويتنا؛ فهو يتمنى لن تختلف.. نحن حين قدمنا موسيقى شعبية قدمناها بالكلمات الجادة والنقدة نفسها، التي تعودها جمهورنا؛ فنحن الخمسة لازال كما نحن.. لم «نبع» أنفسنا لنكتب جمهورًا أكثر.. لم نتخل عن شخصياتنا، ولكننا



تخلينا عن شكل موسيقي واحد، وهو ما بدأناه من ألبوم «ناس وناس»، وربما قبلها حين جربنا الأغنية الشعبية في حفلة ساوندكلاش منذ عدة سنوات.. التجريب هو أساس الاستمرارية، في يوم من الأيام.. قد نقدم ألبوماً كاملاً ليست فيه أغنية شعبية واحدة، لا نخاف من التجريب أبداً، واليوم انتهت أسطورة الشكل الموسيقي الواحد الذي يلتزم به فنان طوال حياته، وأصبح التجريب والتطور والتغيير والحرية الفنية هم سادة الموقف.. وقد تحدثنا من قبل عن ميتاليكا وأنت أخبرتني عن رفضك لجمود فرقة مثل سلاير مثلاً واحترامك لتجارب ميتاليكا المتغيرة، هل هذا يعني أن كل ألبوم لا يحمل سماتهم نفسها كفرقة؟ وأن ليست لديهم شخصية أو أنهم باعوا أنفسهم كي يظهروا على الراديو؟».

هناك بعض المعجبين hardcore fans الذين يرون ذلك.

«هذه آراء تحتمل الصواب والخطأ، وفي النهاية الفنان هو من يقيم تجربته ويقرر ماذا يريد أن يقدم.. أسوأ



شيء في الكون هو أن تلعب على المضمون أو أن تصبح عبداً لما يريده منك الجمهور.. أن تكرر الشيء الناجح لأن هذا ما يتوقعونه منك، أو أن تظل تقوم بالشيء نفسه كل مرة؛ لأنك تخاف التجربة.. الفشل وارد في أي مرحلة.. فقط من لديه الشجاعة أن يفشل هو من ينجح».

أكملنا الاستماع إلى أغاني عدوية وظل أمير حريضاً للغاية أن يسمعني تسجيلات نادرة لحفلاته في الولايات المتحدة.. كل بضع ثوانٍ يوقف التشغيل ويعلق على عربة أو موال أو غلطة عازف من العازفين.. كان يتحدث بانبهار شديد.

بعد قليل، أتى ذكر ميدان الاتحاد، وأخبرته بأني كلما نويت الذهاب إليه طرأ أمر ما أَخْرَنِي.. قرر أن يأخذني إلى هناك في جولة خاصة.. نظرت في الساعة، كانت الثانية بعد منتصف الليل.

تعجبت من جرأته في أن ندخل مكان كهذا في ذلك الوقت المتأخر وبسيارة فارهة كتلك، ولكنه طمأنني:



«أنا مسيطر هناك، والناس يحبونني حبًا جمًّا كما كانوا يحبون أبي وأمي للغاية.. ولا يمكن أن نتعرض لسوء أبدًا».

عبرنا كوبري المعادى بعد أن تركنا خلفنا ميدان النهضة، ودخلنا إلى اليمين الحاد بعد الكوبرى إلى أحد الشوارع، سرنا في الشارع.. شرح لي أننا الآن تركنا المعادى الجديدة الراقية ودخلنا إلى المعادى القديمة الأكثر شعبية، كنت أراقب الشوارع بتركيز فلا أجد شيئاً شعبياً من وجهة نظري؛ فالميادين كما هي واسعة ونظيفة وبها الكثير من الخضار والتنسيق.. بالطبع يبدو على العماير أنها أقل جمالاً وترتيباً من تلك الموجودة في دجلة، ولكنها لا تزال بعيدة عن الشعبية.

أخبرني أمير أن أنتظر وسأشهد بنفسي حالاً.. مشى بالسيارة بهدوء، وانعطفنا يميناً لندخل أحد الشوارع المتفرعة من الميدان.

فجأة، وعبر بضع مترات لا تتعدي العشرين أو الثلاثين، انتقلنا إلى عالم آخر.. صار الشارع ضيقاً لا يتسع سوى سيارة واحدة وقدر يسير من المسافة على الجانبين.. نظرت إلى العمائر فوجدت بها بنايات طويلة، ربما من عشرة أدوار أو أكثر، ملتصقة كلها بعضها البعض دون مسافات كأنها بلوك واحد، تقشر طلاوها منذ زمن.. أشار أمير إلى ثالث أو رابع عمارة عن اليمين، وأخبرني أن هذه هي عمارته، وأشار إلى البنية المقابلة لها وأخبرني أنها تلك التي سكن بها تامر.. كلما سرنا في الشارع أكثر كانت تصل إلى أنفي رائحة كتلك التي كنت أشمها في بيوت جدودي في الظاهر وشبرا..

الرائحة المميزة نفسها للأماكن المصرية الأصيلة.. هذا النوع من الشعبية الذي يختلف بعض الشيء عن تلك الشعبية الموجودة بمصر القديمة حيث الحسين وخان الخليلي والمعز، ولكنها أيضاً مميزة، بتلك العلامات الأولى للعشوائيّة التي ستنتشر بعد ذلك في العشوائيات التي ضربت مصر بدءاً من السبعينيات.



فجأة قرر أمير أن ينبعطف يساراً في زقاق، مجرد فراغ ضئيل جداً بين عماراتين.. حاولت أن أحذره أن السيارة مستحيل تمر بها ولكنه تمكّن من أن يفعل ذلك.. نسير الآن في ممر شديد الضيق، ويحكى لي بينما نتحرك ببطء كيف أن هذا الزقاق هو الذي شهد أجمل سنين عمره.. سنوات الطفولة والشباب كلها.. هنا كان يلعب الكرة، ويتعارك مع الأطفال.. وهنا ولدت صداقته بتامر وعماشة

وعبد الله وهيتم وغيرهم.. أشار إلى بقايا ضئيلة من تلك التي لا تراها سوى في هذه المناطق، بها ثلاثة بسيطة وبنش خشبي يفصلها عن المارة.. هنا جلسوا وشربوا آلاف الزجاجات من المياه الغازية وأكلوا الكاراتيه بعد لعب الكرة وقت العصر حتى المساء.. وحين كبروا بعض الشيء كانت أول سيجارة، وكانت جلسات السمر التي ستتحول بعد ذلك إلى وقوفات أمام الكشك بالساعات حتى مطلع الفجر.

خرجنا من الزقاق الضيق إلى شارع آخر، موازٍ لشارعهم، وكان هذا هو شارع الترعة، الذي ورد ذكره



كثيراً على لسان أمير.. هناك فخر ما لا أفهمه يذكر به أمير هذه الأحياء.

في شارع الترعة، أشار أمير إلى عربة كبده، وسألني إن كنت أريد أن آكل.. ملأتني الفكرة بالرعب، فاعتذررت بخجل، فهم أمير وضحك.. حكى لي عن الوحشية التي كانت تسيطر على الشارع في بعض الأحيان، وعن جرائم قتل وثأر بشعة جرت بين الصعايدة الذين يسكنون المنطقة، وحكى لي بالتفصيل عن جثة سيدة وابنها الشاب راهما بأم عينيه، بعد أن سمع جلبة يوماً ما ونزل من منزله، وكان ذلك مؤخراً في الفترة التي جلس فيها مع والدته ليرعاها.

حكى لي عن معارك العصابات بين عصابته هو وتمار وعصابة السوق القديم، والرغبة في فرض السيطرة، و«التعليم» على شخص أو مجموعة.. بعدها، أشار أمير إلى محل لأجهزة المحمول، وأخبرني أنه كان نادي فيديو قديماً ومركزاً لتوزيع المخدرات والأفلام الإباحية في المنطقة كلها.. أخبرني أيضاً أنه منذ عامين مر على المحل ليسلم على بعض أبناء الحي



الذين يتجمعون بداخله، فوجدهم كما هم.. المخدرات دمرت حياتهم وأنهم لم يتحركوا في الحياة خطوة واحدة منذ.. أن رآهم آخر مرة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.. كانوا وكأنهم سقطوا على هامش الحياة والزمن.. تجمدوا عند مرحلة معينة ولم يبق منهم سوى حطام بشر.. خرج يومها من المحل وركب سيارته متوجهًا إلى استوديو في المهندسين؛ حيث كان هناك موعد ينتظره، وطوال الطريق وهو في السيارة ظلت جملة تتردد في رأسه المرة تلو الأخرى: «يخرج بيتك يا كيف ويخرج بيتك معرفتك».

انتهت جولتنا وسرنا في هدوء الليل عائدين إلى منزل أمير - كنت قد شكوت إليه أني أكاد أموت من الجوع.. فاقتصرح أن نعود إلى منزله - فليلى مسافرة إلى نويبع وهو جالس وحده بأي حال - ونأكل ما سنجده في الثلاجة.. عبرنا الكوبري وتركنا المعادي القديمة في ظهرنا.. وقفنا في إشارة وحدنا ننتظرك أن تتغير.

ووسط هدوء الظلام وصمت الليل المتأخر، حدث أمر غريب.

فجأة تحول أمير بالكامل.. وكأنه قد قرر أن يتخلى فجأة عن غموضه وشخصيته القيادية القوية وصورة القسوة والحكمة التي يحاول أن يحافظ عليها طوال الوقت ويفتح بقلبه كما لم يفعل من قبل.. استمرت هذه اللحظة السحرية من الثانية والنصف حتى السابعة صباحاً.

حکى لي عن ألمه تجاه فقدانه لأبيه وشعوره بالرفض منه، وبالعجز عن مساعدة أمه وشعورها بالألم.. حکى لي عن ارتدائه اللون الأسود طوال الوقت إحساساً منه بالخجل من وزنه.. وحکى لي عن فقدانه التام لثقته بنفسه، ومحاولته دائمًا التعويض عن ذلك بالزعامة ورعاية من حوله وافتعمال المعارك أو محاولة رد الكرامة طوال الوقت.. حکى لي عن تركه لنفسه للشارع؛ كي يصبح قاسياً لأنه قرر أن يكون قاسياً كما

تركه أبوه وكما قسا عليه.. حكى لي عن كرهه للمدرسة؛ لأن مدرسيه كانوا يتهمونه بالفشل والغباء، وهي كلمة كانت تؤلمه كثيراً.. لقد كان الكل يتنبأ له بالفشل وأنه سيتنهى به الحال إلى المخدرات والضياع.

وصلنا إلى البيت وأعددنا عشاءً خفيقاً، ولا يزال أمير يواصل حديثه المحموم دون أن أقاطعه...

أخبرني لأول مرة بنمط الحياة الذي عاشه أبوه بعد أن تركهم، وكيف أن هذا النمط هو ما جعله يكره الشراب والعلاقات مع النساء ولا يقربهما أبداً طوال حياته.. أخبرني لأول مرة أيضاً أن أباه عاد للإقامة مع أمه مرة أخرى في أواخر حياته، وكيف أن أباه كان يدرك أنه سيموت قبل وفاته، وترك حقيبة سمسونايت بجانب سريره بها جميع أرقام حساباته في البنوك وعقود ملكية الشقق ومفاتيح وغيرها؛ كي يسهل عليه وعلى أخيه ترتيب الأمور بعد موته رغم أنه لم يكن مريضاً بأي شيء.. حكى لي عن ندمه من أنه لم يرد على أبيه حين اتصل به عدة مرات قبل موته.. كان في دبي،

وكان أبوه يتصل به عشرات المرات ولكنه لم يرد لأنّه يعلم عادة أبيه في الاتصال المتواصل حتى يرد عليه.. كان قد تكرر هذا الأمر من قبل كثيراً دون وجود أي حادث طارئ يستدعي ذلك.. حين عاد إلى مصر اكتشف أن أباه لم يتصل به ليومين متتاليين، اتصل بالباب الذي كسر باب الشقة ليجد أباه متوفياً منذ بعض الوقت.. لم يغادره الندم من وقتها.

حكى لي عن معركته مع وزنه التي خاضها طوال عمره.. وكانت سبباً في تدميره نفسياً في كثير من الأحيان.. حكى لي عن السر الذي طالما أصابنا جميعاً بالجنون منذ أن عرفته، لماذا لا يستطيع أن يأكل؟ ولماذا يفقد وزنه بهذا الشكل المخيف؟ أخبرني أن هذا ليس بسبب الجراحة فقط، ولكن لأنّه هو نفسه أصبح يكره الأكل، كلما رأه تذكر هذه الأيام السوداء التي كره فيها نفسه وكل من حوله، فكان يأكل بجنون طوال الوقت.. وعلى مدار الساعة فيزداد بدانة ويكره نفسه وشكله أكثر وأكثر.

حكى لي كيف أنه عاد إلى هذه العادة السيئة حين مات أبوه ومرضت أمه، وكأنه كان يخفي جروح الماضي وراء النجاح والرضا بما حققه ووصل إليه.. كان يظن أنه قد تصالح مع كل ما حدث له في حياته حين نجح.. ولكن أباه مات ومرضت أمه مرضًا جعلها شبحًا جسديًّا وجودًا فيزيائيًّا ولكن دون روح، فعاد الجرح لينفتح مرةً أخرى.. وصار يشعر بالحزن والفقدان والتوهان مرةً أخرى، والغضب مرةً أخرى، وأخرج كل هذا في الأكل بجنون.

كان يريد أن يؤذي نفسه قدر الإمكان؛ فال الألم هو الشيء الوحيد المسيطر على حياته.. قرر إجراء الجراحة مرةً أخرى رغم فشل الأولى، وقيل له إنها قد تفشل أيضًا بنسبة كبيرة، بل وإنه قد يموت، ولكنه أصر على أن يقوم بها مهما كان الثمن. وخرج منها وبدأت رحلة فقدان الوزن.. كان المفترض أن يخسر عشرين كيلوجرامًا؛ ليصبح على ما يرام، ولكنه خسر 45 كيلو جرامًا.

كرر عدة مرات جملة كرهه للطعام.. أصبح مرتبطاً لديه بكل شيء كان يحزنه ويؤلمه في حياته وصار لا يطيقه، ولا يطيق رائحته، ويريد أن يتقياً كلما رأى طعاماً أمامه.. كانت هناك درجة رهيبة من الألم أراها تطوف بالغرفة وهو يتكلم بنبرته الهدئة الثابتة وعينيه الخاليتين من التعبير.. فكرت أن الألم لابد وأنه يزداد أضعافاً وهو يشاهد التعليقات الحقيرة على السوشيال ميديا، التي تقول بأنه يتعاطي المخدرات وأنها هي السبب في فقدانه الوزن.

حکی لي وأخبرني أنه يريد للناس أن تعرف كل هذا؛ لأنه متأكد من أن كثيرين يمررون بما مر به هو الآخر.. أخبرني كم مرة يشعر أنه قريب من الموت.. وأخبرني أيضاً كيف أن لليلى دوراً كبيراً جدًا في رعايتها له وإبقاءه على قيد الحياة..

حکی أمير كثيراً وكثيراً، ولم أسجل كلمة واحدة مما قال.



نزلت من عنده عكس رغبته القوية في أن أبيت معه.. تركته وهو يصلي الفجر ونزلت إلى الشارع أسير على قدمي إلى الاستديو.. أشاهد أولى علامات الصباح وحركة الناس في شوارع متوجهين إلى أعمالهم.. المحلات تفتح وحراس العمارات يرشون المياه ويغسلون السيارات.. بينما أخذت أفكر في كم الألم الرهيب الذي سمعته لتوي.

الفصل الثاني والخمسون

تاريخ موجز لعالم يشهد نهايته

في ظهيرة ذلك اليوم من عام 2003 حين اجتمع الشباب واقتراح عليهم أمير أن يقوموا بتشكيل فرقة موسيقية.. كان العالم يشهد تغيرات لن يعود بعدها أبداً كما كان.

كان الإنترنـت، قبلها ببضـعة أعـوام، قد دخلـ الـبيـوت المـصـرـية.

أصبح الإنترنـت هو ذلك الانفجار الرهيب الذي سيـغـير مـفـهـومـنـا عنـ العـالـم.. وكـنـا نـحـن ذـلـكـ الجـيلـ الذـي اختـارـهـ الـقـدـرـ كـيـ يـصـبـحـ هوـ جـسـرـ الوـصـلـ بـيـنـ جـيلـيـنـ: أـهـالـيـناـ الـذـيـنـ لـنـ يـتـعـلـمـواـ هـذـهـ التـكـنـوـلـوـجـياـ إـلاـ فـيـ أـضـيقـ الـحدودـ، وـالـجـيلـ الذـيـ سـيـأـتـيـ بـعـدـنـاـ وـيـولـدـ وـهـذـهـ التـكـنـوـلـوـجـياـ جـزـءـ مـنـ حـيـاتـهـ.. أـمـاـ نـحـنـ فـسـيـكـتـبـ لـنـاـ أـنـ نـكـونـ الجـيلـ الأـخـيرـ الذـيـ نـشـأـ وـنـضـجـ فـيـ عـالـمـ دـوـنـ هـوـاـتـفـ مـحـمـوـلـةـ أـوـ إـنـترـنـتـ.

أتى الإنترنٌت وأصبح كل شيء واضحاً.. مباحاً.. لم نعد نبحث لشهور عن الفيلم الـUncut لنرى لقطة عابرة.. لم نعد ننتظر نزول الألبوم في المحلات بعد نزوله بالخارج بشهور.. ولم يعد «الفشر» ممكناً في اختلاق قصص النجوم والممثلين؛ فكل شيء يمكن التوثق منه.

بدأنا نتواصل مع ناس من مختلف بقاع الأرض على الـQIC أو الـMSN Messenger.. عرفنا الأفلام الإباحية والأخبار المغلوطة.. وبدأت التيارات الدينية عملها بشدة في استخدام الإنترنٌت للدعوة.. فكنا نقوم بعمل Forward لإيميلات بها أدعية وتهديدات بأن تفتقر لو لم تفعل. وطبعاً كان الترغيب موجوداً فستسمع خبراً مفرحاً إن فعلت.

بعدها سيقوم الفيسبوك والواتساب بهذه المهمة، وتتفرغ الإيميلات عندنا كبقية العالم للعمل.. وسنتعلم كيف نحقق انتصارات صغيرة بالالتفاف حول شركات المحمول ونرسل رسائل نصية مجانية عبر أحد الواقع لنوفر عدة جنيهات ثمن الرسالة.. وبعد أن



دخل ال DSL أصبحت الحياة ألطاف بكثير فسرعة ال 256 كيلوبايت طلقة مقارنةً بسرعة ال Dial-Up.

وسرعان ما ظهر التورنت وقبلها كان نابستر هو إله التنزيل في الكوكب.. وانفتحنا أكثر وأكثر.. وظلت الموسيقى والأفلام تتدفق. ونحن نتلقي.. ونلتقي.. ونفتح أكثر فأكثر. وتزداد أعيننا جحوظاً ونظراتنا ذهولاً من هذا الكوكب الشاسع الذي يمر أمامنا وينزل في أحضانا بسرعة تفوق استيعابنا وأصبح الانفجار المعلوماتي ينفجر في وجوهنا كل يوم وكل لحظة.

وبدأت مصر - على الأخص - تلاحظ أشياء غريبة تحدث في بيوتها: بدأ المراهقون يغلقون غرفهم على أنفسهم بالساعات.. صار التحدث مع شخص في الجهة الأخرى من العالم أقرب وألطاف من هؤلاء الجالسين أمام التلفاز في الصالة.. اقتحمت هذه الثورة (أول مرة نسمع فيها كلمة ثورة كانت مصحوبة بكلمة الاتصالات والتكنولوجيا) حياتنا في أكثر سوء حرج: المراهقة.

وبما أننا في هذا السن نرفض أشكال الرقابة والتحكم كافة، ونشعر أننا قد بلغنا وأصبح لنا تفكيرنا ومنطقنا في الحياة.. كنا نسعى إلى كسر القيود التي يريدون منا أن نحملها معنا من مرحلة الطفولة وبات المجتمع المصري يتعرف لأول مرة إلى مفاهيم جديدة كالاغتراب والعزلة وفقدان التواصل والدفع.. كان الغرب كنهر متدفق يصب من شلال غزير ونحن كوب صغير لا يستطيع أن يستوعب كل ما يقدمه. وظهرت آثار التعليم السيئ والتربية المنغلقة والسلبية والظروف الضاغطة؛ ففقدنا قدرتنا على التمييز بين ما يجب أن نتبناه من أفكار وما لا نفعل.

وصار كل ما هو غربي جديداً وجيداً ورأينا، ويضاعك بسرعة في مصاف المتقدم والطليعي والسابق لزملائك.. كان ذلك في كل شيء: الملابس، الإلحاد والإيمان، الحرية الجنسية والحرية الفردية والأئمانية، التطلعات المادية وتحقيق الحلم الأمريكي / الغربي بالمنزل الفخم والسيارة الفارهة والزوجة الجميلة / الزوج الرياضي الرومانسي.



باتت الفتيات تبحث بهيستيريا عن الأمان بكل صوره وبات الذكور يبحثون بهيستيريا عن الصور العارية والجنس المجاني.. وآتت الهواتف المحمولة والفيسبوك؛ لتنقلنا نقلة أكثر عمقاً نحوه، فأصبحنا نتعرف إلى مفاهيم المكالمات الجنسية والخيانات الزوجية وانفجرت الرغبة الكامنة بأجسادنا المحرومة وعقولنا التائهة فخرجنا إلى الشوارع عرايا نبحث عن أي شيء يمكن أن نفترسه.

صار التشوّه في كل جانب حولنا أمراً مخيفاً، وكرهنا كل ما له علاقة بالماضي.. ووصلت درجات التسطح والبحث عن التميّز والتقليد سنة الحياة اليومية لدينا: نريد أن نجرب «المصاحبة».. الأكل السريع.. الجنس الفموي.. التطرف بنقيضيه: الانفتاح والانغلاق.. البحث عن الديانات الأخرى أو محاولة إثبات فسادها لنتأكد من أن ديانتنا هي الأفضل.. وانفجر الإرهاب بموجة جديدة بعد أن كان قد خمد في التسعينيات.

وبين الإرهاب والانفتاح المطلق.. ظهر الدعاة الجدد بالبدل والکرافاتات ولللغة العامية السهلة البسيطة



فخلقت نماذج الدين الجديد الذي يتمتع به أبناء الطبقات العليا. وأصبح نموذج الشاب الرياضي المتدين الذي يرتدي ماركات عالمية فتى أحلام الفتيات الملتفمات اللاتي لا تردن التخلص عن أطماء الدنيا في مقابل الدين، فأنت بذلك تملك الدنيا والآخرة.. يصلي ويعمل في وظيفة بمرتب عالٍ، ولديه سيارة غالية؟ رائع. وليس على الفتاة سوى أن تلتزم بحجابها وتواكب على صلاة التراويح؛ علّ الله يرزقها بابن الحلال.

انتشرت موضة الفتيات اللاتي تخطين الثلاثين اللاتيكن يقمن بالسفر لأداء العمرة ليرزقهن الله بالزواج؛ وكان الزواج ليس بمتأخر لأنهن ينتظرن لأن الحلال أفضل، ولكن لأنهن ينتظرن الـ Package كلها.

وتاجر الآباء بالبنات، وخرج الجميع في التليفزيون والجوامع يصرخون من المهرور الغالية ويهددون بشبح العنوسنة وقرر الأولاد التمرد على كل ذلك بالعلاقات الأقل تكلفة والزواج العرفي والمسياح والمتعة.. وظهرت لأول مرة القيديوهات الجنسية العربية التي



تري فيها الشيخ بالذقن الفتاة تمارس الجنس بالحجاب وصوت الأذان في الخلفية.

ظهر الموبايل البلاك بيري بباقاته المخصصة؛ كي يخبرنا أن العالم يتغير، وأن ليس كل من حمل هاتفًا محمولاً يستوي مع غيره، وهؤلاء فقط القادرين على دفع ثمن الباقات الشهرية يمكنهم الحديث على الـBBM بعيداً عن عشوائية الآخرين.. ظهرت المطاعم الصينية واليابانية وعرفنا السوشي، وتضاعف عدد السيارات التي تسير في شوارع القاهرة عشرات المرات في بضعة أعوام بعد أن فتحت البنوك تسهيلات التمويل، فعرفنا السيارة الأوتوماتيكية الأسهل قيادة في الزحام ولم يعد تكييف السيارة رفاهية.. وكلما زادت قدرتها على «العزل» صار ذلك أفضل.. وهذا لا يعني أنك يجب أن تملك ثمنها.. كان أبوك من قبل يحتاج لأن يسافر للخليج؛ كي تركب سيارة وتذهب إلى جامعة أجنبية، ولكن اليوم القسط والكريedit كارد جعل الأمور أسهل.

وظهرت شركات المحمول والCall Center باحتياجها النهم للعمالة؛ لتخلق طبقة جديدة تمتلك بأقل المؤهلات والإمكانات ما يمتلكه أبناء الطبقات والمؤهلات الأعلى.. أصبحت «قوته الشرائية» تمكّنه من عيش الحلم الذي نشأ وهو يشاهد غيره يعيشونه.. لم يعد التفوق في الدراسة يعني شيئاً، وحامل الشهادة الجامعية يفخر بكونه يعمل بغير مؤهله في أحسن الأحوال وفي أسوئها سائقاً.

كل هذا يحدث ولا تزال الحكومة تصر على أن معدل النمو في ازدياد.. ولا يزال الإعلام الحكومي يربينا الطالب الأول على الجمهورية الذي يذاكر على لمة الجاز ويأكل على الطبلية.. ولا يهم إن كان الفصل فيه 90 تلميذاً؛ فالطفل المصري أذكي أطفال العالم.. وهرع الشباب إلى الصحراء أملأاً في مستقبل أفضل وعادوا يجرؤن أذياً الخيبة. وكان الأب الذي وضع أمواله لدى الريان وخسرها كلها يشاهد ابنه الآن وهو يجري يميناً ويساراً؛ ليسدّد ديون بطاقة الائتمان ومصاريف مدارس الأحفاد.



اكتسبت السيدات حق الخلع فاستغلن الأزواج الصغار ووافقو على كتابة القائمة ومؤخر الصداق الذي سيؤمن مستقبل البنت إذا تطلقت ثم يرفضون الطلاق ويجبرونها على التنازل.. باتت اللعبة الآن من يلوى ذراع من أكثر.

بدأت التجمعات السكنية في الظهور، والمدن الجديدة في النشأة، وكل يوم تعلو أسوارها أكثر فأكثر؛ لتعزل تلك الطبقة الرائعة النظيفة من هذا المجتمع الجوعان الحاقد الذي سينفجر حتماً بشورة جياع قريباً.

أما الجياع فرعاع.. إنهم يمارسون زنا المحارم وينامون تسعة أفراد في غرفة ويسرقون من جيوبنا بوظائف وهمية كالسياسة والبلطجية وجامعي القمامنة وعاملين النظافة في بلد هو من أقدر بلاد العالم.. لماذا لا نحرقهم ونخلص منهم بدلاً من أن يشوهدوا المنظر الخالب للقاهرة الجميلة؟ خصخت المشاريع قبلها عشر سنوات.. والآن نعيش أزهى عصور الديمقراتية والحرية الاقتصادية وترى الشركات الأجنبية في مصر فرصة رائعة للاستثمار؛ لأن شعبها استهلاكي مادي،



طموح، نهم، وجوعان.. وانفتحت جيوب المصريين لتتدفق منها الأموال في جيوب شركات المحمول والمياه الغازية وفلاتر المياه وتوكيلات السيارات وشركات التأمين والبنوك والمطاعم والكافيهات والكومبوندات وبطاقات الخصومات ومحلات الملابس والأحذية المستوردة والمولات، وأصبح لكل علامة تجارية عالمية لم نكن نحلم بأن نشاهدتها في التلفاز عشرة فروع في مصر منها: فرع للأطفال كي يستطيعوا شراء ملابس رسمية تناسب مدارسهم الفخمة أو ملابسهم الرياضية، التي يرتدونها حين يذهبون للعب الكرة في أكاديمية برشلونة أو ريال مدريد ومانchester فهذه هي النوادي التي يشاهدها الأغنياء في منازلهم، ولكن المحاكاة لم تعد صعبة، وأصبح الأقل دخلاً يتبعونها هم أيضاً على المقاهي أو عبر وصلات مسرودة كما سرقوا وصلات ART قبلها، ثم أصبحت كل القنوات المشفرة متاحة عبر الدش الذي يتم توصيله بالإنترنت.

كل شيء أصبح سهلاً ومتاحاً وأصبحت الصورة هي سيدة الموقف..

ولا يهم من أنا.. المهم كيف يراني المجتمع من حولي.. طالما أنك تفعل ما تريده في الخفاء ولا يشاهدك أحد فافعل ما تشاء. وصار ادعاء الفضيلة هو المكرمة الحقيقة.. أصبحت كلمات كالابتذال والتهتك والانحلال الأخلاقي والتعفن موضة قديمة رجعية متخلفة ترجعنا سنوات للوراء في حين يتقدم العالم للأمام.

صارت أمريكا أم الدنيا؛ لأن مصر لا يمكن أن تسير فيها الفتاة دون تحرش، أو دون أن تغتصب جماعياً، كل شيء أصبح وصار وبات ممكناً.. ليس هناك من يوقفنا من الانزلاق في المستنقع.

وظهر الفيسبوك وظهرت نماذجه: الحكيم، الساخن، المبتذل، النصاب.. الكل يبيع شيئاً والكل يريد أن يشتري.. أصبحت الحروب الكلامية أسهل وأرخص وألطف من المواجهات الحقيقة. الاغتيال المعنوي شديد السهولة وسباب الجميع والتنكيل بهم



وتحقيرهم من خلف الكيبورد متعة.. والله يخرب بيتك يا عم مارك والشتمة والبلوك والFake Accounts واللجان الإلكترونية تتزايد اليوم تلو الآخر.

مشاهد التعذيب تصور بالهاتف.. والفنان المشهور في جلسة سكر تصور بالهاتف.. ومكالمة تليفون ساخنة لسياسي تسجل.. الكل يتعرى أمام الكل.

والدين أمره عجيب: يبتذل على الفضائيات.. أسئلة المتصلين تزداد سذاجة وغباءً وحمامة.. حتى كلمة العمق باتت مثار سخرية. والثقافة تعني الكلام المتقدّر غير المفهوم أو مهترئ الملابس نتن الرائحة.. والخروج يعني الأكل.. والرصيف اختفى والسير في الشارع معجزة.. زحام رهيب.. اختناق.

الناس تنتظاهـر من أجل مطالبـها الفئـوية والـحكومة تستـمع لـكل أطـياف الشـعب ويـتألم الرـئيس لـلامـهم إـلى حدـ البـكاء. والـحزـب الـكـبير يـختار لنـفسـه كـبيرـا.. والـقرـية تـنتهـك منـ الطـرق السـريـعة والأـسـفلـت إـلى الـبنـاء عـلـى



الأرض الزراعية إلى الدش إلى النت.. الملل والعدمية يقتلان الجميع.. والجنس ينهاش في لحم الجميع.. والبطل صار بطجيًا. والرقص فن نبيل حتى لو كانت التي ترقص من آسيا الوسطى.. وعمليات التجميل تنتشر والأجساد تنتفخ والوجوه تنتفخ والمؤخرات تكبر والعقول تصغر وتصغر.

ميراث سنوات من التفكير المتخلّف المادي المتطلّع يتماهي الآن مع رغبة رهيبة داخل الجميع بأن يكون عاهرًا، وأن يكون مشهورًا حتى لو لم يفعل شيئاً يستحق هذه الشهرة.

لأول مرة في التاريخ يتاح لرجل الشارع العادي أن يشاهد الملايين ويستمع إليه الملايين ويتحدث عنه الملايين.. سواء بقيديو مثير للجدل.. رأي صادم.. رقص مضحك.. تسريب لطيف. من قال إن سائقاً يعمل في الصحراء لا يمكن أن يتصرّد حياتنا اليومية؛ لأن الإنترلوب الخاص به فرتك الترنك؟ الذقن من التراث.. والحجاب موروث اجتماعي لا يعني شيئاً.. والمایوه فضيحة والبنطال الضيق مبرر للتحرش..

المتناقضات هي سيدة الموقف.. اغتصاب الأطفال بات أمراً عادياً نستيقظ عليه كل يوم.. لم يعد مشهداً من فيلم أمريكي عن مجتمع يبعد عنا آلاف الأميال ولا يشبهنا في شيء.. بل صار في الشقة التي بجانيك والشارع الذي تحتمي فيه بمنزلك.

ظللنا نصرخ نصرخ حتى قمنا بثورة.. يخرب بيت الثورة واللي عملها.. والدنيا بقت خراب ومفيش سياحة ولا شغل.. والغضب فوق الغضب يزداد ويزداد.. الأصوات ضاعت والهوية اهترأت والثقافة انعدمت.. ووسط كل هذا استمرت الثورة في الركض مجنونةً حتى انكفات على وجهها.

أصبحنا خائنين ومحترقين وثوريين والتأثير الحق يهدأ ليبني دولته أو يهدأ ليتركها تسرق منه من أدعىاء الدين.. والحق مسألة نسبية والصح والخطأ مسألة نسبية، وظهر الألتراس وفيديتا والجبننة النستو وأبناء السياسي ترتدى المايوه والفتاة الثورية عارية من تحت العباءة والشيخ في سيارة مع فتاة على الترعة



وبرامج الطبخ على مدار الساعة؛ لأن الأفواه تريد أن تمتلئ ولا يهم العقول.

نحن نعوي والقافلة تسير شئنا أم أبينا.. فنحن كلاب ولا نشوى.. الدماء على الأسفلت رخيصة أرخص من العملة والعملة تتضخم والذوات تتضخم.. والتيه هو البوصلة المختلة العقارب كالساعة التي تعود إلى الوراء.. الساحل الشمالي صار أكثر ازدحاماً من القاهرة وـBridging الإجازات يمكن أن تتضاعف بال والإيميلات هي سيدة الموقف الرأس مالي و«دير فلان هوب يو أر دوينج فاين آند يو». والمسلسل التركي تتطور وتكرر.. أصبح هندياً وأوكراينياً وصينياً.

أطفالنا لا يعرفون ما العربية.. ومدرس الدين يأتي في المنزل؛ لأن المدرسة الأجنبية لا تعلم الدين ولكن ابني يجب أن يكون عارفاً لدينه وأنا غارق في الدين؛ كي يتعلم ابني ألا يتكلم العربية؛ لأنها أقل مستوى وليس لها مكان في هذا العالم، فنحن ننتمي إلى حظيرة البهائم ولا نعرف من المقدسات سوى الحج عشرين مرة وخمسين مرة وسيلفى الكعبة أجمل سيلفى.. لا



يوازيه سوى سيلفي البحر الأحمر؛ حيث الطبيعة الخلابة والانتقائية الرائعة بعيداً عن رعاع مرتدى البحر المتوسط.

الكوميديا ماسخة والإيفيهات مكررة؛ فالضحك صار اغتصاباً على خلاف الدمعة التي صارت قريبة وإعلان الكومباوند كلنا ننتظره كي نرى المايوه الساقط للبطل مفتول العضلات وإعلانات الملابس بالأبيض والأسود تداعب أحلام الفتيات، وانتشرت الجروبات السرية للرجال والسرية للسيدات تتحدث عن أقذع وأقدر ما تحمله بطن هذه البلد الحزينة من تضاد ورياء وافتقاد للمنطقية وهوس جنسي.. وصار الزواج كريهاً والعلاقات المحرمة كريهة ولكن إعلانات الكاندولم هي الأكثر إبداعاً.. أخيراً أصبح لها سوق عندنا ومن أفضل الوسائل المانعة لتناقل الأمراض الجنسية بالعدوى.. تلك الأمراض التي لم نعرف عنها سوى من فيلم «الحب في طابا»، وكان هؤلاء الذين في الفيلم هم الوحيدون في مصر الذين أصيبوا بالإيدز.. ولكننا سنقوم بعمل فيلم عن سيدة تعاني من الإيدز تحية

للأمم المتحدة؛ لأننا نناقش قضایا إنسانية تلائم كل مكان وزمان.. وأصبح مفهوم إن الإغراق في المحلية قمة العالمية أضحوكة وموضة قديمة، والفرق الموسيقية تقول كلامًا غير مفهوم ولكنه ممتع.. وكل فريق صار دولة وكل حزب صار دولة والبحث عن الدولة داخل الدولة؛ لأننا أصبحنا دولة اللادولة.

والمهرجان أصبح ولا مهرجان كان، وعَبْسَلام أصبح دكتور وزعيم الكوكب والكبير صار في البنطلون؛ لأن الفحولة هي السيد، وسي السيد جالس في المنزل الآن يعاني من ترهل في ثدييه ويبحث عن دواء سرعة القذف ويدعو الله ألا تكون المدام تمارس الجنس الإلكتروني أمامه الآن.

والحمد لله أن عصر سي السيد الذوري قد ذهب إلى غير رجعة فنحن الآن في عصر تمكين المرأة والشوفينية الحقيرة.. آن لها أن تنتهي ولتحل محلها السادية والممازوخية.



لا يهم إن كانت هذه مشكلة عالم لا يمت لنا بصلة؛ فهذا العالم هو الذي يساعدنا للقضاء على الختان ومحاربة الرشوة والدعم المجتمعي والمسئولة المجتمعية للشركات طالما أن أيديينا لا تتسع بالسلام على مرضى السرطان الذين ينامون على الأرصفة وذويهم المتخلفين ومستشفيات الأطفال الممتلئة أجساداً فوق أجساد.. المهم أن يغطي العلم الأوروبي صورة البروفايل؛ لأن حرام أن يموت الأوروبي.. أما نحن فمنا الكثير وأرجوكم يجب أن ننقذ مسلمي بورما بالكيبورد كما أنقذنا أبناء البوسنة والهرسك من قبل بالتنديد.. وأين هي فلسطين فليحلوا مشكلاتهم بأنفسهم.. بنا ما يكفيانا وبلدك بتتنبه بقالها سبعة تلاف سنة ولسه موجودة بستر ربنا؛ عشان مذكورة في القرآن، مع إنها بلد لا تطاق ولازم أسفاف عشان نفسي أرفع العلم الملون من غير حد ما يزعلي ونفسي أمشي براحتي.

وإمام المسجد إن لم يصل في الكنيسة فليعدم والبنت اخطفت والتهجير شغال على ودنه وطالما أن



الستيتس تجلب أكبر عدد من اللايكات فليذهب العالم إلى الجحيم، فهو عالم حقير ولا يستحق أن يعيش.. والانتحار إجابة منطقية أليس كذلك؟ فليسافر نصفنا وينتحر النصف الثاني أو يباد.. لا يهم.. المهم أن نترك هذه البلد خراباً قدر الإمكان؛ فهي ليست بلادنا وطبعاً.. من يسافر حتى لو كان سيلحس التراب والثلج ويمسح الجزم ويقص عليه في الشوارع فيكفي أن الإنسان له آدمية ويعامل هناك كإنسان، والحكومة تعطيه كوبًا من القهوة الساخنة عند وصوله بسلام.. المهم أن ترتدي كما يرتدون، وتساوت الروس ومحدثش بقى أحسن من حد، ويجب أن نسافر في الشهر الخامس من الحمل؛ حتى لا يكشف موظف الجوازات أعراضه وأستطيع أن ألد ابني بالخارج وأمنحه باسبوراً يحميه مدى الحياة.

والصوفية حرام ولكنها تبدو لطيفة في التوينة والمائة وأربعون حرفًا تكفينا لتغيير العالم فمن ذلك الذي يريد أن يقرأ كتاباً؟ وهذا الطبيب اللبق على التلفاز حجزه قبل الموعد بأشهر، وال الكريم السحري الذي يعيد نضارة



البشرة لأنه بالذهب أعزاءنا المشاهدين نقدمه لكم في برنامجنا مدفوع الأجر ولكننا لن نقول إنه مدفوع الأجر زيادةً في الإيهام، والهوليود سمايل تجعلنا نجوماً؛ دون الحاجة لأن نبذل مجهدًا لنجاح في شيء، والتدبيس والتكميم سواء للأفواه أو المعدة لا يهم.. المهم عدد الفولورز والإلنفوينسنرز يزيد فمن يمكن أن يبدو أفضل مني في لباس السباحة الجديد؛ ولكنني آسفة فأنا أغبى من أن أتكلم بجملة مفهومة ولا أستطيع كتابة الحروف العربية فهي صعبة للغاية.. وإياكم والتعري الكامل فهو يفقدك المصداقية وانظر لمن قال إنه عزى المجتمع قبل الثورة.. تجده تعري هو في المرأة وانزلق ثديا صديقه ويا للهول.. كلنا نعري أثداءنا ولكن لا يرى أحد ذلك، وإياكم والمفاعل النووي فنحن سنسخن عليه أرغفة الطعمية؛ لأننا في الأساس الإثبات الوحيد لأن أصل الإنسان كان قرداً، والقرد لا يزال يقفز صعوداً وهبوطاً في شوارع هذه الغابة التي يأكل فيها القوي الضعيف.

كليشيه؟

كل شيء كليشيء... وأنت أولهم... فمن تكون لتهمني؟



الفصل الثالث والخمسون

يوميات القيامة

(بداية) ألبوم في (نهاية) كتاب ببدأ ب(نهاية) ألبوم

إبريل-مايو 2018

في أحد أيام إبريل الريبيعة اجتمعت الفرقة لمناقشة أمرين شديدي الأهمية سيحددان ملامح المرحلة القادمة: حفل إمبائر الذي سيخرج للنور أخيراً والألبوم الجديد.

أنا متшوق أكثر من أي شيء لرصد تجربة الألبوم الجديد؛ لأنها تعني اكتمال الكتاب بالنسبة لي فقد بدأت مع نهايات العمل على «نقطة بيضا»،وها أنا أنتهي مع بدايات العمل على ألبوم جديد.

بدأ أمير الحوار: «السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل نكمل في خيارنا الأول بأن يكون ألبوم هواري هو ألبوم كايروكي القادم، أم نبدأ في دمج أغاني أخرى



معه؟ خلال الفترة الماضية تأكّدت من أن إدماج الأغاني التي أقوم بتأليفها مع أغاني هواري يظهر فارقاً كبيراً بينهما، ولذلك فالحل هو أن أقوم بالعمل قليلاً على جعل أغاني هواري أكثر ملائمة للStyle الذي تعوده الناس منا، مع الحفاظ على فنياتها وجمالياتها التي ندرك جميعنا أنها خطوة جديدة لنا.. بعد خروج أغنية «ما عاد صغيراً» تأكّدنا جميعنا من أن الجانب الآخر لـ«كايروكي» قد حان وقت ظهوره للناس.. الضمان الوحيد لاستمراريتنا هو أن يرانا الجميع كفرقة مكتملة من خمسة فنانيين، وأن يظهر صوت وبصمة كل واحد منا بوضوح.. لقد بدأنا تأسيس هذه الصورة في ألبوم «نقطة بيضا»، والآن جاء الوقت لأن نأخذ هذا الأمر إلى خطوة أبعد.. تصوروا أننا البيتلز التي كانت تفاجئ الناس كل فترة بصوت جديد يختلف باختلاف توقيع أحدهم الدفة: چون لينون، ثم مكارتنى، ثم جورج هاريسون.. وهكذا.. وكلنا ليست لدينا مشكلة في اتباع رؤية الآخر طالما أنا مقتنعون بأنها تصب في مصلحتنا وأننا نتفق على جودة العمل المقدم».

يهز الجميع رؤوسهم وهم يفكرون في الرؤية التي يطرحها عليهم أمير.

هواري مطرق برأسه كعادته وغارق في صمت عميق.. لا يرفع أمير عينيه عن صديقه.

«ولكن المشكلة أنني أدرك تماماً أن هواري متحفظ بعض الشيء ويفضل أن يتمسك برؤيته التي وضعها منذ البداية لاغانيه. وبالتالي فإننا هنا أمام معضلة: هل نترك أغانيه كما هي دون مساس ودون أن ندمجها مع أغانٍ أخرى، أم ندمج كليهما معاً ونحاول الاتفاق على الخروج بحل يرضي جميع الأطراف؟ الخيار مطروح لكم».

يتدخل هواري ليوضح أنه يفضل أن يظل ألبومه كما هو دون مساس، وينزل بشكل أو باخر تحت مسمى كايروكي ولكن مع تأكيد أن هذه رؤية هواري الخاصة، وإذا كان هذا متعدراً الآن - لأي سبب فني أو آخر - فإنه مستعد على العمل على أغانٍ جديدة تكون من بدايتها قد وضعت في الاعتبار أنها ستكون جزءاً من



ألبوم مشترك بينه وبين أمير، وبالتالي لا تظهر هذه الفجوة في طريقة كل منها مما لا يؤثر على التجانس الكامل للألبوم.

«لا أريد أن يتم التلاعب برأيتي، أريد أن أكون واضحًا: هذا كابوس بالنسبة لي.» ويكمel هواري: «إذا نزل ألبومي كما هو، ثم نزلنا بألبوم آخر بعده بفترة قصيرة، ستكون ضربة قوية تنقلنا إلى مكان مختلف.. اللعبة هنا هي أنني أستطيع أن أكتب أغاني فنية ولكنها لا تتميز بالشجن أو الكآبة التي تجعلها بعيدة كثيراً عن أغاني أمير.. ساعتها سيحدث التكامل - دا أسهل وأحسن من إنك تحاول تقربيهم من بعض أكـنـك بترقـع».»

يفكرُون قليلاً في كلام هواري.. بينما يكمل أمير رؤيته البصرية للفيديو: «تخيلوا لو ظهر في التصوير مقسمين إلى عدة أقسام، ومع كل أغنية يتم التركيز على فرد واحد فقط، شريف مرة، هواري، تامر، أنا.. وهكذا، ولا يظهر سوى هذا الشخص وحده، أو في المقدمة، ويكون هو المغني والباقيون خلفه.. نريد أن



نؤكِّد دائمًا أننا خمسة، أنا هدفي يتعمَّل Value لكل أفراد الفرقة».

لأول مرة أسمع شيئاً جديداً: فكرة أن يقوموا كلهم أو معظمهم بالغناء وهي فكرة استقاها أمير من خطوة غناء هواري.. وبالتالي أراد أن يطُورها أكثر (كنت بالفعل قد استمعت إلى أولى أغاني الألبوم التي غناها شريف)، والفكرة الثانية أنه يبدأ تصوّره العام للألبوم من الڤيديو والتصوير.. هذه المرة الموضوع بصري أكثر لأنّه قائم على Concept أو سيناريو درامي يجمع كل الأغاني مع بعضها البعض في مرحلة مبكرة، وبالتالي.. كان أمير حريصاً على أن يشرح عدة مرات تصوّره - الذي لا يزال ضبابياً بعض الشيء حتى الآن - للألبوم من الناحية البصرية.

«هذا التصور فيه مخاطرة كبيرة لأن الألبوم من الممكن ألا يحقق صدى ونجاحاً كبيرين؛ خاصةً لأن أغاني هواري فنية أكثر منها جماهيرية، وقد تنجح هذه التوليفة.. لا توجد ضمانات كالعادة، ولكننا نحكم بإحساسنا كما تعودنا.. ليس لدى شك في أن الجمهور



يحب الاستماع إلى هواري كما يحب أن يسمع الأغاني الشعبية مثلاً، ولكن السؤال هنا، هل كلاهما معًا مفيد للأخر أم لا؟».

«في نهاية الحرب العالمية الثانية، كان هتلر يمتلك كثيراً من الأسلحة، ولكن الجنود كانوا قد ماتوا في المعارك المتتالية وليس لديه من يحارب، وهذا انهزم.. الفكرة أننا قد يكون لدينا كثير من الإمكانيات ولكن لا نعرف كيف نستغلها، وهذا هو مربط الفرس: هل قمنا بالتوظيف السليم لإمكاناتنا كفريق متتكامل فنياً أم لا؟ يجب أن نجيب عن هذا السؤال في الألبوم القادم».

وبدأ أمير يشرح وجهة نظره في عدم ارتياحه لنزول ألبوم هواري بالكامل كما هو وبفنيته البحتة.

«من الناحية المادية؛ فألبوم هواري ليس ألبوماً تجارياً.. لن نستطيع بيعه بسهولة ورينج تونز وغيرها، ولكن في المستقبل القريب سيتحقق نجاحاً فنياً ويصبح Trendsetter».

كثيراً من المجهود الذي أبذله لتأليف أغاني الألبوم بالكامل وحدي.. ولكنني قلق من التوقيت مباشرةً بعد «نقطة بيضا».. نحتاج إلى ألبوم انتقالى في المنتصف يأخذ الناس ناحية هذا النوع من الأغاني الذي يقدمه هواري، ويؤسس أكثر لفكرة ظهوركم جمیعاً كمغنيين بشكل مباشر».

«لا تنسوا أننا ندخل هذا الألبوم بتحديات جديدة لم نقابلها من قبل.. أولًا «نقطة بيضا» الذي حقق نجاحًا لم نكن نتخيله، ثم القضية الأخطر: الرقابة.. ستفقد 40% من قوتنا؛ بسبب مقص الرقيب الذي يطاردني طوال الوقت وأنا أفكري.. وثمة ميزة وجود أغاني هواري، هو أنها لا تحمل أي موضوعات مثيرة للجدل، وهذه ميزة، فأنا من المستحيل أن أكتب عشر أغاني دون أن تجد الرقابة شيئاً تعترض عليه.. هذه ليست شخصيتي ولا الهموم التي تشغلي، على خلاف هموم هواري الإنسانية أكثر. وبالتالي حين أكتب أربع أغانيات فقط فمن الممكن أن ألمح في واحدة، أخطط شوية في واحدة، وهذا يرتاح ضميري.. بينما تعطي أغاني

هواري روحاً جديدة وتتوفر الغطاء الذي نحتاجه، هذه ميزة أخرى يجب أن نلتفت إليها».

واختتم أمير كلامه: «لا أريد أن نحصر في منطقة الـ Comfort Zone؛ أي أنها قمنا بعمل توليفة فنجحت فنكررها.. طوال مسيرتنا ونحن ضد ذلك المفهوم، وجرأتنا في التجريب وتحقيق جلدنا كل فترة وأخذ المخاطرة هي سر نجاحنا، ولن نتخل عن هذا أبداً».

«فكروا في كل ده وردوا علينا يوم الحد الجاي، ونقرر هنعمل إيه».

وأٌتي يوم الأحد وقرر الجميع أن يتم عمل ألبوم مدمج بين أغاني أمير وهواري وغناء أعضاء مختلفين من الفرقة.

مع مرور الأيام يتزايد التوتر في أجواء المكتب. وهو توتر مخلوط بحماس يحاولون استعادته بعد أن

فقدوه طوال ستة أشهر.. حينما حاولوا أكثر من مرة تحقيق حلمهم بتقديم حفل ينقل الحفلات في مصر نقلةً نوعية، تماماً كما فعلوا في الموسيقى منذ ثمانين سنوات.

المشكلة الآن التي كانت تواجه كل فرد من أفراد الفرقة على حدة وكلهم مجتمعون هي: كيف نحقق للناس ما وعدناهم به، حفلاً لا ينسى؟ هل نقدم الأغاني العادية؟ هل نقدم عديداً من ضيوف الشرف؟ هل ندخل أصواتاً جديدة؟ توزيعات جديدة؟ إبهاراً في الإضاءة؟ كيف سيتم ترتيب الأغاني وفقاً لحجم الحفل وعدد الجمهور؟ وكيف نتعامل مع الأغاني غير المسموح بلعبها، والتي سينتظرها الجمهور بشدة؟

مئات مئات التفاصيل التي بدأ كل شخص يتولى مسؤوليته فيها بجدية تامة وعلى انفراد: تامر يتتابع كل اللوجستيات مع سارة «بلية» (وهي أحدث المنضمين للفريق) وهادي ومدحت وفريق السوشIAL ميديا، بما في ذلك تصميم المسرح والاتفاقات مع المركز التجاري الذي سيستضيف الحفل والتصاريح



وببناء المسرح وتأجير معدات الصوت والإضاءة وترتيبات بيع التذاكر، إلى جانب الاتفاques المادية والمزايا مع الرعاة.

أما آدم فيعمل جاهدًا على تأمين مصادر الدخل والتمويل الكافي للحفل، والتحصيل من مختلف الجهات سواء شركة بيع التذاكر أو الرعاة الذين سيدفعون جزءاً من التزاماتهم قبل الحفل خاصةً أن التكلفة زادت الآن بعد أن تم وضع تصور أكثر طموحًا للمسرح إلى جانب خسارة الحفل الملغى، وبالتالي يريد آدم أن يخرج متعادلاً دون أن يكون للماديات أي تقصير في خروج الرؤية الطموحة للحفل كما يتمنون.

على الناحية الأخرى أمير في صراعه المعتاد مع Setlist، ونوعية الأغاني التي ستعزف وترتيبها بالشكل الذي يتيح للناس متعة مستمرة وإثارة وتأثيراً بكل أغنية دون أن يفقدوا اهتمامهم أو حماسهم للحفل.. كان لهم الأكبر عند أمير هو تقسيم الحفل إلى فقرات، وكل فقرة لها شكل موسيقي Mood معين،



وبالتالي يكسر حاجز الملل عند الجمهور الذي سيقف ما مجموعه ثمانية ساعات ليستمع إلى فرقته الأثيرة.

كان أمير يدور في المكتب وفي الحديقة مقطبًا جبينه، يدخن البايب في صمت. ويطرح المشكلات، التي تواجهه على آدم، الذي كان يستمتع بأن يسخف عليه بأن يخبره «مشكلتك حلها، أنا مش بدخلك في مشكلات الفلوس» ويضحك. ولا يبدو أن أمير في مزاج للمزاح؛ فهو يأخذ الأمر بجدية ويقلقه بشدة.. ويبدو أن آدم أيضًا لم يكن في مزاج يسمح له بالمزاح هو الآخر، وكانت تعليقاته مختلطة ببعض الجد.

التوتر يخيim على الأجواء.

كان شريف يعمل على ضبط التراكات الموسيقية للPlayback، كما أنه يريد أن يقدم صوتًا أفضل خاصةً في أغاني الألبوم الجديد.. كذلك يعمل هواري على الجيتار استعدادًا لارتجالاته التي أصبحت أنا شخصيًّا أنتظرها من حفل للآخر.

اليوم الأخير: 24 ساعة قبل الحفل

أصل إلى أرض الحفل والتي تبعد عن منزلي بدقائق معدودة.. ليس هناك ما هو أروع من أن تبدأ في الشعور بكل ما أنجزته خلال الفترة الماضية متمثلًا أمام عينيك؛ فهم في المكتب الهدائي بالمعادي يعملون منذ أكثر من ثمانية أشهر على هذا الحفل، ولا مرة، حتى في المرة السابقة، رأى أي منهم فيما عدا تامر، المسرح.

والآن وأنا أركن سيارتي.. أشاهد من بعيد مدى ضخامة المسرح؛ فهذه الـ 40 متراً ليست مساحة هينة على الإطلاق، من أبعد نقطة عن المسرح؛ حيث ركنت سيارتي كان الواقفون على خشبة المسرح يتضاءلون للغاية كأنهم قطبي نمل متناول.. سرت حتى المسرح وسط تحيات وصرخات مدحت وجلال وتامر وعبد الرحمن، وحولي وحولهم ما لا يقل عن 70 شخصاً يجرؤن في كل اتجاه.

تبلغ مساحة الأرض التي سيقام عليها الحفل حوالي 8,250 متر.. تسع 20 ألف شخص بالتقريب.

طبعاً حين أصل إلى المسرح وأقف فوقه وأنظر إلى الساحة لا أتخيل بأي شكل من الأشكال وقوف هذا العدد الضخم من البشر.. أحاول بعين خيالي أن أرى المساء وقد حل الإضاءات وهي تتفجر من كل اتجاه على المسرح الفخم الذي لا يغطي خلفيته حتى الآن أي شيء، أحاول الاستماع للموسيقى والضوضاء والصرخات التي بُثّ أنتظر سمعها من الحفل للحفل.

تلك الطاقة.. ذلك الشغف.. ما الفن الذي يسمح للناس بالصراخ وتشارك كل هذه المشاعر؟ ما اللحظة في حياتنا التي نستطيع فيها أن نعيش تلك الحالة من التوحد والوحدة التشاركية غير المسبوقة، هذه الفرحة والتعاون.

درجة الترقب بين أعضاء الفرقة الخمس في أقصاها.. وكما هو الحال في كل المرات التي يقعون فيها تحت ضغط التوتر والعمل على تقديم حفل ضخم ومختلف،



أو قبل أي خطوة كبيرة في مسيرتهم كإصدار ألبوم مثلاً، فإن كل واحد منهم يتقوّع بداخل نفسه، ويصبح الصمت وقلة الكلام هما سيدا الموقف.. حالة تركيز تجعل كل واحد منهم يحاول ألا يبدد طاقته قدر الإمكان في أي شيء، سوى التفكير في كل لحظة من لحظات هذا الحفل.

بالنسبة لعشرين ألف شخص سيأتون غداً هي مجرد حفل غنائي ونرثة يتمتعون أن يستمتعوا بها.. أما بالنسبة لهؤلاء الشباب الخمسة، فإن كل واحد منهم يفكر في كل ثانية ستمر من هاتين الساعتين اللتين سيغنوّن فيها، أضف إلى ذلك مئات التفاصيل التي تحيط بالأمر كله.

فوق خشبة المسرح أرى أعضاء الفرقة، بعضهم جالس على الطرف يستمتع بالهواء الذي يهب من الغرب.. الآن وأخيراً قد بدأت الشمس تغرب بعد يوم حار.. قال تطبيق هاتفي لحالة الجو إن درجة الحرارة فيه نهاراً 39 درجة مئوية.

على المسرح أيضًا ينتشر تقنيو الصوت والإضاءة.. وسطهم يقف مايكل بجسده الضخم وفي يده زجاجة مياه يوجه كل منهم إلى ما يريد. على الدرامز جلس فتى أجنبي ينادونه جيسى، كان هو من يقوم بتجريب الدرامز والضرب عليها في كل اتجاه بينما يضبط عصام الصوت.

يبلغ عرض المسرح 40 متراً، وعمقه 32 متراً؛ ليصبح بذلك واحداً من أكبر المسارح التي أقيمت في تاريخ الحفلات في مصر.. فوقه التراسات المعدنية الشهيرة وعليها ما لا يقل عن 70 رأساً متحركة وثابتة مصطفة بالطول والعرض.

بعد قليل يجرب آدم البيز.

يجلس عبد الرحمن بجوار أمير ويحدثه عن قلقه من غناء «نقطة بيضا» الهدئة.. لم ينجح عبد الرحمن حتى الآن في غنائها ولا مرة في المفتاح السليم لها.. قبلها كان يحدثني: «أقسم بالله أنني أغنيها بالضبط كما غنيتها في التسجيل من المقام نفسه وبالطريقة نفسها».

ولكن لا أدرى ماذا يحدث في الحفلات.. إنهم يلعبونها من مقام مختلف.. هناك شيء ما خطأ وكلما سألتهم لا أحد يجيبني.. حتى في البروفات لا أحد يدعوني لحضور البروفة».

يبدأ هواري، آدم، وتامر باللعب بينما يعدل عصام الصوت.. بعدها يبدأ في اختبار مايك المغني مطلقاً كلماته بتكرارية ثابتة: هاللو، تيست، تيست، هاللو، هاللو، تيست.

يلعب هواري الجيتار الكهربائي وتمتص الموسيقى بعضاً من التوتر والضوضاء.. بعد قليل يغير جيتاره ويبدأ في تجربة الجيتار الأكوستيك. أجلس على حافة المسرح؛ لأدون ملاحظاتي ومن تحتي تتحرك فجأة رؤوس كشافات لم أكن ألحظ وجودها، تطلق شعاعاً أبيضاً لاماً. يجرب شريف الكيبورد عازفاً الـ Pads الأثيرية بينما يمشي تامر حوله متحدلاً بعصبية مع ممثلة إدارة المول.

يمر أمامي بعض من جامعي القمامنة حاملين أكياساً خضراء ضخمة، يجمعون كل ما يجدونه من القمامنة؛ للمحافظة على المكان نظيفاً دون تراكم زجاجات المياه وأعقاب السجائر المتراحمية في كل مكان.

وأنا أتابع العمل الجاري حولي في هدوء، بدأت هواجي تهاجمني: الرحلة الطويلة على وشك أن تنتهي.. وهذه الطمأنينة التي أشعر بها طالما أن العمل لا يزال تحت يدي قد بدأت تتلاشى.. عما قريب سأمر بتلك اللحظة المعدبة ما بين خروج العمل من بين يدي وانتقاله إلى عالم القراء المجهول والقاسي.

قريباً لن أتمكن من تعديل أو تغيير رأيي.. لن أشطب وأقص وألصق وأحذف وأزيد، وستوضع هواجي جميعها التي تحتاجني - طوال العام الماضي - موضع اختبار مرير بين يدي القراء، وقريباً أيضاً سوف أواجه الإجابة عن السؤال الذي لم يفارقني ولا لحظة في صحي ونومي: هل ما فعلته وضحيت من أجله طوال العام الماضي كان في محله.. هل استطعت أن أنقل الصورة الصادقة والكافلة للأمر برمته.. هل استطعت



أن أوصل أفكارني بوضوح.. وهل استطعت فعلاً أن أحكي رحلة هؤلاء الخمسة.. بل وأن أحكيهم هم أنفسهم، بشكل كامل أم أنه لم أوفق؟ يا له من كابوس.

تبدأ أضواء المول الملونة في الظهور أكثر فأكثر كلما ازدادت رمادية السماء دكانة.

في السابعة إلا الربع يبدأ أمير في عزف جيتاره وغناء مقطع من «إعادة نظر» في المايك.. كل بضع ثوان يتوقف ليقول ملاحظاته لأحمد عبد القادر أو عصام: مش سامع نفسي في السماعات.. الريفيرب عالي جداً لدرجة إني سامع صوتي جاي من بعيد.. المايك عالي أوي في ودني.. يغير عصام من الفلترة كل فترة. «على الجيتار والفووكالز، بس زود الجيتار أكثر شوية».. يغني مرة أخرى.. «الجيتار متربين شوية».

يدور شاب بكاميرا معلقة على صدره.. إنه يسجل كل ما يحدث في كواليس الحفل بالقديبو. تضاء روؤس الإضاءة بلونها الأزرق، أسمع صوت اندفاع هواء شديد

بجانبي، أنظر في اتجاه الصوت فأجد على مقربةٍ منا مكان ألعاب، حلقة محاطة بشبكة دائرة، وفي وسطها يطير شخص مرتدِّياً بذلة فسفورية وقناعاً كالموتوسيكلات، أنظر إليه وأسرح: ترى أغداً نحلق مثلك في الهواء، ولكن بأرواحنا مع الموسيقى؟ أم تصبح أنت الوحيد الذي نجح في الطيران في هذه المساحة الواسعة/الضيقة من هذا العالم؟

يوجد عديد من الثنائيات على المسرح: هادي وأدم يتحدثان مستغرقين في حديث متواتر.. تامر في ثنائيته الشهيرة مع هاتفه.. شريف وأمينة يناقشان ما قالاه في اجتماع اليوم مع البروفيسور الأمريكي المسؤول عن الإضاءة، الذي وافق على الانضمام في اللحظة الأخيرة.

حالة من الهدوء تخيم.. المسرح الآن شبه خالٍ، إلا مني والفرقة وأمينة وبضعة تقنيين قلائل.

أطلب من بلية أن تجلس بجانبي لتحكي لي قليلاً عما يدور.



حينما كنت مسافراً للغردقة؛ لكتابة المسودة الأولى من الكتاب اجتمعت الفرقة وتحدثت عن فكرة حفلها الخاص، وتم اقتراح عدة أسماء مثل مملكة كايروكي وغيرها.. ثم تم التصويت على «كايروكي إمبائر» وكانت فكرة أمير بعد بحث مستفيض على الإنترت، هي استلهام العناصر البصرية للثورة الفرنسية، وتحديداً صورتها في فيلم «البؤساء» *Les Misérables* الشهير وهو فيلم موسيقي مأخوذ عن رواية الشاعر والكاتب الفرنسي العظيم ڤيكتور هوجو.. تدور أحداث الرواية وسط الخراب الكبير الذي أصاب فرنسا في أعقاب ثورتها الشهيرة التي اندلعت عام 1789، وجاءت مبشرة بمبادئ إنسانية لم يسمع بها العالم من قبل: «الإخاء والمساواة» بين كل البشر.. ولكن ما حدث هو أنها انجرفت وراء الأطماع والوحشية والصراعات التي أدت إلى انتفاء سمة الإنسانية عن الثورة الشهيرة.

ومن هنا أصبح المطلوب هو أن يتم توضيح هذا الإحساس الإمبراطوري والملكي الذي سيطر على هذه



الفترة، وفي الوقت نفسه فكرة الدمار التي أعقبت الانحراف عن سير هذه الثورة التي اندلعت في البداية بهدف تحقيق الرخاء.

تشرح لي بلية التي قامت بتصميم المسرح وتصورت رؤيتها النهاية: «كذلك استخدمنا إكسسوارات في الديكورات كالمقاعد القديمة والأثاث المحطم وغيره، مع دمجها بمعالم حديثة مثل: حقائب معدات الإضاءة والآلات الموسيقية، وبالتالي.. نحقق الدمج بين المودرن والكلاسيك، وكي نكمل الصورة استخدمنا الستائر النبيتية في خلفية ووضعنا لوجو الأسد الذي يظهر قوة الفرقة في منتصف الخلفية بحجم ضخم يصل إلى خمسة أمتار».

وتخبرني بقلق ونحن نجلس تحت الستائر الضخمة التي ترفرف فوق رؤوسنا: «الخوف كله الآن هو من الهواء الذي قد يجعل الستائر تطير؛ لذا ادعُ معي لا يكون الهواء عنيفاً جداً لأنه في صباح اليوم كان قويًا للغاية».

فجأة تنفتح رؤوس الإضاءة جميعها وتوجه نحو السماء.. تتقاطع أشعاتها النفاذه؛ لتكون شبكة في الآثير، تلمع وسطه نجمة بعيدة.

ينتهي الـ Soundcheck الأول في السابعة والنصف.. يشتكى أمير من أنه يرى كل هذا مضيعةً للوقت، وأنه لم يقم باختبار الصوت كما ينبغي، فيطمئنه عاصم أنه سيجريه مرة أخرى عند بدء المرحلة الثانية في الساعة التاسعة مساءً؛ حيث ستقوم الفرقة بعزف أغاني الحفل بالكامل مرة واحدة.

أذهب مع آدم لنشتري بعض الشاي من داخل المول.. نمر بصعوبة وسط الزحام الرهيب لمساء الخميس بالداخل.. نتحدث في طريقنا عن الزحام والاستهلاكية المفرطة، حاول بسرعة أن نهرب.

في تمام التاسعة إلا عشر دقائق يخلی مدحت المسرح بالكامل ونزل جميعنا إلا أعضاء الفرقة.



في تمام التاسعة والنصف يتحرك أمير على الـ Catwalk لأول مرة.. يصفر المايك بقوة بينما يعزفون مدخل «غريب في بلاد غريبة».

أعطيهم ظهري بينما البروفة لا تزال تتوالى، وأتابع العمال المتعبين وهم يعلقون أجزاء خشب الأبلكاج، يكونون به لوجو الأسد الشهير.. لحظة أن نظرت ناحيتهم كان الأسد قد تكون نصف وجهه بالضبط، وبدأت ملامحه بالظهور بقوة وجرأة، وكأن رحلة كايروكي تكتمل أمامي خطوة خطوة.. رحلة لا تزال في منتصف الطريق، ولا تزال ملامحها تتضح وتتشكل ولكنها، كوجه الأسد الذي يكتمل أمامي، تنبئ بشيء غاية في القوة قادم في الطريق.

في تمام الحادية عشرة إلا الرابع، بدأ التعب والإرهاق يخيم على الجميع.. توقفت البروفة ليتم عمل Setup موسيقى الهاوس التي أعدها شريف بإعادة توزيع بعض الأغاني لإحدى فقرات الحفل.

ثم حدث شيء شديد الغرابة..

يقف هواري وساري هاني على جانب خشبة المسرح.. يبدأ ساري في عزف لحن بسيط على الجيتار الأكوستيك، ويصاحبه هواري على الترامبيت، أخذَا يعزفان جملة هادئة للغاية، بينما تهداً الأصوات جميعها من حولنا.. ومع نسمة الهواء تأتي نغمات ساكسفون آدم إلينا دون أن نراه، بينما يخرج تامر طبلة ويبدأ في ضرب الإيقاع وجلال يصاحبه بالدف في خبطات هادئة.. وفي لحظات صارت هناك فرقة سدارية تعزف لحنًا متداخلاً وبدأ الجميع يلاحظ.

أنا وعبد الرحمن أقرب الواقفين للعازفين.. يتوقف هواري عن العزف لبرهة ويميل نحوه هامساً في أذنه بصوت خفيض؛ حتى لا يخدش الموسيقى التي تولد الآن على خشبة المسرح المظلم: «اسمع ورگز».. يعطيه السلم الذي يعني منه.. يدخل عبد الرحمن بالفعل بهممات خافتة، ثم يعلو صوته رويداً رويداً.. يعني أبياتاً من قصيدة الحلاج الأثيرة لدى الشباب: «



والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرن
بأنفاسي».

يغمض عينيه ويحلق بعيداً، ومعه تحلق الموسيقى..
نهتز بشدة، وتبدو مشاعر الجميع وهم ينظرون
مشدوهين بهذه اللحظة الساحرة لا يفهمون كنهها..
الكل شارد في ما يفكر فيه. أنظر دون أن أفيق بعد
فأجد نهلة تقف بجانبي.. وجودها المفاجئ أمامي
في تلك اللحظة ينبئني باكتمال الدائرة التي بدأت منها
ويؤذن بانتهاء الرحلة وقرب الوداع.

خرجت الهاتف المحمولة تصور تلك اللحظة الساحرة
التي لن تتكرر.. يمر أمام عيني كل ما مررت به مع
هؤلاء الشباب طوال العام الذي مضى، وداهمني فجأة
شعور غامر بالإرهاق. أشعر أنني متعب... متعب
للغاية... وكأنني كنت أسبير آلاف الخطوات في صحراء
قاحلة حتى تهت وكدت أفقد الأمل في العثور على
الطريق.

مع هبوط صوت عبد الرحمن متهدأً من أثير السماء وانخفاض صوت العازفين التدريجي محمولاً على بساط الموسيقي، عرفت أنه قد آن الأوان ليصل كل منا إلى وجهته ويرتاح.. خاصةً أنا.

تنتهي البروفة في الثالثة صباحاً، ويسيطر القلق مرة أخرى على أمير ويصر أن المساحة الموجودة غير كافية، ويتحدث مع هادي بشكل مفصل ويلح في وجود خطة بديلة لإرجاع تذاكر للناس التي لن تستطيع الدخول: «لا نريد أن نترك ثغرة».

سألني أمير بصوت خافت: «إن شاء الله اليوم هيعدى على خير.. صح؟ إحنا عملنا اللي علينا والباقي على ربنا.. مفيش حاجة تاني في إيدينا نقدر نعملها.» كان خوفه حقيقياً. وما هي إلا لحظات حتى عاد أمير الذي أعرفه حين قام من مكانه: «بكره يوم عادي زيه زي أي يوم، حاسس إني رايح النادي عادي».

أخبرني ونحن نفترق أنه سيعود إلى المعادي ويدور بالموتوسيكل في شوارعها الهادئة في الفجر ليصفي ذهنه قبل أن ينام.. بينما هرع هواري وآدم في لحظات، أما تامر فيواصل إلقاء توجيهاته وأسئلته على مايكيل وهادي ومدحت وبلية لآخر لحظة بينما عيناه محتقنتان بالدماء ونظراته زائفة من الإرهاق.. كان يبدو أنه يناظح جسده لا يريد أن يتوقف الدينامو؛ حتى ينتهي الحفل.. قال لي: «لقد نمت في السادسة صباحاً واستيقظت في التاسعة، ولا أستطيع أن أوقف التفكير». أخبرته أن الوقت حان للنوم ولا يوجد ما يمكن أن يفعله أكثر من هذا.

تمنيت لهم التوفيق وافترقنا في الثالثة والثلث.

تذكرةت أنني لم أتناول طعام الغداء ولا العشاء، وأنني أعيش على قطعتي خبز تناولتهما في الصباح.. يبدو أن ليلى وآدم محقين في جملتهما التي يكررانها على مسامعي طوال الأسبوع الماضي: أنت متواتر أكثر مما شخصياً من هذا الحفل. وتساءلت: «إن كان هذا

شعوري وأنا أقف موقف المتفرج، فما بالي بما يشعرون
به هم؟»..



الفصل الرابع والخمسون

كايروكي إمبائر... بدايات لا تنتهي

الحلم يتحقق أخيراً

11 مايو 2018

وصلت في الرابعة والنصف.. أمضيت وقتاً مخيفاً
محاولاً أن أركن سيارتي.

آلاف الآف الشباب والسيارات تتراكم في كل مكان..
لم أر في حياتي هذا العدد من رجال الشرطة والجنود
وعمال الأمن الخاص مفتولي العضلات.

هناك ما لا يقل عن ثلاثة آلاف شاب وفتاة يقفون في
طابور طوله عدة كيلومترات.

ارتعبت من فكرة أنني سأمر من خلال كل هؤلاء..
وحاولت ألا أفكر في كيفية أخذ سيارتي من مكانها



في المساء حين يخرج كل هذا العدد من البشر في الوقت نفسه.

حاولت أن أقنع الحراس والضباط أنني مع الفرقة ولكن بالطبع أحداً لم يستجب.. لم يكن مدحت قد أعطاني الإسورة المطاطية الخاصة بفريق العمل التي تساعدني على المرور، ونسيت في حمية البروفات أمس أن أطلبها منه.. دخلت إلى ساحة المسرح بعد أن تعرف إلى أحد ممثلي الرعاية وساعدني على الدخول.. وما أن دخلت رأيت هادي أمامي ورفعت له يدي بإشارة غاضبة وأنا أصرخ من الغضب.. كانت قد مرت قرب الساعة على محاولتي للدخول تحت لهيب شمس الحارقة.

بصعوبة بالغة مررني عصام إلى الكواليس، هناك عدد كبير من الـ Ushers ورجال حراسة عند كل نقطة مهمة من نقاط المسرح.. وضعوا لي الإسورة الخاصة بالمرور حتى أتحرك بحرية.



رأيت أحمد وكان وجهه ممتقعاً من الهلع.. احتضنني بحرارة، سأله إن كان بخير: «اجمد يابني.. إنت Stage Manager فأجابني بصوت ملؤه القلق: «هذه أول مرة أرتعب من حفل في حياتي كلها».

يبدو أن الأمر بالغ الصعوبة.. عصام ورامي وبلية وبقية الطاقم في الجزء الخلفي يتサقطون من التعب والرعب.. الكل هنا يشعر بعبء المسؤولية الملقة على عاتقه ويساهم في تعظيم هذا العبء، ذلك العدد المهول من البشر الذي بدأ يتواجد على المكان.. هناك آلاف التفاصيل المربيكة التي لا يهدئها سوى النسيم البارد الذي يهب من فترة لأخرى علينا.

صعدت على مدرجات الـVIP التي بدأت تشغل بالجمهور من الآن.. وهالني ما رأيت.

كان العدد الآن، في تمام الخامسة، حوالي 10آلاف شخص حسب تقديري.. ربما يكون أكثر أو أقل ولكن في الثلاثين الأولين من الساحة ناحية المسرح



يستحيل أن ترى الأرض.. فقط رؤوس ورؤوس ورؤوس تترافق بجانب بعضها البعض. يبدو عليهم الحماس الشديد رغم أن الشمس لم تغرب عن رؤوسهم الملتهبة حتى الآن. بدأ يتضح لي قلق أمير بأن المساحة المخصصة للجمهور لن تكون كافية لوقفهم جمِيعاً.. خفق قلبي بشدة.

سمعت صوت أحمد مدحت في الميكروفون ينبه التقنيين أنه يريد أن يتم تفريغ المسرح بالكامل في خلال 10 دقائق.. كانت خطتي هي أن أظل في الكواليس حتى ظهورهم ثم أنتقل إلى منصة الـVIP؛ بحيث أكون كاشفاً المسرح والجمهور عن قرب.

في تمام الخامسة والنصف، هدر صوت تامر المسجل بالكلمات التي كتبتها للترحيب بالجمهور، الذين غطى صوت صراخهم المرعب على صوت السماعات الضخمة.. ثم خرجت شهيرة وبذلت فقرتها.

يصل زاب في الخامسة والنصف، ويصل بعده ساري في السادسة إلا الربع.



التوتر الآن معلق في الجو.. مع الإرهاق وقلة النوم والمفاجات يبدأ الكثيرون في الخروج عن شعورهم.. الوحيد المحتفظ برباطة جأشه والتحكم في الأمور هو مدحت، احترافيته وقدرته على إدارة المشهد مذهلة في الحقيقة.. حين كنت في سنه لم أكن لأحلم بأن أكون مثله.

يصلـي زاب ويغير ملابسـه، بقيـت 10 دقـائق ويـخرج.. سـاري متـحمس وزـوجـته إـنجـيـ التي تـشارـكـ زـابـ في بـعـضـ الأـغـانـيـ، ثـلـاثـتـهـمـ يـملـؤـهـمـ الـحـمـاسـ لـغـنـاءـ أـغـانـ من أـلـبـومـ زـابـ الجـديـدـ «ـالمـديـنـةـ»ـ أـمامـ الجـمهـورـ.

في تمام السادـسةـ إـلاـ ثـلـاثـ دقـائقـ تـدخلـ حـافـلةـ الفـرـقةـ حتـىـ الـخـيـامـ فـيـ الدـاخـلـ.. يـنـزـلـونـ جـمـيـعـاـ وـنـسـلـمـ عـلـىـ بـعـضـاـ الـبعـضـ بـحـمـاسـ شـدـيدـ.. يـدـخـلـونـ الـخـيـمةـ المـخـصـصـةـ لـهـمـ وـالـقـلـقـ وـالـتـوـتـرـ فـيـ الـجـوـ.. لاـ تـسـتـطـعـ ضـحـكاـتـهـمـ أـنـ تـخـفـيهـ بـأـيـ شـكـلـ مـنـ الـأـشـكـالـ.. الـكـلـ يـتـحدـثـ بـصـوتـ عـالـ وـقـلـقـ وـتـوـتـرـ، تـصـاحـبـهـ إـثـارـةـ وـحـمـاسـ، وـعـشـراتـ الـأـسـئـلـةـ لـهـادـيـ وـمـدـحتـ حـولـ الـأـجـوـاءـ وـالـتـنـظـيمـ وـسـيرـ الـأـمـورـ.

بعدهم بعشر دقائق يصل «بوب» و«مو»، والحقيقة أن ظهور كليهما في معظم الحفلات التي حضرتها مع كايروكي، خاصةً الحفلات ذات الدلالة أو الأهمية الخاصة.. دائمًا ما يسعدني ويثير في نفسي شيئًا من الاحترام، فكلاهما لديه إصرار كبير على دعم كايروكي والتواجد من أجلهم في كل خطوة وهو أمر تقدره الفرقة كثيراً، وواضح أنها يفعلانه بإخلاص شديد واحترام للصداقة.. يفوق بكثير أي قدر من التنافس بين الفريقتين.

يخرج زاب إلى المسرح ويبدأ فقرته مع ساري، ويندو الحماس على جمهوره المنتشر وسط جمهور كايروكي.. تؤدي الأغاني الجديدة بشكل جيد للغاية، رغم أن ساري سيشتكي بمماراته بعد نزوله من خطأ تقني جعل صوت جيتاره ليس بالشكل الذي يريد.. ورغم أن الجمهور غالباً لم يلاحظ هذا الأمر خاصةً وأن هذه أول مرة تعزف الأغاني بشكل حي، إلا أن هذا الخطأ كان بداية أخطاء مزعجة حدثت أثناء الحفل.

في السابعة إلا عشر دقائق.. وقبل خروج الفرقة إلى المسرح تتحول الكواليس إلى فوضى تامة مع دخول ممثلي الرعاة وأصدقائهم للتصوير مع الفرقة.. الشباب يرتدون ملابسهم للحفل في الأوتوبوس بمساعدة مصممة الملابس، وعاصم المحاسب ينسق مع الأمن ليحد من عدد الفضوليين الذين بدعوا يتواجدون خلف الكواليس.. ولكن للأسف كلهم لديهم تصاريح بالدخول.. بعد قليل يظهر طارق الشيخ، على غير المتوقع في الموعد الذي أعطوه له.

خرجت الفرقة من الحافلة والتقطوا صوراً على عجل مع كل الواقفين.. كانت كلمات التشجيع والسلام الحر تتناقل في الهواء بين الجميع.. ساد الهرج والمرج في اللحظات الأخيرة حين تم فصل أمير عن بقية الفرقة ليتوجه إلى مكانه تحت المسرح، وظل يسأل كل لحظة عن الـ Que الخاص به.. مدحت يجري في كل مكان، والضجيج حولنا يفوقه فقط ضجيج الجمهور الذي يقوم بتحية زاب عند نزوله من على المسرح.

أسير وراء أمير الذي يقف وحده ممسكاً بالمايك مرتدياً ملابسه النابليونية، ينتظر إشارة النزول إلى القبو.. أعود مرة أخرى للفرقة التي ترتدي الTransmitter والسماعات.. الكل يتحرك بفزع: مصورون وتقنيون ومساعدون.. الكل يصرخ بأصوات ترتعش بالأدرينالين: «طفي عواميد النور بسرعة عشان نبدأ...».

وما هي إلا دقائق حتى بدأت الدقات التي تعلن بدء لحظة خروج الفرقة للمسرح وسط هتافات هيستيرية من الجمهور.

اللحظة التي انتظرها جميعهم طوال خمسة عشر عاماً.

في السابعة تماماً...

اتصل أمير بآدم يوم 25 يناير ليأسله إن كان يريد الانضمام إليه في المظاهرات.. كانوا قد لعبوا الكرة قبلها بأيام وأصيب آدم بكدمة.. تبين بعد ذلك أنها

قطع في الأربطة، فكان يسير بعكازين ويشعر بألم رهيب عندما يضع قدمه على الأرض.

نزل أمير وحده، وبصعوبة وصل إلى جاردن سيتي عبر السيدة زينب قادماً من المعادي.. ركن سيارته ودخل على قدميه إلى ميدان التحرير.

وجد زملاءه من المجلة بالصدفة.. وقفوا هناك مع مجموعة من الأغراب معظم اليوم بسلام، حتى بدأت قنابل الغاز المسيل للدموع تطاردهم من كل اتجاه.. بدءوا في الركض حتى وصلوا إلى فندق الفورسيزونز، وقبل أن يصل إلى سيارته أمسك به أحد الذين كانوا يركضون إلى جانبه من الحزام وأجبره على التوقف. وقبل أن يحاول أمير فهم ما كان يحدث تحركت بداخله غريزة الشارع وضربه برأسه على رأسه بكل قوته.. وقبل أن يخلص نفسه من قبضة الغريب كانت كل المجموعة التي تركض حولهم قد انقضت عليه ضرباً.. كانوا رجال شرطة متخفين ظلوا يسبونه ويضربونه بكل بعنف.. كان الهرج والمرج أكبر من أن يتمكن قضايات الشرطة من التحكم به.. أوقفوه

دون أن يأمرها أيّاً منهم بأي شيء.. همس أمير لأحد زملائه أن يركضوا جمِيعاً مرة واحدة، فرد عليه الزميل: لماذا؟ نحن نطالب بحقوقنا، ولن نهرب!!

انهال الأمنان على قفاه بالضرب، وفي هذه اللحظة استغل أمير انشغالهم عنه وركض.. نزلت العصي على ظهره في محاولة يائسة منهم لإيقافه، وبوزنه وقوتها الذي كان يزيد عن المائة والعشرين كيلوجرام وطوله المفرط كان كالثور الهائج الذي بشكل ما أثار قلقهم فتركوه.. ظل قابضاً على علبة عصير كانت في يده وهو على استعداد لأن يقذف بها في وجه كل من يقابلها.. كان أمير قد فقد الثقة في كل من حوله لأن أيّاً منهم قد يكون مخبراً.. خبرة خناقات الشارع أيضاً دفعته لأن يخلع الجاكيت؛ لأنهم يميّزون كل من يركضون وراءهم من ملابسهم.

دخل السيارة وبدأ الألم يهاجم جسده مع انخفاض الأدرينالين في دمه.. أدرك أنه قد أصيب بجرح في عينه وأن بظهره وبقية جسده كدمات عديدة.



عاد إلى المنزل، وهناك استقبلته أمه تسأله **عما حدث**.. حين حكى لها ظلت تلومه لأنه سكت على الإهانة.. دخل غرفته واستعاد ما حدث وشعر بإحساس ضخم بالإهانة.. لم حدث له هذا؟ لماذا يضرب ويسب بأمه ويشعر بالقهر لأن هناك من تعدد عليه ولم يستطع الرد؟ بل واضطر للهرب بدلاً من الوقوف والمواجهة.

ولا يوجد في العالم ما هو أبشع من إحساس القهر وعدم القدرة على رد الإهانة.

مستيقظ منذ الأمس.. لم تتم سوى ساعات قليلة.. شعورك بالحماس ليوم الغد لا يضاهيه شعور آخر. تنهي كل ما وراءك من مذاكرة أو انشغالات؛ حتى تصبح خالي البال وتستمتع بالحفل كما يجب.. فهذه تجربة لا تتكرر كثيراً.

تنزل منذ الصباح الباكر ممسكاً بالتدكرة.. قابضاً عليها بيدك فهي الجائزة التي قاتلت من أجلها كثيراً.. قاتلت للحصول عليها.. وقاتلت لتقنع من في البيت بالذهاب،

مقدماً قرائين سماع الكلام وإنها الواجب أو الدرجات المرتفعة في الاختبارات.

تركب موصلةً واثنتين وثلاثة.. تضع السماعات في أذنيك وأنت في لجة الزحام والأجساد المتلاصقة والحر.. ولكنك تحمل كل ذلك محاولاً أن تفصل نفسك عنه بتخيل السعادة القادمة.. تصل إلى مكان الحفل، وتقف في الطابور الطويل وحدك أو مع أصدقائك.. لا يهم فالكل هنا عائلتك.. تشاركون الإحساس نفسه في اللحظة نفسها.. هنا ستسمع وتردد كل ما أردت قوله في عشرات المواقف التي مرت بك منذ الحفل الماضي.. لا شيء يقلقك هنا أو يخيفك.. الكل آمن؛ فالكل جاء يبحث عن الشيء نفسه: سرقة لحظات من الزمن بعيداً عن الضغط الخانق والوجع المستمر.

العالم كله بات الآن في الخارج. وأنت لا يفصلك عنه شيء سوى رغبتك في الابتعاد.. أنت ومن حولك. الجو حار وساعات الانتظار طويلة فقد أتيت مبكراً لتجز لنفسك مكاناً وسط الصفوف الأولى.. تدخل



وتقف. محتملاً الجو والزحام.. رويداً رويداً يزيد الزحام وتعالى دقات قلبك وأنت تراقب الساعة كل لحظة متمنياً أن تكون الدقائق قد مرت بسرعة.. تمضي الوقت في أخذ الصور والفيديوهات لتذكرك بهذا اليوم بعد مرور السنوات، فتستعيد معها ذكرى البراءة والانتصارات الصغيرة. مع ازدياد الازدحام تشعر بالاختناق قليلاً من الأجساد المتلاحمه والروائح النفاذه، ولكنك لا ترى وتسمع ولا تشم شيئاً، فحواسك كلها معلقة بالمسرح الذي سينكشف عنه الستار قريباً.

ما أن تظلم الأضواء حتى تطلق صيحة عالية مع بقية الواقفين حولك.. إنها اللحظة التي انتظرتها طويلاً.. اللحظة التي حلمت بها وتخيلتها في رأسك عشرات المرات في أحلام يقظتك ونومك.. تتعالى الدقات المنتظمة معلنةً بدء الحفل، وتصرخ وتصم آذانك صرخات من حولك.. ينكشف الستار ويظهر نجومك المحبوبون.. تبدأ الأغنية ورويداً رويداً، تقترب مع من حولك إلى اليوفوريا (النشوة) الجماعية المطلقة.

تتلاصق الأجساد أكثر فأكثر وتوحد الأصوات وتتحدى الأحلام؛ حتى تصير كتلةً واحدةً متماسكة.. الألحان والكلمات تطير عبر الأثير من المسرح إلى حيث تقف فتنقلكم جمِيعاً إلى مكان آخر.. تشعر بالسعادة التي تعرف أنها تأتي ممن هم أمامك.. تداهمك ذكرى تؤلمك وأخرى تفرحك.. تتسارع دقات قلبك وتباطأ متماشيةً مع سرعة الموسيقى.. ترفع ذراعيك في الهواء بينما يقفز جسدك صعوداً وهبوطاً ويتمايل يميناً ويساراً وأنت تردد كل كلمة وتغنى بكل لحن تحفظه عن ظهر قلب.. تصدق أحياناً وتصفر أحياناً وتشرد أحياناً حتى تنسى أين أنت.. تراودك أحلام يقطة عن بطولات وهمية تتمنى لو حققتها أو حرية تنشدها بعيداً عن قيود الواقع.. يشعر بدنك فتشعر به كله ينتفض رغم الحرارة من النشوة.. الدموع قد تتعالى متدرجةً من مقلتيك دون أن تستطيع أن تمسكها.. تشعر بكل شيء لا تشعر به في الخارج: تفرح، تغضب، ترقص، تحب، تتذكر، يدق قلبك.. تشعر أنه هي وتحلق في أثير يفوق المساحة التي من حولك.. تنظر إلى من بجانبك وتبادله الابتسام والصراخ.. ليس بينكمَا سابق معرفة

ولكنك تعرفه جيداً وهو يعرفك لأنكما مررتما آلاف المرات بالمشاعر والألام نفسها وأنتما تستمعان لهذه الموسيقى، كما أنكما تمرين بظروف يعلمها كل منكما جيداً، وكلاكما سعيد بهذا العلاج الذي أدمنه ويدفعه في كل مرة إلى أن يكرر حضور ذلك الحفل.

ينتهي اليوم.. وتعود بالتدريج إلى العالم بعد أن تخرج من المسرح والموسيقى لا تزال تطن في أذنيك.. والكلمات لا تزال تدور في رأسك. وكلاهما يتrepid صداح في وجداك حتى قبل أن تغادر تبدأ في افتقاد رفاقك الذين كانوا بالداخل.. تفتقد أصواتهم ورائحتهم وحماسهم ومشاركة اللحظة معهم. هذه اللحظة التي بهم خلقت وازدادت اكتاماً.. يبقى تأثيرها معلو وبداخلك حتى موعد الحفل القادم.

وحين تخلد للنوم في الليل تحدق في السقف.. وتفكر.. وتسرح.. وتستعيد كل لحظة ونغمة وكلمة وصوت.. تشعر أنك أكثر راحة، وقد تطهرت وأزالت كثيراً من وجفك حينما اقتسمته مع الآلاف غيرك



الذين يشعرون به ويفهمونه جيداً، فتنام مرتاح البال
و QUIRIR العين.

مستيقظ منذ الأمس.. لم تنم سوى ساعات قليلة
فشعورك بالحماس ليوم الغد لا يضاهيه شعور آخر..
حماس مختلط بالقلق؛ فالمسؤولية الملقاة عليك
ضخمة وصعبة.. حينما وضعت موسيقاك وألفت
أغانيك أردت أن تقول شيئاً وتشاركه مع غيرك.. أن
تمنح قدرًا من السعادة لمن يسمعك.. حاولت أن تسخر
موهبتك لتقول ما يريدون قوله ولكن لا يعرفون كيف.
والآن، مع كل حفل يتكرر القلق.. ورغم الحماسة
والسعادة التي تشعر بها وأنت تقف على ذلك المسرح
تشاهد تأثير ما تقدمه على غيرك وتشاركهم التجربة،
إلا أنك تشعر بالقلق من قدر المسؤولية الملقاة عليك..
تريد أن تقدم لهم أقصى ما عندك عرفاناً بالجميل الذي
أنزلوه عليك حينما منحوك كل هذا الحب والتقدير.

تنسى عراك الأمس مع من تحب أو التعب الذي يلم بجسده أو حزنك على فراق الأحباء.. تنسى قلقك حيال مستقبلك ومشكلاتك كلها.. تنسى شعورك بالإحباط أو رغبتك في الاستسلام.. تنسى كل هذا ما أن تخطو أول خطوة على سالم المسرح القليلة، مستمئلاً للصراخ المستمر الذي يأتيك من الجمهور دون أن تراه.. تنساه لأن اللحظة الآن أقوى من أي شيء لأنهم عائلتك.

تقف خلف الستار المغلق.. دقات قلبك تتتسارع إلى حد الجنون.. تمسك بالميكروفون.. تنظر أمامك للأضواء التي بدأت تتركز عليك لتغرقك بألوانها.. الأدرينالين يضخ نفسه في كل خلية من جسده.. تزيغ نظراتك للحظة من التوتر والترقب.. تعيد على نفسك كل كلمة وكل لحن ونغمة وتوقيت.. تتحفظ للانقضاض على كل مخاوفك وقلفك وتنسى أنه مستيقظ من الأمس.. تتعرق وتختنق قليلاً من قلة الأكسجين المستهلك من آلاف الأنفاس التي أنت لتسمعك؛ وفأء بالعقد الذي أبرمتمه معًا: لا يتخلى أحدكم عن الآخر أبداً. ستظل

تتحدث بلسانهم وتفرجهم بموسيقاك، وسيظلون يزحفون وراءك في كل مكان.

ينفتح الستار رويداً رويداً.. الآن تغلبك الرغبة في الابتعاد والنسيان واستيعاب كل صرخة وكل نفس وكل قفزة تراها أمامك.. الآن تبدأ اللحظة التي انتظرتها جميعاً.

وتنطلق...

تغنى وتعزف وتضرب بكل ما أوتيت من قوة.. الطاقة القادمة من أسفل تشحنك أكثر فأكثر.. تماماً كما تشحن الأislak التي تدوس عليها بقدمك الس�اعات والآلات.. الجيتار البارد في يديك يتحول طيئاً.. الدرامز تسمع العالم والصوت يتعدد صداه بين من حولك.

تنحد الأحلام حتى تصير كتلةً واحدةً متماسكة.. الألحان والكلمات تطير عبر الأثير من المسرح إلى حيث يقفون فتنقلكم جميعاً إلى مكان آخر.. تشعر



بالسعادة التي تعرف أنها تأتي من هم أمامك.. تداهمك ذكرى تؤلمك، وأخرى تفرحك.. تتسرع دقات قلبك وتتطابق متماشيةً مع سرعة الموسيقى.

ينتهي اليوم، وتعود بالتدريج إلى العالم بعد أن تخرج من المسرح والموسيقى لا تزال تطن في أذنيك.. والكلمات لا تزال تدور في رأسك. وكلاهما يتعدد صداح في وجداً، حتى قبل أن تغادر تبدأ في افتقاد رفاقك الذين كانوا بالداخل.. تفتقد أصواتهم ورائحتهم وحماسهم ومشاركة اللحظة معهم. هذه اللحظة التي بهم خلقت وازدادت اكتمالاً.. يبقى تأثيرها معك وبداخلك حتى موعد الحفل القادم.

يخرجون إلى المسرح.. الأضواء كلها مضاءة، أنوار الهواتف المحمولة للجمهور مضاءة هي الأخرى.. الكل يصفق ويغنى ويصرخ مع نotas آدم الأولى بـ«نقطة بيضا» العالية.. شريف يتأخر في الدخول بالكمبيور.. يصعد أمير بسلام من الدائرة المستديرة في مقدمة

المسرح وسط صراخ الجمّهور من المفاجأة.. الكل يصور بهواتفه محمولة.. يرقصون مع نغمات الموسيقى كما لم يرقصوا من قبل.. العدد والمنظر لا يوصف. والبطل الأضخم في هذا الحفل بجوار كايروكي هو المسرح الذي أصبح في سعة العالم بأكمله.

يخرج عبد الرحمن ويغنى الجزء الخاص به بينما تحول الأضواء للون الأزرق الغامر.. الطاقة الآن مرعبة.. يغنى عبد الرحمن الأغنية باقتدار ويصدح صوته في الأثير.

قبل أن يغادر تكون أغنية «التليفزيون» قد بدأت.

يسير هواري على الكات ووك وهو يلعب الجيتار.. ربما تكون أول مرة يرى الناس فيها هواري وهو يتوجّل.. يلعب صولو طويلاً للغاية.. يسكت أمير في الجزء الذي تقول فيه الأغنية: «قال إيه 25 مكانتش ثورة» ويترك الجمهور يغنيها، ولكنهم لا يلتقطون الإفيف؛ لأنّه

لم يكن في مقدور الجميع أن يستحضروها بسهولة فهي من أقل الأغاني التي تلعب في الحفلات.

لا أشعر أن الصوت رائع، ربما لأنني بجانب الس�اعات.. تهتز تحتي المدرجات بسبب قفزات الجمهور المتتالية.

كالعادة يطلب أمير من الجمهور غناء «صوت الحرية».. يدخل هواري بالصollo ولكن صوت الجيتار يتأخر ربما لجزء من الثانية ثم يظهر فجأة.. الصollo قصير للغاية.. تصمت الموسيقى تماماً ويغنى الحضور بقوة رهيبة.. أكيد هواري متضايق الآن من هذه المشكلات، ومع انتهاء الأغنية أسمع الهاتف الشهير باسم الفرقة.

بعد لحظات يدخل شريف بلحن البيانو لأغنية «عبد القادر».. يخلع هواري السمعاء عن أذنه بعصبية.. يصفر الصوت قليلاً.. يلعب هواري ولا نسمعه.. صوت الدرامز أعلى من الجميع؛ إذ إن دقاتها في «عبد القادر» مميزة وقوية بل ومرعبة ربما.. أتيقن أن هناك مشكلة في الصوت.. يتجلو هواري مرة أخرى



بالجيتار ويُلْعِب صولو بعد فاصل هادئ.. لا أسمعه جيداً أيضاً.

يخرج شريف بالأكورديون متوجولاً على المسرح.. بينما تلعب النوتات الأولى من «أجمل ما عندي»، ويتمايل الجمهور معهم متغنين بشعور الرضا الذي يسيطر على الكلمات. المسرح في غاية الأناقة.. خلفيته تبدو فارغة قليلاً ولكنها مميزة.. الستائر بلون النبيذ ولوجو الأسد وبعض الإكسسوارات مثل الكراسي والمكاتب واللوحات القديمة والترامبيت تعطيه أناقة هادئة ومرحة للعين.. حجمه المخيف يعطي رهبة للمتفرجين وحضوراً طاغياً للشباب الخمسة فوقه.. حركتهم على المسرح سلسة وذكية، وهذه الضخامة تتيح لهم الشعور بأن المسرح كأنه ملعبيهم. أنظر حولي فأجد فتاة تتمايل وهي تغني وحدها وتغمض عينيها وكأنها مسافرة.. يدخل صولو هواري المميز فيصفقون بحرارة معه بينما تهدأ الدراما قليلاً.. شريف يتحرك بالأكورديون نحو المقدمة حتى تنتهي الأغنية ويوجه له أمير التحية.

بعدها يذهب أمير إلى مايك هواري على الطرف: «دلوكتي هنسمعكوا أغنية جديدة اسمها «ما عاد صغيراً» بنهديها للدكتور أحمد خالد توفيق».

يهتف الجمهور وسط التصفيق.. يقف هواري أمام مايك أمير في المقدمة ويبدأ في العزف والغناء.. وقع الأغنية السريع وإيقاعها المتلاحم يعطيها طاقةً تبدو أكثر عنفواناً في اللعب الحي، وهو معيار أي موسيقى جيدة بالنسبة لي، أن تثبت حيويتها بشكل مباشر أمام الجمهور.. على الشاشات تتغير الصورة ما بين البث الحي وصورة أحمد خالد توفيق بالأبيض والأسود.. يعني هواري بثقة ومخارج الفاظ واضحة وعربية سليمة.. درامز تامر مهيمنة على الباقي بشكل مبالغ فيه.. يستقبل الجمهور الأغنية بشكل رائع.. من الواضح أن الشحنة العاطفية القوية في ألحان هواري تصل للمستمعين بشكل لحظي.

ينكتم الصوت فجأة.. ويصرخ المايك ما بين الحين والآخر.. هذه الهنات تفصلني عن المود بشكل متكرر.



أسرح مرکزاً نظري على هواري.. لابد أنه سعيد الآن وصوته وألحانه تحلق في الآفاق،وها هي الدائرة تنغلق بالخطوة الأولى؛ التي يتخذها في إسماع الناس صوته الحقيقى وليس فقط جيتاره وألحانه وقريباً كلماته.. هاهي قطع الأحجية تتساقط وتنتكامل؛ لتكون الصورة الكاملة لـ«كايروكي» الذي حلموا بها، معاً أو كل بمفرده، أن يعرف الناس أن هذه فرقة مكونة من خمسة موسقيين يحلمون بــأفضل لأنفسهم وببلادهم.. يريدون أن يقدموا فنّا حقيقياً أصيلاً، وأن يجدوا في هذه الرحلة الطويلة صوتهم كما غنوا بأصوات ملايين مستمعيهم من قبل.

ظل أمير حبيس غرفته من يوم 25 حتى ليلة 28 يناير، لا تزوره سوى ليلى للاطمئنان عليه.

أراد النزول يوم 28 يناير مدفوعاً برغبة عارمة في الانتقام.. كان متخفياً بعض الشيء، كما كنا جميعاً مساء ذلك الخميس حين لم نكن ندرى ماذا يمكننا أن

نتوقع.. هل سيفتحون النار علينا؟ هل سيقبض على آلاف الشباب؟ كم واحداً غيري يفكر في النزول؟ هل هذه ثورة بالفعل؟ هل نستطيع تحقيق ما حققه في تونس منذ أيام؟

وهنا كان للضمير الجمعي الغلبة..

لم تكن لدى الجميع حسابات على فيسبوك، وكانت الاتصالات قد بدأت بالانقطاع مبكراً وهو ما كان دافعاً آخر للتحرك؛ لأن هذه الخطوة الغبية من جانب الدولة كانت إشارة إلى أنها كانت خائفة.. كانت الدولة كالوحش الضخم المخيف المرعب الذي لا يقهر، ولكن هناك في ركن صغير جدًا بأسفل رجله، كان يقف شباب صغير بحواسيبهم المضيئة أحدثوا جرحاً صغيراً لا يكاد يرى..

ولكنه كان جرحاً، وهذا يكفي.

خلف هؤلاء الشباب الطليعي.. كان الملايين في بيوتهم الذين أخبرهم عقلهم بالشيء نفسه، أن الجرح الآن

لأول مرة لا ينغرس في نفوسهم، ولكن في لحم الكيان المسيطر وأن الأوان قد آن لآن يكتمل؛ حتى يصبح بتراً كاملاً ثم القضاء على الوحش.. أصبح الانتصار ولو كفكرة ممكناً.

وقفت أم أمير ليلتها تشاهد تردده في النزول، فأقبلت عليه وبثباتها الغريب وقوتها العارمة التي لم تكن لتتخبو بمرور السنوات ومهما تكالبت المحن قالت له الكلمات التي كانت سبباً في أن تجد الثورة المصرية أغنيتها بعد ذلك بعشرة أيام: «انزل هات حلقك».

وكانت هذه الكلمات الثلاث هي بالضبط ما خرج من أجله ملايين المصريين في يوم الجمعة العظيم.

حاول أخوه منعه، وأتى خصيصاً إلى المعادي ليصطحب أمير معه إلى بيته في السادس من أكتوبر؛ ليتأكد من أنه لن ينزل في اليوم التالي.. عاد معه أمير وبات ليلتها مستيقظاً. بعد أذان الفجر خرج متسللاً من غرفته ليعبر الصالة نحو الباب ليجد أخاه جالساً



ينتظره في هدوء على الكتبة مرتدياً ملابس الخروج كاملة.

يبدأ لحن أغنية «أنا مش منهم»، بكوردات الجيتار الأكوستيك..

الحاضرون يعرفونها جيداً رغم أنها من الأغاني التي نادراً ما تعزف في الحفلات، ويغنون مع أمير.. صرخة أخرى من صرخات الحرية من سيطرة الآباء يتعاطف معها الشباب الصغير ويتحركون.. صوت الصولو الآن أفضل قليلاً.. يخرج زاب ليغني وتأتي الصرخات.. يعطي حماساً للجمهور. كانت هذه الأغنية المنفردة قد ظهرت في ديسمبر 2012 في رد فعل سريع من كايروكي للاستقطاب الدامي، الذي وصل ذروته في أحداث الاتحادية في أوائل الشهر نفسه.

ودون فاصل تأتي «اثبت مكانك».. طبعاً الكل يغني في اللحظة نفسها دون تردد.. تعود الذكرى التي أراها ترسم على الوجوه لأيام كان الصمود هو عنوان كل



بيت وقلب.. الكل يعني.. دبيب الأقدام يتراافق مع
دقات الدراماز التي ترسخ الأغنية في وجدان
المستمعين فلا ينسونها.. الصولو يصرخ.. الروح الآن
في الحناجر:

اثبت مكانك هنا عنوانك

دا الخوف بيختلف منك

وضميرك عمره ما خانك

اثبت مكانك

دا نور الشمس راجع

يا تموت وإنْتَ واقف يا تعيش وإنْتَ راكع

اثبت مكانك دا عينيك شايقة الدليل

ابعد عنهم وسيب الحيطة عليهم تميل

اثبت مكانك

قلب الوطن اتجرح

وصوت الحرية خلاص اتنبح

كلامك ما بيتفهمش إحساسك مابيتوصفش

إنت بتقول كرامة وهمما يردوا بمهانة

إنت بتقول العدل بيقولوا عنك ندل

اثبت مكانك هنا عنوانك

دا الخوف بيخاف منك وضميرك عمره ما خانك

اثبت مكانك إنت نور الفجر

وهوتافك صوته أعلى من صوت الرصاص والغدر

اثبت مكانك وإدعني ويّا الأدان

لـك رب اسمـه الحق والعدل والسلام

اثبت مكانك وكتفك في كتف أخوك



لو مهما راحت روح الفكرة مش هتموت
الكل يتذكر الآن ولا أحد ينسى.. ولن ينسى أحد.

مع ظهور زاب الكل يصرخ والأرض تهتز من تحتي
بشكل مرعب حتى إني أخاف أن نسقط.

مطلوب منك السكوت تكون إنسان بديل

مطلوب تskت تموت أو تعيش أسير

عايش في أكبر سجن بس من جوّايا حر

حاضر حتعجب تكفي عني كل الشر

الولاء للماضي أفكار لينا صديقة

كذب الكاذب جوّايا يأكـد الحقيقة

انعكاس تاريخ الزيـف في المرايا واضح

طوبة تكسر المرايا للحقيقة فاضح



مستورين من جوّانا لو جسمنا انكشف
 فاللي ينطق بالحقيقة بالخيانة اتوصف
 انهزمي وانهزم لكن انتصاري واتسرق
 الحقيقة فبروكها بحزن على كتاب اتحرق
 أنا اللي ماتوا من سنة واللي قاتل ما أتشنق
 أنا السطور على الورق أنا اللي من جوّا اتحرق
 أنا اللي شعر شاب بموته وهو طالب مدرسة
 أنا اللي ثابت مهما قالوا ومهما زودوا الأسى
 من ذا الذي يعيش أكثر من أغنية أصيلة؟

تبداً «اتجنن».. مع خفة وسرعة الأغنية المرحة يدخل الجمهور في أجواء الحفل.. لا أحد يتوقف عن الصراخ والقفز وترديد الكلمات.. (عيش للناس) يردد الناس..



منهم وإليهم تدور هذه النغمات الخفيفة.. هواري يلعب الصولو، ويدخل زاب مرة أخرى فيشتعل المسرح أكثر.

تنتهي الفقرة الأولى من حفل كايروكي إمبائر الذي يشهده عشرون ألفاً من الشباب الذي تتراوح أعماره ما بين الخامسة عشرة والأربعين.

كان يوماً فارقاً في تاريخ مصر..

وفي تاريخ كل واحد منها.

وصل أمير وأخوه مع بعض الأصدقاء إلى جامع مصطفى محمود، رمز العطاء والخير.. تركه لنا مفكر وفيلسوف مصري عظيم.. صلوا الجمعة هناك. بعدها بدأت الجماهير دون ترتيب تهتف بأعلى صوتها، لحظتها اجتاحت أمير كما اجتاحت كل من شهد الحدث الجلل مشاعر لا يمكن للكلمات أن تصفها، قرر أنه سيبقى مع هذه الجموع حتى النهاية... مهما كانت هذه النهاية.

كان هيثم وعماشة ورفاق آخرون قد قرروا النزول من ليتلها ولم يتمكن أمير من الترتيب معهم؛ بسبب وجوده في ٦ أكتوبر وعدم توافر الهواتف.. أتى رفاق المعادي من شارع قصر العيني، بينما كان هو وأخوه يقتربان من الميدان عبر كوبري قصر النيل من الجهة الأخرى.. قادمين من مصطفى محمود.

معركة كوبري قصر النيل كانت الأكثر عنفاً ودموية.. استمرت ساعتين. كان أمير قد تعلم من يوم الثلاثاء كيفية التعامل مع قنابل الغاز؛ حيث يلفها في كوفية ويرمي بها من الناحية الأخرى.. كان في الصفوف الأمامية، وظل هو والألاف من حوله يحاربون حتى أصابهم الإعياء.

رويداً رويداً بدأت ملامح ميدان التحرير تتضح أمامهم وسط ضباب أدخنة قنابل الغاز.. نظروا أمامهم فوجدوا على الضفة الأخرى ضباطاً وعساكر يتعاركون مع القادمين من شارع قصر العيني، وحين رأوا أن أول فوج من المتظاهرين قد نجحوا في العبور انتابتهم قوة ما فكسرها الحاجز وعبروا أيضاً.

ركضوا نحو الميدان بأقصى سرعتهم.. كانت لحظة أثيرية وغريبة، وبعد الزحام والاختناق والمعارك القاتلة كأنه يوم الحشر خرجوا إلى الميدان الواسع ليجدوه خالياً تماماً، يغلفه صمت مطبق وأصوات المتظاهرين القادمين من وسط البلد ورمسيس تتردد أصداوها من بعيد.. ساروا نحوه وكأنهم في أحد أفلام الحروب وقد دخلوا مدينة مهجورة خالية من البشر.

كانت هذه اللحظة أول مؤشر ضمني بانتصار الثورة.

احتلوا حديقة الميدان حتى اليوم التالي.. عاد للمنزل يغير ملابسه ونزل مرة أخرى. وجد هناك حالة إيجابية رهيبة، وكان الإحباط قد اختفى.. وبدأت ثقته في نفسه تعود.. مقدار من السعادة والحماسة والإشراق لم يره من قبل.

واكتشف أمير أنه ليس وحده الذي يفكر بهذه الطريقة.

كانت هذه الحالة من اليوفوريا أو الانتشار الجماعي سببها أن كل فرد واقف في الميدان كان قد وصل إلى



لحظة انتصار على كل ما كان يقهره ويؤلمه في هذه الحياة.

في حالة أمير كان للحظة قد نسي أباه وزنه ومعاناته مع التعليم وإهانات الضباط وألم الانفصال وإحباط تأخر النجاح.. شعر أن وجوده أصبح له معنى.

الظاهرة الإلهية التي حدثت في ذلك الميدان، والتي لا أظن أن أحداً سيتمكن من تفسيرها مهما قتلها علماء الاجتماع والنفس والتاريخ بحثاً، هي: أن هذه الحالة من السلام الفردي الداخلي تجمعت كلها في مكان واحد فتشاركه المتواجدون، وبات كل ما هو فردي جماعياً.. وكان مصدر هذا السلام هو اجتماعهم كلهم على أهداف واحدة واجهوا الموت من أجلها: الحرية، العدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية.. حدثت حالة من التجانس الجماعي غمرتهم جميعاً.. شعر كل منهم أن حياته تتغير في هذه اللحظة الفارقة.. أنه يغادر حياته التي كانت قبل هذه اللحظة.. تلك الحياة المؤلمة المحبطة الوحيدة المقهورة المقيدة والضاغطة، ويخطو الآن مع كل خطوة داخل الميدان إلى حياة

جديدة.. حياة كان يبحث عنها منذ زمن: الحرية والسعادة والرضا والقوة والكرامة.. شعر ملايين البشر بالشعور نفسه في اللحظة نفسها وهو شعور لم يفهمه من كانوا يشاهدون الحدث في التلفاز.. وبالتالي لم يشاركوا هؤلاء الذين وقفوا ساعتها الزخم نفسه، الذي دفعهم للاستمرار بعد ذلك لسنوات مدافعين عن الثورة.. بل وتخلوا عنهم وباعوهم عند أول منعطف؛ لأنهم لم يمروا بتلك اللحظة.. تلك اللحظة التي ربما لم تتعذر ثوانٍ بسيطة، حين اهتزت أرواحهم جمیعاً بدغدقة معينة كذلك التي تحسها حين تطأ قدمك بقعةً مقدسةً من هذا العالم..

هدأت الأضواء كثيراً.. ثم عادت للظهور ولكن بتركيز شديد على الدائرة التي تنتهي بها الـCatwalk التي يحيط بها الجمهور.. أثناء قيام الفنيين برصف المقاعد التي ستجلس عليها الفرقة تحدث أمير للجمهور: «عايزين سكوت تماماً.. حابين نقدم لكم أغاني إنتوا عارفينها كويس بس بشكل مختلف.. إحنا زمان لما

بدأنا كنا بنلعب في كافيهات.. عدد الحضور كان أخره 20 واحد ساعات.. نفسها ناخذكم معانا في التجربة دي، ومش عايزين ننسى إحنا ابتدينا إزاي، وعايزنعوا تحافظوا على الهدوء التام في الفقرة الصغيرة دي.. العيال تحدوني إنكم مش هتسكتوا، ومهندس الصوت قاللي لازم تسكتوا.. فأنا قبلت التحدي.. ياللا بينا».

يتوجهون نحو المقدمة، يصفق الجمهور ويصبح في سعادة، ثم يخيم هدوء شديد.. تجلس الفرقة جميعها في أحضان الجماهير التي تقف تحتها متطلعةً بترقب وشغف شديدين.

تبداً أولى أغانيات فقرة الأكوستيك: «حلمي أنا».

يقول أمير: «الأغنية دي عملناها سنة 2006».

حلمي أنا ...

أزرع ورود مكان الحدود... بين البشر

أمسح دموع

طفل موجوع

وحاسس بالخطر

حلمي أنا في عيون الناس

لكنه تاه وسط الأحداث

لكني أنا مش ناسي... أنا مش ناسي

ومش قادر أبدأ من جديد

حميمية الأيام الأولى تعود.. الخمسة الذين كانوا يوماً
 لا يعرفون متى يسمعهم الناس ولا لم يغنو سوى
 لأنهم يحبون الموسيقى ويرون فيها صوتاً لهم.. ها هو
 شريف يجلس معهم كجزء من الكل، بعد أن كان
 يحاول بصعوبة أن يلعب معهم الموسيقى يوم ألفوا
 هذه الاغنية.. آدم يكمل عامه العاشر في الفرقة بعد أن
 كان يومها قد انضم إليهم متربداً.. تامر يحقق حلمه
 بتنظيم حفل ضخم ينقله هو ورفاقه لمكان آخر بعد أن
 كان يومها لا يزال يعاني من نوبات الغضب التي لا

تنتهي.. وهواري يعزف وهو يشعر بتحقيق تأخر كثيراً بعد أن غنى أول أغنية مع أمير أمام الشادر، وهم بعد لا يزالون أولاد السابعة عشرة.. أما أمير فها هو يغني وهو يرى حلمه الذي كان يراه بعين الخيال يتتحقق أمامه بآلاف الأصوات التي تردد كلماته.

بعدها يغنوون «نعدى الشارع سوا» برومانسيتها الجميلة، ثم أغنية قديمة دمها خفيف اسمها «حبيبي يا مطلع عيني»، يضحكون عليها وهم يعزفون.. إنهم لا يخشون بداياتهم؛ لابد وأنها لحظة عاطفية لهم جميعاً.

تنتهي الفقرة الأكوستيك ويعودون إلى أماكنهم مرة أخرى.

انجرف أمير وراء اللحظة بكل سحريتها وجمالها.. وبدأت القناة التي يعمل بها تتصل به وتلح عليه في أن يعود للعمل؛ فهي تشهد الآن طفرة إعلانية لم تشهدها من قبل بعد أن بدأت خدمتها الإخبارية

والتحليلية تؤتي ثمارها.. فمصر بأكملها الآن قابعة أمام التلفاز.

ولكنه لم يذهب للعمل.. وتوقف إلحاهم بعد أن اتفقوا مع شركة لمبيعات الإعلانات فلم يعودوا بحاجة إليه.. وحين انصاع وذهب أخبروه باستغناائهم عنه.

تضائق لأن نسبته من الإعلانات ومرتبه كانا قد حققا له دخلاً ممتازاً بدأ ينفق منه على أمه وعلى نفسه وموسيقاه.. الآن أصبح بلا عمل.

قرر أن يمنطق الأمر بأن هذه منحة من الله؛ كي يركز على موسيقاه.. أمسك بجيتاره وهو محبط وأخذ يلعب بعض الكوردات وهو شارد.. دارت في رأسه كلمات كانت قد أتته في اللحظة السحرية ليوم 28 تعبّر عما مر به يومها: «نزلت وقلت مش راجع وكتبت بدمي في كل شارع».

وجد لحنًا أعجبه.. أتى بجهاز تسجيل وسجل تلك البدايات وأكمل الأغنية.. أسمعها لهيثم وأمه اللذين



كانا معه في المنزل، وبكت أمه، وعرف أمير لحظتها أن كل شيء تغير.

في المساء اتصل بشريف وأخبره أن لديه أغنية ويريده أن يحضر على وجه السرعة.. حمل شريف الكيبورد مخترقاً حظر التجول وذهب لأمير وبدأ في العمل.

حتى انتهائه من الأغنية لم يكتبها أمير أبداً في ورقة.

سجلوا الأغنية.. اقترح أمير أن يصوروها، فكرروا في شكل الأغنية كيف سيكون وبأقل تكلفة ممكنة، فخرجوا بفكرة منطقية للغاية.. أن يتم تصويرها داخل الميدان، وأن يحمل المتظاهرون والمعتصمون، أصدقاؤهم في الأغلب، يفطا، اتباعاً لظاهرة اليقط لحظتها.. عليها كلمات من الأغنية. اتصل أمير بليلي وأملاها الكلمات التي يريد كتابتها وأخبرها أنهم يريدون هذه اليقط غداً صباحاً؛ حتى يتمكنوا من التصوير نهاراً، إذ ليست معهم أدوات إضاءة.

وقد كان..

ساعدهم أصدقاؤهم من المخرجين الشبان في تصوير الأغنية.. انقسموا لثلاث فرق: في كل فرقة منها واحد منهم يصور والأخر يحمل البساط ويتكلم مع الواقفين.

كان تامر قد طار إلى عمان بأوامر من أبيه.. وآدم مع والدته في المنزل ولا يزال يعاني من صعوبة في الحركة، ولكنه نزل يوم التصوير.

عادوا إلى منزل أحدهم وظلوا يعملون على مونتاج ما تم تصويره حتى الفجر.. انتهوا منها، رفعوها على يوتوب وذهبوا جمِيعاً إلى منازلهم؛ كي ينالوا قسطاً من الراحة بعد أربعة أيام من الاستيقاظ المتواصل.

يطمئن أمير الجمهور: «الحفلة لسه مبتدتش».. يهمس تامر لأمير بشيء ما في أذنه.. وبعدها يتحدث أمير في المايك طالباً من جمهور الـ VIP ألا يقفزوا كثيراً

على المنصة؛ حتى لا تهتز كثيراً.. بعدها سأعرف أن إدارة المركز التجاري قد أصابها الذعر بسبب اهتزاز المنصة وظنوا أنها قد تسقط متسbieًة في كارثة، وهو ما أكد مهندسو المول نفسه أنه لن يحدث؛ لأن المنصة كانت قد صممت ونفذت بشكل يستوعب عدداً أكبر بكثير من ذلك الذي كان يجلس عليها الآن، وأن ذلك الاهتزاز كان أمراً طبيعياً.

المهم أن الجميع بعد أن كانوا قد بدعوا في الهدوء بعد الفقرة الحالمة.. قاموا بأداء فقرة جديدة من الأغاني بكل قوتها، بدأت بأغنية «غريب في بلاد غريبة» وبالطبع كله يقفز ولا يستمعون لتحذير أمير.. بعدها أخذ تامر المايك وحذر الجمهور مرةً أخرى وطلب من كل من يستطيع النزول عنها أن ينزل.

بدأت أتوتر وفكرت لحظتها في شعورهم وهم يتشتتون كل لحظة بهذه الأمور.. فكرت كيف يلعب تامر بهذا الشكل خاصةً أنه دائمًا ما يحرص على الاستمتاع في اللعب، ودوره شديد الأهمية؛ لأنه المتحكم الأساسي في إيقاع الأغنية.



في اللحظة نفسها، يظهر أحمد مدحت ويبدأ في إنزال الرعاعة من على مسرح الـ VIP وكل من يمكنهم النزول.. وأنا أولهم بالطبع.

بعدها يعزفون «السكة شمال»، ثم «غمض عينك»، ثم تنزل «نقطة بيضا» سلامًا على المتواجددين؛ فتنقلهم إلى مكان آخر خارج هذا العالم.

في صوت جوّايا بينادي من بعيد
سامعه وعارفه كوييس بس أنا عامل عبيط

نقطة بيضا في وسط سواد

إنسان بينادي جماد

هو البراءة والسداجة

وأنا الدنيا الكذابة

عايش معاه في سجن



وأنا السجان

معايا مفاتيح كل البيان

لكن جبان

أنا الجاني والمجنى عليه

أنا كل الأسباب

ولسه بسأل ليه

هو أنا وأنا هو

هو حرب دائرة جوه

جوه مني وبتقتلني

مهما جررت أو هربت

هو أنا وأنا هو

هو حرب دائرة جوه





جَوْهُهُ مِنِي وَبَتَقْتَلْنِي

مَهْمَا جَرِيتْ أَوْ هَرَبْتْ

جَوَّا يَا اتَّنِينْ وَأَنَا التَّالِتْ

وَالْتَّالِتْ دَائِيْمَا سَاكِتْ

سَلْمْ بَطْل يَتَكَلْمْ

وَلَا يَبْحَسْ وَلَا يَبْتَأْلِمْ

جَوَّا يَا عَقْلْ وَقَلْبْ

دَائِيْمَا عَايِشِينْ فِي حَرْبْ

قَلْبِي حَاسِسْ بِالذَّنْبْ

وَعَقْلِي وَأَخْدِ جَنْبْ

وَالْدُّنْيَا مَاشِيَة عَكْسِي

لَفِيتْ وَمَشِيتْ مَعَاهَا

وبعث أنا نفسي

نفسي خلتني أنساها

ولبست وشوش تانيين

ونسيت في الأصل أنا مين

فقلت أرجع من تاني

لنفسى اللي بتعانى

هو أنا وأنا هو

هو حرب دائرة جوه

جوّه مني وبتقتنى

مهما جريت أو هربت

هو أنا وأنا هو

هو حرب دائرة جوه



جَوْهُهُ مِنِي وَبِتَقْتَلْنِي

مَهْمَا جَرِيتْ أَوْ هَرَبْتْ

ثُمَّ يَدْخُلْ عَبْدُ الرَّحْمَنْ؛ لِيَصْدُحْ بِصَوْتِهِ الَّذِي يَمْلأُ
الْآفَاقْ:

عَجَبِي عَلَيْكِ يَا زَمْنَ فِينَا مِشْ سَائِلْ

وَأَنَا الَّلِي اسْتَاهَلْ إِنِي صَدَقْتَكْ

وَمَشِيتْ وَرَاكْ لَحْدَ مَا سَبَقْتَكْ

بَصِيتْ وَرَايَا لَقِيتَنِي وَحِيدْ

فِي وَشِ المَدْفَعْ مِشْ عَارِفْ أَرْجَعْ

اسْتَمْرَارًا لِتَلْكَ الْحَالَةِ الْعَاطِفِيَّةِ.. تَعْقِبُهَا «كُلَّ حَاجَةٍ
بِتَعْدِي».

لَيَنْتَهِي فَصْلٌ آخِرٌ مِنَ الْحَفْلِ.

نشر الفيديو قبل يوم واحد على تنحي الرئيس ونجاح الثورة.. وكان الأغنية جاءت إيذاناً بنهاية المعركة واحتفالاً استباقياً بها، ومن هنا كان التأثير الرهيب لها. فرغم أنها اكتسبت الزخم الأول لها فور صدورها؛ أي في خضم الأحداث ودون أن يدرك أحد أن النهاية صارت وشيكة.. إلا أن النجاح الحقيقي يكمن في احتضان العقل الجمعي للجماهير للأغنية؛ باعتبارها أنشودة الثورة أو بمعنى أدق أنشودة نجاح الثورة.. ويعود ذلك في الأساس إلى ألحانها وكلماتها المتفائلة البسيطة التي تدخل القلب؛ فهي ليست أغنية «ثورية» بالمعنى التقليدي.. بمعنى أنها لا «تحض» على الثورة، بقدر ما تحكي حكاية ثورة قد تمت بالفعل، وتتناغم بنجاحها لمجرد أنها قد قامت بغض النظر عن النتيجة.. كان واضحاً أن التيار المؤمن بالثورة والمصدق لها هو الغالب، وأن الانتصار لابد قادم.

تناغم كلمات الأغنية بشكل توثيقي بالحالة التي انتابت كل شاب ورجل وامرأة عند النزول: لن أعود، كتبت بدمي في كل شارع، سمعنا اللي مكنش سامع،

واتكسرت كل الموانع، سلاحنا كان أحلامنا، وبكره واضح أدامنا، من زمان بنسننى، بندور مش لاقين مكاناً.. دلالات هذه الكلمات شديدة الوضوح فهي تتحدث عن شجاعة الثوار واستعدادهم للتضحية والتخلي عن كل شيء في سبيل وطنهم، ثم كان الاحتفاء بعلو صوت الثورة وقدرتها على تخطي كل أساليب القهر: سمعنا اللي مكنش سامع، واتكسرت كل الموانع، ثم تتحدث عن السلمية التي كانت واحدة من أهم ملامح الثورة التي تغنى بها العالم فعلاً: «سلاحنا كان أحلامنا، وبكره واضح أدامنا» التي تأتي لتقول بأن الغد سيكون أفضل وأن الرؤية أخيراً باتت واضحة بعد أن انقشع الضباب، ويعود بعد ذلك في ختام الكوبليه الأول ليذكر بحالة الضياع التي كنا نمر بها جمیعاً، والتي سنعود لها بعد شهور قليلة للأسف: من زمان بنسننى، بندور مش لاقين مكاناً».

وفي الكوبليه الثاني الذي يغنيه هاني، يعود الفخر بالحدث الذي صنعه بالأساس جيلنا المقهور: «رفعنا راسنا في السما، والجوع مبقاش بيهمنا، أهم حاجة



حقنا، ونكتب تاريخنا بدمنا»، ثم توجه الكلمات رسالة تحذير للآصوات التي ارتفعت حينها تطالب الجماهير بإخلاء الميدان: «لو كنت واحد مننا، بلاش ترغى وتقولنا نمشي ونسيب حلمنا، وبظل يقول كلمة أنا».

وتحمل جملة «لو كنت واحد مننا» دلالة واضحة أخرى؛ فالشعب المصري كان قد انقسم وقتها إلى طرفين: ضد ومع.. التحرير وميدان مصطفى محمود.. المناصرون لبقاء الرئيس بعد خطابه العاطفي، والرافضون للحلول الوسط.. تأتي الجملة لتسيير مع هذه النغمة الانقسامية، وسواء كان المقصود بواحد مننا أي واحد من الثوار أم واحد من الشعب، فالرسالة كانت واضحة في آخر جملة في الكوبليه: «بطل يقول كلمة أنا» فالفردية كانت مرفوضة تماماً، وكانت المفارقة الأبرز أن مجتمعنا الفردي وجيلنا الذي كان يكره الضغط الجماعي الذي كان يمارسه المجتمع على كل واحد منا، قد اختار أن يجتمع ويتحد ويسقط كل الخلافات، ويلغي هذه الفردية المقيضة التي سيطرت على حياتنا.. كانت فردية مقصود منها الانعزال

والابتعاد عن المجتمع بشكل يجعلنا نحمي أحلامنا وطموحاتنا المطحونة من هؤلاء الذين لا يفهموننا، ولكن أدرك الجميع في لحظة أن الفردية ليست حلّا وأن الالتفاف حول هدف واحد هو الوسيلة الوحيدة للنجاة.

تمثل أغنية «صوت الحرية» جسراً ناعماً من حرير بين ظلام المرحلة التي قبلها وجمال مرحلتها التاريخية «الثورة»، وأخيراً التطلع نحو مستقبل أفضل.. لقد عبرت بصدق عن الضمير الجمعي للمصريين في تلك المرحلة؛ ولذلك لم يكن غريباً أن يستيقظ أمير وبقية أعضاء الفرقة في اليوم التالي ليجدوا أن حياتهم بكل بساطة قد تغيرت بالكامل ولن تعود أبداً كما كانت.. تماماً كمصر التي تغيرت منذ ذلك اليوم تغييراً أبدياً وتغيرت معها حياة كل واحد منا.. تماماً كحياة الفرقة.. لقد صنعت كايروكي التاريخ وصار عليهم الآن أن يتوقفوا؛ ليقرروا كيف يستغلون هذه الفرصة ويختارون بين الضياع في زخم النجاح المفاجئ، والانتهاء إلى لا شيء، أم المضي قدماً وإثبات أنهم لم

يكونوا مجرد ظاهرة خلقها سياق تاريخي محدد ستنتهي بانتهائه.

تببدأ فقرة الموسيقى الإلكترونية.. يحتل شريف المسرح وحده واقفا على Rack DJ، ويبدأ في تحميس الجمهور أمام Rack.. يوجد قماش نبيتي يرد على ملابس شريف الكلاسيكية.. يلعب شريف أغنيتي «لفة» و«مسرحية» وحده بالتوزيع الجديد بينما يتcafز الجمهور وهم يستوعبون الأغاني التي يسمعونها لأول مرة بهذا الشكل.

بعدها يظهر تامر بالطبلة.. وفي أغنية «ليلي» يظهر آدم بالساكسفون لأول مرة منذ أكثر من عشر سنوات فيخطف الأضواء.. يلعب هواري الصولو الأخير لاغنية «القلب يا ناس اشتكتي» بينما تلتتصق الفرقة كلها واقفة في منتصف المسرح لأول مرة في تاريخها مكونةً كتلة واحدة.



يبدأ الفيديو كليب بمشاهد متفرقة من الميدان.. تستطيع أن تشعر معها بلحظية الموقف ما أن تراه؛ فقد نقلني منذ المشاهد الأولى إلى الميدان بلحظاته الفارقة.. يدور أمير وهاني عادل في الميدان وهما يغنين الأغنية ويغنيها معهما الناس بوجوه مشرقة.. سواء بتردید الكلمات التي تسمعها في كل مقطع، أو من خلال اللافتات التي يرفعونها. إحداها مطبوعة على الكمبيوتر يحملها طفل تقول (بظل تقول كلمة أنا) وترى كل أطياف المشاركين في الميدان في الفيديو من: أبناء الطبقة المتوسطة، شباب، موظفين، باعة جائلين، فقراء، كبار وأطفال وسيدات وفتيات وعجائز.

يغني أمير الكوبليه الأول ويتبعه هاني عادل في الثاني.. ثم يأتي الفاصل الموسيقي بصولو هواري الهدائ، يغطيه صوت الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي يتلو جزءاً من قصيدة (الأحزان العادية).. يصاحب بداية القصيدة يد تصور بالهاتف المحمول.. ذلك الهاتف الذي كان سبباً في مرحلة ما قبل الثورة

في تسجيل وحشية الشرطة، ثم صار أداة لتحريل الأمور الراكرة، وبعد ذلك أداة التوثيق الأولى.

تتواصل الصور توثيقية جميلة تصاحب كلمات الأبنودي، وهي صور في أغلبها تنقل حالة المواجهة التي حدثت مع قوات الشرطة، ثم الاحتضان الذي تم من الجيش والذي كانت المشاعر الإيجابية نحوه في أوجها وقت تسجيل وتصوير الأغنية.

ثم يغنى أمير مرة أخرى الكوبليه الآخرين ويذكر الـ Chorus: «في كل شارع في بلادي، صوت الحرية بينادي» هذه الحالة المشرقة واللحظة السحرية التي تحدثت عنها تبدو جلية في القيديو، مع حركات الكاميرا الهادئة التي تتغير أحياناً للتصوير البطئ.

من أكثر المشاهد المؤثرة بالنسبة لي، كان مشهد لأب يقف واضعاً يده على كتف ابنته بجوار سور كتب عليه: «الشارعلينا».

مع أغنية «الكيف» يظهر طارق الشيخ ويشتعل المسرح بالرقص.. يعيد الـ Chorus الأخير ثلاث مرات ولا يريد أن يختتم من فرط سعادته وذهوله من هذا العدد المهول من المستمعين.

بقيت أغنية واحدة على انتهاء الحفل.

أدون آخر كلماتي في مفكري الزرقاء بينما تترافق الحروف بين دموعي.

تنتهي الرحلة وتطوى الصفحات.

تطوى ليجف الحبر الذي سطرها.. الحبر الذي رواه الشهداء بدمائهم، وسطرها ستة من أبناء هذا الجيل؛ ليكتبوا بكل حرف ونغمة مئات الكلمات التي نطقتها الملاليين الذين شكلوا هذا الجيل.. تنطوي الصفحة الأخيرة لتنفتح بعدها صفحة جديدة يسطرها من بعدهنا.



وكان فصلاً في روايتنا جمِيعاً ينتهي ليبدأ فصل
جديد.

فصل به من التحديات القادمة بقدر ما فيه من إنجازات ماضت.. تحديات انتصروا عليها الواحدة تلو الأخرى حتى وقفوا اليوم أمام الآلاف الذين يرونهم نموذجاً للعناد والعمل الدؤوب والاجتهاد والإصرار على تحقيق الحلم وقول الكلمة والثبات على الموقف.

اليوم يلعبون أغنياتهم التي عزفها أحدهم أمام أستاذ مرات ومرات يوم أن كان شاباً صغيراً يحمل جيتاره.. يغنى كلمات حالمة تريد أن تغير العالم.. تلك الأغانيات التي لحنوها وعزفواها معاً بالساعات في مقاهي تحت الأرض كي يتمكنوا من تغيير أوتار جيتار وربما الفوز بتصفيق أو اثنين من مستمع وحيد.

اليوم يلعبون أغانياتهم فوق مسرح ضخم يحيط بهم فريق من مئات الأفراد والأصدقاء والداعمين وأمام آلاف المستمعين الذين يهتفون باسمهم.. تحت الأضواء وأمام الكاميرات وتحت عين كاتب يكتب

كتاباً هم أبطاله؛ ليعبر بهم عن جيل أراد أن يغير العالم.. جيل يحضر بعضه الحفل الآن ويتمايل على أحانهم.. وبجوارهم يقف آلاف اليافعين من أجيال أكثر حداثة وبراءة تردد الأغاني نفسها.. أغاني ستعيش لعقود تعبّر عن جيل خاف أن ينساه هذا العالم.. خاف أن ينسى طيبته وتساؤلاته.. أحلامه ووجوده.. تمسكه بالأمل وبغضه للقهر ومحاولاته المستميتة للانتصار على الحزن والوحدة وقيود الحرية.

تنهي الأغنية الأخيرة وتنحني الفرقة تحيةً وعرفانًا قبل أن ترکض للخارج.

أجمع أورافي وأغادر مقعدي بينما تنطفئ الأنوار الموجهة نحو الآلاف وهم لا يزالون يهتفون في صيحات هادرة لم تعد تخاف المجهول:

«كايروكي»... «كايروكي»... «كايروكي»...



شكراً وتقديراً

إلى التالية أسماؤهن: ابتسام عبد العزيز، أمانى عنان، صفاء شرف، عايدة ريحان، فاطمة شعراوي، نيقين المصري.. لولاكن ما كان هؤلاء الذين كتب عنهم الكتاب، ولا كان الكاتب.. ولولا ملايين أخرىات مثلن ما كان هذا الجيل ولا ثورته.. لولاكن أيضاً ما كنا قد وجدنا صوتنا الذي بحثنا عنه لسنوات.. شكرًا لأنكـن، كمحـررـ لا تلـدنـ إلاـ خـيرـاـ.

التحية للآباء الذين لن تنسى أسماؤهم بحمل أولادهم لها.. أسماء يحاول أصحابها جاهدين أن يخلدوها بما يتركونه من أثر.. دونكم ما كنا أيضًا.

إلى نهلة سالم، التي لن يكفي كتاب آخر بحجم هذا الكتاب كيأشكرها فيه على كل ما قدمت من دعم وتشجيع وإيمان لا يعوض، وبالطبع لأنك كنت السبب في وجود هذا الكتاب وخروجه إلى النور، فمنك كانت الشرارة الأولى التي صار بعدها كل شيء ممكـنـاـ.. الشـكـرـ كـلـ الشـكـرـ لـكـ.



إلى الأصدقاء الأعزاء جدًا.. والذين تحملوا هوسي وقلقي وأحاديثي التي لا تنتهي عن هذا الكتاب طوال عام ونصف كاملين حتى صار الآن بين أيديكم، والذين لم يمر يوم إلا وكانوا يطمئنون باهتمام بالغ على أحوالى وأحواله.. وكانت لمناقشاتنا المستمرة أبلغ الفائدة في كتابته.. لن يكفيكم الشكر وسأظل ممتّناً كل الامتنان لوجودكم في حياتي ولكل ما تحيطونني به من حب ورعاية واهتمام وصبر ودعم لا ينتهي: خالد أحمد، محمود أيمن، وليد شعبان، محمد فاروق، إسلام حماد، باسم أبو عرب، محمد هشام، نهلة العقدة، زاب ثروت، هادي لبيب، عصام الليثي، رامي عفيفي، هيتم لطفي، مي حمزة، ليلى عمر الفاروق، عبر الجوهرى، فاطمة سالم، يوسف عبد الفتاح، عبد الرحمن رشدى، عمرو جلال، أحمد حسنى، محمد شوقي.

إلى أحمد مدحت صديقي ورفيقى الذى راجع هذا الكتاب بدقة وصبر بالغين وقدم لي عوناً لا يقدر بثمن.



وإلى الذين دعموني في أول الطريق ولا أنسى فضلهم أبداً مهما باعدت بيننا المسافات: الأخوين محمد وعلي عبد المنعم، عماد نعوم، ريهام حمدي، وئام الهدابي، سميحة دميان، سلمى رشدي.

إلى خالتني عزيزة شعراوي، أظهرت من سارت على وجه هذه الأرض وأول من قرأ ما كتبت.. السماء تسعك.

إلى كل من قابلتهم أثناء رحلة هذا الكتاب من أصدقاء وعارف كايروكي الذين لم يخلوا بتقديم كل ما احتجت إليه من معلومات ومساعدة.. شكرًا لأنكم جعلتموه ممكناً.

وبالطبع إلى أعضاء الفرقة الذين لم أر من هو أكثر منهم شجاعة وجرأة؛ فقد فتحوا لي قلوبهم بشكل فاق كل توقعاتي، ولم يخجلوا من أي شيء، أو يفكروا في مدى تأثير هذا الكتاب على صورتهم أو شهرتهم؛ فكانوا السبب الرئيسي وراء خروجه بهذا الصدق، وكلّي ثقة بأن هذه الصورة الصادقة، إنما ستكون سبقاً ومثلاً يتبعه الآخرون بعد ذلك؛ فكل الشكر لكم، وإذا



كان هذا الكتاب مكسباً لمن يلحقنا من الأجيال كما أتمنى، فإن مكسيبي منه هو صدقة أتمنى أن تمتد طوال سنوات العمر الباقية.

إلى كل روح طاهرة خطت خطواتها في شوارع وميادين مصر بحثاً عن الحرية وغد أفضل لمن يأتي من بعدها.. إلى تلك التي لا تزال تخطو وتحاول.. وإلى تلك التي رحلت فداءً وإيماناً.

وأخيراً إلى أبناء الغد، القادمين من المجهول.. أقف متظراً إياكم ماداً ذراعيًّا لكم بهذا الكتاب، علهم تحملونه علينا يوماً.
